سلسلة أطاريح الدكتوراه (٢)



مركز الشهيدين الصدرين
للدراسات والبحوث

الاتجاهات الفكرية عند الامام علي

الدكتور رحيم محمد سالم

الدكتور رحيم محمد سالم
الاتجاهات الفكرية عند الامام علي
مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث

الاتجاهات الفكرية
عند الامام علي

الدكتور رحيم محمد سالم

مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث

الطبعة الاولى/ بغداد/١٤٢٨/ ٢٠٠٧

تقديم المركز

لم يزل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع) نصاً علميا مفتوحا قابلاً للقراءة واستمداد الرؤى والتصورات المختلفة في شؤون الحياة كافة. كلّما تعقدت شبكة الحياة وعلاقاتها وأفرزت المناهج العلمية والوسائل البحثية وتطورت العلوم، زادت الحاجة الى فهم مكوناته العلمية والفلسفية واتجاهات التفكير لديه، مما يزيد الباحثين قناعةً باستجلاب الوعي المكنون فيه على مستوى الالهيات والكون والنفس والإنسان والعقل والأخلاق ومنهج مداخلة العلوم والتعاطي مع المستجدات في حقول شتى من المعرفة والواقع كالسياسة والادارة والثقافة والقضاء والجيش وغير ذلك.

وهو ما اشتغل عليه الباحث الأستاذ رحيم محمد سالم في أطروحته للدكتوراه والموسومة (الاتجاهات الفكرية عند الإمام علي "ع")، وبمنهج علمي أكاديمي رصين، ولغة نخبة وأدبية رشيقة، مبتدئا بتثبيت النصّ العلوي والكشف عن الخصائص الذاتية والشخصية للإمام، ومنتهياً بتثبيت أركان الاتجاهات الفكرية عند الإمام في مداخلته للثالوث الفلسفي الالهي (الله والكون والانسان) مارّاً في رحلته بما يتفرع على هذا المثلث من قضايا وآثار وتفرعات وتطبيقات؛ كعلم الله وعدله وتوحيده وخلقه وصفاته، والظواهر النفسية الطارئة على الإنسان وتركيبته ومراحله وتكوين الأخلاق ومنشئها.

ليخرج من ذلك كلّه بالكشف عن المنهج الأصوب عبر نموذج الإمام علي (ع)، للتعامل مع الفكر والتفكير والعلوم وآليات تحويلها الى خطة عمل إدارية وسياسية تمسّ الواقع بالصميم.

وارتأى مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث طباعة هذا الجهد لتميّزه اولاً، ولأنّ القائمين عليه دأبوا على إبراز الدراسات التأصيلية المستندة الى النص والتأريخ المشرقين لأهل البيت (عليهم السلام)، في خطاب الواقع واشكالياته النفسية والمعرفية..

ويأتي ذلك في سياق السعي الجاد لاصدار سلسلة أطاريح الدكتوراه التي تصبّ في صميم الفكر الإسلامي المعاصر.... والله الموفق

الإهداء....

إلى صدري العراق الشهيدين محمد باقر و محمد محمد صادق الصدر (قدس) اللذين استوطنا قلبي واستعمرا مشاعري إليهما فكرا وجهادا وشهادة، كلما انتصف نهار الحرية وصلت دماء الشهداء، إليهما لأبوتهما للعلم والفكر والتضحية والتجديد ورفض الظلم.

المقدمة

قد يسلم طالب العلم من التقصير في موارد عديدة ، أمـا إذا تعلـق الأمر بفكر الإمام علي –ع– فانه بلا شك سينتمي إلـى عـالم التقـصير ، فالكتابة عن الجانب الفكري هنا أمر محرج للغاية ، وسوف لا ادعي وأنـا في خضم هذه الرحلة الطويلة أنني أنجزت مهمتي على اكمل وجه ، ومـع هذا فان جانبا آخر لتلك المهمة(و هو ما يثير في داخلي الـسرور) أنـي أردت تحريك الكتابة عن الإمام علي و فكره بأي أسلوب كـان، حتـى وان كانت ردة الفعل المقابلة هي النقد الشديد.

كانت الكتابة عن الامام علي (ع) تمثل احدى الاماني التي شـغلتني في بدايات حياتي ، وعلى هذا الأساس بدأت العمل ، وان كنت اعتقد جازما ان سنتين ونصف من البحث والكتابة لا يمكن ان تفي حق هذه المباحث و بلا شك فأنني احتجت الى مصادر عديدة والى جهد كبير مرهق .

احتوى الكتاب سبعة فصول في كل فـصل مبحثان،ناقـشت اغلـب الجوانب الفكرية لدى الامام علي او المتصلة بفكره ولهذا نجد ان العناوين تعددت بشكل الالهيات والسماء والعالم والنفس وعلم النفس وهي ما خص الباب الأول يضاف له سيرة حياة الإمام والتحقيق في نهج البلاغة .

اما الباب الثاني فقد القى الضوء على الفكر في المجـال الاخلاقـي والحكمة والعلم والسياسة.

ان مفردة الفكر (كما يمكن ان تفسر)تعني الجهد او العلاج الفكـري او الحلول العلمية والنظرية التي تتميز بها ذات معينة او فرد وتعالج شتى امور الحياة سواء أكانت الإنسانية للفرد والجماعة او غير ذلك .

اعترف بان الكتاب بحاجة الى جهد اكبر ولكن عزائي كمـا سـبق القول اني أردت ان تثار هذه المباحث فيما بعد ويرد عليها ،ويمكن الاضافة ايضا انه لا يمكن الاحاطة بفكر الامام علي وخصائصه .

ان هذا الكتاب طعم بشروحات مهمة وكثيرة لنهج البلاغــة القــديم منها والحديث وشمل ايضا مصادر علمية حديثة ، واستخدمت فيه منــاهج عديدة ايضا كالمنهج التحليلي والتصنيفي والتحقيقي....الخ.

من جانب اخر تم مراعاة التناسب في المباحث من حيث الحجم وقد برز مبحث الالهيات كونه اكبر المباحث من حيث السعة يليه الــسياسة ثــم النفس .

ومن ابرز المشاكل التي واجهتني هي صعوبة التأويــل لنــصوص الإمام التي قد تجرنا إلى التحليل او التفسير الخاطئ مما يعني ظلــم هــذه الذات المقدسة، وبرزت عبقرية الإمام كمشكلة اذ انه من الصعوبة بمكــان الإفهام بان الإمام علي استخدم مصطلحات سابقة لعصرها من حيث الابتكار و التجديد والأفكار العالية الدقة التي اختلفت عن المصطلح اليوناني بالشكل والمضمون مما يؤكد انه انتاج خاص متميز ، ويدعم هذا الراي الارضــية التي افترشناها للتحقيق في نهج البلاغة وكونه جهدا اســلاميا خالــصا لا يمكن ان يستنسخ او يمكن تزويره او تقليده لانه نسيج خاص وهو مدعوم بالبلاغة وصاحبه مؤسس علم البلاغة والنحو، ولا املك في نهايــة هــذه المقدمة بعد حمد الله سبحانه وشكره على نعمه كلها إلا القول في حق هذه الشخصية العظيمة .

وأراك في كل الوجوه عظيمها و اراك نورا للوجود إذا خــبا

تلك الدهور ذبحتهن أضاحيا ونحتَ في وجه السماء كواكبا

الباب الاول

الفصل الأول

المبحث الاول:

سيرته وعلمه (ع)

المبحث الثاني:

التحقيق في نهج البلاغة

الفصل الثاني

المبحث الأول:

*الله سبحانه

* مناهج معرفة الله

المبحث الثاني:

*العدل الإلهي

*كلام الله

الفصل الثالث

المبحث الاول:

*العالم عند الامام علي (ع)

*خلق الانسان (المادة والصورة)

المبحث الثاني :

السماء

الفصل الرابع:

المبحث الاول:

النفس في فكر الامام علي (ع)

المبحث الثاني:

*علم النفس عند الإمام علي

*الشخصية

*تصنيف المرض النفسي

الفصل الاول

المبحث الاول :
سيرته وعلمه (ع)

المبحث الثاني:
التحقيق في نهج البلاغة

المبحث الاول

سيرته وعلمه (ع)

سيرة الامام علي(ع):[1]

ولد الإمام علي(ع) بمكة وسط البيت الحرام لثلاث عشرة خلت من رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهو أول هاشمي في الاسلام ولده هاشمي مرتين ولا نعلم مولود ولد في الكعبة غيره.

ولد في بيئة محطمة روحيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا ،يسفك أهلها الدماء ويقطعون الأرحام ويعبدون الأصنام ، يتفشى فيهم الجهل والفتنة ويقتلون أبنائهم في بيئة غير منتجة تعتمد على التجارة [2] . أبوه أبو طالب شيخ البطحاء وحامي الرسول(ص) وقد سمته أمه حيدرة فغيره أبو طالب وسماه عليا [3] ويرد عن الإمام علي ان ولادته كانت على الفطرة[4] وذلك يعني انه ولد مسلما . وقد ذكر المؤرخون ان اسمه بالعبرانية الهيولى وبالسريانية مبينا وفي التوراة اليا وفي الزبور آريا [5].
تكفله النبي محمد (ص)بعد إصابة قريش بأزمة تضرر إثرها أبو طالب

---

[1] -انظر العصفري (خليفة بن خياط/ت ٢٤٠هـ) تاريخ خليفة، تحقيق سهيل زكار،ط١،دار الفكر ، بيروت،١٤١٤هـ،ص ١٥٠ ،أيضا الشيخ الكليني(محمد بن يعقوب/ت٣٢٩هـ)أصول الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري،ط٣،٨ مجلدات،طهران،١٣٨٨هـ ،١/ ٤٥٢ ،أيضا البلاذري(احمد بن يحيى/ت٢٧٩هـ) ،انساب الأشراف ،تحقيق محمد باقر المحمودي،ط١،الأعلمي،بيروت،١٣٩٤ ـ،ص١٨٩

[2] -حول ذلك الوضع الاجتماعي،راجع: د.علي إبراهيم حسن ،التاريخ الإسلامي العام،ط٣،القاهرة،١٩٦٣،ص١٢٥ وما بعدها.

[3] -الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين/ت ٣٥٦هـ)مقاتل الطالبين،تحقيق كاظم المظفر،ط٢،المكتبة الحيدرية ،النجف،ص١٤ .

[4] -الطوسي(محمد بن الحسن/ت٤٦٠هـ)امالي لطوسي،ط١،دار الثقافة،قم،١٤١٤هـ،ص٣٦٤ .

[5] -الخصيبي(الحسين بن حمدان/ت٣٣٤هـ)الهداية الكبرى،ط٤،مؤسسة البلاغ،لبنان،١٤١١هـ -١٩٩١م ،ص٩٢ .

فاشار النبي(ص) على العباس بن عبد المطلب ان يخفف عنه فاخذ النبي(ص)عليا ليربيه[1] وقد وصف الإمام حاله قبل ان يحتضنه الرسول(ص) قائلا(مازلت مظلوما مذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا،ولقد كنت اظلم قبل ظهور الاسلام، ولقد كان أخي عقيل يذنب جعفر فيضربني)[2] .

أقام الإمام مع النبي اثنتي عشرة سنة قبل النبوة وثلاث عشرة سنة بعد النبوة في مكة وهاجر للمدينة وبقي فيها عشر سنين ، ثم عاش ثلاثين سنة بعد وفاة النبي(ص)[3].

وهي سيرة طويلة كان دائما فيها ملاصقا للنبي (ص)منذ الطفولة التي يصفها في نهج البلاغة كمرحلة للتربية والتعليم بقوله(وضعني في حجره وأنا ولد صغير يضمني إلى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرقه ،وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنه بحرا فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صل الله عليه واله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة[4].

ولقد امتاز الإمام منذ الصغر بالإيمان والفطنة وثقة النفس والطموح والتفتح الواعي، ولذا فهو أول من اسلم فهو يقول (كنت أول الناس إسلاما بعث صل الله عليه واله يوم الاثنين وصليت معه يوم الثلاثاء وبقيت اصلي

---

[1] -ابن هشام المطلبي(محمد بن إسحاق/ت١٥١ هـ)السيرة النبوية(سيرة ابن هشام)تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ٤ مجلدات،القاهرة،١٣٨٣هـ،١ /١٦٢ .

[2] -الشيخ جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني،ط١،مؤسسة دار الهجرة،مجهول الطبع،١٤١٠هـ،ص٣٣٢.

[3] -تاريخ أهل البيت،تأليف كبار المحدثين والمؤرخين،تحقيق محمد رضا الحسيني، ط١،قم ،١٤١٠هـ، ص٧٠.

[4] - صبحي الصالح ،شرح نهج البلاغة، مؤسسة دار الهجرة،قم ، بلا تاريخ،ص٣٠٠.

معه سبع سنين)[1]. وهذا الكلام يتناسب مع قول النبي(ص) مشيرا الى علي(ع) هذا أول من آمن بي[2]، وعندما جمع النبي(ص) عشيرته ليدعوهم الى الإسلام لم يبايعه سوى الإمام علي[3] على صغر سنه،وقد قام مع أبيه أبو طالب بحماية النبي (ص)في كثير من الحالات ومنها في شعب أبي طالب أثناء حصار قريش للنبي (ص)[4].

و بنجاح واضح استمر ت سلسلة الجهاد والدفاع والطاعة وكان جانبها المؤثر خلال مبيته في فراش النبي (ص) قبل الهجرة الى المدينة وهي عملية تمويهية لحماية النبي بل والإسلام ، وقد تمت بنجاح،ولكونها ملاصقة للهجرة ولأنها عملية جوهرية ومهمة فان التاريخ لم يستطع أن يشكك بها مع إنها اقرب للخيال لشدة سموها وقيمتها[5] وما ان أدى الإمام الأمانات والحقوق التي أوصاه النبي(ص) بوفائها للناس، حتى شرع بالهجرة لاحقا رسول الله وكان آخر من وصل إلى المدينة مصطحبا الفواطم متعرضا في الطريق الى مخاطر لحاق فرسان قريش والذي قتل منهم جماعة وفر الباقون[6] ثم لحق بالنبي (ص) بعد أربعة أيام الى المدينة (اليوم الرابع للهجرة).

وكما يقال بان الهجرة تصنع الحضارة ، فان بناء الدولة الإسلامية

---

[1] -حول كونه أول من اسلم راجع ،ابن هشام،سيرة ابن هشام،١/١٦٢.
أيضا النسائي(احمد بن شعيب/ ت٣٠٣ هـ)خصائص أمير المؤمنين،تحقيق محمد هادي الأميني، طهران، ص٤٢،أيضا النسائي،فضائل الصحابة،دار الكتب العلمية،بيروت،ص١٣.

[2] -الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد/ت٧٤٨هـ)ميزان الاعتدال،٤ مجلدات،تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت،١٣٨٢هـ،٢/٤١٦ -٤١٧،وراجع العسقلاني(احمد بن حجر/ت٨٥٢ هـ)لسان الميزان،ط٢، ٧مجلدات ،مؤسسة الاعلمي ،بيروت،١٣٩٠هـ -١٩٧١ م ،٢/ ٤١٤ .

[3] -الحاكم الحسكاني(عبد الله بن احمد/القرن الخامس)شواهد التنزيل،تحقيق محمد باقر المحمودي،ط١ ،٢ مجلد ،طهران ،١٤١٨ هـ،١ /٥٤٤.

[4] -البستي(محمد بن حبان/ت ٣٥٤هـ)مشاهير علماء الأمصار،ط١،دار الوفاء،مصر،١٤١١ هـ،ص٢٤.

[5] -حول المبيت في فراش النبي (ص)،راجع سيرة ابن هشام،٢ /٣٣٣ .

[6] -حول الهجرة راجع: محب الدين الخطيب(احمد بن عبد الله/ت٦٩٤ هـ)ذخائر العقبى،القاهرة،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م هـ،ص٦٠ .

انطلق من الهجرة إلى المدينة ولقد ساهم الإمام علي في بناء تلك الدولة التي ابتدأت ببناء المسجد ثم سن القوانين وتطبيق النظام القضائي من خلال استخدام السيف والعدل والفكر معا في مراحل البناء وقد كان للإمام دور كبير في ذلك، لانه كان سباقا في إسلامه وصلاته وبيعته وهجرته وجهاده[1].

عندما آخا النبي(ص) بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة كان علي (ع) أخاه في تلك المؤاخاة مؤكدا ذلك بقوله(ص)علي أخي في الدنيا والآخرة[2]. فاصبح كل فرد وريثا لمن آخاه وهذا يعني ان الإمام عليا وريثا للرسول (ص)وقد اعلن الرسول ذلك قائلا (لكل نبي وصي ووارث وان عليا وصيي ووارثي)[3]، وهو ما توضح بالخطوات العلمية والعملية والتربوية للنبي (ص) والتفكير للإعداد للمستقبل الإسلامي بخطوات من اجل تهيئة الإمام للقيادة الاجتماعية والسياسية ،خاصة وان ملامح شخصية الإمام تتمثل في انه شخصية ربانية أخلاقية أولا وعلمية فكرية ثانيا ثم قيادية سياسية ثالثا[4].

على هذا الأساس تعددت اوجه شخصية الإمام فهو تارة مفكر وقاض وزاهد وواعظ ومبتكر وعامل ومجاهد ولعل من أسرار تهيئة الإمام للقيادة ان النبي (ص) زوجه من السيدة فاطمة الزهراء(ع) في الثالث من

---

1 -ابن شهر اشوب(محمد بن علي /ت٥٨٨ هـ)مناقب ال ابى طالب،٣مجلدات،المطبعة الحيدرية،النجف ،١٣٧٦هـ-١٩٥٦م،٢٨٩/١.

٢-ابن سعد(محمد بن سعد/ت٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى،٨ مجلدات،دار صادر ،بيروت ،٢١٨/١.

3 -القندوزي الحنفي(سليمان ابن ابراهيم/ت١٢٩٤هـ)ينابيع المودة،٣اجزاء،دار الأسوة،قم،١٤١٦هـ ، ١/ ٢٣٥،أيضا الكنجي الشافعي(محمد بن يوسف/ت٦٥٨هـ)كفاية الطالب،إحياء تراث أهل البيت،طهران ،١٤٠٤ هـ، ص٢٦٠، وقارن مع الكليني،الكافي،٢٣٤/١حيث ورث الإمام علي سيف ودرع ورحل وحصان النبي(ص).

4 -صالح الورداني ،السيف والسياسة في الإسلام،ط١ ،القاهرة،١٤١٥هـ ص١٠٦-١٠٨ ،أيضا السيد الصدر(محمد باقر)بحث حول الولاية،ط١،دار التعريف،بيروت،١٣٩٢هـ،ص٨٢.

صفر في السنة الثانية للهجرة والتي أنجبت له عليها السلام الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة والمحسن الذي أجهض وزينب الكبرى وأم كلثوم، وقد توفيت السيدة الزهراء بعد وفاة والدها الرسول الأكرم بستة اشهر[1].

ويذكر ان الإمام علي تزوج بعد الزهراء(ع) اكثر من مرة ومن زوجاته فاطمة الكلابية المكنات بأم البنين، وأيضا ليلى بنت مسعود، واسماء بنت عميس، ومن أبنائه الآخرين العباس وعمر وعثمان وأيضا محمد بن الحنفية، ويقال ان عدد أبناء الإمام بلغ سبعة وعشرين نفسا من الذكور والإناث وقيل ثلاثة وثلاثين[2].

شارك الامام في كل المعارك والغزوات مع الرسول (ص) سوى غزوة تبوك فقد استخلفه النبي على المدينة قائلا له (أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هـــارون من موسى)[3] وقد أعطاه الرسول الراية يوم خيبر وبها فتح الحصن الشهير، وقاتل في بدر واحد والخندق وكان النبي(ص) يجمع له الراية واللواء[4].

قام الإمام على بإصلاحات وتنظيرات تتعلق بالاقتصاد والفكر والسياسة والقضاء، وقد استشهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب سنة ٤٠ هـ يوم الأحد في الحادي والعشرين من رمضان عندما كان يصلي صلاة الصبح وقد قتله الخارجي عبيد الرحمن بن ملجم بضربة من سيف مسموم

---

[1] -الطبري (محمد ابن جرير/ت٣١٠ هـ)تاريخ الأمم والملوك،٨ مجلدات،الاعلمي ،بيروت،١١٨/٤ ،أيضا ابن عساكر(علي بن الحسن/ ت٥٧١ هـ) ،تاريخ مدينة دمشق،تحقيق علي شيري،٧٠ جزء،دار الفكر، بيروت ،١٤١٥ هـ،١٢٨/٣.

[2] -الطبرسي(الفضل بن الحسن/ت٥٤٨هـ) تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم ،مكتبة المرعشي النجفي، قم،١٤٠٦،ص١٨ ،أيضا أعلام الورى بأعلام الهدى،٢ مجلد،ط١ ،مؤسسة آل البيت،قم ،١٤١٧هـ ،٣٩٥/١ . وحول زواج الإمام راجع الطوسي ،الامالي،ص٣٩ ،الطبري(محمد بن جرير بن رستم/ ق٣هـ)،نوادر المعجزات، ط١ ،مؤسسة الإمام المهدي ،قم،١٤١٠هـ،ص١٨.

[3] -النيسابوري(مسلم بن الحجاج/ت٢٦١هـ)،صحيح مسلم، ٨ مجلدات،دار الفكر،بيروت،١٢٠/٧ .

[4] -الطبرسي،إعلام الورى بأعلام الهدى،٣٧٧/١ .

علي رأسه أثناء الصلاة، فيكون عليه السلام قد ولد واستشهد في بيت الله[1].

صفة الإمام علي[2]

كان الامام علي مربوع القامة اقرب للقصر والسمن، أدعج العينين،انجل في عينيه لين، أزج الحاجبين بوجه جميل يميل الى السمرة، كثير التبسم ، اصلع، ناتئ الجبهة كان عنقه إبريق فضة، كث اللحية، عريض ما بين المنكبين، شديد ساعد اليد لا يمسك بذراع رجل قط الا وكأنه امسك نفسه ، ضخم البطن ، ضخم الصدر ، ضخم عضلة الساق ، إذا مشى تكفأ(ماد كالنخلة) و إذا مشى الى الحرب هرول.

ألقابه (ع)

ومنها أمير المؤمنين،الوصي، الامام، الخليفة، قسيم الجنة والنار، صاحب اللواء، الانزع البطين، كاشف الكرب، يعسوب الدين، باب حطة، سفينة النجاة، المحجة البيضاء[3] وهي ألقاب أملاها واقع الحياة التي عاشها الإمام علي واغلبها تسميات أطلقها عليه النبي(ص).

جهاده (ع)

تقدم ان الإمام حضر المشاهد الإسلامية الحربية كلها عدا غزوة تبوك وكان لواء رسول الله(ص)بيده في مواقع كثيرة ومن شجاعته وجهاده انه ما ضرب ضربة قط فاحتاج إلى ثانية وكانت العرب تفتخر بوقوفها في مقابلته في الحرب وهو قالع باب خيبر الكبير وقالع هبل وكان صنما ضخما ،أما أرباب الفتوة فسموه سيد الفتيان وشعارهم لا فتى إلا علي ولا سيف إلا

---

[1] -حول مقتل الإمام علي راجع الطبري ،تاريخ الأمم والملوك،٤/ ١١٠،أيضا البغدادي(احمد بن علي الخطيب/ت٤٦٣ هـ)تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط١،١٤ مجلد،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ،١/ ١٤٥ .

[2] -انظر الطبراني (سليمان بن احمد/ت٣٠٦هـ)المعجم الكبير،تحقيق حمدي عبد المجيد،٢٥ مجلد، ط٢،دار إحياء التراث العربي،القاهرة،١/ ٩٣ .أيضا محب الدين الطبري ،ذخائر العقبى،ص٥٧ .

[3] -الحسين بن حمدان الخصيبي،الهداية الكبرى،ص٩٣ .

ذو الفقار[1].

ويذكر الامام علي تلك الشجاعة بقوله(أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر[2] وقد ترجم تلك الشجاعة قائلا (والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها)[3] ويقول(والله لابن ابي طالب انس بالموت من الطفل بثدي أمه)[4]. والذي نفس ابن ابي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة الله)[5]. فلم يكن الموت ليخيفه وهو القائل (فوالله ما أبالي أدخلت إلى الموت او خرج الموت إلي)[6].

وكانت اول راية حملها في غزوة ودان مع رسول الله وفي معركة بدر واحد جمع له الراية واللواء وأيضا في غزوات حمراء الأسد والحديبية و حنين وذات السلاسل وبني النضير وخيبر[7].

وقد كان يعطي عقيب كل معركة سيفه المبارك للسيدة الزهراء (ع) ويقول انه ما خذلني[8] وفي الخندق قتل عمرو بن ود العامري وكفى الله المؤمنين شر القتال وفتح الله باب خيبر على يديه بعد ان أعطاه النبي(ص) الراية، ويوم حنين ثبت بعد انهزام الناس عن النبي (ص) وفي غزوة تبوك خلفه النبي على الناس قائلا له ان المدينة لا تصلح إلا بك او بي[9] وقد كانت قريش تعرف قسوة سيفه ، ولهذا قالت، ولانه جندل أبطالها وساداتها ان ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب فرد الامام على هذه

---

1 -راجع ابن هشام،السيرة النبوية،١/١٨١ وأيضا ٣/٦١٥ .

2 -صبحي الصالح، شرح نهج البلاغة،ص٣٠٠ .

3 -صبحي الصالح،شرح نهج البلاغة،ص٤١٨ .

4 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،دار المعرفة،٤ أجزاء،بيروت،١ /٤١ .

5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/ ٢.

6 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/١٠٤.

7 -المفيد(محمد بن النعمان/ت٤١٣ هـ)الإرشاد، ٢مجلد، تحقيق مؤسسة آل البيت،دار المفيد، بيروت ،١/١٢٤ .

8 -ابن هشام ،السيرة النبوية،٤/٩٤٧.

9 - العلامة الحلي(الحسن بن يوسف بن المطهر/ت ٧٢٦هـ)،كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين،تحقيق حسن الدركاني، طهران،١٤١١هـ-١٩٩١م،ص١٤١ .

التهمة قائلا (وهل أحد منهم اشد فيها مقاما مني لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وهاأنذا ذرفت على الستين)[1].

كان من الطبيعي ان يدخل الامام كل تلك الحروب فلقد كانت الدولة الفتية تحتاج الى السيف ، وكان ذلك السيف قد استمر حتى بعد وفاة الرسول الأكرم لذا قاتل الامام الناكثين(أصحاب الجمل) والمارقين (الخوارج) والقاسطين(أهل الشام) ولم يكن الامام ليترك الصلاة حتى في اشد حالات الحرب قسوة كما في ليلة الهرير في صفين، رافضا فكرة ان الوقت غير مناسب ليقول إنما نقاتلهم على الصلاة[2].

ان صورة تلك الشجاعة انتشرت في سائر أنحاء الأرض فقد كانت صورة الامام علي ترسم على سيوف ملوك الترك والديلم وسيف عضد الدولة بن بويه وأبيه ركن الدولة وعلى سيف ألب ارسلان وابنه ملك شاه يتفاءلون به للنصر والظفر[3]. والسر في شجاعة الامام وغلبته الأقران يكمن-كما يقول- في انه ما لقي رجلا إلا أعانه على نفسه، أي ان هيبته تمكن من إخافة الخصم [4].

زهده (ع)

كان من قابليات الامام علي الجمع بين طباع الأسود والرهبان،ومن مميزاته المشهورة جمع المتضادات من الصفات، فعلي المقاتل القوي وقاتل الشجعان هو نفسه علي الزاهد الذي يعمل بيده ويرقع ملابسه ويخصف نعله ويجالس الأيتام وهذا الزهد يقابله قدرته على امتلاك الأموال الكثيرة والرخاء،ومع ذلك فهو يقول (لو شئت لاهتديت إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص

---

[1] -صبحي الصالح،شرح نهج البلاغة،ص٧٠.
[2] -العلامة الحلي،كشف اليقين،ص١٢٢ .
[3] -ابن أبي الحديد(عز الدين أبو حامد/ ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة،ط١،٢٠ مجلد،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،مصر،١٩٥٩هـ،٢٩/١.
[4] -جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني،ص٣٣٧.

ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطانا وحولي بطونا غرثى وأكبادا حرى)[١].

كان الامام يكنس بيت المال ثم يصلي فيه[٢] وهو دائما ما يشير إلى ان قميصه من نسج أهله ويقول (والله لقد رقعت مدرعتي (ثوبه)حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها فقلت اغرب عني عند الصباح يحمد القوم السرى)[٣] . لم يكن زهد الامام زهد المتخوف الهارب من الدنيا،بل الزاهد من اجل رضى الله ،فلم تكن له مطامع دنيوية فهو يقول (والله لان أبيت على حسك (شوك)السعدان مسهدا واجر في الأغلال مصفدا ، احب إلي من ان ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشي من الحطام)[٤].

وانه لشي مألوف ان تجد كتابات الامام علي تتحدث في الغالب عن الزهد وهي مدعومة بالتصوير البلاغي ، وهي سمة غالبة على كتابات او خطب الامام والذي كان مؤثرا من خلال كتاباته او خطبه و سيرته في المجتمع الإسلامي خصوصا في الكوفة[٥].

ومن سيرته ان مأكله الأساسي كان خبز الشعير وما ترك عند استشهاده إلا دراهم معدودات ولم يبن القصور ولا ملك الأراضي، ولقد خرج لبيع سيفه لحاجته الى إزار قائلا ان هذا السيف لطالما كشف الكرب عن رسول الله ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته[٦]. وجمع الكرم والصبر والزهد عندما نذر صوما مع الزهراء (عليهما السلام)، لشفاء الحسنين وقد استقرض دقيقا من يهودي ثم لثلاث أيام متوالية في وقت الإفطار يسألهم مسكين

---

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٧/٣ .

٢ -الثقفي(إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي/ت٢٨٣هـ)،الغارات،تحقيق جلال الدين المحدث،ط٢، مجلدان، قم،٤٦/١.

٣ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٦١/٢ .

٤ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢ /٢١٦.

٥ -للاطلاع على اثر زهد الإمام علي في الكوفة في الزهاد والمتصوفة ،راجع البحوث القيمة للدكتور كامل مصطفى الشيبي،الصلة بين التصوف والتشيع،جزءان،ط٣ ،دار الأندلس،بيروت،١٩٨٢م،٢٧٠/١ وما بعدها .

٦ -العلامة الحلي،كشف اليقين،ص٨٧ .

ويتيم واسير فيهبوه إفطارهم وفيهم نزلت الآية(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا /الإنسان-٧٦/٨)[١].

ومن زهد الامام ان الإمارة لم تكن تعنيه وقد اخبر ابن عباس بذلك قائلا(ما قيمة هذا النعل والله لهي احب إلي من إمرتكم إلا ان أقيم حقا او ادفع باطلا)[٢].

وكان يسقي بيده نخيل قوم من يهود المدينة ويتصدق بالأجر، وما قال ، لا ، لسائل قط، ولقد قال فيه أحد أعدائه وهو معاوية(لو ملك بيتا من تبر وآخر من تبن لانفق تبره قبل تبنه)[٣]. لقد ملك علي إرادته وهي إحدى أقوى الارادات التي تقول (وايم الله يمينا استثني فيه بمشيئة الله لا روضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مأدوما)[٤].
ويصف ضرار بن ضمرة زهد الامام علي عندما سأله معاوية ذلك بقوله اشهد لقد رايته وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابضا علـى لحيته يتململ تململ السليم(الملدوغ)ويبكي بكاء الحزين ويقول يادنيا يا دنيا إليك عني أبي تعرضت أم ألي تشوقت لا حان حينك هيهات غري غيـري لا حاجة لي فيك طلقتك ثلاثا لا رجعة لي فيها فعيشك قصير وخطـرك يـسير واملك حقير،آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد[٥].

عدله وقضاؤه (ع)

لعلي عليه السلام صفة مشرقة في العدل والقضاء وفيه قال النبي

---

١ -الواحدي النيسابوري(علي بن احمد/ت٤٦٨هـ)أسباب نـزول الآيات،مؤسسة الحلبي،القاهرة،١٣٨٨هـ-١٩٦٨م،ص٢٩٦.
٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٠/١ .
٣ -ابـن قتيبـة(عبـد الله بـن مـسلم النيـسابوري/ت٢٢٦هـ)،الإمامـة والسياسة، ٤مجلدات،تحقيق علي شيري،ط١ ،قم،١٤١٣-١٩٩٣م هـ،١ /١٣٤.
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣ /٧٤ .
٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٤ /١٦ .

(ص)(كفي وكف علي في العدل سواء)[1] وهذه فضيلة مهمة تدل على عصمة الامام لان هذا يعني ان عدالته هي عدالة النبي (ص)الذي قال أيضا (أقضا كم علي)و(اللهم ادر الحق مع علي حيث دار)[2] ويلاحظ في كلام الامام المشتمل على المعرفة القضائية العالمية تنويها على المعرفة باللغات فهو يقول (لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم)[3].

ويروي الامام علي مسالة معرفته القضاء بقوله:(بعثني رسول الله(ص) إلى اليمن، قلت تبعثني وأنا شاب اقضي بينهم ولا ادري ما لقضاء،قال فضرب صدري وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه، فوالذي فلق الحبة ما شككت بعد ذلك في قضاء بين اثنين[4].

ومن لوازم قضاء الامام كما يقول(ع)(الذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه)[5] . ومما يروى عن عدل الامام، انه فقد درعا وعرف انه عند يهودي فاحتكم (وقد كان أميرا للمؤمنين)عند شريح القاضي الذي طلب شهودا فأجابه الامام انه ابني الحسن وقنبر (خادم الامام) فقال شريح لا تجوز شهادة الابن فاجابه الامام سبحان الله أرجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته...وحكم شريح لليهودي

---

[1] -الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد،٥ /٢٤٠ . والقندوزي،ينابيع المودة،٢/٢٣٦،أيضا المتقي الهندي (علي بن حسام/ت٩٧٥هـ)،كنز العمال،تحقيق بكر حياني وصفوة السقا،١٦مجلد،بيروت،١٤٠٩هـ -١٩٨٩م،١ /٦٠٤ .

[2] -القزويني(محمد بن يزيد/ت٢٧٥هـ)سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،٢ مجلد،دار الفكر، بيروت،١ /٥٥ .أيضا الغزالي(أبي حامد محمد بن محمد/ت٥٠٥ هـ)،المستصفى في علم الأصول،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٧هـ-١٩٩٧م،ص ١٧٠ .

[3] -الشيخ الصدوق(محمد بن علي/ت٣٨١هـ)،التوحيد،تحقيق هاشم الحسيني، نشر جماعة المدرسين،قم ،١٣٨٧هـ-١٩٦٧م،ص٣٠٥ .

[4] -جعفر نقدي،الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية، ط٢،المطبعة الحيدرية،النجف،١٣٨١هـ-١٩٦١م،ص٩١ .

[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/ ٨٩ .

الذي تعجب من وقوف الخليفة للقضاء، ثم اسلم اليهودي نتيجة لهذا الموقف وقاتل مع الامام واستشهد في النهروان[1] . ومن عدل الإمام علي انه كان يرفض الزكاة والصلة والصدقة على أهل البيت، وقد رفض هدية من أحد ولاته قائلا (لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة اسلبها جلب(قشر) شعيرة ما فعلت وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى)[2].

ومن عدله أيضا انه انتزع القطائع التي وزعت قبل توليه الخلافة وفيها يقول (والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق)[3]. ان مزيج العدالة والقضاء عند الامام علي يرجع للقدرة العلمية العالية بل والكاملة، فبشكل عملي يجيب وقد سئل عن الجود والعدل بان العدل يضع الأمور مواضعها والجود يخرجها عن مواضعها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل أشرفهما وأفضلهما)[4].

حلمه وتواضعه (ع)

قد يبدو من الغريب ان يشتكي الحاكم ظلم رعيته،وهذا ما حصل مع الامام علي(ع)،الذي يصف النبي(ص)حلمه بالعظيم عندما قال لابنته الزهراء(ع)، زوجتك أعظمهم حلما وأقدمهم إسلاما وأكثرهم علما[5]. ومع خصلة الحلم الكبيرة تلك إلا ان الامام لم يتوان عن إحراق جماعة اتخذته إلها وقد استتابهم فلم يتوبوا[6]. ومما يروى عن حلم الامام علي انه دعى غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على الباب فقال له ما حملك على

---

[1] -الثقفي(إبراهيم بن محمد/ت ٢٨٣هـ)،الغارات،تحقيق جلال الدين المحدث،ط٢،٢مجلد، قم، ١/١٢٤ . للمزيد حول قضاء الإمام راجع السيد محسن الأمين العاملي،عجائب أحكام أمير المؤمنين ،تحقيق فارس حسون كريم،قم،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٢١٨ .

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٤٦

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٠٢.

[5] -الذهبي،سيرة أعلام النبلاء،ص٢/١٢٦.

[6] -احمد بن عبد الله الطبري،ذخائر العقبى ،القاهرة،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م،ص٩٣ .

ترك إجابتي ، قال الغلام كسلت عن إجابتك وأمنت عقوبتك فقال علي الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه، اذهب فأنت حر لوجه الله[1]. وقد سمعه أحد الخوارج يخطب فقال قاتله الله كافرا ما افقهه فوثب القوم ليقتلوه، فقال الامام رويدا إنما هو سب بسب او عفو عن ذنب[2]. ومن حلم الامام علي انه ظفر بمروان بن الحكم في وقعة الجمل وقد خسر الحرب وكان مروان اعدى الناس للإمام فصفح عنه وصفح عن عبد الله بن الزبير الذي كان يشتمه بقسوة واعرض عن سعيد بن العاص عندما ظفر به، وعن عمرو بن العاص أيضا ، واكرم السيدة عائشة صاحبة الجمل وأرسل معها عشرين امرأة ألبسهن عمائم وقلدهن السيوف وكان لايتبع هاربا في الحرب ولا يجهز على جريح ولا يقتل أسيرا[3] وكان أصحاب معاوية قد منعوا جيش الامام عن الماء في معركة صفين عند إحاطتهم بالفرات فلما استمكن الامام من الماء وانتصر ، فسح لهم المجال لشرب الماء،ولقد كان الامام يترفع عن شتم أعدائه ونهى أصحابه عن ذلك [4].

فضائله (ع)

تميز الامام علي (ع) بثلاث خصائص في فضائله، الأولى: ما شارك الصحابة فيه والثانية ما اجتمع فيه وتفرق في الكل واخيرا ما تفرد به عليه السلام[5]. وكلها تتوزع على ما ذكره القران الكريم بحقه وما ذكره الرسول (ص) وما تكلم به الامام عن نفسه سواء في النهج او غيره، ويذكر العلامة الحلي اكثر من أربع وثمانين آية نزلت بحقه وبحق آل الرسول ومنها آيات:التطهير، المودة، المباهلة، سقاية الحاج، المناجاة، هل أتى، الصلاة

---

1 - احمد الرحماني الهمداني ،الإمام علي-ع-،ط1،طهران ،1417 هـ،ص651 .

2 -الإسكافي(محمد بن عبد الله/ت220هـ)،المعيار والموازنة،تحقيق محمد باقر المحمودي،قم ،بلا تاريخ،ص234 ، أيضا عبده،شرح نهج البلاغة،4/ 98 .

3 -صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة ،ط1،1مجلد،مؤسسة الإمام صاحب الزمان(عج)،طهران،1418هـ، ص38 .

4 -المنقري(نصر بن مزاحم /ت212 هـ)،وقعة صفين،تحقيق عبد السلام هارون،ط2،مصر،1382-1962م، ص163،منع معاوية شرب الماء،وص193 السماح بشرب الماء.

5 -ابن شهر آشوب،مناقب آل أبي طالب،1 /287 .

على النبي، علم الكتاب ، عم يتساءلون ، سلام على آل ياسين، العصر[1].

ونجد في الأحاديث النبوية فضائلا جمة فقد قال الرسول (ص)(علي مع القرآن والقرآن مع علي) وقال النبي علي عيبة علمي[2]. وقال (ص) بعد ان طالت مناجاته بعلي(ما انتجيته ولكن الله انتجاه)[3] وأيضا (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي)[4] ومن فضائل الامام الأخرى اختصاصه بنجوى النبي(ص) وحمله النبي على منكبه لكسر أصنام الكعبة ثم ان الامام صهر الرسول ومن سادات الجنة وممن تشتاق لهم الجنة[5].

التنبؤ عند الامام (ع)

ان ناحية مهمة وعجيبة امتاز بها الامام هي ما كان يظهر في بعض تجلياته فقد ذكر الكثير من مستقبل الأمة كما عن الخوارج والزنج وذلك من دون شك لون من الكرامات[6].

ويجب التأكيد على ان للإمام (جانبان:جانب تاريخي يعرفه الناس وتتعرض

---

1 -العلامة الحلي(الحسن بن يوسف بن المطهر/٧٢٦هـ)،نهج الحق وكشف الصدق،مؤسسة دار الهجرة، قم، ص١٧٢ .أيضا ص٢١٢،الذي يتحدث عن مصادر الأقوال النبوية في حق الإمام علي .

2 -السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر/ت٩١١هـ)،الجامع الصغير، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٣٤٦،أيضا الهيثمي(علي بن أبي بكر/ ت٨٠٧ هـ)،مجمع الزوائد،دار الكتاب العربي ،بيروت،١٤٠٢هـ، ص١٣٤،والقندوزي ،ينابيع المودة،١/٢٦٩.

3 -الترمذي(محمد بن عيسى/ت٢٧٩هـ)،سنن الترمذي،٥مجلدات،دار الفكر بيروت،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،٥/٣٠٣، أيضا سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص،مؤسسة أهل البيت،بيروت،١٤٠١هـ،ص٤٧.

4 - مسلم ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم،٧/١٢٠ .

5 -راجع مسند زيد بن علي(ت/١٢٢هـ)،تحقيق أحد علماء الزيدية ،دار الحياة ،بيروت،ص٤٥٥ وما بعدها . أيضا القمي(محمد ابن شاذان/ت٤١٢هـ)مائة منقبة، نشر مدرسة الإمام المهدي(عج)،قم،١٤٠٧ هـق . واحمد بن عبد الله الطبري(ت٦٩٤هـ) ذخائر العقبى،ص٨٥ ،وص٨٨ الأيات النازلة بحق الإمام علي .

6 -صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،ص٣٠،أيضا د.الشيبي،الصلة بين التصوف والتشيع،١/٧٠ .

الكتب العامة وجانب روحي)[1] والجانب الروحي يأتي بالتأكيد من النصوص الكثيرة التي يطرحها الامام في كلماته ومنها(سلوني قبل ان تفقدوني)[2].

ولقد اخبر الامام أصحابه من انهم سيتعرضون إلى سبه والبراءة منه، فقال أما السب فسبوني واما البراءة فلا تتبرؤا مني لاني ولدت على الفطرة[3].

ومن تنبؤاته(ع) الإخبار عن مقتله على يد ابن ملجم، وظهور صاحب الزنج، وهجوم التتر، وغرق البصرة فيصف البصرة الغارقة وكأنها جؤجؤ(صدر) سفينة[4] ويعطي للكوفة صفة الحماية بقوله (ما أراد بك جبار سوءا إلا ابتلاه الله بشاغل ورماه بقاتل)[5] ويطمئن جيشه عندما تمرد الخوارج عليه ، بان مصارعهم دون النطفة(قرب النهر) مؤكدا بأنه(والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة)[6] ولقد صدق أيضا لقوله انهم سوف يتكاثرون.

وتصف غيبياته مروان بن الحكم عندما عفى عنه في الجمل بان(له إمرة كلعقة الكلب انفه وهو أبو الاكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوما احمرا)[7].

ومعرفة هذا المصير السئ يشمل الحجاج الثقفي فالإمام يقول(ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم، إيه أبا

---

[1] د.الشيبي،الصلة بين التصوف والتشيع،٦٠/١ ،وقد اسماهما الجانب العام والخاص أو المثالي والواقعي.

[2] محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٨٢/١ .

[3] محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٠٥/١ ،ولمعرفة مغيبات الإمام راجع،الطبري الامامي(محمد ابن جرير /القرن الرابع)،المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق احمد المحمودي،ط١،قم، ص٦٦٤ وما بعدها .

[4] محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٤٥/١ .

[5] محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٩٧/١ .

[6] محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،١٠٧/١ .

[7] محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،١٢٤/١ .

ونحة[1]. ولقد وصف الامام ثورة الزنج بان أقدامهم كأقدام النعام ويصف غزو التتر بان وجوههم كالمجان المطرقة(المدورة)[2].

وبالاستناد الى قول الرسول(ص)أنا مدينة العلم وعلي بابها ،يفهم قول الامام (والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن أخاف ان تكفرو في (بسببي) برسول الله صل الله عليه وآله، ألا واني مفضيه الى الخاصة)[3].

وهذا كله لا يمكن تسميته بعلم الغيب كما يقرر الامام نفسه ذلك بقوله إنما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله... فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري[4]. ولعل الامام قصد بالعلم الذي علمه النبي (ص) إياه إنما هو علم الجفر بأنواعه والجامعة[5] وهما كتابان طلسميان ويقال ان الجفر صحيفة من جلد شاة وفيه الحلال والحرام والحوادث والمغيبات)[6].

علمه (ع)

يجب الإشارة الى انه توجد في الجاهلية ثلاثة علوم هي: علم الأنساب

---

1 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٣٠/١٠ .وونحة كناية عن الخنفساء التي قرصت الحجاج ومات .

2 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٩/٢ .

3 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٨٩/٢ .

4 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٩/٢-١٠

5 -الطبرسي(احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان،دار النعمان،النجف ،١٣٨٦ هـ-١٩٦٦م ،١٣٤/٢ .أيضا المظفر(محمد حسين/ت١٣٨١هـ)علم الإمام ،ط٢،دار الزهراء، بيروت،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م،ص٥٤ .

6 -مغنية(محمد جواد)،الشيعة في الميزان،دار الشروق،بيروت،١٣٩٩هـ، ص٥٦ .أيضا احمد يعقوب حسين ،الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية،ط٢،دار الفجر، لندن ١٤١٥هـ،ص١٢٨ وما بعدها .

والتواريخ والأديان وعلم الأنواء(الكهانة)[١] وهي علوم ليست كبيرة الأهمية في مجتمع كان أميا ساذجا لم تكن فيه ثقافة فنية سوى دائرة الشعر المبنية على المفاخرة والعشق والخيال. ذلك المجتمع الذي لم يكن يشابه المجتمع اليوناني او المصري القديم فيما يتعلق بالعمارة والفن رسما ونحتا أو في الطب والرياضة والزراعة والصناعة[٢].

وفي العهد الإسلامي أشار الرسول إلى خلافة واضحة وصريحة للعلم تمثلت بما أسلفنا من قوله (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب .

وتستند مصادر فكر الامام إلى مقدسين هما القران الكريم والسنة النبوية المطهرة، وهو ما أشار له الشريف الرضي في مقدمة نهج البلاغة،مع تأكيدات النبي(ص) الكثيرة والتي منها(ان اعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب)[٣].

وهو ما يدل على إحاطة الامام بسائر العلوم، ومنها علوم القران الأمر الذي يفسره الامام بقوله(فما نزلت على رسول الله صل الله عليه وآله آية من القران الا اقرانيها وملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها)[٤].

وبنغمة تدل على معرفة بالعالم العلوي أشار(ع)(سلوني قبل ان تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الأرض)[٥].
وقد كان الامام اكثر الصحابة تفسيرا للقران وكان لديه علم الظاهر

---

[١] -البحراني(ميثم ابن ميثم /قرن ٧)،شرح نهج البلاغة،٥مجلدات،ط٢،مجهول الطبع،١٤٠٤هـ ،٢٠٦/١ .
[٢] -للمزيد راجع خليل عبد الكريم،مجتمع يثرب،ط٢،مجهول الطبع، ١٩٩٧ م .
[٣] -الخوارزمي(الموفق بن احمد/ت٥٦٨هـ)،المناقب،ط٢،مجلد واحد،تحقيق مالك المحمودي،مؤسسة النشر الإسلامي ،قم،١٤١١هـ،ص٨٢.
[٤] -الكليني،الكافي،٦٤/١.
[٥] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٣٠/٢ ، أيضا الحاكم الحسكاني،شواهد التنزيل،٥٠/١.

والباطن[1] وهو القائل (اندمجت على مكنون علم لو أبحت بـه لاضـطربتم اضطراب الارشية في الطوي البعيدة (اضطراب حبال الدلو في الآبار)[2].

ويمكن القول ان من كتب عنهم من الصحابة بلغ اثني عشر ألف نسمة ولم نشهد لاحدهم من المقدرة العلمية كالتي كانت للإمام علي ،بـل ان مـا ورثناه منهم من المعارف انحصرت في الأخبـار عـن التنزيـه والتـشبيه والتجسيم والأخبار المشتملة على معارف بسيطة وعادية[3] وبالمقابل يقول ابن عباس (لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وايم الله لقـد شاركهم في العشر العاشر[4].وعندما سئل عن نسبة علمه الى علم ابن عمه أجاب(ما علمي وعلم الصحابة في علم علي إلا كقطرة في سبعة أبحر)[5].

ويذكر ابن عباس ان الامام كان عالما بالتفـسير والتأويـل والناسـخ والمنسوخ والحلال والحرام، وقد رجع إليه عمر بن الخطـاب فـي ثـلاث وعشرين مسألة ،حتى قال لولا علي لهلك عمر[6].

والسر في علم علي تكشفه حادثة مع عمر بن الخطاب الذي سـئل الامام علي (يا أبا الحسن انك لتعجل في الحكم والفصل لشي إذا سئلت عنه ،قال فابرز على كفه وقال: كم هذا؟ فقال عمر خمسة، فقال عجلت يـا أبـا حفص، قال عمر لم يخف علي، فقال علي أنا أسرع فيما لا يخفى علـي)[7]

---

[1] -الثعالبي(عبد الرحمن المالكي/ت٨٧٥)، تفسير الثعـالبي، تحقيـق د.عبـد الفتـاح مقصود وآخرون ،ط١، ٥ مجلدات،القاهرة ،١٤١٨هـ ،١/٥٢-٥٣.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١/٤١ .

[3] -الطباطبائي(محمد حسين) ،علي والفلسفة الإلهية ،منـشورات الاكـرمين ،النجـف ،ص٣٤ .

[4] -الحاكم الحسكاني،شواهد التنزيل،١ /١١٠ .وانظر جعفـر الحـائري،نهج البلاغـة الثاني،ص٧٥ .

[5] -عبد الحسين الاميني، الغدير ،١١مجلد ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٣٧٩ هـــ-١٩٥٩م ،٢/٤٥ .

[6] - ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ،١/٣١١ .

[7] -ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب ،١ /٣١١ .وراجع أقوال النبي(ص)في علـم الإمام في كتاب الانتصار(أهم مناظرات الشيءعة في شبكات الانترنيت)،للعاملي،ط١، ٩ مجلدات ،دار السيرة ،بيروت ،١٤٢١هـ ،٦/٢٠٣.

.ويسجل لأبي حامد الغزالي اعترافه بهذه المسألة من ان علم الامام علي هو علم لدني[١].

لقد كان علي(ع) معلما للكوادر الإسلامية المنتجة فقد كان القراء يرجعون الى قراءته مثل حمزة والكسائي وابو عمر ونافع وابن كثير الذين يرجعون لابن عباس والذي بدوره كان يرجع لعلي في القراءة، وأيضا عاصم قرأ على السلمي والأخير قرأ القران كله على علي(ع)[٢].

وفي علم التصوف والطريقة والحقيقة وجد أصحاب هذا العلم غطاء مهما للاحتماء بالإمام علي فاستندوا الى الامام في أحاديثهم الصوفية وما يتعلق بالزهد والخرقة الصوفية وقد كان شعارهم وهو ما صرح به الجنيد والشبلي والسري السقطي والبسطامي والكرخي[٣].

أما الفقهاء فاليه يرجعون[٤]. وللإمام تأثير على المتكلمين فقد برزت قضايا الكلام عند الخوارج في عهده كما في جدالهم للإمام في معركة صفين[٥] وكلاميا أيضا فاز المعتزلة انتسبوا إلى واصل بن عطاء وهو تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الامام علي المعروف بابن الحنفية وهذا يشمل الاشاعرة فان أبا الحسن الاشعري تتلمذ على أبي علي الجبائي الذي يرجع لابن الحنفية أيضا وهو تلميذ وابن الامام علي[٦].
وللإمام علم بالقران والصحف الأولى للأنبياء وعلم الظاهر

---

١ -ابن طاووس(علي بن موسى/ت٦٦٤ هـ)سعد السعود ،ط١،المطبعة الحيدرية،النجف ،١٣٦٩، ص٢٨٤
٢ -العلامة الحلي،كشف اليقين،ص٥٨ .أيضا العاملي ،الانتصار،٢٧٢/٣ .
٣ -ابن طاووس(احمد ابن موسى/ت٦٧٢هـ)، بناء المقالة الفاطمية ،تحقيق السيد عدنان الغريفي ،ط١، مؤسسة آل البيت ،ص١٠٧
٤ -راجع تفاصيل رجوع الحنفية والشافعية بل والخوارج للإمام علي في الفقه ،في كشف اليقين،للعلامة الحلي ،ص٥٨.
٥ -عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة،ط٣،بيروت ،١٣٨٩هـ-١٩٦٩ م ،ص٥٦ .
٦ -العلامة الحلي،كشف اليقين ،ص٥٩ .

والباطن[١] وهو القائل (تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات)[٢].

ويجب التذكير بان لدى الامام ألف علم وكما يقول(علمني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب)[٣]. وإذا كان حديث الرسول (ص) متواترا وإذا كانت علومنا اليوم لم تبلغ العشرة آلاف علم ، فلنتساءل عن هذه العلوم العظيمة التي يملكها الامام علي والتي تجاوزت المليون .

والإمام هو أول من صنف في الإسلام لانه أول من جمع القران[٤]. وهو أول من نقط المصاحف[٥]. و يعزى الى الامام تأسيسه علم النحو عندما أملاه على أبى الأسود الدؤلي وفيه قال له أنحو هذا النحو،على ان الكلام كله اسم وفعل وحرف والاسم ما انبأ عن المسمى و الفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل[٦].

ومن الإنجازات العامة للإمام علي انه مؤسس الشرطة وقد اسماهم بهذا الاسم لانه شارطهم على الجنة[٧] وهو اول من أشار الى التاريخ الهجري الذي كانت بدايته من أول هجرة النبي (ص)[٨]. وهو الذي أشار على عمر

---

١ -الفيروزآبادي (مرتضى الحسيني)،فضائل الخمسة من الصحاح الستة ،بيروت ،١٣٩٣ هـ-١٩٧٣ م ،٢٣٧/٢ .

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١ /٢٣٣ .

٣ -لبيب بيضون ،تصنيف نهج البلاغة ،ط٣، قم ،١٤١٧هـ، ص٣٦٤.

٤ -اليعقوبي(احمد ابن يعقوب/ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، ٢مجلد ،دار صادر ،بيروت ،٢ /١٣٥ ،حيث قال ان الإمام جاء بالقران بعد وفاة النبي (ص)على بعير وقال هذا القران قد جمعته ،وقد جزاءه٧ أجزاء.

٥ -ابن طاووس ،بناء المقالة الفاطمية ،ص١٠٦ .

٦ -ابن النديم (محمد بن إسحاق/ت٤٣٨هـ)الفهرست،تحقيق رضا تجدد ،قم ،ص٤٥ .

٧ -ابن النديم ،الفهرست،٢٢٣ ،أيضا الطريحي(فخر الدين/ت١٠٨٥هـ)مجمع البحرين،ط٤،٢مجلدات ، تحقيق احمد الحسيني،ط٤،٢ مجلدات،قم،١٤٠٨ هـ ،٤٩٩/٢ ،وقارن مع محمد الحسين عبد العزيز،تاريخ الشرطة في الإسلام،مجلة الفيصل،س٤،ع٢،١٩٨٠م،ص١٣٤ .

٨ -ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج١ص٤٣ .

بن الخطاب بتدوين الدواوين[1] كما أمر بسك العملة وذلك في البصرة سنة ٤٠هـ[2] وهو المجدد الإسلامي في نظرية العمل بعد أن ترفع العربي في الجاهلية عن العمل اليدوي في حين كان الامام يعمل بيده في الزراعة.

ومن منجزات الامام علي نقله العاصمة من المدينة الى الكوفة في العراق مما جعلها رسالة عاجلة لإفهام الذين جاءوا بعده،كإشارة إلى فهم التطور الحضاري الذي يأتي من التغير.

وهو أول حاكم يطبق حقوق الإنسان ويصر على تطبيقها ،ومن خصائص الامام الأخرى تطويره المفهوم الأخلاقي للحرب فهو لا يبدأ بحرب إلا إذا هوجم ولا ينازل أحدا إلا إذا دعاه خصمه ثم يبدا قبل الحرب بالموعظة الحسنة ثم بالحجة القاطعة ثم يدين فعل أعدائه فإذا لم ينفع ذلك كله بدا بالحرب[3].

وفي السياسة طبق الامام لسياسة المثالية والواقعية لا النفعية التبريرية،وهو أول من فرق بين الشهود فلقد قال (أنا أول من فرق بين الشاهدين إلا النبي دانيال عليه السلام)[4] وهو أيضا أول من وضع صناديق او غرفا للشكوى[5] وأسس الدفاتر وديوان الخراج والأموال[6].

---

[1] -الطبري، تاريخ الأمم والملوك،الاعلمي بيروت،٣/٢٧٨ .

[2] - روكس ابن زايد العزيزي ،الإمام علي أسد الإسلام وقديسه،ط٢ ،بيروت،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص١٥٢.

[3] -د. مهدي محبوبة،ملامح من عبقرية الإمام علي ،ط١ ،بيروت ،بلا تاريخ ،ص١٢٨ .

[4] -ابن شهر اشوب ،المناقب،٢/١٩٣.

[5] -مهدي محبوبة ،ملامح من عبقرية الامام علي ،ص١٢٨ .

[6] -السرخسي(علي ابن ناصر/ ق٦)أعلام نهج البلاغة ،ط١ ،طهران،١٤١٥ هـ،ص٣٠ (مقدمة المحقق).

المبحث الثاني
تحقيق نهج البلاغة

قبل التحقيق في نسبة نهج البلاغة للإمام علي يجب التطرق لمؤلفاته(ع) وهي كآلاتي:

١. جمعه القران الكريم على ترتيب النزول بعد وفاة النبي(ص) فكان أول مصحف جمع فيه القران[١].
٢. ما نسب للإمام علي من كتابي الجفر والجامعة وهما صحيفتان فيهما علم الأنبياء وكل ما يحتاجه الناس[٢] وقيل ان الجفر هو العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر وهو نوعان، احمر وفيه سلاح رسول الله (ص) والأبيض وفيه كتب وصحائف وكتب الله المنزلة وأسرارها وتأويلها وقيل انه يتحدث عن أسرار الحروف وهو كتاب في جلد شاة[٣].
٣. صحيفة الفرائض : وهي صحيفة من إملاء النبي(ص) وخط الإمام علي(ع) وفيها مسائل الميراث، وفي تهذيب الأحكام للطوسي(ت٤٦٠ هـ) ان زرارة بن أعين سأل الإمام الصادق(ع) عن مسالة في الميراث فاخرج له الصادق (ع) صحيفة مثل فخذ البعير فقراها وقال ليست مثلما لدى الناس من الفرائض، فقال الصادق-ع- الذي قرأت ورأيت إملاء الرسول(ص) وكتابة الامام علي ،فقال زرارة وما يدرينا انه كذلك، فقال الصادق يا زرارة لا تشكن وكيف لا ادري انه إملاء الرسول وكتابة الإمام وقد حدثني به عن جدي[٤].

---

١ -ابن النديم ،الفهرست ،ص٣١ ، وقد ذكر انه شاهد المصحف في زمانه بخط الامام علي،أيضا راجع ابن عساكر ،تاريخ دمشق ،٣٩٨/٤٢ .

٢ - الكليني ،الكافي ،٢٣٩/١-٢٤١،أيضا ابن شهر آشوب ،مناقب آل أبي طالب ،٢١٨/١ .

٣ -القندوزي الحنفي ،ينابيع المودة ،٢٠٠/٣ .

٤ -الشيءخ الطوسي ، تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الخرسان،محمد الاخوندي ،١٠أجزاء ،ط٤،طهران ،١٣٦٥ ش ،٢٧١/٩-٢٧٢ ،وقارن مع النعمان المغربي ،دعائم الإسلام ،٣٧١/٢ .

٤. كتاب زكاة النعم: وهو ما يتحدث عن صدقات النعم وما يؤخذ منها وما لا يؤخذ وقد صنفه الإمام علي وملاه على ربيعة بن سميع[١].
٥. كتابان في أبواب الفقه[٢].
٦. كتاب الخطبة الزهراء وقد شرحها المولى محمد نجف الكرماني[٣].
٧. عهد الامام لمالك الأشتر عندما ولاه مصر وهو أطول العهود وفيه دستور كامل للحكم وطريقة لبناء الدولة[٤].
٨. كتاب عجائب أحكام الإمام وقضاياه ،جمعها السيد محسن الأمين في كتاب وادرج فيه كتاب عجائب أحكامه[٥].
٩. ما اثر عنه من الأدعية والمناجاة، جمعها عبدالله بن صالح السماهيجي البحراني (ت١٣٥هـ) وسماها الصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية وقد جمعها من الكتب مرسلا دون ذكر السند وله حواشي يذكر فيها سنده وهي مؤلفة من (١٦٥) دعاء. وهناك الصحيفة العلوية من جمع حسين الطبرستاني و أخرى للسيد مهدي الغريفي البحراني[٦].
١٠. مسند علي الذي جمعه النسائي، وهو غير خصائص النسائي في فضل الامام علي[٧].
١١. ديوان شعر منسوب للإمام علي وقد جمعه السيد محسن الأمين[٨].

---

١ -الشيخ آقا بزرك الطهراني ،الذريعة الى تصانيف الشيعة ،ط٣،٢٦ مجلد ،دار الأضواء ،بيروت،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م،٤٢/١٢.
٢ -حسين جمعة العاملي ،شرح نهج البلاغة،ط١، مطبعة الفكر ،بيروت ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،ص١٠ .
٣ -بحر العلوم(السيد محمد مهدي/١٢١٢هـ)،الفوائد الرجالية ،تحقيق محمد صادق بحر العلوم ،٤ مجلدات ،طهران ،١٣٦٣هـ-١٩٤٣م،١/ ٢٨٧ .
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٨٢/٣ .
٥ -حسين جمعة العاملي ،شرح نهج البلاغة ،ص١٠.
٦ -آغا بزرك ،الذريعة ،١٥/ ٢٢ ، وقارن مع(ابن ابي شيبة /ت٢٣٥هـ)،تاريخ المدينة المنورة ،تحقيق سعيد اللحام ،ط١،٨ مجلدات ،دار الفكر، بيروت،١٤٠٩هـ،٨٢/٧،وفيه ذكر جانب من ادعية الامام علي.
٧ -آغا بزرك ،الذريعة ،١٨/ ٥٩ ، أيضا خير الدين الزركلي،الأعلام ،ط٨،٥ مجلدات ،بيروت ،١٧١/١ .
٨ - آغا بزرك ،الذريعة ،٩/ ١٠٢ .

١٢. ونسب له كتاب جنة الأسماء بشرح حجة الإسلام أبو حامد الغزالي(ت٥٠٥هـ)والكتاب نسب للغزالي نفسه،ويقال انه شرح لدعاء للإمام علي ، وقد أدرجه صاحب كشف الظنون ضمن كتابات التصوف والحروف والأسرار[١].

نهج البلاغة والشكوك التي أثيرت حوله

ان نهج البلاغة أهم ما جمع من كتب الامام علي وهو مجموع خطب ورسائل وحكم واحكام ووصايا أخلاقية وفكرية وسياسية تمتاز بالشمول والبلاغة جمعها أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى(ت٤٠٦ هـ)المعروف بالشريف الرضي، الذي يرجع نسبه الى الامام الكاظم(ع) ثم إلى الامام علي(ع) وينحدر الرضي من أسرة شريفة والده تولى نقابة الطالبيين خمس مرات وتولى النظر في المظالم وامارة الحج وهذا ما تولاه الرضي بعد وفاة أبيه،وكان الرضي شاعرا كبيرا وعالما مؤلفا أسس مدرسة سماها دار العلم[٢].

له كتب ومصنفات واشعار منها حقائق التأويل،نهج البلاغة، متشابه التنزيل، مجازات القران، خصائص الأئمة، معاني القران، أخبار قضاة بغداد، ديوان شعر و الزيادات في شعر أبي تمام[٣].

ولكن الإنجاز الأعظم الذي اشتهر به هو جمعه لكلام الامام أمير المؤمنين علي (ع) في كتاب اسماه نهج البلاغة.

---

١ -آقا بزرك ،الذريعة ،٥ /١٥٤ ، ايضا حاجي خليفة(مصطفى عبد الله/ت ١٠٥٨ هـ)، كشف الظنون ،٢مجلد،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،١/٦٠٦ .

٢ -النجاشي(احمد ابن علي /ت٤٥٠هـ)،رجال النجاشي ،تحقيق السيد موسى الزنجاني ،ط٥ ، جماعة المدرسين ،قم ،١٤١٦ هـ.ق ، ص٣٩٨ .أيضا ابن عنبه(ت٨٢٨ هـ)عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ،تحقيق محمد الطالقاني ،ط٣ ،الحيدرية ،النجف ،١٣٨٠هـ-١٩٦١ م ،ص٢٠٧ .

٣ -ابن شهر اشوب(محمد بن علي)معالم العلماء ،ط٢ ،الحيدرية،النجف،١٣٨٠هـ-١٩٦١م، ص٨٦ ،أيضا محمد رضا آل كاشف الغطاء،الشريف الرضي ،مجهول الطبع،١٤٢٠هـ،ص١٢-١٣.

وكان ابن خلكان(ت٦٨١ هـ)أول من حرك عجلة الشك في نهج البلاغة سنة ٦٠٨هـ ،أي بعد اكثر من مائتي عام من وفاة الرضي ، فهو يقول : (اختلف الناس هل ان النهج لأخيه الشريف المرتضى علي بن طاهر!!! جمعه من كلام الامام علي أم جمعه أخوه الشريف الرضي)[1].

ان ابن خلكان هنا يعترف بان النهج مجموع من كلام الامام علي ،إلا أن التشويه كان عندما تبعه الصفدي في الوافي بالوفيات واليافعي في مرآة الجنان والذهبي في ميزان الاعتدال[2].

فقد نسب الذهبي الكتاب الى الشريف المرتضى،عندما أكد بأنه جامع كتاب نهج البلاغة المنسوب ألفاظه الى الامام علي(رض) ثم أضاف ان لا أسانيد لذلك وبعضها باطل وفيه حق ولكن فيه موضوعات حاشا الامام من النطق بها، وقيل بل من جمع أخيه الشريف الرضي[3]، والغريب ان الذهبي مع تخبطه الواضح في النص فقد ذكر مؤلفات المرتضى دون ان يذكر ان النهج له!!!.

وهذه الادعاءات قال بها أيضا ابن حجر في لسان الميزان،من ان نهج البلاغة من وضع الشريف المرتضى[4] وتطول القائمة لتشمل ابن كثير في البداية والنهاية[5]حتى وصل الى العصر الحديث على السنة احمد أمين وطه

---

[1] -ابن خلكان(احمد ابن محمد/ت٦٠٨)،وفيات الأعيان ،حققه د.إحسان عباس ،٨ مجلدات ،بيروت،١٩٧٠م ،٣١٣/٣ .

[2] -الحسيني الخطيب(السيد عبد الزهرة)مصادر نهج البلاغة وأسانيده ،٤ مجلدات ،ط٤،دار الزهراء،بيروت ،١٤٠٩هـ ،١٢١/١.

[3] - الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن احمد/ت٧٤٨ هـ)سيرة أعلام النبلاء ،تحقيق شعيب الارناؤط ، ،ط ٩،٢٣ مجلد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ٥٨٩/١٧ .

[4] -العسقلاني،لسان الميزان، ٤ /٢٢٣ .

[5] -ابن كثير (اسماعيل بن كثير/ت٧٧٤هـ)،البداية والنهاية،١٤مجلد ،تحقيق علي شيري،بيروت ،١٤٠٨هـ ،١٢ /٦٧.

حسين وزكي مبارك[1].

ويمكن القول ان ابن أبي الحديد كان أول المتصدين والمدافعين عن نهج البلاغة فهو يقول ان أرباب الهوى زعموا ان النهج محدث وأهل الاختصاص يمكنهم تمييز شعر أبي تمام من غيره وهكذا النهج، فإذا تأملت وجدته كله ماء واحدا وأسلوبا واحدا كالقران أوله كأوسطه وآخره[2].

من هو مؤلف نهج البلاغة

تجدر الإشارة الى ان الشريف الرضي لم يكن أول من اهتم بجمع خطب الامام علي، بل سبقه كل من الحارث الأعور (ت٦٥ هـ) وزيد بن وهب (ت ٩٦ هـ) الذي جمع خطب الامام على المنابر في الجمع والأعياد وأيضا كميل بن زياد النخعي وإسماعيل بن مهران السكوني وعبد العظيم الحسني و إبراهيم بن الحكم الفزاري وأبي الفضل المنقري (ت٢٠٢هـ) و الواقدي(ت٢٠٧هـ) وأبي الحسن المدائني(ت٢٢٥هـ)، وأبي بحر الجاحظ(ت٢٥٥ هـ) وله كتاب مائة كلمة، والخطب المعربات ثم كتاب أخبار الامام وحروبه لإبراهيم الثقفي (ت٢٨٣هـ) وأيضا ممن كتب أبو المنذر بن السائب الكلبي[3]. و البعض من هذه المؤلفات ضاع او أكلته الأرضة او احترق في الحرب[4].

وقد كانت أقوال الامام تجمع بواسطة الآلاف ممن كانوا يحفظون أقواله او من خلال الكتاب المهرة ومن تلاميذ الامام او من خلال الرسائل والكتب التي تحفظ في مركز الخلافة ولدى الولاة وحتى الرسائل التي في

---

[1] -زكي مبارك ،عبقرية الشريف الرضي ،٢ مجلد، دار الجيل ،بيروت ،١٤٠٨ هـ ،١/ ٢٢٣ ،أيضا حامد حفني داوود وآخرون ،نهج الحياة ،نشر مؤسسة نهج البلاغة ،طهران ،ص١٣ .

[2] - ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،١٠/٨ .

[3] - عبد الزهرة الحسيني ،مصادر نهج البلاغة وأسانيده ،١/٦٨-٨٢ . ويعد هذا الكتاب من أهم الأسانيد في تتبع مصادر نهج البلاغة.أيضا انظر في هذا المجال ،امتياز علي خان العرشي،ترجمة استناد نهج البلاغة،ط٢،طهران،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

[4] - محمد هادي الأميني، الشريف الرضي ،ط١، مؤسسة نهج البلاغة ،طهران ،١٤٠٨هـ ،ص١٣٩ .

خزائن أعداء الامام[1].

ان إثبات نهج البلاغة لمن، هو ما يقرره الشريف الرضي نفسه،والذي كانت بدايته وحافزه في كتاب خصائص الأئمة الكتاب الذي يتحدث عن مواليد وطبقات وقبور ووفيات ومختصرات أجوبة وأقاويل الأئمة الاثنا عشر، وهذا الكتاب كما يقول الرضي جاء نتيجة لأسئلة كثيرة تطالب الرضي بتصنيف كتاب عن خصائص الأئمة[2].

وبطريقة إسناد ذكية لكتبه يشير الرضي في كتاب المجازاة النبوية إلى كتابه تلخيص البيان عن مجازاة القران وكتاب حقائق التأويل[3] وفي هذا الكتاب أشار الرضي إلى نهج البلاغة، بعد إقراره ان كلام الامام علي افضل الكلام بعد الرسول (ص)قائلا(من أراد أن يعلم برهان ما أشرنا إليه من ذلك فلينعم النظر في كتابنا الذي ألفناه وسمناه بنهج البلاغة وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين في جميع الأنحاء والأغراض والأجناس والأنواع من خطب وكتب ومواعظ وحكم وبوبناه أبوابا ثلاثا لتشمل هذه الأقسام ميزة مفصلة وقد عظم الانتفاع به وكثر الطالبون له لعظيم قدر ما ضمنه من عجائب الفصاحة)[4].

وكأن الرضي أراد أن يطمئن المتتبع اكثر من ذلك، فقد أشار في مقدمة نهج البلاغة إلى انه في عنفوان شبابه ألف كتاب خصائص الأئمة وأنجز منه الخصائص المتعلقة بالإمام علي، وعاقه عن الاستمرار تقلبات الزمان وسأله محبوه تأليف كتاب يحتوي كلام الامام علي بشكل موسع [5].

---

1 -دروس من نهج البلاغة،لجنة التأليف في مؤسسة نهج البلاغة،ط1،ترجمة عبد الكريم محمود،1414هـ-1993م،ص50.

2 -الشريف الرضي(محمد ابن الحسين/406هـ) خصائص الأئمة ، تحقيق د.محمد هادي الأميني ،مشهد ،1406 هـ-1986م،ص36 . وفي ص94 لاحظ الفصل المتعلق بكلمات الإمام علي القصار .

3 -الشريف الرضي ،المجازاة النبوية، تحقيق طه محمد الزيني ،قم ، بلا تاريخ ،ص9 و ص12.

4 -الشريف الرضي(محمد ابن الحسين/406هـ)،حقائق التاويل في متشابه التنزيل ،شرحه محمد رضا آل كاشف الغطاء ،دار المهاجر ،بيروت ،ص167.

5 - راجع مقدمة الرضي في نهج البلاغة بشرح محمد عبده ،1/10 .

قسم الرضي النهج إلى ثلاث أبواب الأول تضمن الخطب الطويلة والقصيرة والباب الثاني في الرسائل والثالث حول الحكم المفردة، وقد جمع الرضي محتويات كتاب نهج البلاغة خلال سبعة عشر عاما ، من سنة ٣٨٢هـ إلى ٤٠٠هـ، ويحتوي الكتاب على ٢٤٢خطبة وكلاما و٧٨ رسالة و٤٩٨ حكمة مفردة[١] .

ويشير اقدم مصدر للشريف الرضي وهو النجاشي(ت٤٥٠ هـ) و الثعالبي (ت٤٢٩هـ) إلى أن النهج من مؤلفات الشريف الرضي[٢] . وهذا ما قاله ابن شهر اشوب في المناقب[٣].

ولا توجد إشارة في كل التراجم (فيما عدا المشككين السابقين والمتأثرين برأي ابن خلكان)الى ان النهج للشريف المرتضى وليس الرضي.

ثم لماذا لم يعثر على مشكك في هذه المسالة قبل ابن خلكان واذا اتضح لنا إثبات الرضي نفسه ان الكتاب هو من جمعه لكلام الامام علي فان الجواب على تهمة ابن خلكان لا مبرر لها سوى العصبية او اختلاف العقيدة مع الأخذ بالاعتبار ان ابن خلكان المولود في دمشق كان مغرما بالأمويين وخاصة شعر يزيد ابن معاوية[٤].

والخلاف المذهبي أيضا يتضح بوجود الخطبة الشقشقية التي تتعرض الى طعن لبعض الصحابة ، والتلميحات التي يوردها البعض من ان النهج من وضع الرضي ، أرادوا بها ان الامام علي ليس صاحب الكلام الموجه

---

١ - محمد حسين الجلالي ،دراسة حول نهج البلاغة ،ط١ ،مؤسسة الاعلمي،بيروت ،١٤٢١هـ ،ص١٤ .

٢ -النجاشي، رجال النجاشي ،ص٣٩٨.

٣ - شهر اشوب ، مناقب آل أبي طالب ،٣٢٥/١ ، وقد أورد مقدمة الرضي للنهج راجع ٣٢/١ .

٤ -عبد الزهرة الحسيني ،مصادر نهج البلاغة ،١ /١١٩ .

للصحابة في الخطبة الشقشقية ، بل هو من وضع الرضي، هذا في الوقت الذي نجد فيه الرضي غير متعصب حتى ان مشايخه وأساتذته هم الشيءعي والسني والمعتزلي والشافعي والحنفي والمالكي[1].

ومع ذلك فقد هوجم الرضي محاولة لإسقاطه فيسقط معه النهج فكان تارة يتهم بأنه كان زيديا أو انه كان يحضر مجالس المجون كما أورد الحصري وهذا كله بدافع اختلاف العقيدة[2].

وعلى فرض ان النهج ليس كلام الامام علي وليس من جمع الرضي فانه تواجهنا مشكلتان الأولى عبقرية الامام الخطابية والثانية ضمير الشريف الرضي الذي هو فوق الشبهات[3].

وان اتهام الرضي هذا مع مكانته العلمية والأدبية بل وسيرته الأخلاقية والذاتية هو الأمر الذي لم يفعله منصف في حياته ولا عند وفاته[4] فلقد كان من أخلاق الرضي انه رفض التوقيع على صحيفة قدمها له الخليفة العباسي القادر يطلب فيها بطلان نسب الفاطميين[5]. وللرضي قدر عال من الهيبة والجلال والورع والعفة والتقشف، ومن عفته ان أحد الوزراء أرسل له ألف درهم فلم يأخذها قائلا انه لا يأخذ من أحد شيئا[6]. يتبين لنا ان الرضي بالإضافة إلى انه لم ينسب العمل لنفسه لشخصيته الملتزمة وضميره الأخلاقي فانه من الجانب الآخر لا يقدر على مثل هذا العمل البلاغي ولا مجال لعقد مقارنة بين أسلوب الامام علي والشريف الرضي[7].

---

[1] – الجلالي ،دراسات حول نهج البلاغة ،١/٣٨ .

[2] –العاملي (جعفر مرتضى)اكذوبتان حول الشريف الرضي ،قم ،١٤٠٦ هـــ-١٩٨٦م، ص١١ وص٢٥ .

[3] – زكي مبارك،عبقرية الشريف الرضي ، ١/ ٢٢٣.

[4] –الجلالي ،دراسات حول نهج البلاغة ،ص٤٤ .

[5] – ابن كثير ،البداية والنهاية ، ١٢ /٤ .

[6] – ابن عنبه ،عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ، ،ص٢٠٧-٢٠٩ ،وقد ذكـر ان الرضي صاحب النهج .

[7] –الشريف الرضي ،المجازاة النبوية ،ص١٠ .(مقدمة المحقق)

كما إننا نجد بعض النسخ تبدأ باسم الشريف الرضي كما في نسخة محمد محي الدين عبد الحميد ، ولا يعقل ان المصحح أضاف اسم الرضي إلى المتن، وقلنا ان الرضي أشار في مقدمة النهج الى كتابه خصائص الأئمة والذي توجد منه نسخة في مكتبة رامبور-الهند-مؤرخة في سنة٥٣٣ هـ فإذن يثبت هنا ان مؤلف النهج هو نفسه الرضي[1].

ويبدو انه من غير المعقول ان كل تلك الشروح الكثيرة الآتي ذكرها بالعربية والفارسية والإجازات الكثيرة التي عرضت للنهج قد مرت على الشراح دونما تحقيق وتدقيق وفحص ومقارنة لكلام الامام علي بكلام الرضي ، او ان كل هؤلاء يشرحون كتابا ويجيزونه للتـعليم من دون ان يعـرفوا مؤلفه .

يضاف لذلك ان التزوير والادعاء عند علماء الشيعة، وعلماء الرجال خاصة يعتبر أمرا شائنا ، فقد عرف عن علم الرجال الشيعي الدقة الكبيرة والقواعد الراسخة والأصول المحكمة في نقل الأخبار[2] ويذكر ان الشروح في اللغة الاوردية -الهندية-كان اكثر مما جاء في اللغة العربية والفارسية[3]. وهي مسالة تحتاج الى دراسة منفصلة.

وقد انتشرت نسخ نهج البلاغة في بلاد خراسان وبيهق وخوارزم وهرات وسرخس لذا نرى شروحا للبيهقي وقطب الدين الكيذري واحمد بن محمد الخوارزمي ومحمد الملاحمي الخوارزمي وعلي بن ناصر السرخسي[4].وقد بلغت شروح النهج وتفسيره نحو(٢٠٦)، منهم بالإضافة الى ما سبق هبة الله الراوندي والفخر الرازي وابن أبي الحديد وابن

---

[1] - الجلالي ، دراسات في نهج البلاغة،ص٤٧ وفيه ذكر ان عشرة مـن كبـار رجـال الشيعة قالوا ان النهج للرضي .

[2] - عبد الزهرة الحسيني ،مصادر نهج البلاغة ، ١/ ١٢٩.

[3] -محمد هادي الأميني ،الشريف الرضي، ص١٣٤

[4] -قطب الدين البيهقي الكيذري(ق٦)،حـدائق الحقـائق فـي شـرح نهـج البلاغـة ،ط٢،٢مجلد،قم،١٤١٦ ، ١/ ٥٥.

طاووس الحسني وميثم البحراني......الخ[1] .

إن أول شرح لنهج البلاغة وأقدمه كان للعلامة علي بن ناصر المعاصر للرضي وهو اقدم واوثق الشروح[2]. وهو خلاف ما ينقله ابن شهر اشوب من ان أول شرح لنهج البلاغة كان لأبي الحسن البيهقي[3]. ومن المسائل التي توضح شيوع النهج واطمئنان القراء في ذلك الزمان الى سنده هو ان البعض كانوا يحفظون الكتاب بالكامل كما هو حال القاضي جمال الدين محمد الغروي قاضي كاشان فقد كان يكتب نهج البلاغة من حفظة وله في هذا الصدد رسالة (العبقة) شارحا فيها كـــــلام الشريف الرضي[4] و أبو عبد الله محمد الفارقي (ت ٥٦٤هـ)[5].

وكانت أول ترجمة للنهج حصلت في القرن العاشر من الفارسية ثم التركية ثم الهندية –الاوردية– ثم الإنكليزية والألمانية[6]وتشعبت المباحث والتصنيفات في نهج البلاغة فشرح شعرا منظوما او نظم على شكل شعر[7]او شرحت كلماته بالشعر[8] وصنف للنهج فيما يتعلق بالأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة[9] وأيضا كتب حول الأعلام في النهج[1]

---

[1] –حسين جمعة العاملي ،شروح نهج البلاغة ،ص٣٥ –١١٥ ،لاحظ القائمة الطويلـة للشروح التي بلغت ٢٠٦ من الشراح وعلى مر العصور .وأيضا الجلالي ،دراسات ،١٥ ، وفيه جدول لاعمال النهج عبر القرون من ترجمات وطبعات واجازات .

[2] – اغا بزرك ،الذريعة ، ١٣٩/١٤، ايضا، عبد الزهرة الحسيني ،مصادر نهج البلاغة ،٢٢١/١ .

[3] –شهر اشوب ،معالم العلماء ،ص١٨ .

[4] –ابن بابويه(منتجب الدين علي/ت٥٨٥ هـ)الفهرســت ،تحقيـق د. جـلال الـدين المحدث، نشر مكتبة المرعشي ،قم،١٣٦٦هـ.ش ،ص١١٥ .

[5] –ابن كثير ،البداية والنهاية، ٣٣٣/١٢.

[6] –الجلالي ،دراسات ،ص١٥.

[7] – الأنصاري (محمد علي)شرح نهج البلاغة منظوما،ط١،١٠ مجلدات،(فارس+عربي) طهران بـلا تـاريخ ،أيـضا محمـد حسين الـسلطاني ،نهـج البلاغـة منظومـا ،ط١ ،بالفارسية، ،طهران،١٤٢١ هـ.

[8] –المجددي(عطاء الله)هزار كوهر،(فارسي+عربي)،طهران ،١٤١٧ هـ .

[9] –محمد الغروي،الأمثال والحكم المـستخرجة مـن نهـج البلاغة،موسـسة النـشر الإسلامي،قم،١٤٠٧هـ .

ومفردات نهج البلاغة[2] مع مصنفات كثيرة أخرى.

الشبهات المثارة حول نهج البلاغة

ويمكن تصنيف تلك الشبهات الى عقائدية وطبيعية وإنسانية وشبهات أدبية:[3].

الشبهات العقائدية:

1. التعرض لحياة الصحابة:

كانت الخطبة الشقشقية هي السبب في طعن الطاعنين في نهج البلاغة، فلقد افترضوا ان الامام علي لم يخطب تلك الخطبة محاولة منهم لجعل المجتمع الصحابي متكاملا ، الأمر الذي لا يتفق والنصوص الكثيرة التي نزلت لتوبيخ المسلمين ، وكان من ضمن المسلمين المنافقون،وهم الذين نزلت سورة فيهم ،وهذه المسالة طبيعية للإنسان الذي يخطئ ، ولكن ما هو غير طبيعي هو محاولة إلغاء سفر جليل من المعارف والبلاغة(هو ما تمثل بالنهج) بسبب وجود خطبة تتعرض للصحابة بزعم ان لا اصل لها الأمر الذي لا يتطابق مع ما ذكره أبو القاسم البلخي المعتزلي من وجود هذه الخطبة قبل ان يخلق الرضي ويذكر ذلك أيضا في كتاب الإنصاف للمتكلم الإمامي جعفر بن قبة قبل ولادة الرضي[4]. وهذا أمر أكده شارح النهج ميثم البحراني وقال عن تلك الخطبة بان الأدباء والعلماء قد نقلوها قبل مولد الرضي بمدة طويلة وانه وجد نسخة عليها خط الوزير ابن الفرات ، قبل مولد الرضي بأكثر من ستين سنة[5]. وقد ذكر تلك الخطبة قبل الرضي كل من ابن جرير الطبري الإمامي ، ويصفها بالخطبة المعروفة

---

[1] -الأميني(محمد هادي) أعلام نهج البلاغة ،ط1 ،طهران ، 1400 هـ-1980م .

[2] -علي اكبر القرشي البناني،مفردات نهج البلاغة، 2مجلد،عربي فارسي،ط1 ،طهران،1419هـ.

[3] -حول تلك الشكوك انظر حسن جمعه العاملي ،شروح نهج البلاغة ،ص24 وما بعدها ،أيضا زكي مبارك ،عبقرية الشريف الرضي ،1 /223 .و عبد الزهرة الحسيني ،مصادر نهج البلاغة ، 1/131

[4] - الجلالي ،دراسات حول نهج البلاغة ،ص58 .

[5] - (ميثم البحراني،اختيار مصباح السالكين ،ط1 ،مشهد ،1408هـ ،ص91 .

بالشقشقية[١]. أما أبو جعفر الإسكافي فيورد مجرياتها شرحا دون ذكرها[٢]. وأيضا الشيخ الصدوق في علل الشرائع أورد الخطبة كاملة مبينا ان الشقشقة هي صوت البعير الهادر[٣]ويسندها الشيخ المفيد معاصر وأستاذ الرضي الى الامام علي قائلا: إنها متفق عليها موضحا ان من ذكرها أيضا المدايني والجاحظ(مع نصبه العداوة للامام علي) في البيان والتبيين[٤]. وشرحها الشريف المرتضى في رسائله[٥]. ولعل هذا هو اللبس الذي وقع به المؤرخون من نسب النهج بالكامل للمرتضى لمجرد شرحه الخطبة الشقشقية. والخلاف بين الصحابة أمر طبيعي فقد تعرض الامام في خطبه لطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعمر ابن العاص فضلا عن معاوية واصحاب الجمل [٦].

والتاريخ يذكر ان الامام علي سب على المنابر عشرات الأعوام دونما سبب ، ونحن لا نجد رافضاً لهذا الفعل في التاريخ نفسه الذي ينتقد الخطبة الشقشقية، ويمكن القول بأنه من الطبيعي ان نجد الامام علي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،فهو حتى مع أصحابه في الحق يبدو خطابه قاسيا عندما يقول مثلا الذليل والله من نصرتموه ، او قوله يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال او يخاطب خصومه في معركة الجمل باتباع المرأة[٧].

---

١ - الطبري الإمامي (محمد بن جرير بن رستم/ق٣) نوادر المعجزات ،ط١، مؤسسة الامام الحجة (عج)، قم ،١٤١٠هـ ،ص٤٦.

٢ -الإسكافي ،المعيار والموازنة ،،ص٤٧ ،وهو متكلم معتزلي.

٣ -الصدوق(محمد بن علي/ت٣٨١هـ)،علل الشرائع،٢مجلد،المطبعة الحيدرية،النجف،١٩٦٦م،١/١٥٠ .

4-الشيخ المفيد(محمد بن النعمان/ت ٤١٣هـ)الجمل،مطبعة الداوري، قم ،بلا تاريخ ،ص٦٢ ،أيضا الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،بيروت ، ٣ /٢٥١. وقد سماها الخطبة العلوية .

٥ -الشريف المرتضى(علي بن الحسين بن موسى/ت٤٣٦هـ)،الرسائل ،٤مجلدات، تحقيق مهدي رجائي ،قم ،١٤٠٥ هـ،٢/١٠٥،واسماها المقمصة.

٦ -الطبري(محمد ابن جرير/القرن الثالث)دلائل الإمامة ،قم،ص١٣٦،أيضا الإسكافي ،المعيار والموازنة، ص١٠٥ .

٧ - الثقفي الكوفي (إبراهيم ابن محمد/ت٢٨٣هـ)الغارات ،٢ /٤١٢.

٢. ليس فيه ذكر الوصي او الوصاية.

وهو ادعاء يناقض ما هو موجود في الخطبة الشقشقية والتي هي بمجملها قضية متعلقة بالإمامة والوصية، ولعل اقدم النصوص لاحتجاج أمير المؤمنين علي على الوصية والوصاية ووعود غدير خم (المكان الذي نصب فيه الامام)هو كتاب سليم بن قيس ، وقد ألف بعد وفاة الامام علي بفترة قصيرة [١].

اما ما أورده الامام في النهج فهو قوله(ع) (لهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصي والوراثة)[٢]. وهي إشارة الى أهل البيت(ع).ويقول الامام علي بعد حادثة السقيفة واحتجاج الأنصار على الإمارة :انه لو كانت فيهم الإمارة لم تكن الوصية بهم وهي مجادلة أكدت فيها قريش انهم شجرة الرسول (ص) فقال الامام ولكنهم أضاعوا الثمرة[٣].

وشاهد آخر على الوصية بينه الامام عندما تكلم عن الفرق المتناحرة بقوله ، انهم لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بالغيب[٤].

حتى انه أوصى هو الآخر قبل موته[٥] وهي طريقة لاثبات ان النبي (ص) لابد ان يوصي فلقد أوصى النبي عليه السلام حتى في الجيران فالإمام يقول بهذا الخصوص انهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه سيورثهم[٦].

١- كتاب سليم ابن قيس ، تحقيق محمد باقر الأنصاري، قم ، بلا تاريخ ،ص٢٠٨ .
٢-محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،١/ ٣٠ .
٣-محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،١/١١٦.
٤-محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،١/١٥٦.
٥-محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٣/ ٢١.
٦-محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣/٧٧.

٣. في النهج ادعاء للغيب

سبق القول في مباحث سابقة ذكر المغيبات عند الإمام وشبهة ان في النهج شي من الغيب ، إنما هو أمر لم يخترعه الرضي بل ذكره أصحاب التواريخ قبل الرضي وبعده مع الأخذ ب٧عتبار انه ليس علم الغيب ،بل تعلم من ذي علم كما أسلفنا من قول الامام ، ويروى أحد اقدم المصادر التي سبقت الرضي وهو نصر بن مزاحم المنقري (ت٢١٢ هـ) ان الامام علي تنبأ بشهداء كربلاء[١].

ويورد صاحب الغارات تنبؤ الامام بغرق البصرة[٢] والاضطهاد والظلم الذي سيكون لاصحابه[٣] ثم انه اخبر أصحابه انهم سيتعرضون لسبه [٤] وأيضا أشار الى مقتله كما يورد الطبري[٥] والغيب مسالة وردها القران الكريم لقوله تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك/آل عمران-٣/٤٤) ، ولقوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك/هود- ١١/٤٤) و(وذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك/ يوسف-١٢/١٠٢).

وإذا كانت هذه الإيحاءات الإلهية تخص الرسول (ص) فان من الطبيعي ان تصدق مقالة الامام علي كونه علم من ذي علم ، ومن هنا نرى الامام يخبر بغلبته في البصرة، وغيرها من التنبؤات[٦].

---

١ - المنقري (نصر ابن مزاحم/ت٢١٢هـ)وقعة صفين،تحقيق عبد السلام هارون ،ط٢،مصر،١٣٨٢-١٩٦٢م ،ص١٤٠ .

٢ -إبراهيم الثقفي ،الغارات ،ص٤٢١ .

٣ -إبراهيم الثقفي الغارات ،ص٤٩٢ ،ولاحظ ص٦٧٧ حيث أشار الإمام الى ظلم بني أمية ووقوع الفتن .

٤ - الكوفي(محمد ابن ،سليمان/ق٣) مناقب أمير المؤمنين ،تحقيق الشيخ،محمد باقر المحمودي ،ط١، مجلدان ، قم،١٤١٢هـ، ٢/٤١٧.

٥ -الطبري ،المسترشد ،ص٣٦٦ ،ولاحظ ص٦٦٤ الأخبار الكثيرة عن الغيب .

٦ - اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،صادر ،بيروت ،١٧٨/٢ ،أيضا الشيخ المفيد ،الامالي ،تحقيق ،علي اكبر غفاري ،جماعة المدرسين ،قم،ص٣٣٤ ،أيضا للمفيد ،الإرشاد ،ص٣١٢ .

٤. **فيه ما يصادم أحكام الشريعة**

وهي شبه جاءت كما يمكن ان يعرف من قوله(ع) حول النساء ناقصات عقول ودين او من قوله لا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر ، والمراد ليس النهي عن فعل المعروف بل النهي عن إظهار أن فعله بسبب طاعتهن ، حتى لا يطمعن في المنكر ويظهر منهن الغضب عند عدم إطاعتهن والمرأة تغلب عليها العاطفة والرجل يغلب عليه العقل والحياة تحتاج للعقل اكثر من العاطفة[١].

٥. **اختلاط كلام الامام مع كلام النبي**

وهي ميزة تضاف للنهج وتشرفه وتعتبر سندا له وكثير ما ينقل الإمام عن النبي(ص)،بل وتجعل نهج البلاغة أحد اقدم المصادر التي رويت الأحاديث عن الرسول(ص) المروية في بداية الهجرة وسندها هو الإمام علي .

الاشكالات الطبيعية والإنسانية

١. دقة وصف الطاووس الذي لم يكن يوجد في ذلك الوقت،وهي شبهة ضعيفة فالطاووس ليس اندر الحيوانات فقد وصف القران الكريم الفيل والحوت مع إنها لم تكن بالقرب من مكة، وكيف يعتقد المرء ان رجلا مثل الامام سافر الى مدن كثيرة، لم يصادف طاووسا في حياته ، والناقد ترك القيمة العلمية والبلاغية الأدبية في الخطبة ليهتم بما هو غير مهم ولم ينتقد النهج لانه وصف الجنة والنار والملائكة وغيرها من الأمور الميتافيزيقية التي بعرفهم لم يرها الإمام، ومعرفة ورؤية الامام للطاووس يأتي من سفره لليمن للقضاء او للكوفة ومروره على المدن في طريقه للعراق[٢].

ويقول ابن أبي الحديد ان الامام علي لم يشاهد الطاووس بالمدينة بل بالكوفة وكانت تجبى له ثمرات كل شي وتأتى للكوفة الهدايا من الملوك والخراج من الولاة[٣].

---

١ -حسين جمعة العاملي ،شرح نهج البلاغة ،ص٣٠ .

٢ -السرخسي أعلام نهج البلاغة،ص٢٢ ،قارن مع الطبري ،دلائل الإمامة ،ص٥٨ .

٣ -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٩، /٢٦٦ .

ويضاف لذلك وهو المهم ان المسلمين في معركة القادسية اخذوا ما في قصور كسرى ولا يخلو الطاووس طبعا من غنائم الملوك خاصة وان بنات كسرى من الغنائم وأيضا في معارك مع الروم يمكن ان تكون الغنائم متنوعة ومن ضمنها ,الطبع الطاووس .

٢. ومن الانتقادات أيضا ان في النهج وصفا متقدما للحياة الاجتماعية والسياسية وفيه مباحث علم الطبيعة وهذا لا يتناسب مع ما أوردناه في المباحث السابقة من ان الإمام اعلم الناس وخاصة بالقران الذي يحوي آيات كثيرة تدل على خلق السماء والأرض[١] وأخبار القدماء والعلوم الفقهية والأصولية وعلوم القران وهي نظريات غير مفصلة في القران.
وإذا تجاهل الناقد علم الإمام الذي يسبق زمنه ، فانه لا يستطيع بالطبع تجاوز الخبرة السياسية الناتجة من الاحتكاك بالحضارات والإمم والشعوب [٢].
ويلوح لنا في زمن الإمام حضارات سقطت على يد المسلمين منها الفارسية والرومانية وبقايا الحضارات القديمة وقد تمثلت بالمكتبات والمدارس ، ولا يعقل ان ثلاثين سنة قضاها الإمام بعد وفاة النبي (ص) دون ان يطلع على أخبار الأمم والملوك والولاة والشعوب التي يديرها وتقع تحت إمرته على الأقل أو من خلال حجيج مكة الوافدين إليها أو المسافرين من مبعوثي الشعوب .

الشبهات الأدبية :

١. قالوا أن طول الخطب لم يكن مألوفا" في الإسلام، مع ان المسألة ليست عقائدية ولا تضر بالنبوة أو الإمامة وطول الخطبة يرجع للمناسبة أو الظرف والفائدة وكما هو حال القران الكريم.فالخطب في النهج لا يعني توافق الخطب الطوال مع القصار لاختلاف الحال والزمن والضرورة وهو ما نراه في خطبة صلاة الجمعة المختلفة

---

[١] -محمد جواد البلاغي، الهدى الى دين المصطفى،مجلدان ، الاعلمي ، بيروت ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥،٢/١١٦-١١٨
[٢] -محمد حسين الجلالي ،دراسات في نهج البلاغة ،ص٧٥ .

وهي الطويلة نسبيا عن خطبة التعبئة والجهاد أو عن أخرى تتحدث عن نشوء الموجودات ولو كانت الخطب متساوية لكانت مبعثا" للشك[1].

إن أسلوب الإمام علي(ع) يمتاز أحيانا بالتكرار بغية التقرير والتأثير واستعمال المترادفات لما فيه من إشارة للسامع ولأحاسيسه كالعزة والشرف والدين[2] فتخرج أزمة الأمور من يد العقل لتودع الأحاسيس والعواطف وهذه هي الخطبة الحماسية أما خطبة الموعظة فتهدا ثورة الأحاسيس وكل هذا لا يتم إلا بمساحة من الحرية، فتطول معه الخطبة[3].

٢. شبهة أن في النهج سجع وتنميق لفظي لم يكن معروفا، إلا أن هذه ليست بدعة ما دام السجع مقبولا متناسقا غير موحش، فالقران وان كان نثره خارجا عن السجع والإرسال لا يخلو من هذه الحلية، كما في سورة مريم ، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن والدهر[4].

ونجد في الجاهلية سجعا كما هو عند قيس بن ساعدة الذي يقول عنه الرسول(ص) ما أنساه وهو بسوق عكاظ يخطب بالناس ويقول: اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت،إن في السماء لخبرا، وفي الأرض لعبرا، سحائب تمور ونجوم تغور في فلك يدور[5].

ويروي الإمام علي نفسه خطبة ساجعة لكعب بن لؤي في الجاهلية وهو يقول(اسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا أن الليل ساج ،والنهار ضاح ، والأرض مهاد والسماء عماد،والجبال أوتاد)[6]. بل ان السجع يروى في أحاديث النبي ،لقوله (ص)(أفشوا السلام وأطعموا

---

[1] -الجلالي ،دراسة في نهج البلاغة، ص٦٩.

[2] - جورج جرداق ،روائع نهج البلاغة ،ط٢، قم ، ١٤١٧هـ ،ص٣٠

[3] -مرتضى المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ،ط١،بيروت،١٤١٣ هـ ،ص١٣٢ .

[4] -عبد الزهرة الحسيني،مصادر نهج البلاغة ، ١٧٥/١ .

[5] -الشيءخ الصدوق(محمد بن علي/ ت٣٨١هـ)،إكمال الدين وتمام النعمة ،صححه علي اكبر غفاري،جماعة الدرسين ،قم،١٤٠٥ هـ-١٩٨٠م،ص١٦٧.

[6] -اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي ، ٢٣٤/١ .

الطعام وصلوا الأرحام ليلا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[1].

٣. وجود الألفاظ الاصطلاحية واللفظ العددي : وهي متعلقة بدعوى أن هذه الألفاظ لم تعرف حتى ترجمت كتب اليونان ويرد على هذا الادعاء ان كلمة القسطاس التي جاء بها القران والتي لم يعرفها العرب ليست في القران ولم تأت من اليونان . ويمكن الرجوع لمصطلحات الفقه وأصول الفقه والقران مثل المحكم والمتشابه والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ وغيرها في القران[2]. وتطول قائمة الألفاظ العلمية في القران لو شئنا التعداد.

ويجب ملاحظة ان خصائص النهج فيها كثير من خصائص القران مثل السجع والتشبيه والاستعارة وتكرار المعاني والإيجاز وطرح الأمثال وأنباء الغيب والقصص والعلوم الالهية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية[3].

ان نحت وتوليد كلمة جديدة لا يمكن ان تكون أمرا مستحيلا على الرجل الذي سن قواعد اللغة العربية، وإلا كيف استطاع البعض اليوم نحت كلمات مثل العولمة والزمكان وغيرها ، ثم إننا لا نستطيع نفي نهج البلاغة لان به علوما متقدمة، او مصطلحات جديدة، وإذا كان الأمر متعلق بالاصطلاحات المعرفية ، فان النبي (ص) أجاب رجلاً قال له صف لنا ربك بقوله (الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الأوهام ان تناله والخطرات ان تحده ....ناء في قربه وقريب في نأيه هو كيف الكيف وأين الاين فلا يقال له أين وهو منقطع الكيفوفة والاينونة[4] وفي نص الرسول(ص) نرى كلمات حديثة .

ومن اعتراضاتهم أيضا استخدام النهج لكلمة معلول، على اعتبار انها كلمة غير صحيحة، إلا ان صاحب الصحاح نص على صحة

---

1 -ابن حنبل(احمد بن حنبل /ت١٢٤١هـ)، مسند احمد،٦ مجلدات،دار صادر ، بيروت،٥/٤٥١ ،أيضا ابن كثير ،البداية والنهاية ، ٣/٢٥٥ .

2 -حسين جمعة العاملي ،شروح نهج البلاغة ،ص٢٦ .

3 -حول خصائص القران راجع، طبارة(عفيف عبد الفتاح)روح الدين الإسلامي ،ط٨ ،دار العلم للملايين ،بيروت ،١٩٦٩م ،ص٣٤

4 -القندوزي الحنفي ،ينابيع المودة ،٣/٢٨١.

استخدام الكلمة بقوله(عل بالبناء للمفعول فهو معلول ، وعل الشيء فهو معلول)[1].

والقضية الاخرى التي تثار تتعلق بالتقسيم العددي في النهج وادعوا أنها جاءت في العصور المتأخرة من الإسلام ، والتقسيم العددي في حقيقة الأمر كان على عهد رسول الله(ص) القائل يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين راهبين واثنين على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير[2] وأيضا أقواله (ص)الكثيرة والتي منها يا علي ثلاثة لا تؤخرها ....[3].

مصادر نهج البلاغة وأسانيده:

ان الرضي لم يجمع النهج ليجعله مصدرا للأحكام الفقهية، لذا فهو لم يضع له أسانيد ولم يتعرض للمصادر إلا نادرا، والرضي طلب نماذج الفصاحة والبلاغة ولم يعتن بالتناسق والتوالي وقد يبدل الكلمة أحيانا بما يرادفها وهي مسالة حدثت حتى مع المدونين من أصحاب الرسول(ص) أو المؤرخين لأحاديثه لاختلافهم في تفاصيل الصلاة مثلا مع طول صحبتهم للرسول(ص) وأيضا حدثت في الصحاح[4] ومع ذلك فإننا لم نلحظ تبديلا في كلمات نهج البلاغة.

ويبرز من أسانيد الرضي داخل النهج ذكره للجاحظ والبيان والتبيين[5] والمبرد وكتابه المقتضب وقد كتب الرضي قائلا تكلمنا عن هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية[6].

وذكر الرضي صاحب المغازي سعيد بن يحيى الأموي[7] والوا قدي

---

١ - الجوهري (إسماعيل ابن حماد /ت٣٩٣هـ)الصحاح،تحقيق احمد العطار ،ط٤،٦ مجلدات ،بيروت،١٤٠٧ هـ،٥/١٩٧٤م،أيضا ابن منظور، لسان العرب ،ط١،١٥ مجلد ،قم،١٤٠٥هـ ، ٤٦٨/١١ .

٢ -البخاري، صحيح البخاري ،١٨ جزء ، الفكر بيروت ، ١٩٢/٧.

٣ -محمد بن عيسى الترمذي،سنن الترمذي ،٢٦٩/٢.

٤ -عبد الزهرة الحسيني،مصادر نهج البلاغة ،ص٤٥ .

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٨٠/١، ،وقد ذكر نقد الجاحظ لمن نسب الخطبة (٣٢) في الزهد الى معاوية

٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٧/٤.

٧ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٣٦/٣ ،جوابا في أمر الحكمين .

صاحب كتاب الجمل وقد ذكره مرتين[1] وأيضا أبو جعفر الإسكافي(المتكلم المعتزلي) في كتابه المقامات[2] واحد مصادره المهمة ابن جرير الطبري في خطب للحث على الجهاد[3] وذكر الرضي ما نقله عن هشام الكلبي[4] وحكايات ثعلب عن ابن الأعرابي[5] وضرار بن ضمرة[6] وما روي عن الامام الباقر (ع)[7].

ويمكن تقسيم أسانيد نهج البلاغة ومصادره الى ثلاثة أقسام[8].

١-ما ألف قبل سنة (٤٠٠ هـ) أي قبل النهج وخص فيه الإمام علي كمؤلف وقد تحدثنا عن ذلك.

٢-مصادر الفت قبل النهج ونقلنا عنها بالواسطة.

٣-كتب الفت بعد النهج ولكن أسانيدها متصلة ولم تمر على الرضي بطريقها ولا على كتابه.

٤-كتب صدرت بعد الرضي ونقلت كلام الإمام بصورة مختلفة ولم تشر إلى النهج.

المصادر التي الفت قبل نهج البلاغة

١. كتاب سليم بن قيس (القرن الأول الهجري).
٢. ابن المقفع (١٤٢هـ) الأدب الكبير.
٣. الإمام الشافعي(ت١٥٠ هـ) كتاب الأم.
٤. المفضل الضبي(ت ١٦٨هـ)كتاب الأمثال.
٥. أبي مخنف(ت ١٧٥هـ)الجمل.
٦. صحيفة الامام الرضا(ع)(ت٢٠٣ هـ)وأيضا عيون أخبار الرضا

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٢٢٥/٢ . و ٣ /١٣٥. خطبة للإمام عند البيعة .
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٥/١ . و١١١/٣ ،في ذكر مناقب الامام علي .
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٨٨/٤ .
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة١٣٤/٣ .
[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١٠١/٤ .
[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٤/ ١٦ .
[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١٩/٤ .
[8] -عبد الزهرة الحسيني،مصادر نهج البلاغة ،٤٧/١ وما بعدها .

للشيخ الصدوق.
٧. السائب الكلبي(ت ٢٠٤ هـ)جمهرة الأنساب .
٨. الواقدي(ت٢٠٧ هـ) الجمل.
٩. عمر بن شبة النميري (ت٢١٢ هـ)تاريخ المدينة المنورة.
١٠. ابي الفضل المنقري (ت٢١٢ هـ)وقعة صفين .
١١. أبو جعفر الإسكافي المعتزلي(ت ٢٢٠هـ) المعيار والموازنة.
١٢. ابن سعد (ت٢٣٠ هـ) الطبقات.
١٣. الزهري (ت٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى.
١٤. ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ)الفضائل / الزهد.
١٥. محمد بن حبيب البغدادي(ت ٢٤٥ هـ)أسماء المغتالين من أشراف الجاهلية.
١٦. الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)البخلاء ،الحيوان،البيان والتبيين،مائة كلمة،المحاسن والأضداد،/ورسائل الجد والهزل والفتيا ونفي الشبيه .
١٧. البخاري(ت ٢٥٦ هـ)الأدب المفرد/صحيح البخاري.
١٨. ابن قتيبة الدينوري(ت ٢٧٦هـ) الإمامة والسياسة.
١٩. البلاذري(ت٢٧٩ هـ)انساب الأشراف /فتوح البلدان.
٢٠. إبراهيم بن محمد الثقفي(ت٢٨٣هـ) الغارات.
٢١. اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي.
٢٢. أبو حنيفة الدينوري(ت٢٩٠ هـ)الأخبار الطوال.
٢٣. ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ)البديع.
٢٤. التفاسير لكل من:ابن فرات الكوفي،القمي ،العياشي (توفوا القرن الثالث).
٢٥. الطبري(ت٣١٠هـ)تاريخ الطبري.
٢٦. الطبري الإمامي(القرن الثالث)النوادر ، المسترشد، دلائل الإمامة.
٢٧. ابن دريد الازدي (ت٣٢١هـ)الاشتقاق.
٢٨. الأندلسي (ت٣٢٨ هـ)العقد الفريد.
٢٩. ابن عبد البر(ت٣٢٨هـ)الاستيعاب.
٣٠. الكليني(ت٣٢٩هـ)الكافي.
٣١. الزجاجي(ت٣٢٩ هـ) الامالي.

٣٢. المسعودى(ت٣٣٣ هـ)مروج الذهب/أخبار الزمان.
٣٣. محمد بن همام الإسكافي(ت٣٣٦هـ)التمحيص.
٣٤. القالي(ت٣٥٦ هـ) الامالي.
٣٥. أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦ هـ)الأغاني.
٣٦. القاضي ابو حنيفة النعمان المصري(ت٣٦٣ هـ) شرح الأخبار/اختلاف أصول المذهب.
٣٧. الماوردي (ت٣٦٤ هـ) أدب الدين والدنيا.
٣٨. أبو بكر الباقلاني (ت٣٧٢ هـ) إعجاز القران.
٣٩. أبو بكر الزبيدي(ت٣٧٩ هـ) طبقات اللغويين.
٤٠. الصدوق(ت٣٨٠ هـ) إكمال الدين،الخصال،علل الشرائع،الامالي.
٤١. محمد بن ابراهيم النعماني(ت ٣٨٠هـ)الغيبة.
٤٢. أبو حيان التوحيدي(ت٣٨٠ هـ)الإمتاع والمؤانسة،الصداقة والصديق.
٤٣. أبو طالب المكي(ت٣٨٠ هـ) قوت القلوب.
٤٤. ابن شعبة الحراني(ت٣٨١ هـ) تحف العقول.
٤٥. التنوخي(ت٣٨٤ هـ) الفرج بعد الشدة.
٤٦. أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ)الصناعتين ،الأوائل.
٤٧. المفيد(ت ٤٣١هـ)الإرشاد،الاختصاص ،الجمل.
٤٨. القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) المغني.

وقد وردت نصوص كاملة من نهج البلاغة في كتب الفت في الإمام علي منها مائة كلمة للجاحظ و دستور معالم الحكم لابن سلامة وخطب الإمام للصيرمي وعيون الحكم للمؤدب الليثي الواسطي وألف محمد العمري المعروف بالرشيد الوطواط مطلوب كل طالب وأيضا غرر الحكم للامدي والحكم المنثورة لابن أبي الحديد ومن المؤلفات الحديثة مستدركات نهج البلاغة لهادي كاشف الغطاء ونهج السعادة لمحمد باقر المحمودي وتمام نهج البلاغة لصادق الموسوي ...الخ.

مصادر نهج البلاغة بعد الشريف الرضي.

١. ابن مسكويه (ت٤٢١ هـ)الحكمة الخالدة /تجارب الأمم.
٢. الثعالبي(ت ٤٣٠هـ)التمثيل والمحاضرة /الإعجاز والإيجاز.
٣. البيهقي(ت٤٥٨ هـ)المحاسن والمساوئ/دلائل النبوة.
٤. الخطيب البغدادي(ت٤٦٣ هـ)تاريخ بغداد.
٥. الغزالي(ت ٥٠٥هـ)إحياء علوم الدين/ المنقذ من الظلال.
٦. الزمخشري(ت٥٣٨ هـ)الكشاف.
٧. الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)الاحتجاج.
٨. الخطيب الخوارزمي(ت٥٦٨ هـ)المناقب.
٩. ابن عساكر(ت٥٧١ هـ)تاريخ دمشق.
١٠. قطب الدين الراوندي(ت١٥٧٣ هـ)الخرائج والجرائح.
١١. ابن الجوزي(ت ٥٩٧هـ)تلبيس ابليس/صفوة الصفوة.
١٢. الفخر الرازي(ت٦٠٦ هـ)التفسير.
١٣. ابن الأثير(ت ٦٣٠هـ)الكامل.
١٤. ابن خلكان(ت ٦٨١هـ)وفيات الأعيان.
١٥. محب الدين الطبري(ت٦٩٤ هـ)الرياض النظرة.
١٦. ابن الطقطقى(ت ٧٠٩هـ)الآداب السلطانية.
١٧. (الطرطوشي(ت٧٠٩ هـ)سراج الملوك.
١٨. الذهبي(ت٧٤٨ هـ)ميزان الاعتدال.
١٩. ابن كثير(ت ٧٧٤هـ)البداية والنهاية.
٢٠. ابن حجر العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)الإصابة/الصواعق المحرقة.
٢١. السيوطي(ت ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء.
٢٢. المتقي الهندي(ت ٩٧٥هـ) كنز العمال.
٢٣. محمد باقر المجلسي(ت١١١٠ هـ)بحار الأنوار.

وقد الزم السيد عبد الزهرة الحسيني في كتابه نهج البلاغة وأسانيده كل خطبة وكلام وحكمه للإمام علي التي اخذ منها الرضي أو ما يطابقها قبل الرضي بالأسانيد فكانت أسانيده لكل كلام الإمام من الخطبة الاولى(١-٤٤) والجزء الثاني من الخطبة (٤٥-١٨٥) والجزء الثالث من

الخطبة(١٨٦- الكتاب٧٩) إما الجزء الأخير فتحدث فيه عن أسانيد الكلمات القصار.

مميزات نهج البلاغة

كان صوت الإمام علي الوحيد الذي ارتفع بالموعظة البلاغية بعد الرخاء اثر الفتح وفساد الأخلاق والتنعم والكمال المادي دون المعنوي[1].

ويمكن القول ان أسلوبه في النهج وغيره يتسلسل بشكل منطقي وتتماسك الفكرة حتى تكون كل منها نتيجة طبيعية وعلة لما بعدها[2].

وفي الخطب إيجاز شديد بقوة متدافعة وحدة منفعلة وهي زاخرة بالاستعارات مع الاستئنافات الكثيرة، والتلويح بالأمثال الموجزة والتي بلغت اكثر من مائتي مثل في النهج [3].

ويمتاز النهج بالشمولية والبلاغة والهندسة البلاغية العامة ، وبأسلوب منطقي، ومثال ذلك انه توجد ثلاثة أنواع من الاثنينيات الشفعية تتواجد في كل النهج من الخطب والأوامر و الكتب والرسائل والحكم والمواعظ الأولى هي ثنائية تواجهية مثالها(نور لا نور)و(ظلام لا ظلام) والثانية هي الثنائية العكسية ومثالها(نور/ظلام-ولا نور لا ظلام) والثالثة الثنائية الترادفية بطريقة(نور لا ظلام-لا نور لا ظلام) وبعض من هذا يمكننا ان نراه مثلا في مقولة الامام علي (انزل الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه، وسراجا لا يخبو توقده، وبحرا لا يدرك قعره)[4] ويجب القول ان الجهد الهندسي المنطقي في النهج يجب ان يدرس بشكل مستقل ووافٍ.

---

1 - مرتضى المطهري ،في رحاب نهج البلاغة ،ص١٣٤ .

2 - جورج جرداق ، روائع نهج البلاغة ،ص١٣٤ .

3 - حول ذلك راجع ، محمد الغروي ، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ،مؤسسة النشر الإسلامي ،قم ،١٤٠٧هـ .

4 - انظر د. تهامي الراجحي الهاشمي ،الدرس اللساني المستنبط من الرسالة الإلهية ،ضمن نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية ، نشر مؤسسة نهج البلاغة ،قم،١٤٠٤هـ ،ص٣٣٥ .

ومن مميزات النهج الأخرى هو اتصافه بالخيال الواسع الأخاذ والعاطفة النبيلة والفكر[1] والأسلوب الصادق غير المراقب او الخائف من المراقبة البلاغية أو العلمية وحتى التاريخية، والأسلوب يدل على صاحبه فنرى النهج يشتد ويلين حسب الموقف ويستخدم صاحب النهج(الأنا) بكثرة ولكنها في الموقع الصحيح وهي أنا واقعية متعقلة لا يمكن نقدها لأنها تحسن في سيرها البلاغة والتقسيم المنطقي واستخراج النتائج وتستخدم تركيبا دقيقا يعتمد الإيجاز مع الإطناب وبسجعات ضرورية فريدة لا يمكن اعتبارها حتى يومنا هذا او غدا نشازا في اللغة العربية.

ويستخدم الإمام علي أيضا المحسنات البديعة من جناس إلى طباق وبجرس موسيقي وإيقاع جميل متنوع ، وأسلوبه وألفاظه ثروة عربية[2] ولهذه المقدرة قال الإمام (وإنا لامراء الكلام وعلينا تهدلت غصونه وفينا تنشبت عروقه)[3].

ويضاف لكل هذا ان نهج البلاغة مصدر لأحاديث الرسول(ص)وأيضا لادعية الإمام علي ففيه (١٣)دعاء و(٤٠٠) آية قرآنية و(١٥) بيتا من الشعر[4].

وهو أيضا مصدر لأخبار الامم السابقة و الأنبياء وعلى هذا يعتبر الإمام أول من أرخ ، ونهج البلاغة أيضا كتاب يتحدث عن الإلهيات في العدل والتوحيد والكائنات سواء أكانت في السماء أم الأرض او ما يخص الإنسان ، وهو كتاب عقائدي عندما يتحدث عن الإمامة والنبوة ومعرفي وسياسي حينما يوجه عنايته لحكمة التاريخ والاجتماع والسياسة وبناء

---

[1] - جورج جرداق ، روائع نهج البلاغة ،ص٣٣ .

[2] - عبد الزهرة الحسيني ،مصادر نهج البلاغة ١، /١١٣.

[3] - محمد عبده ، نهج البلاغة ٢٢٦/٢.

[4] - لبيب بيضون ،تصنيف نهج البلاغة ، ص٩٨٥-٩٨٩حول الأحاديث النبوية ،وص٩٩١ حول الأبيات الشعرية ،وص٩٧٧ عن الآيات القرآنية .

الدولة والأخلاق والمعرفة[1] وكل ذلك سوف يبحث ان شاء الله.

[1] - حول ذلك راجع علي أنصاريان ،الدليل لموضوعات نهج البلاغة ، طهران ،١٣٩٨هـ في صفحات ص٨٣ ،ص١٧٠ ،ص١٩٩ ،ص٢٧٦ ،ص٦٦١، ٢٧،٥٠٧ ،ص٧٥٧ .

الفصل الثاني

المبحث الأول:

***الله سبحانه**

*** مناهج معرفة الله**

المبحث الثاني:

***العدل الإلهي**

***كلام الله**

المبحث الاول
الله سبحانه
مناهج معرفة الله

عدم إدراك كنه الله سبحانه

يعتبر نهج البلاغة منهلا من أهم المناهل التي استقى منها المفكرون الشيءعة مذاهبهم الفكرية التي نادوا بها وقد خلق تأثير هذا الكتاب بعض المصطلحات التقنية العربية والفلسفية التي دخلت على اللغة العربية فأضفت عليها غنى وطلاوة ، ذلك لأنها نشأت مستقلة عن تعريب النصوص اليونانية ، وعلى هذا الاساس اخذ الفكر الشيءعي سماته الخاصة لان مفكريه خرجوا من هذا الكتاب بنظرة ميتا فيزيقية كاملة[١].

وعندما نبحث الإلهيات في النهج فليس لتبيان ذلك التأثير فحسب ، بل لبحث آراء الإمام علي في مسألة صفات الله وعدله وتوحيده وطرق إثباته سبحانه ورؤية وكلام الله وغير ذلك من البحوث.

ان في نهج البلاغة تعريفات لذات الله وكلها تدور حول فكرة ان ذاته سبحانه وجود غير محدود ، بل هو ذات غير قابلة للحدود بينما لكل موجود حدود وليس لذات الله ماهية تخضعه لنوع خاص من الوجود المحدود [٢].

ان كلمة اله تطلق على الله وعلى غيره ، اما لفظة الله فتشير عند الامام علي إلى ان (الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخالق ويؤله إليه ،والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات)[٣].

---

١ -هنري كوربان،تاريخ الفلسفة الإسلامية،ترجمة نصير مروة ،دار عويدات ،بيروت ،١٩٦٦م، ص١٨

٢- المطهري،مرتضى ،في رحاب نهج البلاغة ،ص٥٠.

٣ -الصدوق ،التوحيد ،،ص٨٩.

وقد وصف الإمام علي الله في النهج بواجب الأولية لقوله(ع) بأولويته وجب أن لا أول له ، كما وصفه سبحانه بواجب الاخرية لقوله باخريته وجب أن لا آخر له[1].

ووصفه بواجب المعرفة في قوله (لم يحجبها عن واجب معرفته) [2]. والله عند الإمام أيضا هو اللا متناهي لقوله أنت الله الذي لم تتناه في العقول[3] هذا مضافا إلى ألفاظ الموجود الأعلى ،الأزلي والمبدع [4].

تحدث الإمام علي كثيرا عن ذات الله وصفاته وافعاله موظفا خطبا كثيرة مبدؤها الأساس ان الله لا يدرك كنهه وليس مثله شي ولا تدركه الأبصار أو الأوهام أو الفكر فصريح قول الإمام هو قوله (فلسنا نعلم كنه عظمتك إلا إننا نعلم انك حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم) [5].

والله عنده ليس له مثيل بين الأشياء ولا يمكن لمقدرتنا الفكرية إدراكه كما تدرك الأشياء فهو في فكر الإمام ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس[6] وهو الرادع أناسي الأبصار عن ان تناله او تدركه [7]. وهذا نهي عن تقدير عظمة الخالق على قدر عقولنا، وليس الحل في معرفة كنه الله هو التشبيه فهذا ما ينفيه ويحاربه الإمام علي واصفا من شبه الله بتباين أعضاء خلقه بمن لم يعرف الله بل انه بذلك عدل به والعادل بالله كافر بما انزل الله من محكمات آياته[8].

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١ /١٩٤ .
٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١ /٩٩.
٣ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١٦٥/١.
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١٢١/٢.
٥- محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،٥٥/٢.
٦ -الطبرسي ،الاحتجاج ،٣٠٢/١ ،وانظر محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢ /١١٥.
٧ -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ،١٦١/١،والناسي هو جمع إنسان وهو ما يرى وسط حدقة العين.
٨-محمد عبده، شرح النهج١/،١٦٤-١٦٥،وأيضا ٢ /١١٩ لقوله -ع- ولا إياه عنى من شبهه .

ان المتتبع لنصوص النهج يجدها تشير إلى التحذير من تحديد الله بـأي وسيلة كانت ومثال ذلك قوله(ع) ان بعد الهمم وغوص الفطن لا يمكنهمـا إدراك الله [1]. فالله (لا تناله الأوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطـن فتـصوره) [2].

ونجد هنا ان النصوص تشير الى ان الأوهام والعقول لا تشير إلا الـى الأشياء والله ليس كمثله شي ، وباشارة الى تعجيز الذي يحـاول وصـف الخالق يقول (ع) (إذا كنت صادقا أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبريـل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القـدس ... فإنمـا يـدرك بالصفات ذوو الهيئات والادوات [3] فكيف يصف إلهه من يعجز عن وصـف مخلوق مثله)[4].

ومن هنا من عدم معرفة كنه الله جاءت كلمة الامام علي الجامعة فـي التوحيد (التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه) أي لا تتوهمه جـسما ولا صـــورة او عرضا او متمكنا بمكان وهذان الركنان كما يقول ابن أبي الحديد شعار أصحابنا من المعتزلة [5].

ويقول ميثم البحراني مفسرا بان الامام جعل التوحيد عبارة عن سـلب الحكم الوهمي في حقه تعالى فاستلزم ذلك ان من أجرى عليه حكما وهميا فليس بموحد له على الحقيقة [6].

ان مراتب معرفة الله تلخص في النهج بقوله-ع-أول الـدين معرفتـه وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده وكمـال توحيـده

---

[1] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٤/١ .

[2] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢ أيضا ١٨٤/١.

[3] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،١٠٦/٢.

[4] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،٢٢١/١ أيضا ١٦٥/١.

[5] -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،القاهرة،٢٠ /٢٢٧ .أيضا عبده،شرح الـنهج، ١٣٨/٤.

[6] -ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة،٥ مجلدات ،مجهول الطبع،١٤٠٤ هـ، ١١٠/١.

الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة[1].

ويعلق صاحب نور البراهين بان تلك هي مراتب معرفة الله فالأولى ان يعرف العبد ان للعالم صانعا وثانيا ان يصدق بوجوده والثالثة ان يرتقي إلى توحيده بتنزيهه عن الشركاء أما الرابعة فهي الإخلاص له والمرتبة الأخيرة ان ينفي الصفات عنه[2].

فالمراحل بشكل عام هي ١-معرفة الله ٢- التصديق به ٣- توحيده ٤- الإخلاص له ٥- نفي الصفات عنه.

ويمكن مناقشة هذه المراتب من ان الإمام بدا بالقول ان أول الدين معرفته ،وهي بداية مبسطة مقارنة بالتصاعد المعرفي لبقية المراحل ، وكان الإمام يريد بأول الدين معرفته ، إنما هو مطلق الدين عند المقابلة بالزندقة والإلحاد[3].

والمرحلة الثانية هي التصديق بالله وجاءت هذه المرحلة من كمال فكرة معرفة الله (المرحلة الأولى) أي انه يجب الوصول الى القناعة التامة والمعرفة بالله كي يحصل التصديق.

وبنهاية التصديق إلى درجة الكمال ،فان المرحلة الثالثة هي إثبات انه لا شريك له وبهذا يمتاز دين التوحيد عن أديان الشرك[4].ومنها بالتيقن الكامل في انه واحد فيتم الإخلاص لله دونما سواه .

والمرحلة الخامسة هي نفي الصفات عنه ، وفيها ان الله سبحانه غير محدود والمفاهيم الذهنية محدودة لا تستطيع تناول غير المحدود فتحيط به

---

١ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،١/١٤.

٢ -نعمة الله الجزائري،نور البراهين،ط١، ٢مجلد،جماعة المدرسين،قم،١٤١٧هـ،١/٩٧.

٣ -محمد حسين الطباطبائي ،علي والفلسفة الإلهية ،ص٤٤ .

٤ -محمد حسين الطباطبائي ،علي والفلسفة الإلهية ،ص٤٥ .

وتنطبق عليه فيجب ان ننفي الصفات عنه سبحانه وهكذا نرى ان التعمق في معنى الإخلاص لله أدى إلى نفي الصفات عنه فيصبح القول ان نفي الصفات عنه سبحانه هو كمال الإخلاص له [1].

ويستنتج من ذلك ١-انه سبحانه موجود ٢-انه صرف الوجود ٣-انه واحد لا يتكرر ٤-لان حقيقة الوجود والحقيقة وصرف الشيء لا يتكرر ٤- يتصف بجميع صفات الكمال ٥- ان صفاته عين ذاته [2].

مراتب التوحيد :

١- التوحيد في الذات ٢- التوحيد في الصفات ٣-التوحيد في الخالقية ٤- التوحيد في الربوبية ٥- التوحيد في الألوهية ٦-التوحيد في الأفعال

اولا: التوحيد في الذات:

تقسم صفات الله الى صفات الذات وهي الثبوتية الحقيقية كالعلم والقدرة والغنى والإرادة والحياة وصفات أفعاله سبحانه وهي الصفات الثبوتية كالخالقية والرازقية والإحياء والاماته ،والفرق بين صفات الذات والفعل ان صفات الذات هي ما اتصف بها سبحانه وامتنع اتصافه بضدها كالعلم فلا يجوز القول انه عالم بشي ولا يعلم آخر، اما صفات الفعل فهي ما اتصف بها سبحانه وبضدها مثل الخلق والإحياء والإماتة والارزاق فنقول انه سبحانه رزق فلانا ولم يرزق آخر وبمعنى آخر انها تتعامل مع المخلوق [3].

ومن صفات الذات القهر لكل شي فالله كما يصفه الامام علي هو (الواحد القهار الذي اليه تصير جميع الأمور) [4]. ومنها الأولية فهو الأول

---

[1] -محمد حسين الطباطبائي ،علي والفلسفة الإلهية ،ص٤٧ .

[2] -محمد رضا المظفر،الفلسفة الإسلامية،محاضرات أعدها محمد تقي الطباطبائي ط١،قم ،١٤١٣هـ -١٩٩٢م،ص١١٠.

[3] -الشيخ المفيد ،اعتقادات الإمامية ،تحقيق حسن الدركاني،ط٢ ،دار المفيد ،بيروت ،١٤١٤هـ -١٩٩٣م،ص٤٠.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٥/٢.

لاشي قبله والآخر لا غاية له[1]. فليس لنا ان نصف الخالق بضد هذه الصفات لذا فهي من صفات الذات التي منها أيضا العلم ،فالله عالم بكل شي ومن ذلك عالم السر من ضمائر المضمرين[2] وهو عالم اذ لا معلوم ورب إذ لا مربوب وقادر إذ لا مقدور[3]. والله هو الظاهر فلاشي فوقه والباطن فلاشي دونه[4].

ومن صفات الذات (القدرة والخلق وكونه سميعا وبصيرا وباطنا) والتي يصفها الامام بقوله (الخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا بأداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة)[5].

ويثبت الامام في النهج بعض الصفات الذاتية بقوله-ع-(قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم لا بروية مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء ،بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة)[6].

ويلاحظ في هذه النخبة من كلام الإمام حول الصفات الذاتية الإمكانية المتوازنة في التنزيه وعدم التعطيل والتشبيه ، ومن صفات الذات أيضا في النهج ان الله كائن لا عن حدث موجود لاعن عدم ....ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء[7].

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٤٨/١.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٧٨/١ .

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٤٠/٢.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١٨٦/١.

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٤٠/٢.

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١٠٠/٢.

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٦٥/٢ ،للمزيد حول صفات الذات والفعل عند الامام راجع الكليني ،الكافي، ١١١/١.

صفات الأفعال

ان أرضية الأفكار الموجودة في النهج هي نفسها الأرضية الموجودة في القران الكريم فقط ولا نجد بعدد أرضية أخرى لبحوث نهج البلاغة[1].

فاذا تساءلنا عن مصدر تلك التنظيرات المتعلقة بصفات الأفعال أو الذات او غيرها، فانا لا نشك بان الامام علي اعتمد القران الكريم ،وبذلك الـذكاء العالي القيمة وبقدرته العلمية غير المعتادة ضمن هذه العلوم القرآنية خطبه التي أودعت في النهج ومن ذلك معالجته صفات الأفعال الإلهية والتي ذكرنا انها ما اتصف بها الخالق سبحانه وبضدها وهي تتعامل مع المخلوقات مثل الإنشاء للخلق والعالم والملائكة والسماوات والتقسيم للأرزاق ومن صفات الافعال عند الإمام ان الله (فاعل لا بمعنى الحركات والآلة)[2] . قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبر فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته[3].

وهي إشارات الى القدرة الربانية في فعل الأشياء ، وما إشـارة الإمـام بقوله (أحال الأشياء لأوقاتها ولاءم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها أشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفـا بقرائنهـا واحنائها)[4]، إلا توضيح لتلك القدرة الحكيمة في الفعل الذي ابدعه سبحانه في المخلوقات ويمزج الامام علي توحيد الأفعال بصفات الأفعال بالتنزيه لله في فعله الخالي من المثال والتجربة او المساعدة من شريك لذا قـال –ع– المنشي أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها ولا قريحة غريـزة اضـمر عليها ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور، ولا شريك أعانه على ابتـداع عجائب الأمور فتم خلقه بأمره واذعن لطاعته و أجاب دعوته[5].

---

1 -مرتضى المطهري ،في رحاب نهج البلاغة ،ص٥٥.
2 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١/١٦.
3 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١/١٦٥.
4 - محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١/١٦ أيضا ١/١٥٨.
5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١/١٦٥ أيضا ١/١٦٣ أيضا ٢/٤٥.

اما ما يخص كيفية فعل الخلق فيقول -ع- يقول لمن أراد كونه كن فيكون ،لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه انشاه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها ثانيا [1].

وقد يتصور هنا ان صفات فعل الله سبحانه مختلفة لاختلاف تعاملها مع المخلوق، والحقيقة انه يجب الفهم ان صفات الفعل مختلفة في معانيها ومفاهيمها لا في حقائقها ووجودها [2].

وما عينية الصفات التي قال بها الإمام الا دليل على ذلك وغير ذلك يعني انثلام الوحدة الحقيقية لله سبحانه .

ثانيا:توحيد الصفات(عينية الذات والصفات)

تقسم صفات الله الى ثبوتية وسلبية، ومعنى السلبية(والتي سنتحدث عنها لا حقا) أي سلب الصفات والأعراض عنه سبحانه مثل الجسمية والمكانية وغيرها والنفي الوحيد الذي يتصف به سبحانه هو نفي النقص والعدم من قبيل المخلوقية والمعلولية والمحدودية والكثرة والتجزؤ والفقر ....الخ.

ويعتبر توحيد الصفات من أساسيات الشيءعة التي ابتعدت عن المعتزلة بآرائها العميقة ، فالمعتزلة التي تنكر الصفات تقول بنيابة الذات عن الصفات ومن جانب اخر يخالف الشيءعة والمعتزلة الاشاعرة التي كانت ردة فعلها انها اعتمدت فكرة ان الصفات زائدة على الذات[3].

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢.

2 -المظفر ،(محمد رضا /ت١٣٣٧هـ) ،عقائد الامامية ، قم ، ص٣٩ .

3 - حول خلاف الشيءعة مع المعتزلة والاشعرية راجع ، الشيءخ المفيد ، أوائل المقالات ، تحقيق إبراهيم الأنصاري ،ط٢،دار المفيد ،بيروت،١٤١٤هـ-١٩٩٣م،ص٥٢.

وان الله عالم بعلم زائد على ذاته وحي بحياة زائدة على ذاته ،ومثل هذه التفسيرات تؤدي الى تجويز الكثرة على المبدأ الأول (الله)لان الاشعري جزاه الى ذات وصفات[1].

ومع ان تنظيرات المعتزلة في الإلهيات استمدت قوتها من خطب الامام التي كانت منتشرة بين المعتزلة، وغيرهم بشكل كبير فقد انتشرت في ذلك الوقت ٤٨٠ خطبة كلها تورد على البديهه كما يقول المسعودي[2]. الا ان المعتزلة لم تنتهج الوسطية المعتدلة التي اخذوا أصولها من الشيءعة فوصلوا في قضية تنزيه الله الى حد التعطيل او استعاضوا بعينية الصفات في بعض الأحيان بالقول بالأحوال مثلما قالت الاشاعرة بالمعاني .

والواقع ان الصورة التي وضعها الامام علي لهذه القضية وبشكلها المبسط المبتكر كالعادة ، أشارت الى ثلاث مسائل مهمة في التوحيد تبناها أهل البيت-ع- باجمعهم وهذه الأحاديث هي : ١- ما تنفي الصفات الزائدة وتبطلها ٢- ما تدل على عينية الصفات مع الذات ٣- ما تؤكد بان القول بالزيادة يستلزم الشرك والتشبيه[3].

وقبل عرض آراء الامام علي في هذه المسالة يجب القول ان كل ما يجري على الذات الإلهية من نسق واحد (الإثبات دائما) هو من صفات الذات وان كل ما يجري على الذات بالوجهين ، السلب تارة والإيجاب مرة أخرى إنما هو من صفات الأفعال وبمعنى آخر إننا عندما نصف الله سبحانه بصفات ذاته فإننا نريد بكل صفة ان تنفي ضدها عنه سبحانه فلا يمكن ان تنفي كونه لم يزل حيا واحدا قديما سميعا عليما بصيرا حكيما قادرا عزيزا قيوما [4]. لهذا ليست الرحمة والرضا والغضب من صفات الذات لانه سبحانه يرضى عن الأبرار ولا يرضى عن الظالمين ويرحم التائب ولا يرحم العاصي مثلا .

---

[1] – ابن رشد(محمد بن احمد/ت٥٩٥هـ) ، تهافت التهافت ،مصر ،١٩٠٣م ،ص٧٦ .

[2] – المسعودي ،مروج الذهب ،مجلدان ،دار الأندلس ،بيروت ،١٩٨٧م، ٢/٤١٩.

[3]–علي رباني الكلبايكاني،الإلهيات في مدرسة آل البيت(ع)،ط١،طهران،١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م،ص٩٩.

[4] –الشيءخ حسن العايش ،صفات الله عند المسلمين ،مؤسسة أم القرى ،بيروت،ص٣٣ .

لقد أشار الامام علي إلى ان صفات الله عين ذاته وانها لا زائدة ولا مغيرة بقوله (وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده)[1].

ويقول ابن ابي الحديد (اما قوله، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، فهو تصريح بالتوحيد الذي تذهب المعتزلة إليه وهو نفي المعاني القديمة التي تذهب إليها الاشاعرة ، ثم قال لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، وهذا هو دليل المعتزلة بعينه)[2].

وربما يتوهم ان معنى نفي الصفات في كلام الإمام علي هو نفي واقعيتها رأسا لا نفي زيادتها على الذات ، والرد على هذا الوهم هو ان كلام الإمام مشحون بإثبات الصفات الكمالية[3].

اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف ، فقد جاء لبيان معنى احدية الذات في جميع ما يصدق عليه ويرجع إليه ولا تلحقه صفة تمتاز (تميز) ذاته فان في ذلك بطلان أزليته[4].

ان استدلال الامام السابق اشار الى ان كل شي مركب من (الصفة والموصوف) فهو مخلوق وان الزيادة في الصفات تستلزم الاثنينية

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١/١٥.

[2] - ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ١/٧٥ . وقارن مع(العلامة الحلي /ت ٧٢٦هـــ)،الرسالة السعدية ، تحقيق عبد الحسين محمد علي بقال ،ط١ ،قم، ١٤١٠هـ.ق،ص٥٢ ،وقد قال ان الامام بهذا النص نفى المعاني القديمة ،وراجع حامد حفني داو ود نظرات في الكتب الخالدة،ط١ ،تحقيق مرتضى الرضوي، القاهرة،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ص٣٥ حول أسبقية الشيءعة للمعتزلة في الفكر.

[3] -كلبايكاني ،الإلهيات في مدرسة أهل البيت ،ص٩٥.

[4] -الطباطبائي(محمد حسين)،تفسير الميزان ، ٢٠ مجلد ،جماع المدرسين ،قم، ٦/٩٢.

الملازمة للحدوث وهو ما ينافي الأزلية ولم يقصد الحدوث الزماني بفرض اقتران موجودين قديمين من حيث الزمان بل المراد الحدوث الذاتي وإلا فالاقتران بالإضافة إلى منافاته التوحيد يؤدي الى التسلسل وهو محال على الله[1].

إذن فلا صفة زائدة على ذاته سبحانه ،أي لا ذات قائمة بذاته لان من اثبت الصفة فقد حده وعده وابطل أزله ،أي ان من اثبت له علما قديما او قدرة قديمة فقد أوجب عليه سبحانه ان يعلم بذلك العلم معلومات محدودة (محصورة)[2].

ويمكن ملاحظة التدرج الذي عرضه الإمام في النص السابق والذي بدأه بالمعرفة وانتهى به الى المعرفة والوصول الى صفات الموجود من صفة وتجزئة وحد وعدد وهو أسلوب الحكماء الذي يبدا من الحق الى الخلق ، وللإمام أيضا منهج البدا من الخلق إلى الحق .

وفي كلام الامام وخطبه الأخرى يتبين القول بتوحيد الذات والصفات فهو يقول-ع- (الخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا بأداة والبصير لا بتفريق آلة ، والشاهد لا بمماسة والبائن لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة)[3] . وبصورة أخرى يصفه بأنه سبحانه قريب من الأشياء ولكن من غير ملامسة وبأنه بعيد ولكن غير مباين لها وفي الحالتين هو، هو سبحانه، ويصفه بأنه متكلم لا بروية مريد لا بهمة صانع لا بجارحة[4] وعنى بذلك -ع- القدرة العظيمة لا العمليات التي يقوم بها الخلق .

---

[1] -الكلبايكاني ، الإلهيات في مدرسة آل البيت ،ص٩٦.

[2] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،مصر ،١٩٦٠ ، ١٥١/٩ .

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤٠/٢.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٩٩/٢.

تبين اننا في مسالة الصفات لا يمكننا القول ان الله لم يزل سميعا بسمع وبصيرا ببصر بل سبحانه يسمع بكله لا ان كله لـــــه بعض بل يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع[1].

ولا تعني عينية الصفات النيابة أي القول يا علم الله اغفر لي فالعينيـــة تعترف بوجود العلم والقدرة في مقام الذات لان الله بـــسيط غيـــر مركـــب والإمام في كلامه (نفي الصفات عن الله) وبالإضافة الى تلك العينية أشـــار الى برهان الوحدة من ان القول باتحاد صفاته مع ذاته يوجب التنزيه عـــن التركيب ،لان إثبات الصفات يستلزم الوحدة العددية المتوقفة علـــى تحديـــد غير الجائز عليه تعالى وتنتج المقدمتان ان كمال معرفة الله يستوجب نفـــي الوحدة العددية منه واثبات الوحدة **بمعنى آخر**[2].

إن الأفكار المطروحة في النهج جعلت البعض يتوهم إنما هو من صـــنع المتأخرين المتأثرين بالمعتزلة في حين يعرف المتأخرون بان النهج عندما ينفي فإنما ينفي الصفة المحدودة أما إثبات الصفة غير المحدودة للذات غير المحدودة فهو يستلزم عينية الذات والصفات لا إنكار الصفات كمـــا تـــوهم المعتزلة ،ولو أدرك المعتزلة هذه الفكرة لم يكونوا لينفوا بـــصورة مطلقـــة ويقولوا بنيابة الذات عن الصفات[3] وهو الأمر الذي جعلهم معطلة وهو ما يثبت استقلالية نهج البلاغة في الطرح المعرفي في الإلهيات وأيـــضا خطـــا المعتزلة في الطرح الذي استلهموه من الامام علي (ع)[4].

تعقيب حول اثر الإمام في مفهوم واجب الوجود

---

[1] – الشيخ الصدوق ،التوحيد ،ص١٤٤ ، في رواية عن الامام الصادق-ع-، أيـــضا راجع العلامة الحلي،كشف المراد في تجريد الاعتقاد ،تحقيق حسين زادة الاملي ،ط٧،قم ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ،ص٤٠٢ ،وهو رد على الاشاعرة مـــن ان صـــفات الله معـــاني قائمة بذاتها .

[2] –محمد حسين الطباطبائي،تفسير الميزان ، ٩١/٦ .

[3] – المطهري ،في رحاب نهج البلاغة ،ص٥٦.

[4] –حول الفرق بين المعتزلة والامامية راجع كتـــاب الـــشيخ محمـــد بـــن النعمـــان المفيد،الحكايات ،تحقيق محمد رضـــا الحـــسيني الجلالـــي ،ط٢،دار المفيـــد ، بيـــروت ،١٤١٤هـــ.ق-١٩٩٣م .أيضا قارن مع عبد الحسين مهدي النجم، الجذور التاريخيـــة للوفاق الفكري بين الشيعة والمعتزلة، مجلة زانكو، مج٣،ع٢ ، ١٩٧٧م ، ص٣٣.

من ما تقدم يتبين ان الخالق مطلق بسيط لا تكثر فيـــه ولا تجـــزؤ وان صفاته عين ذاته لاتغاير بينهما ، وإذا ما صادفنا الاعتراض الذي يقـــول ان هذه الألفاظ جاءت مبكرة في زمن الامام ولعلها وضـــعت بـــشكل متـــأخر متأثرة بالمصطلح اليوناني ، فقد تم التحقيق في هذه المسالة بسند ومصادر نهج البلاغة ، ثم ان هذه الألفاظ وغيرها وردت في القران كما فـــي ألفـــاظ (الأسباب ، الحكمة، الظن ، الروح ، البرهان ، الدائم ، الـــذات ، الـــضد ، المتناه ، الوهم ، العرض، المزاج ، المنهج ، المعدود ، النفس ، الإنشاء ، الاحداث ، الجعل و الوحي) وغيرها من الألفاظ العديدة ويجب التنويـــه ان القران يستخدم ٤٧ مرة مادة عقل و١٨ مرة مادة التفكر واســـتخدم لفظـــة اللب ١٦مرة ، ام التدبر فإنها وردت ٨ مرات[1].

ويمكن القول ان قراءة القران مـــن غيـــر ثقافـــة فلـــسفية لا يجـــدي لاستخراج ما فيه من فلسفة[2]. وقد صدق تاسف المستشرق هنري كوربان لان أوربا لم تدرس نهج البلاغة[3]. فان الكثير من مباحث النهج المهمة لا تدرس اليوم في بلاد المسلمين أنفسهم دراسة واقعية جادة ،فـــلا يـــستكثر البعض ورود ألفاظ ذات حكمة عالية فيه، وأسلفنا القـــول ان النبـــي(ص) أجاب نصارى نجران واليهود والسائلين عـــن مكـــان وصـــفة الله وخلـــق السماوات والأرض ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال ان يقول النبـــي (ص) لا اعرف، خاصة وانه أوضح للناس مسالة العروج الى السماء الأمر الذي يعتبر اصعب بكثير(كونه فعلا عمليا) من التنظير او التفكير العقلي المتعلـــق بتفسير صفة الله والفعل وغيرها من المسائل التي يسهل فهمهـــا بوجـــود القران الذي يعتبر كتابا في غاية الإعجاز والعلم والمعرفة.

ويجب الالتفات الى ان مالا يؤاخذ عليه الامام في تنظيراته كلها انـــه لا يبدا بالشك وهو يخلط في أسلوبه الباحث في المعرفة الإلهية بين المعرفـــة الدينية والمضامين الأخلاقية فالإمام يبدا بالمعرفة خلافا لمن جـــاء بعـــده

---

[1] – جعفر سبحاني،رسائل ومقالات ،مؤسسة الامام الصادق، قم ،ص٢٦٢.

[2] – هنري كوربان ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ،ص٨٢ .

[3] –يحيـــى هويـــدي ،دراســـات فـــي علـــم الكـــلام والفلـــسفة الإســـلامية،دار النهضة،القاهرة،١٩٧٢م ،ص٧٤.

وهذا شأنه في التنظير وكان باعثه في الإلهيات هو التفسير العالي الدقة للمعلومات القيمة في القرآن . وإذا كان الامام علي تطرق في خطبه لمسالة عينية الصفات والذات فقد اصبح هذا الأمر (فيما بعد) محور استدلالات الفلاسفة المسلمين من قبيل الفارابي وابن سينا ونصير الدين الطوسي التي استندت على أساس مباحث وحدة الذات والصفات المؤدية الى وحدة الله وبساطته[1].

فالله عند الفارابي بسيط وغير مركب وعدم فصل الصفات عن الذات من أدلة الفارابي الوجودية[2] . لان الله عند الفارابي حي وانه حياة وهذا لا يدل على ذاتين بل ذات واحدة[3]. و كون البارئ عاقلا ومعقولا لا يوجب أن يكون هناك اثنينية في الذات ولا في الاعتبار فالذات واحدة والاعتبار واحد[4].

وبإنكاره للصفات المستقلة عن الذات اقترب الفارابي من المعتزلة[5] أو قل الاقتراب من الامام علي (الذي نظر المعتزلة على أساس خطبه المنتشرة بين المعتزلة) ما يتعلق بعينية الصفات كما في أفكار الأمر بين الأمرين ورؤية الله والقول ان القرآن ليس قديما وكل هذا موجود في النهج كونها مسائل جديدة مبتكرة . بل لابد أن يكون الفارابي قد اطلع على خطب وكلمات الإمام علي وبخاصة اشهر خطبه التي تثبت عينية الصفات القائلة(وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل موصوف انه غير الصفة . فقد اخذ الفارابي هذه القاعدة وبنى عليها قاعدة فاقد الشيء لا يعطيه[6].

---

[1] -مطهري ،في رحاب نهج البلاغة ،ص٥٩ .

[2] -د.ياسين عريبي ،الدليل الوجودي عند الفارابي ،ضمن كتاب الفارابي والحضارة الإنسانية(مهرجان الفارابي)،بغداد ،١٩٧٥م-١٩٧٦م ،ص٢١٢.

[3] -الفارابي(أبو نصر محمد بن طرخان/ ت٣٣٩هـ)،أراء أهل المدينة الفاضلة ،تحقيق البير نصري نادر،ط١ ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٥٩م ،ص٣٢-٣٣.

[4] -الفارابي،التعليقات (ضمن رسائل الفارابي)،حيدر اباد ،الدكن- الهند،ط١ ،١٣٤٥هـ-١٩٢٦ م ،ص٩٤.

[5] -عبد الكريم المراق ،الإلهيات عند الفارابي ،ضمن مهرجان الفارابي ،ص٨١ .

[6] -عبد الله جواد املي ،علي والفلسفة الإلهية،مقالات ضمن نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية،ط١ ،مجهول الطبع،١٤٠٦ ،ص٥٤ .

ويضاف لذلك إشارات الإمام (كما قلنا)الى ان الله واجب الأولية والاخرية والمعرفة كما وصفه باللامتناهي في العقول وبالموجود الأعلى ، و واجب الوجود نراه عند الفارابي الذي يقسم الموجودات الى قسمين ١- واجب الوجود ٢-ممكن الوجود ، فالممكن إذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده وواجب الوجود إذا اعتبر ذاته وجب وجوده[1].

فعينية الصفات وواجب الوجود الفارابية إذن لم تأت من فراغ ، وإذا كان الفارابي قد اثبت واجب الوجود عن طريق الموجودات (حيث الممكن والواجب) فان النهج لم يستند على وجوب الوجود بعنوان انه اصل مفسر لوجود سائر الموجودات ، وانما أكد على الواقعية المحضة والوجود الصرف لذات الحق سبحانه وهذا هو الملاك الواقعي لوجوب الوجود[2].

ويشار الى ان المفكرين والفلاسفة لم يبحثوا في النهج في مفاهيم مهمة مثل ان وحدة الله ليست وحدة عددية وان العدد في مرتبة متأخرة عن ذاته وان وجوده (يساوي وحدته وبساطة ذاته)وكونه مع كل شي لا معه شي[3].

ان ابن أبي الحديد يفسر قول الإمام (أول الدين معرفته ،وكمال معرفته التصديق به) ان الله أول واجب مقصود من الدين أما التصديق به فلان معرفته قد تكون ١-ناقصة كمعرفة ان للعالم صانعا ولكنه لا يعرف هذا الصانع ٢- غير ناقصة وهو ان يعلم ان ذلك المؤثر خارج سلسلة الممكنات ،إذا هو ليس ممكنا ان يصبح واجب الوجود، وهذا معنى التصديق به [4].

---

[1] -الفارابي ،السياسة المدنية (مبادئ الموجودات) ،تحقيق د.فوزي متري النجار ،ط١،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٦٤م ،ص٥٦-٥٨ ،أيضا التعليقات ،المصدر السابق ،ص١٧٥ .

[2] -مطهري، في رحاب نهج البلاغة ،ص٥٩ .

[3] -مطهري، في رحاب نهج البلاغة ،ص٦٠.

[4] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ٧٤/١.

و يضاف لذلك ان هذا هو استدلال الفلاسفة أما استدلال المتكلمين فيكون الاستدلال بالأشياء على الله ، فاستدلوا بالعالم وانه محدث ويمثل ذلك قول الإمام ودلت عليه أعلام الظهور [1]. و يجب التذكير ان المعتزلة والكندي تناولا كثيرا من أقوال الإمام علي ،كما في تنزيه الله عند الكندي ، والقول بالخلق من عدم[2].

اما ابن سينا فقد اخذ من الفارابي فكرة واجب الوجود وممكن الوجود[3] وأيضا تطرق لواجب الوجود من خلال الممكنات[4] كما أشار ابن سينا لعينية الصفات بقوله ان ذات الأول لا تكثر فيها فإرادته ليست مغايرة لعلمه[5] وإذا كان الفارابي وابن سينا ينفون كون الصفات زائدة على الذات نفيا تاما فقد هاجم الغزالي هذا المذهب وفسر قول ابن سينا من ان الله يعلم غير ذاته[6] وقال الغزالي بان صفات الله ليست هي الذات بل هي زائدة على الذات فالله عالم بعلم[7]. ووصف تلك الصفات بأنها قديمة[8].

---

1 -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٢٢١/٣٠.

2 -الكندي (يعقوب بن إسحاق/ت٢٥٢هـ)،رسائل الكندي الفلسفية ،تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ،دار الفكر العربي ،مصر،١٣٦٩هـ-١٩٥٠م ،١٦٠/١، أيضا ١٦٥/١.

3 -ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله/٤٢٨هـ)الرسالة العرشية(ضمن ٧ رسائل) ،حيدر أباد ،الدكن-الهند- ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م،ص٢ .

4 -ابن سينا،النجاة ،نقحه وقدم له ماجد فخري ،ط١،دار الأفاق الجديدة ،بيروت،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٥٥ أيضا ص٥٨.

5 -ابن سينا ،النجاة ،ص٢٣٥ ،أيضا الاشارت والتنبيهات، القسم الطبيعي والإلهي،تحقيق د.سليمان دنيا ،ط٣،دار المعارف ،مصر،١٩٧٣م، ٥٣/٣ أيضا ص٢٨١-٢٨٥

6 -الغزالي ،تهافت الفلاسفة ،طبعة بويج ،ص١٢٨-١٣٢ وقد قال إنها توجب الكثرة في الذات الإلهية .

7 -الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ،تقديم عادل العوا ،ط١،بيروت ،١٣٨٨هـ-١٩٦٩م ،ص١٥٠-١٥٦

8 -الغزالي،قواعد العقائد ،تحقيق سعيد زايد ،القاهرة ،١٩٦٠م ،ص٧٢-٧٩ ،وقارن مع كتابه معارج القدس،ط١،نشر محي الدين الكردي،السعادة،مصر ،بلا تاريخ ،ص١٩٣-١٩٤ ،حيث نفى زيادة الصفات على الذات .

أخيرا يلاحظ ان تأسيس علم الإلهيات ومباحثه هو جهد إسلامي خالص ساهم الإمام علي بجزء كبير فيه او قل في أساسياته وهو الأهم فيه (كما سيأتي) في التاسيس للقواعد العامة للإلهيات دون التدخل في التفاصيل الجزئية[1].

وهذا وغيره هو السبب الذي جعل ابن سينا يصف الإمام علي، بأنه كالمعقول من المحسوس بالنسبة للصحابة ثم يصفه بأنه مركز الحكمة و فلك الحقيقة و خزان العقل[2].

الوحدة العددية

تصح الوحدة العددية لما يمكن ان يتكرر وجوده ، أي ان الواحد مثلا غير الاثنين او الثلاثة ، والله سبحانه لا يصدق عليه التعدد فليس معنى انه واحد أي انه ليس اثنين، بل يعني انه لا يفترض ثان ، إذن فوحدة الله ليست عددية وإلا كان معدودا .

وقد سئل الإمام علي إعرابي حاول ان يفهم كيف ان الله واحد ، فأجابه الإمام ان ذلك على أربعة اقسام : وجهان منها لا يجوزان على الله ووجهان يثبتان فيه ، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لان ما لا ثاني له فلا يدخل في باب الأعداد ألا ترى انه كفر من قال ثالث ثلاثة ، وقول القائل هو واحد (من الناس) من يريد النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لانه تشبيه وجل ربنا عن ذلك وتعالى واما الوجهان اللذان يثبتان فقول القائل هو واحد ليس له في الأشباه شبه ، كذلك ربنا وقول القائل انه عز وجل أحد المعنى يعني به انه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل[3].

---

[1] -الشريف المرتضى ،الامالي ،٤مجلدات،تحقيق محمد بدر الدين النعساني،ط١،قم،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م،١٤٨/١ ،وقد ذكر ان الامام علي مؤسس علم التوحيد.

[2] -الشيوخ عبد الله نعمة ،فلاسفة الشيعة ،تقديم محمد جواد مغنية ،مكتبة الحياة ،بيروت،ص٢٦٦.

[3] - الصدوق،التوحيد، ص٨٣ ، أيضا آل كاشف الغطاء،هادي،مستدرك نهج البلاغة ،دار الأندلس، بيروت ،ص١٦٠.

ويلاحظ ان النص بني بأسلوب منطقي ودعمه الإمام بالنص القرآنـــي، واستخدم الاستدلال بقوله(النوع من الجنس) ويمكن عكــس القـضية فــي الأحدي المعنى فيكون ان المنقسم في الوجود والعقل والوهم لــيس احــدي المعنى وليس هو الله.

وترد في النهج نصوص كثيرة تنفي الوحدة العددية منهــا قولـــه-ع- الأحد بلا تأويل عدد)[1]. أو انه سبحانه ، لا يشمل بحد ولا يحسب بعد [2]. ومن ذلك المعنى الشديد الدقة للإمام -ع- القائل (كل مسمى بالوحــدة - غيره - قليل)[3].

وعنى بذلك ان أي شي غير ذات الله سبحانه إذا كان واحدا كان قلــيلا ولكن الله مع انه واحدا فانه لا يوصف بالقلة ، وطبعا لا يوصف بالكثرة او ان وصفه وتكييفه بكيفيات المحدثين يعني إخضاع الله للحد وهــو يعنــي العدد ومنه إلى إبطال أزليته لذا قال الإمام (من وصفه فقد حده ومن حــده فقد عده ومن عده فقد ابطل أزله)[4].

وفي اكثر النصوص أهمية على الإطلاق يرد عن الإمام الدعاء المشهور (يا هو يا من هو هو يا من ليس هو إلا هو يا هو يا من لا هو إلا هــو)، ونجد فيه ان الهوية تكون لله بنفس ذاته ، فوحدته وحدة حقه [5] لا يمكــن نفيها ،أو تأويلها أو تقسيمها لا عقلا ولا وهما .

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤٠/٢.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١٢٠/٢.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١١٢/١.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٤٠/٢.
[5] -الطبرسي(الحسن بن الفضل /ت٥٤٨هـ)،مكــارم الأخــلاق،ط٦،١مجلد،منــشورات الشريف الرضي ،١٣٩٢-١٩٧٢،ص٣٤٦.

الصفات السلبية (تنزيه الله)

أشرنا إلى أن الصفات السلبية تعني نفي النقص عن الله سبحانه وسلب الأعراض والصفات وتسمى سلب الذات عن الله سبحانه والتي بينها الإمام في مجمل خطب النهج وهي على هذا النحو :

١-الله لا يوصف بوجه ولا يد ولا جوارح :

ومنه قوله-ع- (لا يوصف بشي من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء)[1] ولا ينظر بعين[2] ويخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق وادوات ، يقول ولا يلفظ[3].

٢- سلب الصورة والجسم :

الجسم هو ما اشتمل على الأبعاد الثلاثة من طول وعرض وعمق وهو مركب والله تعالى في كلام الإمام (ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا) ([4]) ولا أوضح من هذا النص الذي يفسر لنا كيفية التأسيس الذي اخذ به الكندي لاثبات المتناهي واللامتناهي وأدلة إثبات جرم العالم التي قال بها الكندي فيما بعد، لانه قارن بين المحدود واللامحدود .

ان تلك الشبهه (الجسمية) ملاصقة للمحدثات والمخلوقات والله سبحانه كما يقول الإمام(تعالى عما ينحله المحددون من صفات الأقدار ونهايات الأقطار وتأثل المساكن وتمكن الأماكن فالحد لخلقه مضروب ولغيره منسوب)[5] والتحذير هنا واضح للموعظة من المجسمين السابقين سواء أكان النصارى أم اليهود اللذان ذكرهما القران الكريم وانما التنبيه أشار إليه

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١٠٦/٢ .
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٢/ ١٢٢.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١١٥/٢ .
[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٦٦/٢ .أيضا قارن مع الفارابي ،فصوص الحكم ،ط١،مطبعة السعادة ، مصر،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م ،ص١٣٢ .

الإمام للأجيال القادمة من ان يحدوا الله بالجسم والصورة لانـــه (لا يـــشمل بحد ....وانما تحد الادوات أنفسها)[1]، والله ليس أداة فلا يقال ان لله حـــد او نهاية والحقيقة ان عددا من المذاهب الإســـلامية مالـــت الـــى التـــشبيه والتجسيم فيما بعد وقد أشار الامام كما أسلفنا إلـــى انـــه حتـــى الملائكـــة المقربين من الله لا يتوهمون ربهم بالتصوير.

٣- ان الله سبحانه ليس مركبا وليس له جزء :

فنفي الإمام في هذا المجال يقول (كـــذب العـــادلون بـــك إذ شـــبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم وجزءوك تجزئة المجـــسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم)[2] وأيضا من سلب التركيب والجزئية عن الخالق قول الإمام (ان الله لا يوصف بشي من الأجزاء .....ولا بالغيرية والإبعاض) [3].

٤ - ليس له ولد ولا صاحبة ولا ضد :

وهو رد على من ينسبون الأبناء لله من اليهود والنصارى او حتى العقليات الضعيفة من المسلمين في ذلك الوقت ،والتي تسال عن وجود الله ويرد الامام على هذه الشبهات بسلبها من الله بقوله (لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا [4]، جل عن اتخـــاذ الأبنـــاء وطهر عن ملامسة النساء[5]، وهو سبحانه لا يوصـــف بـــالأزواج[6] والله سبحانه لا ضد له، لانه بمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد لـــه [7] فـــالله غير تابع ولا مضاف إليه وغير مفتقر ولا محتاج.

---

[1] - محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٠/٢.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٦٤/١.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢ أيضا ١٤٨/١.
[4] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٤/٢.
[5] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢.
[6] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٦/٢.
[7] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،١٢٠/٢.

٥- سلب الكيفية والآنية والحيثية :

قال الإمام علي ان الله (لا تقع الأوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية ... ولا تحيط به أبصار القلوب)[١] والواقع ان مسالة تكييف الله هي الضد السالب لتوحيده وهو ما ذكره الإمام من انه (ما وحده من كيفه ولا حقيقته أصاب من مثله ولا إياه عنى من شبهه ولا صمده من أشار إليه وتوهمه) [٢] وهذه هي الكتابات الإسلامية المبكرة لنفي الجسمية بواسطة نفي العرض او الكيف او الآنية والحيثية ، واشارة الإمام واضحة بان التكييف والتمثيل والتشبيه والتوهم هي ما يؤدي الى معرفة غير الله ولذلك قال -ع- (وانك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها فتكون محدودا مصرفا)[٣] ومن النصوص المهمة في هذا الشان ان الإمام سال ، أين الله ، فاجاب-ع- (هو الذي أين الاين فلا يقال له أين وكيف الكيف فلا يقال له كيف)[٤].

٦- سلب الأعراض :

يقول الإمام ان الله سبحانه لا يشغله شان ولا يغيره زمان[٥] ولا يتغير بحال ولا يتبدل في الأحوال ولا تبليه الليالي والأيام ولا يغيره الضياء و الظلام [٦].

كما ينزه الإمام علي الخالق من الزيادة والنقصان[٧]. ومن الأعراض بقوله(ولا يوصف بعرض من الأعراض)[٨] وينزه الله من الحركة

---

١ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،١/١٤٨.
٢ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،٢/١١٩.
٣ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،١/١٦٥.
٤ - الصدوق ، التوحيد ،ص٦١ ،أيضا يحيى هويدي ،دراسات ،ص٨٣ ،وتروى هذه الإجابة عن النبي(ص)،راجع الحلي(علي بن يوسف/ ت٧٢٦هـ)،العدد القوية ،تحقيق مهدي رجائي ،ط١،قم ،١٤٠٨ هـ.ق،ص٨١.
٥ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/٩٧.
٦ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،٢/١٢٢.
٧ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،٢/١٠٤.
٨ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٢/١٢٢.

والسكون بقوله (ولا يجري عليه الحركة والسكون وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو أبداه ويحدث فيه ما هو أحدثه إذن لتفاوت ذاته ولتجزا كنهه ولامتنع من الأزل معناه ولكان له وراء إذا وجد له أمام ولالتمس التمام إذا لزمه النقصان وإذا لقامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره[1] وكل هذا يشير الى مفهوم السببية او العلة والمعلول.

يتبين انه سبحانه لا تتغير له ذات ولا صفة ذاتية، وهو تعالى لا تنال ذاته المقدسة بالمعرفة ، إنما تنال المعرفة شي من صفاته ولعل هذا هو السر في أننا لا نجده تعالى يقيم في كتابه المجيد برهانا على اصل الذات وانما يبرهن على الصفات فيبرهن مثلا ان للعالم صانعا وربا وخالقا[2].

٧- لا شريك له ولا تعدد :

ومن ذلك قول الإمام لابنه الحسن -ع-(واعلم يابني انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه وعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ولا يضاده في ملكه أحد)[3] ، وهذا ما يقوله الإمام في سلب الشريك عن الخالق سبحانه (فلا كُفء له فيكافئه ولا نظير له فيساويه)[4].

٨- لا مكان له سبحانه :

نرى في فكر الإمام علي ان الله لا يحويه مكان ولا يحد باين [5] لان من قال أين فقد حيزه[6] وهذه المسألة أيضا من مسائل مكافحة التجسيم التي تبناها الإمام والغرض منها التنزيه وسلب الأعراض عن الله ، لان الله عند الإمام (لا تحويه المشاهد ولا ان الأشياء تحويه فتقله او تهويه(تجعل له هوية) أو ان شيئا يحمله فيمليه او يعد له ، ليس في الأشياء بوالج ولا

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٢/٢.
٢ -الطباطبائي ، علي والفلسفة الإلهية ،/٥٦-٥٧ .
٣ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٣.
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٤/٢ .
٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٢ /٩٧ أيضا ١٠٦/٢.
٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤٠/٢.

عنها بخارج)[1] وهو سبحانه قريب وبعيد في نفس الوقت ولكن بلا مكان وهذا المنطق الإلهي يختلف عن التفكير الإنساني المحدود الذي لا يقدر على معرفة قربه وبعده في نفس الوقت ولكن الإمام يصف هذه القدرة الإلهية بقوله (سبق في العلو فلا شي أعلى منه وقرب في الدنو فلا شي اقرب منه فلا استعلاؤه باعده عن شي من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به)[2].

وبشكل اكثر دقة في الوصف يقول -ع-من قال (فيم)فقد ضمنه ، ومن قال (علام) فقد أخلى عنه[3] وقد سئل الجاثليق(أحد علماء النصارى) الإمام علي أين الله وأين كان ، فقال -ع- لا يوصف الرب جل جلاله بمكان هو كما كان وكان كما هو ،لم يكن في مكان ولم يزل من مكان الى مكان ولا أحاط به مكان بل كان لم يزل بلا حد ولا كيف [4].

علم الله بالجزئيات

ان العلم ، القدرة ، الإحاطة بكل شي هي الصفة الغالبة على توحيد الإمام علي ،فعنده ان الله (علم السرائر وخبر الضمائر وله الإحاطة بكل شي)[5] سواء أكانت دواخل الإنسان ام الموجودات الخارجية وهو ما يطلق عليهما الإمام لفظة (كل شي)وتحملان صفة الخشوع لله أولا وانها قائمة بالله ثانيا ، فمن تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ... لهذا ينادي الإمام ربه ،بان كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة[6].

والملاحظ ان علم الله ينصب على الموجودات ، والتي تختلف وتتنوع من أموات ماضين او أحياء باقين من حيث وجودها في السماوات وفي الأرضين وهو ما يعلمه الله بأجمعه[7].

---

[1] -عبده،شرح نهج،١٢٢/٢،وراجع١ /١٨٦ لقوله-ع- هو الظاهر فلاشي فوقه والباطن فلا شي دونه .

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٩٨/١.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١٦/١.

[4] -الصدوق ، التوحيد ،ص٣١٦.

[5] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ١٤٩/١ .

[6] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ٢١٠/١ .

[7] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ٦٧/٢ .

والنصوص القرآنية تشير إلى معرفة الله بكل شي كما في قوله تعالى (عالم الغيب والشهادة/الأنعام- ٧٣/٦)وقوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض /سبا ٣/٣٤).

ان نهج البلاغة يطرح الأفكار التي يتناولها بشكل غير مبوب كالعادة (وكما القران الكريم) في الأفكار العالية الحكمة في الإلهيات والتي تمثل نوع من الحماية للإنسان كي لا يقع في شبهات لا تؤدي الى فهم الله او تؤدي الى التجسيم او الشرك او الإخلال بالقدرة والعلم وبالتالي مس الذات الإلهية بالنقص .

ومن الشبهات التي طرحت فيما بعد هي عدم إحاطة الله بالجزئيات والتي جاءت مع تفتح أوراق المصطلح اليوناني عند المسلمين ،وقد افلت منها المعتزلة وبعض المذاهب وأيضا الفيلسوف الكندي ، الذي كان يفلسف الاعتزال دون ان يعتزل الفلسفة ، والذي قال بعلم الله بالجزئيات ، إلا ان الفلاسفة المسلمين كان لهم رأي آخر انطلق من التأثر باليونان وبالذات ارسطو فلعلهم قد أنكروا علم الله بالجزئيات في هذا الصدد ، ومهما يكن من أمر فان هذه الشهوة العلمية ظلت أسيرة كما قلنا في زمن المعتزلة والكندي، بسبب النصوص الواضحة التي أوردتها خطابات القران ونهج البلاغة، الى ان افلتت في زمن الفلاسفة، فابتعدوا عن هذه النصوص مجتهدين في الفكر، تاركين الصورة الواضحة التي رسمها الإمام القائلة (هو الذي لا يخفى عليه من عباده شخص لحظة ولا كرور (تكرار) لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داح ولا غسق ساج)[1].

ويصف الإمام عظمة علم الله بالجزئيات في واحدة من أروع الخطب بقوله -ع-(عالم السر من ضمائر المضمرين ومسارق إيماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب ، وما أصغت لأستراقه مصائخ الأسماع وهمس الأقدام ومنفسخ الثمرة من ولائج غلف الأكمام ... ومختبأ البعوض بين سوق الشجار ومحط المشاج من مسارب الأصلاب ودرور قطر السحاب.واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة

[1] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ١٥٨/١ .

ومثقال كل ذرة ...الخ)[1] وقد جعلت هذه الكلمات ابن أبي الحديد يقول، (لو ان ارسطو نفسه القائل بان الله لا يعلم الجزئيات ، سمع هذا الكلام لخشع قلبه)[2]. وهي إشارة إلى قول أرسطو ان المحرك الذي لا يتحرك يعلم ذاته فقط دون الكليات ولا الجزئيات[3]. والفكرة هذه قد سرت في الفلسفة الإسلامية متأثرة بارسطو ، أما الفارابي وابن سينا فقد قالوا ان الله لا يعلم الأشياء الا علما كليا[4].

وكلام الإمام جاء واضحا بان الخالق يعلم الجزئيات والكليات وهو ما قاله المتكلمون فيما بعد ولعلنا نكتفي بقول الإمام (مع كل شي لا بمقارنه) ليدل على معرفة الله بالجزئيات والكليات كما يؤكد ابن أبي الحديد [5].أي ان الله مع كل شي حتى الصغيرة من دون مقارنة أو حلول ، ومما يروى حول علم الله بالجزئيات ، انه سأل الإمام راهب نصراني عن ما ليس لله وما ليس من عند الله وما لا يعلمه الله فاجاب الإمام (ما ليس لله ، ليس له صاحبة أو ولد وما ليس من عند الله فالظلم ، وما لا يعلمه الله فالله لا يعلم له شريكا في الملك)[6]. فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا يعلمه الله.

ثالثا:التوحيد في الخالقية :

تناولنا في المباحث السابقة توحيد الذات وتوحيد الصفات ، أما التوحيد في الخالقية عند الامام (وهو القسم الثالث) ، فيشير إلى ١- انه سبحانه لا

---

١ -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ١٧٩/١ .

٢ -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ٢٤/٧ أيضا راجع التستري(محمد تقي) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ،ط١٤،١ مجلد ،طهران ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ٤٤٦/١.

٣ - حول المحرك الأول انظر، أرسطو،الطبيعة،ترجمة حنين بن اسحق،جزان،حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي،القاهرة،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م،٨٦٥/١.

٤ -حول علم الله بالكليات والجزئيات وراي المدارس الأساسية في الفكر الفلسفي بهذه المسالة راجع الالوسي(حسام الدين)،دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي،ط١ ،بيروت،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م،ص٣٤-٣٧

٥ -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ٧٩/١ .

٦ -الطبرسي،الاحتجاج ،٣٠٨/١ . أيضا السبزواري(محمد ابن محمد /ق٧)جامع الأخبار ،تحقيق علاء الدين آل جعفر،ط١،قم،١٤١٣هـ-١٩٩٢م،ص٣٦ .

شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور[1]، لذا قال -ع-الحمد لله خالق العباد[2] ،٢ - يجب معرفة انه سبحانه ، خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره[3].

وفي النهج تبيان الى خلق الخلق ووحدة الله من خلال وصف ذلك الخلق ومن ذلك (ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات واقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له)[4].

ان هذا والكثير من النصوص في النهج ، تبين ان الامام يوحد الله من خلال توضيح عظمة الله في الخلق ، وسوف نكتفي بهذا المطلب البسيط دون التوسع في هذا الجانب من التوحيد.

رابعا :التوحيد في الربوبية والملك :

ويعني التوحيد في الربوبية ، التدبير للعالم وليس في الخالقية ، وهو ما يشمل وحدة النظام الدالة على وحدة المدبر ومن ذلك قول الامام (توحد بالربوبية وخص نفسه بالوحدانية وقال -ع-(لم يشرك في ملكه أحد)[5].

وبلا شك ان هذا نوع من التوحيد يختص بتدبير الخلق فالقوانين والسنن العامة الكلية الشاملة على الموجودات تكشف وحدة هذا النظام والتدبير لخالق واحد مدبر ، وقد قال الامام (وصار كل شي خلق حجة له ومنتسبا إليه فإذا كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة فيه ، فقدر ما خلق فاحكم تقديره ، ووضع كل شي بلطف تدبيره)[6].
وسوف يتم تناول هذا الموضوع في أدلة إثبات الله في منهج الهادفية .

---

1 -الصدوق ،التوحيد ،ص٥٥ ، أيضا ،محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ١٧٩/١ .
2 -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ٢ /٦٥ .
3 -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ١٢٣/٢.
4 -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ٧٠/٢.
5 -الصدوق، التوحيد ،ص٣ . أيضا أبو جعفر الإسكافي،المعيار والموازنة ،ص٢٥٦ .
6 -الصدوق، التوحيد ،ص٥٣ ، أيضا محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ١٦٣/١ .

خامسا:التوحيد في الألوهية :

ومن ذلك قول الامام (فلا اله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام [1] ،وقال -ع-ولكنه اله واحد كما وصف نفسه [2].وكل أحاديث النهج تشير إلى توحيد اله واحد دونما سواه.

دلائل التوحيد

أ-دليل الفطرة ب-دليل التمانع

أ- دليل الفطرة:

يسمى هذا الدليل بالمصطلح الكلامي ، الدليل النفسي ، والفطرة هي الميثاق الذي أخذه الله على بني آدم واشهدهم ألست بربكم ، وقالوا بلى [3].

ويرد في القران الكريم قوله تعالى(فطرة الله التي فطر الناس عليها / الروم-٣٠/٣٠) فالأشياء مجبولة على الفطرة حتى الجماد كما يبدو من الآية القرآنية في قوله تعالى الذي خاطب السماء و الأرض (أتيتما طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين/فصلت-٨١/٤١) وقوله تعالى (و ان من شي إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم / الإسراء-١٧/٤٢)، ويرد عن الرسول (ص) قوله كل مولود يولد على الفطرة[4].

ويريد الرسول (ص) القول ، اتبع من الدين ما دلك على فطرة الله وهو ابتداء خلقه للأشياء لانه ركبهم وصورهم على وجه يدل على ان لهم صانعا قادرا عالما[5].

---

[1] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ٢ /١٠٦ .

[2] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٣ .

[3] -وهي إشارة الى قوله تعالى (وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى/الأعراف-٧/١٧٢).

[4] - المتقي الهندي ،كنز العمال ،الرسالة ،بيروت ، ٢٦١/١ .

[5] -الطبرسي(الفضل ابن الحسن/ت٥٦٠هـ)،مجمع البيان في تفسير القران ،ط١،١٠ مجلدات ،الاعلمي ،بيروت ، ٥٩/٨ .

ومن ذلك قول الامام علي (وفطرهم على معرفة ربو بيته) [1] وهو ما يؤكد انها الميثاق الذي أورده القران وإنها كلمة الإخلاص التي قالها الامام من ان الفطرة هي كلمة الإخلاص[2]. فيصبح واضحا هنا ان الفطرة في اصل الخلقة الإنسانية لانه سبحانه كما يقول الإمام (جابل القلوب على فطرتها)[3]. و ما بعث الرسل وتواتر الأنبياء للناس إلا ليستادوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته و يحتجوا عليهم بالتبليغ و يثيروا لهم دفائن العقول و يروهم آيات المقدرة[4].

من هنا نعرف ان الفطرة هي حالة عامة للبشر مغروسة فيهم تشهد لله بأنه خالقهم وفاطر الناس على توحيده وهو الذي سوى الأنفس فالهمها فجورها وتقواها [5].
ان توضيحا مفصلا يورد عن الامام الصادق -ع- كمثال لظهور الفطرة الكامنة فينا وهي حالة الخطر في عرض البحر،عندما يتعلق قلب الإنسان بمنقذ ما وهذا المنقذ هو الله سبحانه [6].

ومصداق هذه الحقيقة هي الآية القرآنية القائلة(وإذا مس الإنسان ضر دعنا لجنبه/يونس/١٢). والإمام بوصفه للفطرة بكلمة الإخلاص ، فانه أكد قضية الميثاق القرآنية ثم انه -ع- طرح مسالة مهمة وهي ان الأنبياء هم محركوا الفطرة الساكنة والمذكرون بها وهذا معناه ان النسيان علة خطيرة لاحد دلائل التوحيد المهمة .

ب- دليل التمانع (الوحدانية)
طرح القران الكريم دليل برهان التمانع بطريقين هما التمانع في العلة الفاعلة لقوله تعالى(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا/الأنبياء-٢١/٢٢) والثاني هو التمانع في العلة الغائية ، لقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما

---

[1] -الكليني ،الكافي، ١٣٩/١ .
[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ٢١٥/١ .
[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ١٢٠/١.
[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ٢٣/١ .
[5] -الطباطائي،تفسير الميزان ، ٣٧٩/٧ .أيضا ١٧٨/١٦ .
[6] - الصدوق ، التوحيد ،ص٢٣١.

كان معه من اله لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض/المؤمنون-٢٣/٩١)[1].

ويطرح الامام وجها آخر لبرهان التمانع والذي جاء في وصيته لابنه الحسن(عليهما السلام) بقوله(واعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه لايضاده في ملكه أحد [2].

والدليل يبنى على أساس القياس الاستثنائي الذي يستدل فيه بانتفاء التالي على انتفاء المقدم ويفسره الشارح ميثم البحراني بقوله لو كان شريك لكان شريكا إلها مستجمعا لشرائط الألوهية التي من لوازمها الحكمة في وجوب بعث الرسل الى الخلق وثانيا ان تكون آثار ملكه وسلطانه وصفات أفعاله ظاهرة والثالث ان يعرف أفعاله وصفات ذاته وكل ذلك باطل لانه لم يأتنا شي الا من الله فلا شريك له [3].

وقد قدم الامام الرسل على الآثار الإلهية لان الرسل إشارة الى اكثر من جهة منها الرسل والعقول، وعندما تطرق للأفعال والصفات فللدلالة على الانسجام الواحد في المنهج لاله واحد ولو كان ثانيا لاختلف منهجه ثم وثق ذلك بالقطع في انه لا يوجد اله ثان يضاد الله في ملكه ، وفي النص رد واضح على الذين أشركوا وبشكل عقلي منطقي ثم ان فيه تفصيلا لدليل القران في التمانع .

ويسهب ابن أبي الحديد في تبيان انه لو كان في الوجود ثان للقديم لوجب ان يكون لنا طريق لاثباته من صفاته الذاتية وصفات الفعل او من أفعاله سبحانه ، كما أورد الإمام ، او عن طريق الرسل واما إثبات اله ثان من مجرد الفعل فباطل لان الفعل إنما يدل على فاعل ولا يدل على التعدد ، اما صفات أفعاله وهي كون أفعاله محكمة متقنة فان الأحكام التي نشاهدها

---

[1] -مرتضى المطهري،في رحاب نهج البلاغة ،ص٤٧.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٣/٤٤.

[3] - ابن ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة ، ٥/٢٣ .

إنما يدل على مدبر عالم ولا يدل على التعدد واما صفات ذات الثاني فالعلم بها فرع على العلم بذاته فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور والمسالة الأخيرة ان الرسول ذو المعجزة الصحيحة لم يأتنا ليدعونا إلى الإله الثاني [1].

مناهج معرفة الله

أدلة إثبات الصانع

إن الأصل الأول في طرح المناهج التي تثبت الله هو القران الكريم فبالإضافة إلى إرفاقه الدعوة للمعاد بالبراهين فقد بين هذا السفر الإلهي احتجاج الأنبياء والصراع الفكري مع الملحدين والوثنيين والمعاندين وبحث في الطبيعة ودقتها والإنسان ونشاته وتكليفه وبين الإبداع والانسجام بين الموجودات .

أما في نهج البلاغة فتتوزع كلمات الإمام علي -ع- بشكل واضح متناولة طرق إثبات الله ، وقد يتساءل البعض عن عدم مشابهة أسلوب الإمام لأساليب المتكلمين او المنظرين في الإلهيات ، والجواب كما يورده ابن ابي الحديد من ان المصطلح يختلف لان الإمام يخاطب على المنبر أو غيره عربا ورعية ليسوا من أهل النظر، والمخاطب لهم يكون على قدر عقولهم ،أما أهل صناعة الكلام فانهم ولدوا اصطلاحات عديدة من الجدل والمناظرة[2].

ويضاف إلى ذلك إن الإمام ضمن خطبه وكلماته الكثير من الأسرار الإلهية في هذا العلم ، وسوف نتطرق لأدلة إثبات الله في نصوص الإمام علي -ع-.

---

[1] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ١٦ /٧٨ .
[2] -ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،٨٩/١١ .

أولا: معرفة الله بالله :

روى الكليني عن الإمام علي قوله (اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان)ويشرح الكليني موضحا انه سبحانه خلق الأشخاص والألوان والجواهر والأعراض وهو سبحانه لا يشبه أيا منها لأنها إما جسم أو روح ، وبنفي هاتين الشبهتين عن الله يعرف الله بالله[1].

ويصدق هذا الشرح لدلالة قول الإمام عندما سئل بما عرفت ربك ، فقد قرر هذه الحقيقة قائلا (بما عرفني نفسه،لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس)[2] وهو تنويه على ان كل ما سوى الله اما كونه صورة أو يحس بالحواس أو يقاس بالأشياء . إن هذا المنهج يبتعد عن معرفة الله بالأشياء ،بل هو اقرب إلى معرفة الله بالنفس والكشف وهو افضل المناهج الكشفية ، وذلك ما نلمسه في الدعاء المشهور للإمام علي – ع– (يا من دل على ذاته بذاته)[3] وهي الإشارة إلى انه ليس في الوجود سبب لمعرفة الله تعالى إلا بالله ، لان الكل ينتهي إليه ، ومنها الوسائل المؤدية إليه ، كالأنبياء والرسل والعقول والمعارف ، ويقول صدر الدين الشيرازي ، ان معرفة الله بالله لها وجهان ، أحدهما إدراك ذاته بطريق المشاهدة وصريح العرفان (وهو ما نتحدث عنه الآن) والثانية بطريق التنزيه والتقديس[4].

وفي نظر الإمام ان طلب العون يجب أن يكون من الله للوصول إلى الله فهو –ع–يقول (ابدأ قبل نظرك في ذلك (التفكير) بالاستعانة بإلهك والرغبة إليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك شبهة)[5].

---

[1] –الكليني ، الكافي ، ١/٨٥ . أيضا الصدوق ، التوحيد ،ص٢٨٧ ، و يورد الحديث والد الصدوق ،علي بن الحسين بن بابويه القمي /ت٣٢٩هـ ، الامامة والتبصرة ، قم ،١٤٠٤هـ.ق-١٣٦٣ هـ.ش، ص١٣٨ .

[2] –الكليني ، الكافي ، ١/٨٥ . أيضا الصدوق ، الهداية ،ط١،قم ،١٤١٨ هـ،ص١٥ .

[3] – الصدوق ، التوحيد ،٣٥ ،أيضا الشيخ عباس القمي ،مفاتيح الجنان ،قم ،١٣٨٢هـ،ص٩٣.

[4] –كلبايكاني،الإلهيات في مدرسة آل البيت ،ص٢٥ ،ولاحظ طرق معرفة الله عند الأئمة الاثنا عشر .

[5] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٣/٤٢.

إننا نخطئ إذا اعتبرنا هذا المنهج مـــن المنـــاهج الواضـــحة البـــسيطة لارتباطه بالعرفان والنفس والكشف لا بالموجودات الخارجية، وتبدو كلمات الإمام وهو يوظف بكلمات عديدة هذا المسلك في إثبات الله بحاجة الى شرح مطول، فقد سئل عن الدليل على وجود الله فاجاب (وجوده إثباته....لـــيس باله من عرف نفسه،هو الدال بالدليل عليه والمؤدي بالمعرفة إليه)[1].

ودلالة هذه الكلمة تبين لنا ان الله سبحانه يمتنع ان يعرف بغيره بل هو الدليل على نفسه وعلى كل شي وإلا كان الدليل مستقل عنه تعالى ، ومنـــه قوله –ع–(هو الدال بالدليل عليه ، وأيضا تشير الكلمة الى انه لا تنال ذاته المقدسة بالمعرفة وانما تنال المعرفة شي من صفاته وهو ما قصده الإمـــام بقوله ليس باله من عرف بنفسه[2].

فإذا عرفنا وكما أورد الإمام على انه لا تحيطه او تناله الأذهان أو العقل تبين انه مستغن عن الإثبات لانه متعال عن العلم والجهل الذهنيين فـــسواء عرفته أم لم تعرفه فهو موجود ، ولا يمكن معرفته(الله) إلا به .

ومن ضمن معرفة الله بالله هو الوصول لله عن طريق الإلهام أو الوحي (مع ان الوحي قد يقال على غير الإنسان أيضا كما في الوحي الى النحل في القران) وهي طرق تأتى بمعونة الله وأيضا التجلي للعباد بكتابه كما يقـــول الإمام علي (من غير ان يكون العباد قد رأوه بما أراهم من قدرته)[3] وقـــد أجاب الإمام أحد علماء النصارى عندما سأله هل عرفت الله بمحمد ام محمد بالله ؟ فقال–ع– عرفت محمد بالله عز وجل حين خلقه واحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت انه مدبر مصنوع باستدلال والهام منه وارادة[4].

وتجب الإشارة لما استنتجه الفلاسفة وعن طريق غير مباشر من انه لو لم يكن مع الموجودات واجب الوجود لم يكن لوجودها وجه صحيح . وقـــد

---

[1] –الطبرسي ،الاحتجاج ، ٢٩٩/١ .
[2] –محمد حسين الطباطبائي ،علي والفلسفة الإلهية ،ص٥٦ .
[3] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٣٠/٢ .
[4] –الصدوق ، التوحيد ،ص ٢٨٧.

بنى صدر المتالهين الشيرازي أسلوبه في مسالة التوحيد على أساس الاستدلال من الذات إلى الذات والصفات المبني على انه تعالى صرف الوجود [1]، فكانت بدايته من الله ليعرف إثباته لذاته المقدسة وقد أعانه في هذا ان الله سبحانه دل على ذاته بذاته كما ورد عن الامام علي فيما تقدم.

ثانيا : المعرفة القلبية

يتميز العقل عند العارفين بأنه مصدر للمعرفة ،وليس المراد بالقلب تلك القطعة الموجودة في الصدر بل هو اللطف الإلهي غير المادي ،الذي يدرك به الإنسان الحقيقة الوجودية ، والقلب لا يصبح محلا للإدراك الذوقي إلا إذا صفت صفحته وانجلت غشاوته [2].

وتمتاز هذه المعرفة بأنها حضورية قلبية ليست حسية او فكرية ،ومن مصادقها عند الإمام علي قوله (لم اكن بالذي اعبد ربا لم أره ...لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان)[3] وهو جواب لرجل سأله هل رأيت ربك ؟ وهذا النص بالإضافة الى نفيه رؤية الله بالأبصار فانه إشارة الى علم الكشف والعرفان ، وبلا شك ان رؤية الله بالقلوب هي كلمة طويلة أخرى اكبر حجما وأهمية من قضية رؤية الله التاريخية.

وتشير رؤية القلوب الى المعرفة الأخرى الميتافيزقية على اعتبار تجلي الله للعباد على حسب استعداداتهم المتنوعة ، خاصة وانه معهم ، فيروى ان الإمام علي كان يسير، فإذا برجل يقول ، لا والذي احتجب بالسبع ، فضرب الإمام على ظهره وسأله من الذي احتجب بالسبع سماوات ؟ فقال الرجل الله يا أمير المؤمنين، فقال الإمام أخطأت ان الله عز وجل ليس بينه وبينهم حجاب لانه معهم أينما كانوا[4].

---

[1] - مرتضى المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ،ص٥٩-٦٠ .

[2] -د. أبو العلا عفيفي ،التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب ،بيروت ، ص٢٤٢ .

[3] -الصدوق، التوحيد ،ص١٠٨ ،أيضا عبده ، شرح نهج البلاغة ،٩٧/١٠ .

[4] -الصدوق ، التوحيد ،ص١٨٤ .

فمعرفة الله وتجليه عند الامام قد يكون من خلال الخلـــق لقولـــه -ع- (الحمد لله المتجلي لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته)[١].

او من خلال كتابه بقوله(فتجلى لهم سبحانه بكتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته[٢] فانه بكل مكان ، في كل حين وأوان ، ومع كل انس وجان[٣].

ويحق التساؤل فيما إذا كانت المعرفة القلبيـــة ممكنـــة (مـــع صـــعوبة شروطها) فلماذا لا يمكن للجميع الاستفادة منها . وجواب الإمام هنا يـــرد بان الفكر حاول ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهـت القلـــوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول بحيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته .....ردعها وهي تبحث في الغيوب ، فرجعـت اذ جبهـت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته [٤].

ويتبين هنا انه حتى المعرفة القلبية -الباحثة في صـــفاته بـــالطبع- لا يمكنها معرفة الله إذا لم تتخلص من العلائق او الغشاوات والظلم وهو مـــا وصفه الإمام بجور الاعتساف .

ثالثا :المعرفة على ضوء النفس

المنهج الآخر الذي ينسجم ومنهجي معرفة الله بالله والمعرفة القلبية هو المعرفة على ضوء النفس باعتبارها اقرب للمعرفة الروحية الكشفية التـــي تبدا من الذات وبطريقة تطهير النفس أو اكتشافها، واوضح الكلمات التـــي قالها الامام علي وتخص هذا المنهج هو قوله -ع-(من عرف نفـــسه فقـــد

---

١ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠٦/١.
٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٣٠/٢ .
٣ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٦٨/٢ .
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٦٣/١ .

عرف ربه)[1]. ومع ان هذا الحديث روي عن النبي(ص) وفي أحاديث الفريقين، الا أن نصا آخر يرد للإمام علي بقوله -ع- (اعرف نفسك تعرف ربك ، وأيضا من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه)[2].

وقد يطرح السؤال الثاني :لم لم يقل الامام علي من عرف ربه عرف نفسه ؟ وبخاصة إذا ما كان برهان (لم)المعتمد على العلة أقوى من برهان (ان) المعتمد على المعلول ، فتكون المعرفة بالعلة لا المعلول والجواب لميثم البحراني ، شارح النهج الذي يقول ان الانسان إذا عرف نفسه بكثرة عيوبها ونقصان حاجتها الى التكميل كان ذلك داعيا له الى إصلاح قوتيه العملية والنظرية ،ثم ان النفس اقرب للإنسان وبها يعرف الله[3].

ويمكن الإشارة إلى أن الإمام قدم النفس لتأكيد الاهتمام بها كأحد مباحث المعرفة المهمة ولفت الأنظار للحث على طرح التساؤل حول النفس أولا قبل الله ، وإلا إذا كان الفرد يجهل إمكانيات النفس المعرفية ، فان خطر وقوعه في التجسيم والتشبيه وعدم فهم خالقه سيكون اكبر .
ومن كلام الإمام السابق يمكن الاستنتاج التالي بناء على تفسيرات الشراح:

١-من عرف ان نفسه مخلوقة مصنوعة من الأجزاء المتكاثرة والأعضاء المتغيرة فقد عرف ان له خالقا لا يتغير ولا يتكثر ذاته وصانعا لا تتغير صفاته[4].

---

[1] -البحراني (ميثم بن ميثم /ق٦)شرح مائة كلمة ،تحقيق جلال الدين الحسيني ،جماعة المدرسين ،قم ،ص٥٨ .أيضا الليثي الواسطي (علي بن محمد /ت ق ٦هـ)،عيون الحكم ،ط١، دار الحديث ،قم ،١٣٧٦ش ،ص٤٣٠.

[2] -الثعالبي المالكي (عبد الرحمن بن محمد /ت ٨٧٥ هـ)الجواهر الحسان ، تحقيق د.عبد الفتاح ابو سنة واخرون ،٥ مجلدات ، بيروت ،١٤١٨هـ -١٩٩٧م ، ٤١٣/٥ .

[3] -ميثم البحراني ، شرح مائة كلمة ،ص٥٨ .

[4] -رشيد الدين وطواط /ت ٥٧٣هـ،مطلوب كل طالب ،تحقيق جلال الدين الحسيني ، طهران ،١٣٨٢هـ ،ص٦.وهو شرح للكتاب الذي ألفه الجاحظ حول كلمات الإمام علي وقد نحى هذا النحو أيضا البحراني.

٢-ان نفس الشيء هو ذاته التي نشير إليها ب(أنا) ويعني ذلك ان من عرف نفسه بالإمكان والحدوث والعجز والاحتياج لله فمعرفة النفس دليل كاف في معرفة الله تعالى فمن لم يعرف نفسه مع إنها أقوى الأدلة وأقربها فكيف يعرف ربه بدليل آخر[1] لهذا يورد ابن ابي الحديد عن الإمام علي قوله من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه اعجز[2].

٣-أو تعني انه سبحانه خلق الإنسان صورة كمالاته الذاتية الجامعة للكمالات الاسمائية والصفاتية[3].

٤-واخيرا ان من تأمل في نفسه يجدها بالبديهة حادثة ممكنة محتاجة الى علة ،فيجزم ان لها موجدا وهذا ما إليه أشار أمير المؤمنين من عرف نفسه عرف ربه[4].

و يلوح لنا نص آخر بشان النفس عند الإمام يقول (المعرفة بالنفس انفع المعرفتين)[5] وعنى بهذا المعرفة بالآيات الافاقية و كما في قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين انه الحق/ السجدة-٣٢/٥٣) أما الآيات الانفسية ففي قوله تعالى (و في الأرض آيات للموقنين و في أنفسكم أفلا تبصرون/ الذاريات-٥١ /٢١)[6].

---

[1] -ميثم البحراني ، شرح كلمات أمير المؤمنين ، تحقيق جلال الدين الحسيني ،قم ،١٣٩٠ هـ،ص٩.

[2] -ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٩٢/٢٠ .

[3] -الاحسائي (ابن ابي جمهور/ت٨٨٠هـ)عوالد اللآلئ ،تحقيق السيد المرعشي والشيخ مجتبى العراقي ،ط٤،١مجلدات ،قم ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١ /٥٤ .

[4] -الشهيد الثاني(محمد بن جمال الدين العاملي ت/٩٦٦هـ)،الاقتصاد والعدالة ،تحقيق مهدي رجائي ،ط١، قم،١٤٠٩ ،ص١٧١.

[5] -الخوانساري (جمال الدين محمد/ت : ق١٢هـ)غرر الحكم ودرر الكلم ،(فارسي ،عربي) ط٧،٤ مجلدات، طهران، ٢٤٢/٧.أيضا ٣٨٨/٧ لنفس المصدر حيث فهرس أحاديث النفس عند الامام علي.

[6] -الطباطبائي ، الميزان ،المدرسين ،قم ، ٦ /١٧٠ .

ومعرفة النفس هي الافضل للتفسيرات السابقة نفسها مضافا لـذلك ان المعرفة بالآيات الافاقية هي حصولية اما الآيات الانفسية فهي حضورية من داخل النفس والاشتغال بالنفس يعني تمحيصها وتـدريبها وهـي وسـيلة الانقطاع الى الله ، لكونها تمثل الإنسان (محور الخلـق)، و هـي اقـرب للكشف والمعرفة القلبية واقرب للروحانية وهي تشير الى افضل ما خلـق الله وهو الإنسان الذي إذا اشتغل بآية نفسه وخلا بها من غيرها انقطع الى ربه من كل شي وعرف ربه بلا وسيط ولا تسبب سـبب وأحـرى بهـا ان تكون معرفة الله بالله من خلال النفس ولذا قال الإمام (تعرف نفسك بـه ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك وتعلم ان ما فيه له)[1].

[1] -الطباطبائي ، الميزان ،المدرسين ،قم ، ٦ /١٧٥.

المنهج الفكري النظري

١-الحدوث ، ٢-الفقر والحاجة، ٣- منهج النظام والهادفية، ٤-مسلك الفسخ والنقض .

١-دليل الحدوث:

يقف دليل الحدوث في مقدمة ما أكدته أقوال الامام علي في المنهج او سواه ،وهو منهج يحث على الفكر النظري والنظر في الموجودات وهو الأمر الذي يدعمه القران بالاستدلالات الكثيرة بالمخلوقات وحدوثها ،ومن النصوص المهمة المتعلقة بهذا الموضوع هو قول الامام علي (الحمد لله الدال علي قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده)[١] وقوله -ع- (الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته وباشتباههم على ان لا شبه له)[٢] وقد جعل الامام حدوث خلقه دالا على أمرين الأول قدمه والثاني وجوده وجعل الدليل للخالق نفس الخلق مع حدوث هذا الخلق[٣]. فلو لم يكن أزليا لكان حادثا ومتى يصبح الحادث أزليا ؟ سوف يكون الجواب ان ذلك لن يحدث لانه متناه وسينتهي هذا التسلسل .

ومن كلام الامام نفهم ان دلالة الخلق(العالم)على وجوده تعالى مبنية على قاعدة العلية ودلالة المحدثات على أزليته مبنية على امتناع التسلسل ودلالة الخلق على وجوده سبحانه اعم من الدلالة على إمكان وحدوث هذا الخلق فكلامه -ع- هذا ينطبق على برهان الحدوث والإمكان معا[٤].

والإمام في حديثه قطع التسلسل إلى ما لانهاية في الخلق والمخلوق بالقول بأزلية الخالق . وهذه الطريقة كما يقول ابن أبي الحديد بإثبات ان للعالم صانعا هي التي أخذها المتكلمون في إثبات ان الأجسام محدثة ولابد

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١١٥/٢.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٣٩/٢ .

٣ -ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ١٢٣/٤

٤ -كلبايكاني ، الإلهيات ،،ص٤١ .

للمحدث من محدث الأمر الذي لا يستمر الى ما لا نهاية لاصطدامه بأزلية الله سبحانه[1] وإذا تتبعنا المزيد من الأقوال المتعلقة بدليل الحدوث والأزل نجد الإمام يصف الله الأزلي بأنه (الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر وبأولويته وجب ان لا أول له وباخريته وجب ان لا اخر له)[2].

وبالإضافة الى القدم والأزلية في هذا النص فكأنه يشير إلى أن أبدية الله هي عين أزليته ، ولأننا لما افترضناه أولا مطلقا تبع هذا الفرض ان يكون قديما أزليا لانه لو لم يكن أزليا لكان محدثا وله محدث[3]. فالمكيفات عند الامام(من الأشياء) هي ما يتناهى في العقول او في الطبيعة والله غير متناه في العقول وإلا كان مكيفا[4] فيقرر الإمام ان للأجسام المكيفة نهاية. ويشرح ابن ابي الحديد قول الإمام علي (ليس لأوليته ابتداء وليس لأزليته انقضاء ،وهو الأول لم يزل) قائلا لو كان لأوليته ابتداء لكان محدثا ولاشي من المحدث بواجب الوجود ولا يصح قولنا هذه ذات محدثة إذا كانت معدومة من قبل[5] والمشكلة التي تطرح هنا تقول انه كيف يستدل بحدوث مخلوقاته المحدثة على وجوده ،وجواب ذلك ان البحث فيه لفظي لا بالمعنى ، وقصد كونه تعالى ذاتا لم يجعلها جاعل او قصد إعادة الخلق يوم القيامة .اما قول الامام وباشتباههم على ان لا شبه له ، يعني ان تثبت جسما ما محدث تثبت ان سائر الأجسام محدثة ، فاذا اثبت سوادا او بياضا محدثا اثبت السوادات والبياضات محدثة والله سبحانه لا شبه له[6].

ولذا يأتي نفي الامام قائلا (لا يقال له كان بعد ان لم يكن فتجري عليه صفات المحدثات)[7].

---

[1] -ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ١٤٨/٩ ،أيضا قارن مع الفارابي ،رسالة زينون الكلبي(ضمن الرسائل)حيدر اباد/الدكن ،ص٤-٥ ،وقد نفى أن يكون الشيء علة نفسه ،كما نفى تسلسل العلل الى ما لا نهاية .

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٩٤/١ .

[3] -ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٩٦/٧ .

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٦٥/١

[5] -ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٢٥٣/٩

[6] -ابن ابي الحديد ، شرح النهج، ٤٦/١٣ .

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢٣/٢ .

والمحدثات هي ذوات الصفات كالآيات الافاقية الدالة علـى الله والتـي يصفها الامام قائلاً (اشهد ان السماوات والأرض آيات تدل عليك)[1].

وعندما يقول -ع- مؤكدا ،عجبت لمن شك في الله وهو يـرى خلـق الله[2] فإنما هو طريقة للاستدلال ، وتتوافق تلك الأقوال والنـصوص مـع أقواله-ع-الأخرى مثل، بصنع الله يستدل عليه وبالعقول تثبت معرفته [3]، وقوله (دلت عليه أعلام الظهور)[4].

ومما سبق من الأقوال يوضح ابن ميثم البحراني ، بـان تلـك طـرق المتكلمين بالاستدلال أولا على حدوث الأجسام والأعـراض ثـم بحـدوثها وتغيراتها على وجود الخالق ثم بالنظر بصفاتها على حكمته سـبحانه أمـا طريق الفلاسفة الإلهين فينظرون إلى واجب الوجود أو الممكـن ويثبتـون الواجب ولوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة المـستلزمة لعـــدم الجسمية والعرضية والجهة وهو اجل واشرف الاستدلالات لانه يكون بالعلة على المعلول[5].

والملاحظ على كلمات الإمام هو شمولها لكلتا الحالتين او الطريقتين . ويلاحظ مرة أخرى على كلمات الإمام او طريقته وهو إفراده لجـزء كبيـر من هذه الكلمات اكثر من طرق إثبات الله السابقة ، والسبب ان الله بلا شك عند الإمام وكما يقول ظاهر بعجائب تدبيره للناظرين [6]. وإذا كان الامـام يشهد بان تلك العجائب من السماوات والأرض إنما هي آيات تدل علـى الله

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٣٠/٤ .

2 -ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٢٥٥/٢٠.

3 -الصدوق ،عيون أخبار الرضا ،تحقيق حسين الاعلمي ،ط١،٢مجلد،بيروت ،١٤٠٤ ، ١٣٦/٢ .أيضا الفتال النيسابوري/ت٥٠٨هـ،روضة الواعظين ،تحقيق الـسيد مهـدي الخرسان ،قم،ص٢٠ .

4 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ،٩٨/١.

5 -ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، ١٢٨/٢ .

6 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٩٤/٢ .

فمن الطبيعي قوله ان يصير (كل من خلق حجة له ودليلا عليه وان كان خلقا صامتا لان حجته ستكون بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة)[1].

ان اغلب الأفكار التي تناولها الامام هي اطاريح قرآنية ، توجد بشكل واضح في قصة النبي إبراهيم الخليل –ع– الذي رأى كوكبا وقال انه الصانع فلما أفل قال، لا احب الآفلين[2].

من هنا اخذ المتكلمون أقوال الإمام السابقة ، منها فيما يتعلق بالاستدلال على الصانع ومعنى الحدوث والقدم ، كما يذكر ابن ابي الحديد ،من انهم قالوا ان كل ما لم يعلم بالبديهة ولا بالحس فإنما يعلم بآثاره الصادرة عنه والبارئ كذلك فالطريق له إنما هي أفعاله فقالوا ان العالم محدث وكل محدث يحتاج الى محدث وتارة العالم ممكن وله مؤثر[3] ويذكر الكليني بان قول الإمام لا من شي كان ولا من شي خلق ما كان، إنما هو نفي لمعنى الحدوث[4].

واخذ المتكلمون أيضا من الامام علي قوله (لا تجري عليه الحركة والسكون) فنظموه في كتبهم وهو ان الحركة والسكون معان محدثة ، وإلا لتفاوت ذاته ولتجزا كنهه ولامتنع من الأزل معناه) و هو ما يؤكد استحالة جريان الحركة و السكون عليه سبحانه[5].

وفسر الطبرسي ذلك بان التفاوت والتجزؤ والتماس التمام التي ينفيها الامام علي عن الله هي من صفات الحادث والأجسام ولوازم الممكن [6]

---

[1] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٣/١ .

[2] -اشارة الى الآية القرآنية(فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا احب الآفلين /الأنعام-٧٦/٦)

[3] -ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٢١/٣ .

[4] -الكليني ، الكافي ، ١٣٤/١ .

[5] -ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧٨/٣١ ، قارن مع الصدوق ، التوحيد ،ص٢٩٩ ، الذي بين ان دليل حدوث الأجسام يعتمد على انها لا تخلو من الاجتماع والتفرقة والحركة والسكون .

[6] -الطبرسي ، الاحتجاج ، ٢٩٩/١.

وهذا ما قاله الامام، بأننا لو وصفنا الله بهذا لكان مصنوعا ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه[1].

ومما اخذ المتكلمون أيضا منه -ع- كل معدود منقوص وكل متوقع آت، وبهذه الكلمة استدل المتكلمون بطريق الاستدلال النظري على ان الدنيا زائلة وعلى ان حركات الفلك يستحيل ان لا يكون لها أول لأنها داخلة تحت العدد وكل معدود متناه[2] ولا غرابة في ذلك فقد رجع المعتزلة والاشاعرة والكرامية والزيدية فضلا عن الامامية الى الإمام علي [3] في الفكر والتنظير في الإلهيات ، وإذا كانت كتب اليونان بحاجة الى ترجمة او شرح او انها غريبة عن المجتمع في ذلك الوقت ، فان الأصول المبكرة لهذه العلوم تواجدت في الخطب المنتشرة للإمام في المجتمع الإسلامي او من خلال أجوبة علم الامام ع، الذي انتقل للائمة من بعده ،ونلاحظ مثلا تأثر المعتزلة بمنهج الحدوث فالقاضي عبد الجبار استدل على ان لكل فعل فاعلا وكل حادث له محدث[4].

هذا إذا ما استثنينا تأثر المعتزلة بصفات الذات والفعل والوسطية ورؤية الله وكون القران ليس قديما والعدل وصفات التنزيه التي ناقشنا بعضها وسوف نكمل الآخر.

أما الاشاعرة بزعامة الباقلاني (ت٤٠٣هـ) فقد اعتمدت منهج الحدوث في إثبات الصانع معتمدا على إثبات الموجود القديم والمحدثات من الأجسام ولابد للمحدث من محدث الأمر الذي لا يستمر الى ما لا نهاية فيعرف منه

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١٢١/٢ .

[2] - ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٧ ،١٠٧/ ،أيضا محمد الغروي ،الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ،ص٢٥٣ .

[3] -ابن ابي الحديد ، شرح النهج، ٣٧١/٦ ، وقد قال ان مباحث التوحيد مبثوثة في فرش كلام الامام علي .

[4] -القاضي عبد الجبار ،المغني ، دار الكتب المصرية ،ط مصر الأولى،قسم النظر والمعارف ، ٣٢٥/٢ .

الموجود الأزلي ، وقد وجه الباقلاني هذا النقد للدهرية [1]، كما فعل الامـــام من قبل.

وهذا بدوره انتقل الى متكلمي السنة بافادتهم من الباقلاني مثلما وصـــل لأبى المعالي الجويني (ت٤٧٨هـ)وتلميذه الغزالي(ت٥٠٥هـ)[2].

٢ـمنهج الفقر والحاجة

المنهج الآخر الذي يمكن استخراجه من كلام الإمام علي لاثبات الله هو منهج الفقر والحاجة ويبنى على أساس أوله ان الموجودات محتاجـــة فـــي وجودها ، مفتقرة في ذواتها ، وثانيا لا يمكن القول انها موجودة لنفـــسها لأنها معلولة ، إذن لابد لها من موجد ، ويشير الإمام لهذه الحقيقة بقولـــه (وارانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار ملكه واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته)[3].

فقوله –ع– باعتراف الخلق بالعجز والفقر والحاجة ،هو الأساس الـــذي يبنى عليه هذا الدليل وبتعبير آخر للإمام انه تعالى (بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت منه بالخضوع له والرجوع إليه)[4] وهذا التعليـــل للفقر –بالنسبة للأشياء– مرجعه إلى الله الذي قهرهـــا علـــى هـــذا الفقـــر والاضطرار إليه (بما وسمها من العجز على قدرته ، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه)[5] كما بين الامام علي . و بتعبير اخر انه (قد خـــضعت الأشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع الهروب من سـلطانه الـــى

---

[1] –ابو بكر الباقلاني ، التمهيد ،تعليق محمود الخضيري ،دار الفكـــر ،مـــصر ،١٩٤٧م ،ص٤١–٤٥ .

[2] –د. يحيى هويدي ، دراسات في علم الكـــلام والفلـــسفة الإســـلامية ،دار النهـــضة ، القاهرة ،١٩٧٢م ، ص١٣٣ ، وقارن مع ابن ابي الحديد ، شـــرح الـــنهج ،٥ /١٥٨. وهو كلام حول الفرق المتحدثة فلسفيا عن خلق العالم .

[3] –محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١/١٦٣ .

[4] –محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/٤٠ .

[5] –محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/١١٨.

غيره فتمتنع من نفعه وضره[1].ونحن أمـام حالـة إلـزام ، ألزمـت بـه المخلوقات في اصل الخلقة ، وهو ليس نقصا منها لأنها غير خالقة لقدرتها ، ولا جبر الهي يحد من حريتها ، بل كما يقول الامام (لان خالقها والملائم بين مختلفاتها هو سبحانه من غرز بين غرائزها والزمها أشباحها والعـالم بها قبل ابتدائها والمحيط بحدودها)[2].

فإذا كانت عملية الخلق ملائمة الاختلافات وتغريـز الغرائـز ومعرفـة بحدود الخلق يصبح من المنطقي ان الفقر والحاجة غريزة داخل الإنـسان ومن ضمن هذه الغرائز بالطبع هو الحاجة الى المثال او الأعظم او الأقوى والخير المطلق وبخاصة إذا ما عرفنا ان الله خلق الخلق كما يقول الامـام علي (غني عن الموجودات لم يتعب في صنعها ولم يكونها لتشديد سـلطان ولا لخوف من زوال و لا نقصان ...ولا للازدياد بها في ملكه ولا لوحـشة منه فأراد ان يستأنس إليها)[3].

إنما خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم [4] ولو كان الخالق غنيـا فلا يصح وصف المخلوق بالغنى أيضا ، بل ان محاولة المخلوقات معرفـة الله يعبر عن عجز وفقر وحاجة، لان المصنوع الفقير المحتـاج لا يكـون صانعا لنفسه وهو ما تبين في كلمات الامام علي .

٣ـدليل النظام والهادفية

ان النظام الكوني الدقيق والترتيب في أجزاء العالم هي مظاهر تدل على نظام خلق واحد وخالق واحد ودليل النظام أحد اقدم أدلة القران الكريم على وجود الخالق كما يلاحظ في انزال المطر وحركة الكواكب والأفلاك وغيرها من الظواهر الطبيعية . وهذا الدليل قائم على قاعدتين : الأولـى ،حـسية علمية وهي وجود النظم والإتقان في عالمنا المشاهد ، والثانية ، عقليـة

---

[1] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/١٢٣.
[2] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١/١٦.
[3] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/١٢٥.
[4] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/١٦٠.

بديهية تقوم على الملازمة بين النظم والإتقان في الفعل لتبيين كون الفاعل عالما مختارا حكيما[1].

ويمكن تمييز نوعين من هذا الدليل في كلام الامام علي : الأول يشير إلى حث الأذهان لفهم طريق النظام والهادفية مشيرا الى نظام العلية والمعلول والسببية لقوله -ع-(وهل يكون بناية من غير بان او جناية من غير جان)[2].

او بطريقة أخرى يقول (بعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير واثار أقدام على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة لا يدلان على اللطيف الخبير)[3]. وهذان المثالان تأكيد على تأثير وتاثر الموجودات المنطوي تحت نظام العلة والمعلول وهو ما يندرج تحت أساس التوحيد في الخالقية الذي أسلفنا ذكره كما ان الظواهر الطبيعية كلها مفاضة منه سبحانه وترتبط برابط السببية بين الظواهر المادية وآثارها ، وقد قال الإمام(كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم في سواه معلول)[4]. وهذا يعتبر تأكيدا لمبدأ السببية بين الأشياء المعروفة بنفسها . والإمام يرد شبهة ان العالم معلول والمعلول لا ينفك عن العلة ،بقوله ان الصانع والمصنوع لا يستويان ولا يتكافأ المبدع والمبتدع[5].

اما النوع الآخر فهو ما يبنى على معرفة النظام في الخلق ويسمى هذا برهان النظم المعتمد على ظاهرة مادية مستقلة ومنفصلة عن سائر الظواهر(ولوحدها) ومشاهدة الانسجام السائد في العالم والاتصال بين أجزائه الدال على الإبداع ودلالته تشير إلى خدمة الأنظمة الكونية لنا.

---

[1] -كلبايكاني ، الإلهيات ،ص٥٢ .
[2] -محمد عبده ، شرح النهج ، ١١٨/٢ .
[3] -المجلسي(محمد باقر/ت١١١١هـ)،بحار الأنوار ،مؤسسة الوفاء،١١٠ جزء ،بيروت، ١٩٨٣م ، ٥٥/٣ .
[4] -محمد عبده ، شرح النهج،١١٩/٢.
[5] -البيهقي الكيذري،حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ، ٢٩١/٢ .

ويتوزع هذا المنهج على ثلاث محاور كما تكشف تنظيرات نهج البلاغة ومنه ما تمثل أولا : بكلام الإمام حول الجمادات وثانيا :الحيوان وثالثا: الإنسان، ويختلف هذا الاستدلال عن الاستدلال بالخلق كما في منهج الحدوث والفقر والحاجة من ان هذه الطريقة وصفا دقيقا يدل على عظمة وهندسة الخلق وترابطها بشكل خاص يدل على وحدة النظام والهدف والغاية لا الدلالة العامة لوجود الله وهو ما يعتبر توسيعا في الفكر وفتحا لآفاق جديدة ونظرا داخل الكائنات وترابطها بسببياتها وليس قراءة صورتها الخارجية ومن دون الترابط فيما بينها وتفصيل أنظمتها وعلاقتها مع بعضها البعض ،فالإمام يصف النظام في الجمادات الدالة على الله بقوله (ثم انشا سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء فاجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره ...الهواء من تحتها فتيق (متدفق) إلى أن يقول-ع- فسوى منه سبع سموات وزينها بزينة الكواكب وقمرا في فلك دائر)[1].

وما يدل على النسق المتساوي في الخلقة والنظام المتقن قوله (لو ضربت في مداخل فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شي وغموض اختلاف كل حي ، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء)[2].

وهذا يفسر النظم المتناسقة من قبل صانع مدبر للسماء والهواء والرياح والماء ثم يضيف الإمام ، فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر هذه البحار وكثرة هذه الجبال وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر وانكر المدبر[3] . وبلا شك ان سبب إثبات النظام في الكون هنا إنما هو رد على المنكرين الجاحدين من الدهرية الذين لم يلحظوا النظام والهادفية التي جعلها الله في الخلق .

---

[1] -محمد عبده ، شرح النهج ، ١/١٧-١٨ ، أيضا ١/١٧٣.
[2] -محمد عبده ، شرح النهج ، ٤/١١٧.
[3] -محمد عبده ، شرح النهج، ٢/١١٨ .

والمحور الثاني من دليل النظم يتعلق بالحيوان ففي خطبة التوحيد أشار الامام الى عدد من أصناف الحيوان مبديا بلاغة وفكرا واضحا ليصف ما في خلقتها من عجائب الصنع . ففي وصفه للنملة يقول-ع-(انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها ، تنقل الحبة إلى حجرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها ، ثم يتوغل الامام في دواخل النملة بقوله (ولو فكر في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شرا سيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت منها عجبا ولقيت من وصفها تعبا)[1].

ويبدو واضحا ان هذه الصورة الوصفية تدل على آية دقيقة وصغيرة أيضا لخالق الكون وبنظام تام . وللجرادة نصيب في حديث الامام القائل (لو شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين تقرض ومنجلين بهما تقبض)[2].

واشارة الإمام لهذين المخلوقين هو تنبيه لعالمها الصغير والذي يحمل هدفا وسببا لهذا الخلق ونظاما يدل على منظم قدير .

والأنموذج الآخر في عالم الحيوان هو الخفاش ، وفيه قال الإمام (ومن لطائف صنعته وعجائب حكمته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شي ويبسطها الظلام القابض لكل حي ، وكيف عشيت أعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها ، الى ان يقول ، فهي مسدولة الجفون بالنهار على أحداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل به في التماس أرزاقها)[3].

---

[1] -محمد عبده ، شرح النهج ، ٢ /١١٧ .
[2] -محمد عبده ، شرح النهج ٢ /١١٨ .
[3] -محمد عبده ، شرح النهج ،٢/٤٦ .

وانك هنا تجد الهدف والنظام بل والقدرة في نظام الرؤية بغير العين ولعله رد على من يدعي رؤية الله بالعين او يوجب ذلك .

ويتبقى الطاووس فقد وصفه -ع- بأعجب الطيور خلقا ثم يصف ريشه كأنه زهر الربيع وتاجه الموشى وطريقة عيشه حتى يقول ، فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن او تبلغه قرائح العقول [1].

ان رابطا عجيبا في وصف تنظيم الخالق من خلال الحيوان يكمن في بداية الإمام بالأصغر من المخلوقات وهي الأقرب أيضا إلى المسلمين في ذلك الوقت ثم باختيار طائرين مختلفين عن بيئة المسلمين ، وفي كل ذلك يتضح النظام الدقيق .

وما يتبقى هو جانب وصف الانسان فيصف الامام أول خلق الإنسان بقوله (أيها المخلوق السوي والنشا المرعي في ظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار بدأت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم ... فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك ، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك)[2]. ان النظام يشير إلى أن من عرف وانشا وهدى الجنين هو الله.

وبصورة أخرى يقول الإمام (أم هذا الذي انشا في ظلمات الأرحام وشغف الأستار نطفة دهاقا وعلقه محاقا وجنينا راضعا ووليدا يافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا)[3].

من كل هذا نفهم ان برهان النظم والهادفية لم يبن على تمثيل الظواهر الطبيعية بالمصنوعات البشرية فقط فاحتمال الصانع موجود ولكن لعل الصانع هنا هي الطبيعة ، وهذا المنهج لا يبنى على الاستقراء فلعلنا نجد بالاستقراء دليلا على صنع الإنسان ونظامه ولكن من هو الصانع ، بالتأكيد

---

[1] -محمد عبده ، شرح النهج ٧٥/٢.
[2] -محمد عبده ، شرح النهج ٦٧/٢ .
[3] -محمد عبده ، شرح النهج ١٤٣/١٠ .

ان الإمام علي يشير دائما الى الله ، فيجب توضيح ان الإمام يوضح النظام والهادفية المترابطة المؤسسة على قاعدة الملازمة ، بين الفعل والأثر القائم على أساس النظم والإتقان والتوازن والانسجام في المخلوقات وفعلها وبين ان فاعله ذو علم وقدرة وحكمة ،ان الفعل لم يصدر من عديم العلم والقدرة والحكمة او على سبيل الصدفة الفوضوية[1].

وهذه المسائل أوضحها الإمام كما قلنا وثبتها بالقول (الويل لمن أنكر المقدر وجحد المدبر ، زعموا انهم كالنبات ما لهم زراع)[2] وهو النقد الذي يوجهه الإمام للدهرية القائلين ما يهلكنا الا الدهر وانه ليس هناك فاعل مدبر ، ولكن هذا الفاعل المدبر ظهر للعقول كما أشار الامام (بما أرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم)[3].

-دليل الفسخ والنقض

سئل الإمام علي -ع- بماذا عرفت ربك ،فاجاب بفسخ العزائم ونقض الهمم ،لما هممت فحيل بيني وبين همي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي ، علمت ان المدبر غيري[4] ويقول-ع- في كلمة أخرى ، عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم (نقض ما يعزم الإنسان على فعله) وحل العقود (حل النية) ونقض الهمم [5].

وما يقودنا إليه هذا الدليل ، هو العلاقة بين الإنسان وارادته من جهة وبين القضاء والقدر المرتبط بالله من جهة أخرى ، ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال الإشارة إلى نوع من الجبرية كما لا توجد إشارة إلى حرية مطلقة ، وكل ما أرادته الكلمة هو توضيح القوة المطلقة المسيطرة على الموجودات التي تستطيع إلغاء الأفعال الإنسانية والنيات لمصلحة الإنسان نفسه او لمصلحة أخرى عامة وعلى أساس العدل .

---

[1] -كلبايكاني ،الإلهيات ،ص٦٩ .
[2] -محمد عبده ، شرح النهج، ١١٨/٢.
[3] -محمد عبده ، شرح النهج، ١٠٤/٢.
[4] -الصدوق،التوحيد ،ص٢٨٨ .
[5] -محمد عبده ، شرح النهج ، ٥٥/٤

وهكذا يؤكد الإمام في مجال آخر عندما يسأل عن إثبات الصانع فيقول (ثلاثة أشياء تحويل الحال وضعف الأركان ونقض الهمة)[1].

وهذه أمور تدل على الحاجة وتشير إلى المبدأ الأعلى والقدرة القاهرة الآمرة الناهية ، لان الأمر الصادر من قوى عليا بتحويل حالي أو نقض أفعالي يدلل على قوة هي اكبر مني، ويفهم من المعنى أيضا ان الدليل يعتبر ردا على اللذين يزعمون ان الأمور المتعلقة بالإنسان واعماله راجعة إلى إرادته فقط واختياره وتدبيره وليس لله تأثير في ذلك ، والدليل يتعامل مع (الأنا) بصورة مكثفة كما في ألفاظ (لما هممت، عزمت، علمت) وما أشبهه بأدلة ابن سينا في إثبات النفس.

دليل القسر

ذكرنا في دليل الفقر والحاجة ان الله عرف بقسره وقهره للأشياء ،ويأتي جمع الله للمتضادات عند الإمام علي بنحوين :

الأول: هو القهر والقسر بناء على مفهوم الحاجة والفقر ،
والثاني:هو الملائمة بقدرته بين المتضادات[2] فلقد ضاد الله سبحانه النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد ويضيف الامام مفهوم مؤلف بين متعادياتها[3] بل ان الإنسان نفسه عند الامام خلق معجونا بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة (المتوافقة) وهو أضداد متعادية واخلاط متباينة مثل الحر والبرد والبلل والجمود[4] وانه سبحانه بمضادته بين الأمور عرف ان لاضد له[5]. والإمام يريد القول ان هذه المتضادات المجموعة في شي واحد او عدة أشياء هي أدلة على الحكمة والقدرة معا .

---

[1] - المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٥/٣ وص ٥٥/٣ .
[2] -محمد عبده ، شرح النهج ١٦٦/١ .
[3] -محمد عبده ، شرح النهج، ١٢٠/٢ .
[4] - محمد عبده ، شرح النهج،١٢٠/١.
[5] - محمد عبده ، شرح النهج ،٢ /١١٩.

ويحيلنا صاحب بهج الصباغة في تفسيره كلام الإمام لمتضادات الإنسان الى النظام الذي استخدم دليل قهر الطبائع او قسرها بقوله (دليلنا على الصانع إنا رأينا أشياء متضادة من شانها التنافي والتباين وهي الحرارة والرطوبة واليبوسة في كل حيوان فعلمنا ان جامعها قسرها على الاجتماع ولولا ذلك لفسدت)[1] وقد طور المتكلم المعتزلي النظام هذه المسالة لتصل إلى حد وضعه لنظرية الكمون التي أساسها قهر الله للمتضادات على غير طبائعها[2]، والتشابه الذي نلحظه بين منهجي الفقر والقسر ،جاء من حيث ان اصلهما واحد وهو الله ، وكونه من بداية الخلق أيضا فعند الامام ان الخلق بدء بـ :

١- إحالة الأشياء لأوقاتها ٢- الملائمة بين مختلفاتها ٣- تغريز الغرائز[3].

إذن فكل الأشياء مؤلفة من متضادات وكلها محكومة بالتأليف ، محتاجة وفقيرة لله ،ولابد من جامع قادر ليجمع المتضادات ، وبمضادته بين الأمور كما يقول الإمام علي (ع)عرف ان لاضد له ، والدليل يدل على الوحدانية وعلى اثبات الله معا .

---

[1] -محمد تقي التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ،٥٨٤/١٠ .

[2] -حول هذا الموضوع انظر أبو بحر الجاحظ،الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،٥اجزاء، القاهرة،١٩٤٠م،٥/١-٣١. احمد محمود صبحي ،دراسات في علم الكلام، دار الكتب الجامعية،مصر ،١٩٦٩م، ص١٤٦ . وقارن حول وجود هذه الفكرة عند اليونان وحضورها في العالم الإسلامي ، رحيم محمد سالم، حضور هرقليطس وانكساغوراس وانباذوقليس في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ مدني صالح ،جامعة بغداد ،٢٠٠٠، ص٧٢.

[3] -محمد عبده ، شرح النهج ،١٠/١٦ .

المبحث الثاني

العدل الإلهي

ما يراد من العدل إنما هو استبعاد كل التصورات التي تتنافى مع عدله سبحانه لذا قال الامام علي -ع- معرفا ومفسرا (العدل أن لا تتوهمه)[1] أي لا تتهمه بالظلم والعبث والقبيح واجبار الخلق وعدم معاقبة الظالمين ، وهذا ما يقرره الامام من ان الله سبحانه (ارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه)[2]. وعدل في كل ما قضى[3] ومن عدله انه لا يشغله غضب عن رحمه ولا تولهه رحمة عن عقاب[4] وثنائية الرحمة والغضب او العقاب هي أحد مفاهيم العدل الإلهي ، ومع ذنوب ومعاصي العباد المتكررة فانه سبحانه كما يقول الامام وسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله [5]. وقد عالج الامام علي في نهج البلاغة مفردات كثيرة مهمة تتعلق بالعدل هي عينها او بعضها التي تتناولها المعتزلة مثل اللطف الإلهي والأمر بين الأمرين وعدم التكليف بما لا يطاق .

نفي صدور القبح والعبث عن الله

ثمة نصوص كثيرة في خطب الإمام تعتمد نفي العبث في الفعل الإلهي ، فالله لم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتاب للعباد عبثا ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا ، والقول بذلك يوجب الكفر [6].

ان نفي العبث عن الذات الإلهية وجه في النهج إلى مفهومين ،الأول بأصل الخلق بقوله-ع- (ما خلق امرؤ عبثا فيلهو والثاني أشار إلى عدم ترك الإنسان من دون مساعدة او هداية وهذا ما عناه -ع-بقوله ولا ترك

---

1 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٨/٤.
2 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١١٥/٢.
3 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٣/٢.
4 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٦٩/٢.
5 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٨٠/١.
6 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٧/٤.

سدى فيلغو)[1]. وهذا لا يعني نوعا من الحتمية الإلهية بقدر ما يعني رعاية إلهية تكون جزء من عدل الله ولهذا يقول الامام (اعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا)[2].

ويعطي الإمام القول الفصل من ان الله لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح[3] وبالتالي فان الشرور من أنفسنا وهذه الأفكار تطابق النصوص القرآنية ، ولابد من القول ان الحكم العدلي لله سبحانه كما يبينه الإمام علي ، هو حكم واحد في عالمي السماء والأرض [4]. ويمكننا الفهم بسهولة ان هذا المنطق العدلي يشمل العوالم الدنيوية ، أما عالم الآخرة فله منطق آخر هو أساس العدل أيضا . ولتطبيق مفهومي الأمر بالحسن والنهي عن القبيح ، نجد ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته [5].

اللطف الإلهي:

١- البلاء: يعتبر منطق البلاء في الدين أحد النعم الإلهية ، وهو ما يوصل الإنسان للطاعة ويبعده عن المعصية او يكون إشارة وتنبيه للإنسان ، وهي المسالة التي توازي المفهوم القرآني القائل (وضع عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا / هود –١١/٧) وما يرد عن الإمام هنا قوله (إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر)[6]. والعقاب هنا ينفع في التوبة والتذكير والترهيب وهو لطف لان نتائجه مفيدة ومن البلاء الرضا بالظلم (فليس شي ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم) [7] كما يقول الامام.

---

[1] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٨٧/٤.
[2] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥/١ أيضا ١٦٨/٢.
[3] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٣.
[4] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٣٩/٢.
[5] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٣٧/٤ أيضا راجع ٢١١/٢ وهو حول الفعل الأخلاقي لهؤلاء الادلاء .
[6] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ٢٥/٢ .
[7] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ٥٨/٣ .

ومن البلاء أيضا تغير النعمة ، وهو نزعها من أصحابها وتحويلها إلى غيرهم لانهم لم يبذلوها في ما هو خير [1]. وما من شك ان البلاء يأتي لترك الناس أمر دينهم في مقابل استصلاح دنياهم فيفتح الله عليهم ما هو اضر منه [2].

ويعبر الامام علي عن البلاء بالتعميم وكما هو حكم الله لذا قال -ع- (إنما يجمع الناس الرضى والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله العذاب لما عمموه بالرضى) [3]. أما أنواع البلاء فهي باعتبارات الامام علي اختبار لاهل الدنيا وبالاستناد إلى القران (ليعلم أيهم احسن عملا)[4]. والبلاء في النهج كالآتي:

أ-الأموال والأولاد، باختبار الخلق بالزيادة والنقصان لتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وكل ذلك لكي تظهر الأفعال من الخلق التي يستحقون بها الثواب والعقاب[5].

ب- ضيق وسعة الأرزاق ، فالله سبحانه قدر الأرزاق وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد من الخلق باليسر والعسر ولكي يختبرهم بالشكر والصبر ، سواء أكان للغنى أم للفقير[6].

ج- مشقة العباد ، ومنه وضع الله لمكان العبادة مكة في طريق قفر وليس بين الأشجار والطرق العامرة وذلك للاختبار في المشقة ، كما انه سبحانه لم يضع مجاهدة إبليس عن الناس لكي ينفي الريب من الناس ، وهذا أيضا من الاختبار بواسطة الشدائد والمجاهدات والمكارة ، بغرض إخراج التكبر من قلوب الناس وإسكانا للتذلل في نفوسهم [7] والبلاء شمل حتى الأنبياء

---

[1] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٩٩/٤ .
[2] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢٥/٤ .
[3] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٨١/٢ .
[4] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ١١٢/٣ .
[5] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٥٨/١ .
[6] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١ /١٧٧ .
[7] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٨/٢ .

والأولياء سواء بالجوع او الخوف او المجهدة والمكاره[1]. ولو شاء الله لفتح لهم الكنوز والمعادن ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء ولما وجب للقابلين أجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين[2].

د- الحزن على الدنيا ، وهو ما يؤدي الى ان يكون الفرد ساخطا لقضاء لله والشكوى من المصيبة هي شكوى من الله بمفهوم الإمام[3]. الذي يكون دواء البلاء الدنيوي عنده هو الصبر[4] وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم كانت المثوبة اجزل[5]. ومن عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها[6] ، ومن الحزن على الدنيا فقد الأبناء والذي فلسفه الإمام لرجل فقد ابنه (ان صبرت جرى عليك القدر وأنت ماجور[7] وإلا فالعكس صحيح، ومفهوم البلاء يأتي بشكل الفتنة التي ينهى الإمام عن التعوذ بها لانه ليس أحد إلا ومشتمل على الفتنة، ثم يستعيض بالاستعاذة من مضلات الفتن[8].

وهذه إشارات إلى جريان البلاء واستمراريته ، وفي كل ذلك يبقى الإنسان هو المقياس الذي يحدد فهمه وموقفه من البلاء ، والوسيلة التي يستخدمها في تجاوز البلاء هي الصبر وعلة البلاء الاختبار والتمحيص .

٢ – تأجيل العقوبة لطف من الله : من ألطاف الله إمهال العباد المذنبين في فرصة لهم للتوبة وهو ما يراه الامام بقوله (ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ولم يعاجلك بالنقمة ولم يعيرك بالإنابة ولم يفضحك .... ولم يناقشك في الجريمة ولم يؤيسك من الرحمة ... وفتح لك باب المتاب وباب الاستعتاب)[9].

---

1 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٤/٢ .
2 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٥/٢ .
3 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٥٠/٤ .
4 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٥٥/٣ .
5 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٤٦/٢ .
6 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٠٤/٤ .
7 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٧١/٤ .
8 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢١/٤.
9 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ٤٧/٣.

٣ - تعريف الخلق طرق الخلاص والعقاب :يرشدنا الامام علي الـى ان الله بين طرق الخلاص من العقوبة و هو لطف من الله لعباده فلقد كـان هنـاك امانان من عذاب الله و قد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به (كما يقول -ع-) اما الأمان الذي رفع فهو رسول الله (ص) واما الأمان الباقي فهـو الاستغفار و قال -ع- و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان معـذبهم و هم يستغفرون/الأنفال-٨/٣٣)[١]. وهذا استدلال مهم للإمام مـن الآيـة القرآنية ، فالاستغفار أحد أجزاء اللطف الالهي ، والإمام يعجب لمن يقـنط ومعه الاستغفار[٢].

عدم التكليف بما لا يطاق

يمكننا الفهم من قراءة نهج البلاغة،ان الله لا يكلف عباده بشي قبـل ان يرشدهم ويحذرهم ولا يكلف بما هو فوق طاقتهم ولا يمـنعهم صـلاحا ولا نفعا ولايترك ما يقربهم من طاعته ،فالله كما يقول الامام (انـه سـبحانه محمل كل امرؤ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة)[٣]. وهـذا ينـسجم مـع النص القرآني القائل (اللهم ولا تحملنا مـا لا طاقـة لنـا بـه/البقـرة-٢٨٦/٢).وفي قول الامام بالتخفيف عن الجهلة ، دلالة على اعتبارات العقل والفهم وعدم التكليف بما لا يطاق قبل إرشادهم وهو ما اقره -ع- متحـدثا عن الرسول(ص) بأنه مرسل الى الجن والأنـس ... ليحـذر مـن الـدنيا واسقامها وحلالها وحرامها ومبين للخير والشر والعقاب والثواب[٤].

وعدم التكليف بما لا يطاق يرتبط بحقوق الله على العباد من النـصيحة بمبلغ جهدهم[٥] ومن أساسيات هـذا اللطـف الالهـي إذن، هـو الإرشـاد والتخفيف، فالله سبحانه كلف يسيرا ولم يكلف عـسيرا[٦] والا كـان ذلـك خروجا عن العدل وهذا ما قاله -ع- عندما سئل عن معنى قول (لا حـول

---

١ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ١٩/٤.
٢ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٩/٤.
٣ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ٣٣/٢ .
٤ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١١١/٢ .
٥ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ١٩٩/٢ .
٦ -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ١٧/٤ .

ولا قوة إلا بالله) من إننا لا نملك إلا ما ملكنا ما املك به منا كلفنا ومتى ما أخذه منا وضع تكليفه عنا[1].

وهو مصداق اخر على عدم التكليف بما لا يطاق ، ويشير إلى انه سبحانه أعطى لكل فرد طاقة وإذا ما ابتلانا بأكثر من تلك الطاقة فان هذا يعتبر تكليفا بما لا نقدر وهو ما لا يفعله سبحانه وإذا قال قائل انه يقدر على هذا البلاء ، فطاقته إذن تقدر على هكذا فعل، وقول الامام وضع تكليفه عنا ، إشارة الى عدم التكليف بما لا يطاق ، ومن أوضح التفسيرات لهذه المسألة قوله –ع– من كلفك ما لا تطيق فقد أفتاك في عصيانه [2] وهي معادلة كافية لتوضيح تصوره العالي عليه السلام لهذه المشكلة .

الحسن والقبح العقليان

طرحت مشكلة الحسن والقبح العقلين عند الإغريق في مباحث الأخلاق لاثبات القيم الأخلاقية أما الفكر الإسلامي ، فانه تناول هذه المشكلة لاثبات صفات الله وافعاله ، وقد كان كل من المعتزلة والكرامية والخوارج والبراهمة وحتى الثنوية ذهبت الى القول ان الافعال منقسمة الى حسنة وقبيحة لذواتها ومنه ما يدرك حسنه وقبحه لضرورة العقل[3] فيما قالت الاشاعرة ان الحسن ما أباحه الشرع والقبح ما نهى عنه [4].

والأثر الذي نجده في نهج البلاغة وغيره من كلام الإمام علي انه سبحانه (لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح)[5] وبالاستناد إلى النص القائل كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك من رشدك)[6] الذي يفهم منه قدرة العقل على التمييز للصح من الخطا والحق من الباطل

---

[1] –محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٩٥/٤.لم أجد في القران هذه المفهوم ،بل وجدت قوله تعالى(لا قوة إلا بالله/الكهف–٣٩/١٨).

[2] –الخوانساري،غرر الحكم، ٢٢١/٧ .

[3] –الامدي(علي بن محمد /ت٦٣١هـ)الإحكام في أصول الأحكام ، ٨٠/١ .

[4] –العلامة الحلي ،كشف المراد في تجريد الاعتقاد ،تحقيق حسين زاده املي،جماعة المدرسين ،قم ،١٤١٧هـ.ق ، ص٤١٧ .

[5] –محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٤٤/٣ .

[6] –محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ٩٩/٤ .

وبالمقارنة مع قول الامام -ع- وهو يشرح خلق الإنسان (ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا)[1].

يفهم هنا ما عناه الامام بشان القبح والحسن العقليان لان منح الإنسان البصر إنما هو الفهم او العقل في سبيل ان يفهم معتبرا او يقف عند الأشياء السيئة ويبدو الحسن والقبح ملائما للفطرة التي منها إقامة العلاقات الإنسانية والاجتماعية وحب العائلة وحب الخير او الشر وأيضا يعطي أهمية للعقل كونه اقدس ما خلق الله .

ان من أدلة الحسن العقلي لزوم معرفة الله عقلا وتنزيهه عن العبث ومعرفة عدله ومعرفة أنبيائه بالعقل سواء أكانوا على حق أم مدعي النبوة ومن الأدلة أيضا ما ذكره الإمام في معرض حديثه عن خلق آدم-ع- (فنفخ فيه من روحه فتمثلت إنسانا ذا أذهان يجليها ... ومعرفة بها يميز بين الحق والباطل)[2].

وكل ذلك إشارات لا تدع مجالا للشك بان للعقل أولوية في التمييز بين القبح والحسن والى موافقة هذه المسالة للطبع والمصالح ، وتبدو مشكلة غير المناصرين للحسن والقبح العقليين كمشكلة التجريبيين الذين يرفضون غريزة سابقة او مبادئ ملهمة او طريقة ثابتة كلية للإنسان تبين له طريقه مهما اختلفت شريعته وهو ما تقره فكرة أصحاب الحسن العقلي . وما أشبه وصف الامام للإنسان الأول بان فيه المعرفة المميزة بين الحق والباطل لقول ديكارت فيما بعد بان العقل اعدل قسمة بين البشر لاثبات الإمام ان الخالق أعطى الإنسان معرفة التمييز الذهنية في اصل الخلقة .

---

[1] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ١٤٣/١ .

[2] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢١/١ .

الجبر والاختيار

كان الجهم ابن صفوان (ت١٢٨هـ) الذي ظهر بخراسان هو القائل بالجبر الخالص [١] فقد نفى قدرة الإنسان وقال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ، اما القائل بالجبر غير الخالص فهو المعتقد بالكسب والذي يفسره على أساس مقارنة بين حدوث الفعل بقدرة الله سبحانه وبين قدرة الإنسان وارادته من غير ان يكون هناك تأثير ودور لقدرة الإنسان في فعله وهو ما تقول به الاشعرية وهو ما لا يبتعد كثيرا عن المفهوم الأول[٢].

وقد ذهبت الجبرية الى القول انه لا مؤثر في الوجود إلا الله ،وهو إبطال للعقاب والثواب وتحميل الله معاصي العباد والشرور الإنسانية ولا شك ان هذا المذهب فيه إبطال أيضا للحكمة والترجيح (غاية فعل الحكيم)وعزل للعقل عن قضاياه وسد لطرق إثبات الصانع وغلق لابواب الفكر وتجويز الظلم على الله وفعل العبث[٣].

ويبدو ان دافع أصحاب الجبر كان سياسيا شجعه الحكام الأمويون لكي يبرروا فعل الشرور ثم يتنصلوا عنها ناسبيها الى الله ، فقد روى انه نازل الحسن البصري رجل في القدر ثم خوفه ذلك الرجل من السلطان ، فقال البصري لا أعود[٤].

ويشير الجبر الى حتميتين الأولى تاريخية تخص السلوك العقلي والاجتماعي وقد تمثل بالاشاعرة والثانية كونية واصحابها هم القائلون بالاتجاه المادي ومثلها الماركسيون ، وكلتا الحتميتين تؤدي الى نتائج سلبية في التاريخ العقلي للإنسان ، فالأولى تعطل إرادة الإنسان ودوره في تغيير الظروف والتاريخ والثانية تفرض وجود نظام في الكون يمنع التعديل

---

١ -الذهبي (شمس الدين/ت٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ،٤مجلدات،مكتبة الحرم المكي،مكة، ١٣٧٤هـ ، ١٥٩/١.

٢ -السيد ابن طاووس الحسني /ت٦٦٤هـ)،الطرائف،ط١،دار الخيام ،قم ،١٣٧١هـ-١٩٥١م،ص٣٠٩.

٣ -الشيرازي(صدر الدين محمد بن ابراهيم /ت١٠٥٩هـ)خلق الأعمال (القضاء والقدر)تحقيق ياسين السيد محسن،الحوادث،بغداد،١٩٧٨م،ص١٨-١٩ .

٤ -ابن سعد ،الطبقات ،صادر ،بيروت ، ١٦٧/٧ .

والتغير والتبدل ، ولهذا السبب تلقت النظرية الحتمية في التـاريخ دعمـا وتأييدا من الأنظمة المستبدة فلا مجال للغـضب والـسخط علـى أحـد [1] ويفترض مفهوم الجبر بان قدرة الإنسان لا تؤثر في فعله أما القـول بـان قدرته مستقلة في صدور فعله فهو ما يسمى بـالتفويض، وكثيـرة هـي الأسئلة التي تدور حول كيفية تلاؤم فعل الإنسان مع القدرة الإلهية والقضاء الأزلي، وقد التزم الامام علي والائمة -ع- موقفهم القائـل بـالأمر بـين الأمرين ونفي نظريتي الجبر والتفويض والتزموا بالقضاء والقدر (وان لـم يتمكن الإنسان من تصورهما).

وإذا كان الامام علي ينهى عن الخوض في هذه المسالة عنـدما سـأله سائل عن القدر ، فقد قال له بحر عميق فلا تلجه ثم أضاف بأنه بيت مظلم فلا تدخله وسر الله فلا تبحث عنه ، فانه مع إلحاح السائل أجابه -ع- (فان أبيت فانه أمر بين أمرين)[2].

وتصدق نسبة هذا الحديث بدلالة النص الذي يقـول فيـه (ان الله أمـر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرهـا ولـم يرسل عبثا)[3].

ويفصل الامام علي القول في القدر موضحا معنى(فعـل الإنـسان) او مفهوم الكسب الذي انتشر فيما بعد ،عندما سمع من يتحدث عن القدر فقال -ع- ابالله تستطيع أم من دون الله فلم يدر الرجل ما يرد، فأجابه الامام ان زعمت انك بالله تستطيع فليس لك من الأمر شي ، وان زعمت انك مع الله تستطيع فقد زعمت انك شريك معه في ملكه وان زعمت انك مـن دون الله تستطيع فقد ادعيت الربوبية من دون الله فقال السائل بالله يا أمير المؤمنين ، فقال الامام لو قلت غير هذا لضربت عنقك[4].

---

[1] -مركز الرسالة ،الأمر بين الأمرين ،ط١،قم،١٤١٧هـ-١٩٩٦م ،ص١٦ .

[2] -المجلسي ،بحار الأنوار ،١٢/٥٠ ،أيضا هادي كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة ،ص١٧٨ .

[3] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة، ١٧/٤ .

[4] -الحراني (الحسن بن علي ابـن شـعبة/ق ٤)،تحـف العقول،تحقيـق علـي اكبـر غفاري،ط٢،جماعة المدرسين ،قم ،١٤٠٤هـ-ق ،ص٢١٣ .

وتفسير هذا النص فيما يتعلق باستطاعة العباد يدل على ان قوله-
ع- انك تستطيع بالله أي على أساس ملك الله سبحانه للأشياء وآثارها وسببيته لها ومنها استطاعة الإنسان وملكه (الرجل) لفعله وبناه الامام على أساس توحيد الأفعال اما ما يتعلق بضرب عنق الرجل ، فقد بناه الامام على التوحيد أي انه لا مؤثر في الوجود إلا الله ، فكل سبب منه سبحانه[1] وحكم على الرجل بأنه لو قال غير ذلك فانه يعني الدخول في الكفر والارتداد ، والنص يفسر مفهوم الاستطاعة الإنسانية التي تكون بالله لامع الله ولا من دونه .

ان أهم ما يروى عن الامام بعد رجوعه من صفين. انه سأله شيخ عن مسيرهم الى الحرب للشام أبقضاء الله وقدره ، وعند ما أجابه الامام بنعم استنكر الشيخ وقال عند الله احتسب عنائي ظانا انه نوع من الجبر الذي يكون بلا اجر وثواب.

وقد أجابه الامام الذي أحاط بالمشكلة قائلا (أتظن انه كان قضاء حتما وقدرا لازما انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة أخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية الأمة ومجوسها)[2].

يلاحظ ان ما نهى عنه الامام في القضاء والقدر بشكله العام هو قوله-
ع- ان لا يقولوا أوكلهم الله على نفسه فيوهنوه ولا يقولوا أجبرهم على المعاصي فيظلموه ولكن يقولوا الخير بتوفيق الله والشر بخذلان الله وكل

---

[1] -الطباطبائي،علي والفلسفة الإلهية ،ص٧٦ .
[2] -الطبرسي،الاحتجاج ، ٣١٠/١ .أيضا محمد عبده ،شرح النهج ، ١٧/٤ .

سابق في علم الله [1].فكل شي كما يقول عليه السلام بقضاء الله وقدره وبغير جبر لانهم لو كانوا مجبورين لكانوا معذورين وغير محمودين[2].

ويرد الامام على المجبرة منزها عدل الله وموضحا ان الأعمال ثلاث ١- فرائض ٢-فضائل٣- معاصي .فالفرائض بأمر الله ومشيئته ورضاه وقدرته يحملها العبد فينجو من عذاب الله بها ،اما الفضائل فليست بأمر الله ولكن بمشيئته ،اما المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وقدرته ومشيئته وعلمه ثم يعاقب عليها[3].

والملاحظ ان منهج الامام في توضيح القدر هو منهج المراقبة والإرشاد فلم يمنع البحث العقلي والاحتجاج الكلامي ، فكان يراقب عليه ويوضح الإبهامات والمعضلات ، لهذا لم تظهر فرق كلامية ضالة في عهده (ع)[4].

أما الخوارج فانهم اختلفوا في السياسة وقد عمموا ذلك على الدين،وقد كانت ردوده المنطقية عليه السلام استجابة لحاجة المجتمع للفهم والاستفهام . فإذا تحتم السؤال عن القضاء والقدر في ذلك الوقت أجاب بهدوء العالم العارف (ان الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يملك مفوضا ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا)[5].

أخيرا يجب الفهم ان هذه الكلمات تركت تأثيرا في مجمل طوائف وعقائد المسلمين، ومن ذلك انه روي عن الحجاج الثقفي انه كتب الى الحسن البصري وعمر بن عبيد وواصل بن عطاء وعامر الشعبي ان يكتبوا له عن

---

1 -الطبرسي ،الاحتجاج ، ١/٣١١ .

2 -المغربي(نعمان بن محمد/ت٣٦٣هـ)،دعائم الإسلام، تحقيق اصف بن علي ،٢مجلد،مصر،١٩٦٣ م، ١/ ١٣ .أيضا قارن مع الحسن ابن سليمان الحلي(القرن التاسع)، مختصر بصائر الدرجات ،ط١،الحيدرية،النجف ،١٣٧٠ هـ-١٩٥٠م،ص١٣٦ ،وفيه أحاديث القدر المروية عن الامام علي .

3 -المجلسي ،بحار الأنوار ، ٥/٥٩ ،أيضا الحراني، تحف العقول ،ص٢٠٦.

4 -كلبايكاني ،الإلهيات ،ص١٨٢ .

5 -الكليني ،الكافي، ١/١٥٥ .

القضاء والقدر وقد أجابوا كلهم بنصوص مروية عن الامام علي واسندوها إليه، فقال الحسن البصري ان الامام علي قال أتظن ان الذي نهاك دهاك وانما دهاك اسفلك واعلاك والله برئ من ذاك، ورد ابن عبيد ان احسن ما سمعه قول الامام علي لو كان الزور في الأصل محتوما كان المزور في القصاص مظلوما ، وكتب ابن عطاء عن قول الامام ، أيدلك على الطريق ويأخذك في المضيق ، وبين الشعبي أخيرا قول الامام ان كل ما استغفرت الله فهو منك وكل ما حمدته فهو منه ، فقال الحجاج أخذوها من عين صافية[1].

البداء (نموذجا للقضاء والقدر).

البداء اصله الظهور تقول بدا لي الشيء إذا ظهر ، وتقول بدا لي في الشيء رأي فتركته لاجل ذلك والبداء لا يجوز على الله [2] والبداء الذي تقول به الشيعة الإمامية إنما يقع في القضاء غير المحتوم ولا يقع في القضاء المحتوم ، وتوضيح ذلك ان القضاء على ثلاثة أقسام :

الأول : قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه والعلم المخزون الذي استأثره لنفسه والبداء لا يقع في هذا القسم وانما ينشا منه ، وقد روي عن الامام علي والصادق عليهما السلام ان لله علمين : علما مخزونا مكنونا لا يعلمه إلا هو ومن ذلك يكون البداء وعلم علمه الله ملائكته ورسله ونحن نعلمه[3].

الثاني : قضاء الله الذي اخبر نبيه وملائكته بانه سيقع حتما ولا يقع البداء في هذا القسم، وأيضا يرد عن الامام علي قوله (العلم علمان فعلم علمه الله وملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فانه يكون ولا يكذب نفسه ولا

---

[1] -المجلسي ،البحار، ٥٩/٥ .أيضا محمود الريشهري ،ميزان الحكمة،ط٤، ١مجلدات ،قم ، ٣٦١/١

[2] -العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري/ت بعد ٣٩٥هـ)،الفروق اللغوية،ص٥٣٨ ،أيضا أبو الحسن الاشعري ،مقالات الإسلاميين ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ط١ ،مصر، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م ،ص١٠٩ ،عن البداء عند الشيعة .

[3] -الكليني ،الكافي، ١٤٧/١ ،أيضا الشيخ الصدوق ،عيون أخبار الرضا ، ١٦١/٢ ،المجلسي ،بحار الأنوار ، ٩٥/٤ .

ملائكته ولا رسله وعلم مخزون لم يطلع عليه أحد من خلقه يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء) [1].

الثالث :قضاء الله لذي اخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج إلا انه موقوف على ان لا تتعلق مشيئة الله بخلافه وهو القسم الذي يقع فيه البداء وفيه يقول الإمام (لولا آية في كتاب الله لاخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب/الرعد-١٣/٣٩)[2]. واشارة الآية واضحة إلى ان الله هو الأعلم بالأشياء ولكنه لا يطلع عليها الناس لأنها معرضة للمحو ، ويفسر الآمدي البداء في هذه الآية والحديث المروي عن الامام على انه نسخ لا بداء [3] على أساس ان النسخ يختلف عن البداء الذي تتضح خلاصته بأنه القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح المحفوظ وبأم الكتاب اما العلم المخزون عند الله فيستحيل ان يقع فيه البداء بل لا يتصور فيه البداء ، وقد قال الامام الصادق -ع- من زعم ان الله عز وجل يبدو له في شي لم يعلمه أمس فابرؤا منه[4]. كما قال الامام علي ، إن الله عنده علم ما يمضي وما مضى[5].

ويتبين ان كلام الإمام القائل (لاخبرتكم بما كان وبما يكون) يندرج تحت فهم الامام للتقديم والتأخير الإلهي المنطوي تحت القسم الثالث من القضاء الذي اخبر الخالق به ملائكته وأنبيائه بوقوعه في الخارج ، وهو القسم الذي يقع فيه البداء ، وينطلق من أساس العمل وهي مسالة متقطعة محدثة لان العمل الإنساني سيكون مختلفا صالحا كان ام شريرا فيقضي الله في الدنيا على أساس عمل الفرد في تغيير القدر (الخاص به) غير المحتوم

---

[1] -الكليني ،الكافي، ١٤٧/١ ،الشيخ الصدوق،عيون أخبار الرضا ، ١٦١/٢ .

[2] -الطبرسي ،الاحتجاج ، ٣٨٤/١ ،أيضا الصدوق ،التوحيد ،ص٣٠٥ .

[3] -علي بن محمد الامدي ،الأحكام ، ١٠٩/٣-١١٠

[4] -الصدوق،إكمال الدين ،تحقيق علي اكبر غفاري،جماعة المدرسين ،قم ،١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ،ص٧٠ أيضا المجلسي ،بحار الأنوار ، ١١١/٤ .

[5] - محمد عبده ،شرح النهج ، ١٣٣/٢ .

ومنه قول النبي(ص) (لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القضاء إلا الدعاء وان الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها)[1].

فالبداء متعلق بعمل الفرد لا ان الله بدا له ما لم يكن يعلمه ، ويشير ابن أبي الحديد قائلا ان قدماء الشيعة قالوا ان الأجال تزيد وتنقص ، فالزيادة بصلة الرحم والنقصان بعمل المنكر وقد بنوا أقوالهم على البداء[2].

والحق اننا لا يمكننا تصور ان أقدار الناس واحدة وإلا لتساوى الظالم مع المظلوم فإذا اختلفت الأرزاق والأقدار تبين ان هناك محوا وإثباتا ، والمحصلة النهائية لهذا المحو والإثبات يعرفها الله وهي في أم الكتاب الذي لم يطلع عليه أحد سوى الله وهذه الديناميكية في المحو والإثبات هي اقرب للتعامل المتغير مع المخلوق ومنه قول الامام علي (ان لله عبادا اختصهم بالمنافع والنعم فيقرها في أيديهم ما بذلوها فان منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم)[3].

فالله هو عالم منذ البدء بان فلانا لا يستحق هذه النعمة فيعطيه ثم يسلبها منه ، فلم أعطاه ولم سلبها منه؟ وهو يعلم انه لا يستحقها ، والجواب سيكون ان هذه الأرزاق جزء من الرحمة الإلهية واللطف والاختبار وبالتالي جزء من العدل الإلهي ، وجزء من القضاء المتعلق بالمحو والإثبات .

ان الدعوى الى تحليل البداء على ان الله لا يعلم ثم علم هي دعوى غير صحيحة،كما ان القول برفض البداء هو جزء من منهج وتفسير جبري، يريد جعل الإنسان يؤمن بالقدر الواحد النهائي فلا حاجة في نظرهم للاستزادة من الخير لان المحصلة النهائية ستكون قدر محتوم وهو ما يتنافى مع طبيعة نظام الحياة.

---

[1] -القزويني،سنن ابن ماجه ، ٣٥/١ أيضا ١٣٣٤/٢ .

[2] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ١٣٨/٥ .

[3] -محمد عبده ،شرح النهج ، ٩٩/٤، قارن مع د.الشيبي،الصلة بين التصوف والتشيع ، ١١٠/١.

ومع ذلك فإننا نجد أنفسنا وكأننا أمام قضاء تام هو مــن صــفات ذات الله واخر يتعامل مع المحدثات هو من صفات الفعل وكلاهما عين ذات الله امــا البداء فهو القانون الوسط بين القضاء والقدر ، أي أمر وسط مــن(الأمــر بين الأمرين) .

كلام الله

يستحيل معرفة تبيان تطور كلمة علم الكلام حتى وصولها اليوم الى ما يعرف بعلم الإلهيات عند الشيءعة وعلم الكلام جدل عقلي صرف (بدا بمشكلة كلام الله) وهو يتناول المفاهيم اللاهوتية دون العرفانية ومع ان للشيعة علم كلام ، إلا ان الشيءعة يغلب عليها الطابع الاجتهادي اكثر من الجدلي[1]. وإذا فهمنا علم الكلام على أساس الجدل الديني أو العقائدي فإن البداية ليست من مشكلة كلام الله بل من قضية الإمامة التي طال النقاش بها على اثر أحداث السقيفة مرورا بتمرد الخوارج واستدلالهم غير الناجح بالقران من ان الحكم لله ،الأمر الذي أدى الى قتال استمر حتى معركة صفين مع جدال وتحكيم .

تشير المصادر في بداية قضية كلام الله إلى الجعد ابن درهم في القرن الثاني الهجري ، وبقيت هذه المسالة طي الكتمان إلى زمن المأمون[2]. إلا ان النص الذي طرحه السيوطي أشار الى بذور هذه المسالة في عهد الامام علي ، فقد جاء رجل الى عمر ابن الخطاب وسأله هل القران مخلوق ام غير مخلوق ، فأتى به عمر الى الامام علي الذي قال ان هذه كلمة وسيكون لها ثمرة[3]. مبينا ان القضية سوف تنمو فيما بعد .

ويبدو ان المسالة كانت اقرب للسياسة منها الى المعرفة ،فإذا كان الأمويون قد قتلوا بعض خصومهم بالتفويض فان العباسين اسكتوا بعض خصومهم بمسألة خلق القران .

وروج الحكام لهذه المسالة وغيرها حتى ينصرف المفكرون عند نقد افعالهم وانحرافهم، هذا مع وجود أسباب أخرى مثل احتكاك الثقافة

---

[1] -هنري كوربان ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص١٦٩-١٧٠ .
[2] -احمد بن حنبل ،العلل ،تحقيق د. وصي الله بن محمود ،٣مجلدات ،بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ٦٨/١ ،أيضا الذهبي ،سيرة أعلام النبلاء ، ٤٣٣/٥ ،وقد قال ان الجعد بن درهم مجسم .
[3] -جلال الدين السيوطي ،الدر المنثور،ط٦، ١مجلدات،دار المعرفة،بيروت ،١٣٦٩هـ-١٩٤٥م، ٨/٢ .

الإسلامية (اثر الفتوحات او من داخل العالم الإسلامي) وهذا الاختلاط ساعد على نمو مسالة الكلام ، فقد كان يوحنى الدمشقي الذي عاش في قصور الأمويين أحد المصادر المهمة ، ودافعه كان للتشكيك في دين المسلمين من خلال مسالة قدم الله عن طريق خاص،والمعروف انه يرد في القران الكريم ان عيسى كلمة الله ألقاها الى مريم ، فان قال المسلمون أنها قديمة اثبت النصارى قدم المسيح او إذا قالوا بالنفي فهذا يعني ان كلام الله مخلوق غير قديم ، وإذ لاقت قضية انه مخلوق قبول المعتزلة لدفع الشرك عن الله ، فان المتوكل استاصلها لصالح الحنابلة[1].

ان الاشاعرة ذهبوا للقول بقدم كلام الله ،وفسروا من انه يراد بها المعاني الذهنية التي يدل عليها الكلام اللفظي وهي معاني قائمة بذاتها قديمة بقدمه اما الأصوات فهي حادثة [2] وكانت جماعة من أصحاب الحديث واكثر الزيدية والخوارج والإمامية قد قالت بان كلام الله محدث [3]. وقالت المعتزلة ان الحروف منظومة والأصوات محدثة فهو عرض خلقه الله فاذا الأعراض محدثة فان كلام الله محدث [4].

وخضعت مسالة الكلام كغيرها الى ما يتعلق برد الفعل ، فاننا نجد احمد بن حنبل مثلا يقول القران كلام الله ولا يزيد فلما قالت المعتزلة انه مخلوق زاد هو في عقيدته ان القران غير مخلوق ، فلما سئل عن ذلك قال لما زادوا زدنا ، وإذا سكتوا سكتنا [5].

والشيعة تصف كلام الله بما اسماه الله تعالى به من كونه محدثا ، فقد قال تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه/الأنبياء-٢/٢١) والذكر هو القران الكريم بدلالة قوله تعالى (وانزلنا إليك

---

[1] -السيد محمد الكثيري ،السلفية بين أهل السنة والامامية ،ط١ ،الغدير،بيروت ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م ،ص٨ . وحول محنة ابن حنبل راجع تاريخ اليعقوبي، ٢ /٤٧٢ .

[2] -الطباطبائي،تفسير الميزان ، ٣٢٦/٢ .

[3] -الشيخ محمد بن النعمان المفيد،أوائل المقالات ، ص٥٣.

[4] -القاضي عبد الجبار ،المغني ،خلق القران ، ٣/٧ .

[5] -العاملي،الانتصار ،٩ مجلدات ،ط١،دار السيرة ،بيروت ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،٣٩١/٢ .

الذكر/النحل-١٦/٤٤)[1].وهو ما أكده كلام الامام الرضا -ع- عن القران بقوله (ليس خالقا ولا مخلوقا ولكنه كلام الله)[2] . و في النهج يقول الإمام علي في مسالة التحكيم (والله ما حكمت مخلوقا ولكن كتاب الله)[3] .ويعلل الشريف المرتضى ان سبب رفض الأئمة انه مخلوق ربما لقول القران (ان هذا الا اختلاق/ ص-٣٨/٧) وقوله سبحانه (تخلقون إفكا/العنكبوت-٢٩/١٧)[4] ومن هذه العبارة للإمام نعرف ان القران غير مخلوق فيبقى التساؤل ان كان القران قديما ، وقد فصل الامام ذلك في النهج بقوله ((إنما كلامه سبحانه فعل منه (الفعل : إيجاد الشيء بعد ان لم يكن)[5] ، انشاه (الإنشاء:الأحداث حالا بعد حال بلا مثال)[6]، ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان إلها ثانيا))[7]. وهذا نفي صريح لقدم القران ودلالة على أحداثه ، وهذه مسالة طبيعية لانه لو كان قديما لكان واجب الوجود ثم ان القران يشتمل على حوادث محققة في زمن النبي(ص) بل وزماننا الى اليوم ، والإمام علي نفى أيضا كونه مخلوقا .

و من الأوصاف التي تجعل للقران صورة أشبه بالمستقلة قول الامام (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض)[8]. وإذا قلنا ان كلام الله من صفات الفعل فلانه سبحانه ان شاء تكلم أو لا مع خصوصية ان الكلام يكون للمحدثات و صورة كلام الله في منظور الامام ان الله متكلم لا بروية مريد لا بهمة[9]. ولكن هذا الكلام بلا شك بلا جوارح ولا ادوات فالله يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ[10].

---

[1] -الطوسي ،الاقتصاد ،تحقيق حسن سعيد ،قم،١٤٠٠ هـ-١٩٧٩م،ص٣٦ .

[2] -الصدوق ،الامالي،مؤسسة البعثة ،ط١،قم،١٤١٧هـ-١٩٩٦م،ص٦٣٩ .

[3] -الصدوق ،التوحيد ،ص٢٢٥ .

[4] - الشريف المرتضى (علي بن الحسين/ت٤٣٦ هـ)رسائل المرتضى،تحقيق السيد مهدي رجائي ،٤مجلدات ،دار القران ،قم ،١٤٠٥ هـ ، ١٥٣/١ .

[5] -أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ط١،جماعة المدرسين ،قم ،ص٨٠ .

[6] -أبو هلال العسكري ،الفروق اللغوية ،ط١،جماعة المدرسين ،قم ،ص٨٠ .

[7] -محمد عبده ،شرح النهج ، ١٢٣/٢.

[8] -محمد عبده ،شرح النهج ، ١٧/٢.

[9] -محمد عبده ،شرح النهج ، ٩٩/٢ .

[10] -محمد عبده ،شرح النهج ، ١٢٢/٢ .

رؤية الله ومكافحة التجسيم

قادت شبهة رؤية الله الى التجسيم ويمكن القول ان التشبيه والتجسيم هو الانحراف الذي منهجه القول برؤية الله بالعين ، وقد نفى الإمامية ومتكلميهم إمكان رؤية الله وهو رأي المعتزلة والمرجئة وكثير من الخوارج والزيدية وطوائف أصحاب الحديث الا المشبهة من أصحاب الصفة[1].

ومنهم الكرامية والحنابلة والاشعرية الذين قالوا بأنه سبحانه تصح رؤيته يوم القيامة شرعا وعقلا والمجسمة حرموا التأويل فأنكروا مجاز القران وقاموا بحمل ألفاظه على المعاني الظاهرة ويبدو انهم نفوا التأويل وجسموا ثم هجموا على روايات التنزيه بمعول التاويل .

وقد برروا التشبيه بغرابة كما يورد الذهبي ،فالتشبيه عندهم هو الاصلح لاعتقاد ظواهر العوام لانهم يستأنسون بالإثبات فمتى ما محونا ذلك من قلبهم محونا الحشمة (الخوف) فتهافتهم في التشبيه احب إلينا من إغراقهم في التنزيه لان التشبيه يغمسهم في الإثبات ،فيرجون والتنزيه يرمي الى النفي[2] ويمكن القول ان من عوامل التجسيم هو ميل العوام للتشبيه[3].

حتى ان الحشوية يجيزون العدو والهرولة على الله[4]. ومن العوامل أيضا خوف رجال الدين ان يؤدي التنزيه للتعطيل ، أيضا مفاخرتهم لليهود بان الرسول محمد (ص) رأى ربه[5].

---

1 - حول هذا الموضوع راجع المفيد،أوائل المقالات ،ص٥٧،القاضي عبد الجبار ،المغني ، ٩٩/٤ ، أيضا الاشعري، الإبانة ،مصر ،ص١٣،ابن أبي الحديد ،شرح النهج، ٢٣٦/٣ .

2 -الذهبي ، سيرة أعلام النبلاء ، ٤٤٨/١٩ .

3 -ابن خلدون،كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر،الاعلمي ،بيروت ،١٩٧١م، ٢٢٦/٦ .

4 -ابن أبي الحديد ،شرح النهج ، ٢٣٠/٣ .

5 - النووي(ابو زكريا يحيى بن اشرف/ ت٦٧٦هـ) ،صحيح مسلم بشرح النووي ،ط٢،١٨مجلد،دار الكتاب العربي ،١٤٠٧،٣٠/٤ .

كما انه لا يخفى تأثير ثقافة المسيح واليهود فبالإضافة الى قول النسطورية بحلول الكلمة في بدن عيسى -ع- فان لليهود يدا في التجسيم عند المسلمين بدا من الحبر الماكر كعب الأحبار ، والفرية جاءت من الشام لانه اتخذها قاعدة له وكان الأحبار بشكل عام مقربين من معاوية، ويذكر ان أصحاب التجسيم ينفون التأويل، وفيما بعد جاءت كلمة المتأولة مساوية للكفر[1].

ولا يخفى ان ردود الإمام علي جاءت مبكرة ، فقد فتح كعب الأحبار نفسه باب التأويل في مجلس عمر بن الخطاب والذي حضره الامام علي ، وبين كعب انه يحفظ الكثير من أحاديث التوراة وعندما سئل عن الله تعالى قال بأنه كان في التوراة قديما وقبل العرش على صخرة بيت المقدس في الهواء ثم تفل(بصق) فكانت البحار ، عندها قام الامام علي ونفض ثيابه ثم قال الصخرة لا تحوز أقطار الله ولو كانت الصخرة قديمة لكانت معه ، وإذا كانت البحار تفلته فكيف تحويه صخرة[2].

ان التجسيم انتقل من بغداد لمصر[3]. ثم انتشر بالمغرب العربي فقاومه ابن تومرت[4]. والقران أشار الى دور اليهود الذين أرادوا رؤية الله جهرة ، كما واشار الى طلب النبي موسى (ع) ان يرى الله وكانت الإجابة بالنفي (لن تراني ولكن انظر الى الجبل/الأعراف-٧/١٤٣).

---

[1] -الصدوق ،التوحيد ،ص١٧٩ ،أيضا الطبري (محمد بن جرير/ ت٣١٠هـ)،جامع البيان (تفسير الطبري) تحقيق جميل العطار ،٣٠ جزء ،دار الفكر ،بيروت ،١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ٢٥ /٦ .

[2] -المجلسي ، بحار الأنوار ، ١٠٢/٣ .وحول ردود الامام علي على تجسيم اليهود راجع ،الصدوق ، التوحيد ،ص٧٧

[3] -الذهبي ،أعلام النبلاء ، ٤٢٩/١٥ .

[4] -ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٩/٦ .

ومن المؤسف ان نرى عند أصحاب السنن أحاديث تدل على التجسيم مثل معانقة الله ومصافحته [1]. كما نجد عند علماء كبار القول بالتجسيم مثل السمناني وبعض الاشعرية وغيرهم [2]. والتي تدل على الرؤية مع ان صحيح البخاري تشير الى ان السيدة عائشة قالت :

من حدثك ان محمدا(ص)رأى ربه فقد كذب[3]. والبخاري نفسه ينفي الرؤية[4].

ولا جدال من ان الامام ينفي التشبيه والتجسيم فضلا عن رؤية الله الظاهرة فهو يقول اتقوا ان تمثلوا بالرب الذي لا مثل له او تشبهوه من خلقه او تلقوا عليه الأوهام او تعملوا فيه الفكر وتضربوا له الأمثال او تنعتوه بنعت المخلوقين فان لمن فعل ذلك نارا[5].

وقد سئل الإمام علي رجل يدعى ذعلب : يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك ،فقال الإمام ويلك يا ذعلب ما كنت اعبد ربا لم أره ، ثم يصف الإمام تلك الرؤية التي لا تشير مطلقا الى نظر العين قائلا ، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق اليمان ، ان ربي لطيف اللطافة فلا يوصف باللطف ، عظيم العظمة فلا يوصف بالعظمة ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر... ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجل لا باستهلال رؤية بائن لا بمسافة .... لطيف لا بتجسيم ... لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه[6].
ان هذا النص يقدم نفيا صريحا من الإمام على رؤية الله ويثبت الرؤية القلبية، التي سوف نتناولها في مبحث العرفان ، كما أوضح النص ماهية

---

[1] -القزويني ،سنن ابن ماجه ،تحقيق فؤاد عبد الباقي،٢مجلد ،الفكر ،بيروت، ٣٩/١ أيضا ٦٥/١ .

[2] -الذهبي ،أعلام النبلاء ، ٦٥١/١٧ .

[3] -البخاري ،صحيح البخاري ،٨مجلدات ،دار الفكر ،بيروت ، ٥٠/٦.

[4] -البخاري،صحيح البخاري، ١٦٦/٨ .

[5] -المجلسي ،بحار الأنوار ، ٢٩٨/٣ .

[6] - الصدوق ، التوحيد ،ص٣٠٨ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ٢٧/٤و٣٢ و ٥٢ و٣٠٤ .

هذه الرؤية بالتفصيل المنزه عن الجسمية والنافي للحلول بقوله (غير متمازج بها) وكشف النص أيضا ان نفوس الخلق هي من يمنع ويحجب عن رؤية الله القلبية، كل هذا و يضاف له ان القران في نصوصه ينفي الرؤية المباشرة كما في قوله تعالى(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار /الأنعام-٦/١٠٢-١٠٣) وقوله تعالى (لن تراني /الأعراف-٧ /١٤٣) والكثير من النصوص القرآنية.

ويفسر الإمام بعض الآيات التي قد توحي بالرؤية ، من خلال تأويلها ، كما في النص القرآني القائل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة القيامة -٧٥/٢٠-٢٥) وتفسير الإمام جاء ليقول بان تلك الوجوه ناضرة أي مشرقة الى ربها ناضرة الى رحمته ونعمته)[1].

ويفسر الإمام أيضا قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى/النجم-٥٣/١١) أي انه رأى بقلبه[2].

وهذا تأكيد من الإمام كما أشرنا من قبل على رؤية القلوب ، ولا يمكننا بأي حال من الأحوال تفسير قوله تعالى (على العرش استوى /طه-٢٠/٥) من دون التأويل وإلا دخلنا في شبهة التجسيم والتشبيه . وفي نهج البلاغة نصوصا كثيرة تنفي رؤية الله ، فالله (لا تدركه أوهام القلوب فكيف بأبصار العيون)[3].

والله هو الرادع أناسي الأبصار عن ان تناله او تدركه [4] وهو سبحانه (لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر)

---

[1] -محسن الفيض الكاشاني /ت١٠٩١هـ) تفسير الصافي ،تحقيق حسين الاعلمي ،ط٢،٥مجلدات ،مكتبة الصدر ،طهران ،١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ٥ /٢٥٦ .

[2] -الطوسي (محمد بن الحسن/ت٤٦٠هـ)التبيان في تفسير القران،تحقيق احمد حبيب العاملي، ط١،١٠ مجلدات،طهران ١٤٠٩، ٩/٤٢٤ .أيضا المجلسي،بحار الأنوار ، ٤/٥٤ .

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ١/١٦٢ .

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ١/١٦١.

(1).ومن كل الأحاديث السابقة نجد ان الامام لم يعطل ولم يشبه فهو -ع- يقول (لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته)(2). فالعقول وان كانت غير مأذونة في تحديد صفة الخالق (كونها قاصرة) فإنها غير محجوبة تماما عن معرفته او رؤيته بالرؤية القلبية غير المجسمة ولا المشبهة.

ردود الامام علي على الملل والنحل

حارب الإمام علي وكافح التجسيم والمجسمين وطوائف منحرفة أخرى مثل المشركين والدهرية والمجوس وحارب آراء اليهود والنصارى المنحرفة ولا غرابة ، فالقران تولى الرد على كل هؤلاء ولا يعقل ان يتولى القران الرد على هؤلاء جميعا ما لم يكن هناك تأثير لهذه المعتقدات بين العرب بشكل يصل فيه الى حد الفهم والمدارسة والمجادلة (3) . ويفصل الامام بعض الملل في خطبه وهو ما يخص بعثة الرسول (ص) بقوله ان بعثة الرسول جاءت الى الناس وهم يومئذ ملل متفرقة واهواء (آراء) منتشرة وطوائف (مسالك) مشتتة ، ويقسم الإمام تلك الملل إلى 1-مشبه لله بخلقه 2-ملحد في اسمه 3- مشير إلى غيره(4) والطائفة الأولى هم النصارى والصابئة والثانية هي الدهرية والثالثة هم عبدة الأوثان والكواكب(5).

وبالإضافة إلى التقييم والتصنيف العملي نجد المعرفة الواسعة في علم اجتماع الناس، ويضاف إلى ذلك الرد على المعطلة ، وهم الذين أنكروا الخلق والبعث والإعادة وقالوا (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر / الجاثية-45/24)وهؤلاء هم الدهرية(6) الذين يرد الإمام عليهم بشكل عام قائلا (الويل لمن أنكر المقدر وجحد المدبر ، زعموا انهم

---

1 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، 2/115 .

2 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، 1/99 .

3 -د.يحيى هويدي،دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،ص25 .

4 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، 1/25 .

5 -البيهقي(علي ابن زيد / ق6هـ) معارج نهج البلاغة ،ط1،قم،1409هـ - 1988م،ص72 .

6 -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،1/118 .أيضا هويدي ،دراسات ،ص126 .

كالنبات ما لهم زراع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجئوا إلى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما وعوا، وهل يكون بناء من غير بان أو جناية من غير جان)[1].

ان الإمام يرد هنا بقانون السببية والعلة والمعلول على الدهرية ويتهمهم بأنهم ادعوا من غير حجة واعتقدوا وتيقنوا بمبدأ دونما تحقيق وبحث ، ويروي الامام الصادق -ع- موضحا ان الإمام علي فسر قوله تعالى (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون/الأنعام-٦/١)من انها رد على ثلاثة أصناف هم ١-الدهرية الذين قالوا ان الأشياء لا بدء لها وهي دائمة أما قوله وجعل الظلمات والنور فهي رد على الثنوية الذين قالوا ان النور والظلمة هما مدبران الأشياء اما نهاية الآية فهي رد على مشركي قريش من العرب الذين جعلوا الأوثان آلهة[2].

وذكر القران من أنكر البعث والحساب واستنكارهم لاحياء العظام ،ومنهم من اقر بالخالق زلفى وأنكر الرسل وعبدة الأصنام وهم مشركي العرب ،وكان من العرب من يعتقد بالتناسخ وتناقل الأرواح في الأجسام ، ومن هؤلاء أرباب الهامة التي قال عنها الرسول(ص) لا عدوى ولا هامة [3]وكان في العرب مشبهة ومجسمة ولهم عدد كبير من الأصنام أما الصابئة فكانت لهم معرفة بالأنواء والنجوم وهم يقدسونها[4].

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ١١٨/٢ ،قارن مع الطبرسي ،الاحتجاج ، ١٤/١ ،حول مجادلة الرسول (ص)للمنكرين والمشركين.

[2] -الطبرسي ، الاحتجاج ، ١ /٢٥ ،أيضا علي بن زيد البيهقي ، معارج نهج البلاغة ،ص٧٢،وقد قال ان من الدهرية عقبة ابن معيط القائل ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ،أيضا الكليني،الكافي، ١٣٧/١.

[3] -ابن ابي الحديد ،شرح النهج ، ١١٨/١-١١٩ .

[4] - ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،(عربي،فارسي) ،٢١ مجلد،ط٤،طهران ،١٤٠٠هـ-١٩٧٩م ، ١٧١/٢ .

ويروى عن أمية بن أبي الصلت انه يقول ان الله على العرش من جهة العلو مماس له من الصفحة العليا ولا تجوز عليه الحركة والانتقال[1].

ونجد في القران وصفا لليهود والنصارى المجسمة والمشبهة ،فقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كما يصف الصابئة بأنهم عبدو الملائكة والمجوس عبدوا الشمس والقمر واثبتوا اصلين هما النور والظلمة[2]. فلا مجال إذن لنفي هذه الفرق في زمن الإمام او حتى إنكار الأسئلة المتعلقة بالخالق ،فقد كانت اغلب أسئلة اليهود للإمام تبحث عن تجسيم الله ،كما في قولهم كيف هو ربنا ،او صف لنا ربك ، وكانت أجوبة الإمام تتنوع والتي منها قوله ، إنما يقال متى كان لمن لم يكن ثم كان[3].

ان هذا الجواب يقوم على تحريك الاستدلال العقلي ، أما الطريقة الحسية ، فهو الجواب الذي طرحه -ع- لسائل نصراني أراد معرفة وجه الله ، فاضرم له الإمام نارا وقال له أين وجهها ، فقال النصراني، لا اعلم ، فقال الإمام ،هذه النار مديرة مصنوعة لا تعرف وجهها وخالقها لا يشبهها ولله المشرق والمغرب (فأينما تولوا فثم وجه الله /البقرة-٢/١١٥)[4].

ويرد الإمام أيضا على جاثليق النصارى السائل أين الله؟ قائلا له بان الرب لا يوصف بمكان ويتساءل النصراني عن حملة العرش محاولا إثبات الله في مكان ما وتجسيمه فيرد الإمام ان الملائكة تحمل العرش كهيئة السرير ولكنه شي محدود مخلوق مدبر والله مالكه والله ليس عليه مثل الشيء على الشيء[5].

---

[1] -الخوئي ،منهاج البراعة ، ٢/١٧٣ .
[2] -الخوئي ،منهاج البراعة ، ٢/١٧٣.
[3] -المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ،١/ ٩٦ .
[4] -المجلسي ،بحار الأنوار، ٣/٣٢٨ .
[5] -الصدوق ،التوحيد،ص٣١٦ .

و للإمام دراية بفرق اليهود والنصارى وغيرها فهو يقول ان اليهود افترقت إلى ٧١ فرقة واحدة هي الناجية وهم اتباع يوشع بن نون ، وافترقت النصارى الى ٧٢ فرقة واحدة هي الناجية ،هي ما اتبعت شمعون وصي عيسى[١].

ومما يدل على هذه المعرفة بالفرق قوله -ع- (ولا هامة نفس اضطرب فيها وهو الرد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة ولهم فيها خبط طويل كما يقول ابن ابي الحديد ، الذي يضيف انه الأمر الذي يدل على صحة ما يقال عن الإمام من انه كان يعرف اراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها)[٢].

وقد وجه الإمام نقدا عمليا حادا الى القدرية لما سئل عنهم فقال استتبتهم وإلا ضربت أعناقهم[٣].

ووصف البصرة بان فيها الداء الدوي والذي عندما سئل عن ما يعني بذلك أجاب-ع- كلام القدري الذي فيه نزلت الفرية على الله[٤].

وانتقد الإمام أيضا أصحاب الرأي والقياس فهو يقول (من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس ، و من دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس)[٥].فعنده ان الأمة تهلك إذا افتتن الناس بالرأي فتركوا الآثار فضلوا واضلوا[٦].

---

١ -المحمودي(محمد باقر)نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ،ط١، ٨ مجلدات ،التعارف،بيروت، ،١٣٧٩هـ-١٩٦٨م، ٤٣١/٣ .

٢ -الحديد،شرح النهج ،٨٠/١٠ ،وفيه ان الثنوية تقول ان همامة من ارادة النور الأعظم كانت مضطربة وغزت الظلمة فكونت العالم .

٣ -الحلي (الحسن بن سليمان ،مختصر بصائر الدرجات ، ،النجف،١٩٥٠م ،ص١٣٦ .

٤ -محمد تقي التستري ،بهج الصباغة ، ٢٣٩/١ .

٥ -الكليني،الكافي، ٥٧/١ .

٦ – الطبرسي(حسين النوري/ت١٣٢٠ هـ)،مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ،ط٢، ١٨ مجلد ،مؤسسة آل البيت لاحياء التراث،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م ، ٣٠٧/١٧ .

ويروي الإمام علي قول الرسول(ص) (ما دل على ديني من استعمل القياس في ديني)[1]. كما ان الإمام علي انتقد الغلو والمغالين بقوله هلك في اثنان مبغض قال ومحب غال [2] . وقال -ع- إياكم والغلو فينا قولوا انا مربوبون واعتقدوا فينا ما شئتم[3].

كما انتقد الإمام الخوارج او الحرورية (نسبة الى حروراء) فوصفهم بالاخسرين أعمالا[4].

وللمرجئة نصيب من النقد فقد قال -ع- عنهم (يحشر المرجئة عميانا إمامهم أعمى فيقول بعض من يراهم من غير امتنا ما تكون أمة محمد إلا عميانا فاقول لهم ليسوا من أمة محمد لانهم بدلوا فبدل ما بهم ، وغيروا فغير ما بهم)[5].

---

1 -الصدوق ،التوحيد ،ص٦٨ .
2 -عبده ،شرح نهج البلاغة ،٢٨/٤.
3 -الخونساري ،غرر الحكم ، ٢٩٧/٧ .
4 -المحمودي،نهج السعادة ، ٥٤١/٢ .
5 - الصدوق ،علل الشرائع ، ٦٠٢/٢ .

الفصل الثالث

المبحث الاول:

***العالم عند الامام علي (ع)**

***خلق الانسان (المادة والصورة)**

المبحث الثاني:

السماء

المبحث الاول
العالم عند الإمام علي (ع)

خلق العالم من العدم

يمكن اعتبار نهج البلاغة شارحا أو مفسرا للكثير من الأمور المهمة ومنها الاتجاه الطبيعي وما بعد الطبيعي فقد أوجز في توضيح خلق السماء والعالم وما يتبع ذلك، وأيضا خلق الإنسان، و كان أسلوبه في الطرح يبنى على الكليات المعرفية، والمتأمل يدرك ان هناك آراء أخرى تتعلق بمادة الكون وخلقه من العدم وفناء الأشياء والسببية وحركة الأرض والأفلاك وغير ذلك من المسائل المهمة التي تفترش نهج البلاغة والتي تبدو هي الأخرى بحاجة الى شارح لأنها أفكار عالية، ولهذا السبب نجد شراح نهج البلاغة يتزايدون باستمرار .

وفيما يتعلق بالخلق، يلاحظ وبوضوح ان الله سبحانه هو القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الإمام في كل كلماته ومنها(خلق الأشياء)وهي عملية مهمة وظف الإمام لها ألفاظ عديدة منها الإنشاء، الإحداث، الإبداع ، والخلق والفعل والجعل والصدور، ويمكن التطرق لهذه المعاني على النحو التالي:

١. الإنشاء: يقول الإمام علي(انشا الخلق انشاء ،وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها[١]) والإنشاء هو الإحداث حال بعد حال من غير احتذاء مثال وقيل الإيجاد من غير سبب[٢] والمراد بالخلق هنا الكون او (الموجودات) وانشاه وابتدأه بمعنى أوجده على غير مثال سابق[٣]. والنص الذي طرحه الإمام من الروية والتجربة والحركة والهمامة عنى به نفي الكيفيات عن الله،لأنها من شرائط علوم الناس وافعالهم كما يورد ميثم البحراني ،فلا يصح ان يكون إيجاد العالم موقوفا على شي منها ،فالروية هي عملية تفكير لاستخراج

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٦٥ .
٢ -أبو هلال العسكري،الفروقات اللغوية،ص٨٠.
٣ -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة،١/٢٨ .

معلوم من مجهول والتجربة هي الحكم على أمر بواسطة المشاهدة المتكررة ، اما الحركة فمن خواص الأجسام وتبقى الهمامة فهي ميل نفسي مثل الحزن والتألم ، ويضيف البحراني ان الإمام أردف الروية بالإحالة والتجربة بالاستفادة والحركة بالإحداث والهمامة بالاضطراب النفسي لتنفي الكيفية عما هو ليس لذاته المقدسة[1].

٢. الإحداث: ويتجلى في النهج بقوله -ع-(الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته)[2] والإحداث هو الإخراج من العدم إلى الوجود وعلى هذا فان الإمام يميز الله بكونه كائنا لاعن حدث وموجودا لاعن عدم [3] وكأنه قال -ع-موجود غير محدث ،مشيرا بذلك الى وجوب وجوده ونفي إمكانه[4] وانه أزلي أما ما عداه فمحدث .

٣. الإبداع : ان البديع والمبدع كلاهما واحد وتعني منشئ الأشياء على غير مثال او الإيجاد لا لعلة[5] وقد أعلن الإمام ذلك من ان الله ابتدع الخلق لا على مثال سابق ولم يكن ذلك الفعل من خالق كان قبله[6]. خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن ذي حركات [7] والله سبحانه ابتدع الخلائق بعلمه وانشاهم بالحكمة[8].

ان منشا صدور الأشياء عن الله في مفهوم الإمام علي هو المشيئة الإلهية وبحسب قوله (ع) (إنما صدرت الأمور عن مشيئته)[9] وصدور الأمور والأشياء على هذا النحو خاضع لسلسة متصلة لإيجاد الأشياء

---

[1] -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،١٣٤/١ ،وانظر مغنية،المصدر السابق،٢٨/١ .

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣٩/٢ .

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦/١ .

[4] -ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،٧٩/١ .

[5] -أبو هلال العسكري،الفروق اللغوية،ص١٣٧ .

[6] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦٣/١ . وأيضا ١٦٥/١،لقول الإمام ان الله ابتدع عجائب الأمور بلا شريك أعانه سبحانه .

[7] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٧٠/٢.

[8] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٣٣/٢ ،أيضا ١١٣/١ ،وانظر ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة ،١٣٧/١،حول كيفية تعلق علم الله بالأشياء قبل وجودها .

[9] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦٥/١ .

مفادها ان المشيئة قبل الإرادة والإرادة قبل القدر والقدر قبل القضاء والقضاء قبل الإمضاء (والإمضاء هو خلق الأشياء)[1] ولا تعني كلمة الصدور بالتأكيد المفهوم الذي جاء فيما بعد في الفلسفة الإسلامية والمعروف بنظرية الصدور الإسلامية او نظرية الفيض.

٤-الفعل او الفاعل: ومن ذلك في النهج(فاعل لا بمعنى الحركات والآلة)[2] وقصد بذلك إبداع الخلق بلا توسط مادة او آلة او زمان ، بل على سبيل الاختراع[3] وكيفية الفعل تكون بقوله تعالى (كن فيكون) لا بصوت او نداء يمكن سماعه لان كلامه سبحانه ما هو إلا فعل انشاه ولم يكن قديما لانه لو كان قديما لكان إلها ثانيا [4] من ما تقدم يفهم ان الأشياء محدثة في نظر الامام، ولم نجد كلمة إيجاد في كلام الإمام ،واساس الخلق عند الإمام كان التقدير والتدبير والإحكام واللطف من الله تعالى ، ويتبين جليا ان الإمام علي بإقراره بوجود الصانع الحكيم يستبعد تماما حدوث الكون والخلق والأشياء بنظام الصدفة .

وقد أشارت المذاهب التي تبحث في اصل العالم سواء أكانت اليونانية أم الإسلامية(متكلمين وفلاسفة)إلى عدة آراء منها القائل بقدم العالم فقط ولا وجود للخالق ومنها ما أشار إلى قدم العالم مع الله ونظرية تشير إلى الفيض، وان العالم فاض عن الله وهناك القائلين بالخلق من لا شي لا فيضا ولا أزلا [5].

---

[1] -أبو هلال العسكري،الفروق اللغوية،ص٣٧ .

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦/١.

[3] -محمد بن الحسين البيهقي الكيذري، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،ط٢، امجلد،قم ،١٤١٦هـ ،١٢٦/١.

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢٢/٢.

[5] -د.حسام محي الدين الالوسي،حوار بين الفلاسفة والمتكلمين،ط٢ ،بيروت،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م،ص١٣.

والإمام علي باعتباره مرحلة بين هاتين المرحلتين قد بين وجهة نظره فيما يتعلق بخلق العالم والأشياء مقررا ان الله لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ولا من أوائل أبدية[1]. وهذا نفي صريح لكون العالم قديما.

وإذ نلحظ في هذا النص وكأنه نقد ا واضحا للقائلين بقدم المادة على صورتهم البسيطة في زمن الإمام علي ومنهم الدهرية الذين ذكرهم القران والقائلون بقدم الطبيعة، فان نصوصا ترد عن الإمام في الخلق من عدم ، ومنها قوله (كل صانع شي فمن شي صنع والله لا من شي خلق ما صنع)[2].

وأيضا قوله (الذي لا من شي خلق ما كون)[3] ويلاحظ ان هذا النفي القاطع للخلق من شي يوافقه النفي القاطع لوجود أمثلة لهذا الخلق قبل خلقه بكل أشكاله ، ونحن هنا أمام (مفهومين للعدم ، الأول ان المادة من لاشي والمفهوم الآخر هو ان الأشكال والصور أيضا من لاشي او من العدم) وإذا كانت المادة واحدة فان الملايين من الأشكال خلق الله صورتها من العدم، والله هو خالقها بلا مثال كما قال الإمام من قبل ولعل العجب يكمن في خلق الأشكال والصور من العدم لا من مادة الأشكال .

وعلى أي حال فان قول الإمام بالخلق من عدم هو لتنزيه الله من وجود شي معه او قبله او بعده[4]. فالله في النهج ،كائن قبل ان يكون هناك كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس [5] وهذه كلها مستحدثة أما الله فهو أزلي .

---

[1] - المجلسي ،بحار الأنوار،٢٨/٥٤،الذي يقول ان ذلك رد على ما زعمه الحكماء القدماء من ان الهيولى قديمة ،وانظر محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٦٦/٢.

[2] -الكليني،الكافي،١٢٠/١،وقد نقل ذلك عن الامام الرضا-ع-،وقارن فيما يخص الخلق من لا شي في القران مع ،محمد جواد البلاغي ،الرحلة المدرسية،ط٢،٣ أجزاء، دار الزهراء،بيروت ،١٤١٤هـ -١٩٩٣م،٤٢٢/٣.

[3] -القمي(علي ابن ابراهيم ت٣٢٩هـ)تفسير القمي،تحقيق الطيب الجزائري،ط٣،قم،١٤٠٤هـ،١/١.

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٤٨/١ و١٨٦/١ ،أيضا ١٩٤/١ .

[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٠٥/٢ .

اذن الله سبحانه خلق كل شي من العدم ،والألفاظ التي وردت عن الإمام ومنها الإنشاء والاحداث والابداع والخلق ،إنما تدل على الاخراج من العدم الى الوجود .

ويفسر الكليني قول الإمام (لا من شي كان ولا من شي خلق ما كان) بأنه نفي لمعنى الحدوث وأيضا هو إبطال لقول الثنوية الذين زعموا انه لا يحدث شي إلا من اصل ولا يدبر الا باحتذاء مثال ، فدفع الإمام بقوله هذا جميع حجج الثنوية القائلين لا يخلوا الخالق ان خلق الأشياء من شي او من لا شي[1]. ويبدو ان لفظ الثنوية كان يتسع بحيث يطلق على القائلين بالنور والظلمة او بالقدم والمادة.

ومن جهة أخرى فان هناك كلمات للإمام تشير الى مسالة حدوث العالم زمانا وهي بالتأكيد تتوافق مع قضية خلق الأشياء من العدم[2].

ويبرز الدليل الأول من خلال قول الإمام السابق لم يخلق الأشياء من أصول أزلية.
اما الثاني فتمثل بقوله-ع- لا تجري عليه(الله) الحركة والسكون ،وكيف يجري عليه ما هو أجراه (الأشياء،ومنها العالم)ويعود فيه ما هو ابتدأه ويحدث فيه ما هو أحدثه .

ويضيف الإمام ان النتائج سوف تكون كالتالي :
١-إذا لتفاوت ذاته ٢-ولتجزا كنهه ٣-ولامتنع من الأزل معناه٤- ولكان له وراء إذا وجد له أمام ٥- ولالتمس التمام إذا لزمه النقصان٦- وإذا لقامت اية المصنوع فيه٧- ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه ٨- وخرج بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره الذي لا يحول ولا يزول[3].

---

[1] -الكليني ،الكافي،١٣٦/١.
[2] -انظر في هذا المجال قاسم علي احمدي،وجود العالم بعد العدم عند الامامية،ط١، قم،١٤٢٢هـ، ص١١١.
[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢١/٢.

فناء الأشياء

توجب التطرق لفناء الأشياء في فكر الامام على كجزء من مبحث الطبيعيات والملاصقة لموضوع الخلق من عدم ، ويعرف ان المتكلمين رفضوا مفهوم انتهاء العالم في المستقبل وفنائه بحيث يصير الله وحده كما كان[1] ومهما يكن تفسير المتكلمين الذي قد يكون نجم عن تصور ان القول بالفناء يوحي بالعبث في فعل الله فرفضوا الفناء ، فان الإمام أبدا قبل المتكلمين وجهة النظر القائلة ان الله هو المفني لها (الأشياء) بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها[2] وبين الإمام ان الله يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شي معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان ، وان الآجال والأوقات تعدم وان السنين والساعات تزول فلا شي يبقى إلا الواحد القهار[3].

وبقياس منطقي بين الحالتين يتضح انه قبل ابتداء الأشياء ، كان الله وحده لاشي معه فلا وقت ولا حين ولا زمان وهي مسالة جاءت من الاستدلال بالحالة الثانية وهي فناء الأشياء بدلالة قول الإمام (كما كان كذلك يكون) ويتضح وصف الامام لله سبحانه بأنه سيعود بلا أزمنة ولا مكان فعندها تعدم (تصبح معدومة) الآجال والأوقات والسنين والساعات ولا يبقى الا الله .

ومن هذا الحديث يمكن التساؤل هل خضع الله للأزمنة والاوقات نتيجة لخلقه المحدثات المرتبطة بالزمان والمكان وبخاصة مع قول الإمام (يعود بعد فنائها بلا وقت ولا مكان) والمشكلة التي تطرح في كلام الإمام نفسه يجاب عليها بنفس كلام الإمام بان الله لا تصحبه الأوقات، وان كونه سبق

---

1 -الخياط ،الانتصار ،نشرة ليبزج ،القاهرة،١٩٢٥م ،ص١٩-٢٣ وما بعدها ،وانظر ابن حزم ،الملل والنحل ،القاهرة،١٩٥٩م ١٠/١٩-٢٠ . والالوسي ،حوار بين الفلاسفة والمتكلمين،ص ٢١ .

2 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٢٤ .

3 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٢٥.

الأوقات ووجوده سبق العدم و أزله سبق الابتداء [1] اما ضرورة وجود الله سبحانه مع الموجودات ذات الزمان فلان الله خالقها ومع هذا فالله لم يحلل في الأشياء حتى يمكن القول انه كائن معها ولم يبتعد عنها فيكون مفارقا لها [2] ونحن مع كلام الإمام هذا نقف في وسطية والتي منها قوله (لا ان الأشياء تحويه او تقله او تهويه (تجعل له هوية)... ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج[3] فالعملية اذن عملية تدبير للأشياء (تلك التي يرافقها الزمان والمكان) وإحاطة بها ، ولكن من دون الحلول او الولوج او المخالطة.

مما تقدم لابد من الاعتراف بان طرح فكرة فناء الأشياء تدل على التنزيه واقامة الحاكمية العليا لله وهو أمر يرد في القران الكريم بقوله تعالى (كل من عليها فان/الرحمن-٥٥/٢٦) وأيضا قوله تعالى (كل شي هالك إلا وجهه/القصص-٢٨/٨٩) وهنا يمكن الإجابة على تخوف المتكلمين القائل ان فناء الأشياء قد يؤدي الى العبث ولكن إجابة الإمام واضحة من ان الله عند فنائه للأشياء بعد تكوينها،لم يكن لسام من تدبيرها ولا لراحة أو ملل من طول بقائها فأسرع الى إفنائها ، بل انه سبحانه يعيدها بعد فنائها لا لحاجة او استئناس او عدم معرفة [4] وهي أسباب كافية لدفع العبث عن فعل الله .

نشاة الكون

تطرقت الخطبة الأولى من نهج البلاغة، والتاسع والثمانين والمائتين وتسع والمائة واربع وثمانين ،للنظرية كلية عن نشوء الكون [5] ففي الخطبة الأولى يقول الإمام (ثم انشا سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكائك الهواء فاجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع (المزعزعة) القاصفة فأمرها برده وسلطها

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة٢/١٢٠.

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ١ /١١٣ .

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ٢، /١٢٢ .

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ٢، /١٢٥ .

[5] - حامد حفني ،نهج الحياة،ص١٠٦.

على شده وقرنها الى حده، الهواء من تحتها فتيق (منبسط) والماء من فوقها دفيق)[1].

وظاهر قوله -ع- ان لفظة فتق الأجواء تعني ان الفضاء او الفراغ الذي تحصل فيه الأجسام قد خلقه الله من العدم ولم يكن موجودا من قبل وتدل عليه لفظة الإنشاء التي هي الخلق من عدم وهذا يقتضي كون الفضاء شيئا[2].

فالفضاء الواسع انشا الله فيه احياز (أجسام العالم)[3] وهو مخلوق من العدم. وترد نصوص عن الامام من ان أول ما خلق الله النور اما السماوات فمن بخار الماء[4].

واستكمالا للنص السابق فان الامام يعني بفتق الأجواء شقها وشق الأرجاء وسكائك الهواء ، فاجرى فيها ماء متراطما تياره متراكما وجعل ذلك فوق الريح .ويلاحظ ان مفردات (الأجواء والأرجاء والهواء كلها تشير الى الفراغ او الفضاء وهذا كله محدود متناه لانه مخلوق ولهذا قال الإمام (من حيث ان له أبعادا ثلاثا) بالأجواء والتي تعني العلو ، والأرجاء وتعني الأطراف، أما السكائك فهي الطبقات[5] وإذا فالماء هو الخلق الأول قد جاء من العدم ، وقد روي عن الإمام انه اقسم بالله الذي خلق السماء من دخان وماء[6]، وهو يطابق النص القرآني القائل (وجعلنا من الماء كل شي

---

1 -عبده ،شرح نهج البلاغة،١/١٧.

2 -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،١/٨٤ .وانظر محمد الحسيني الشيرازي ،توضيح نهج البلاغة ، ٤مجلدات،طهران،بلا تاريخ،١/١٩.

3 -ميثم البحراني،اختيار مصباح السالكين،ص٦٥ .وقد سمى الفراغ بالخلاء كما في عرف المتكلمين .

4 -الصدوق،علل الشرائع،٢/٥٩٣.

5 -مغنية،في ظلال نهج البلاغة،١/٣٥ .وانظر الراوندي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،١/٥٥.

6 -المجلسي ،بحار الانوار،٦٠/ ١٧٠، ايضا٥٧/٨١ .وفيه ذكر قول الامام علي ان الأرض خلقت من زبد الماء .وفي ٦/١٤٧ أورد المجلسي عن النبي(ص)قوله خلقت السماء من الموج المكفوف من دخان وماء .

حي/الأنبياء-٢١/٣٠) وأيضا مطابقا لما جاء في التوراة والانجيل[1] فكل شي إذن من الماء المخلوق في الفضاء وكل ذلك من العدم.

ثم يقول الإمام ان (الماء حمل على متن ريح قوية عاصفة تلمه إلى بعضه وتحجزه عن الانتشار والاندثار وهي ريح اعتقم مهبها(محكومة) وادام مربها واعصف مجراها وابعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار .فمخضته مخض السقاء ، ترد أوله إلى آخره وساجيه إلى مائره. ويشير الإمام في هذا النص الى خلق نوعين من الريح الأول الحاملة للماء والثانية ريح عقيم من نوع آخر سلطها على ذلك السائل من جهة واحدة فبدأت بتصفيته وإثارته حتى مخضته وبعثرته في أنحاء الفضاء كالدخان ، فالريح العقيم حولت السائل الى غاز كالدخان انتشر في الفضاء فكانت منه السماوات اما الزبد الذي تشكل على سطح السائل فقد خلق منه الأرض[2].

وفسر ميثم البحراني وظيفة الريح بأنها تقوم بحفظ وضبط الماء ، وفسر خلق الريح الثانية بأنها لاجل تموج ذلك الماء ، وقد أرسلها مقدارا مخصوصا على وفق الحكمة لا مطلقا وسلطها على ذلك التموج ، وتم تصفيته بالمخض فلما قذغ الزبد رفعه الله تعالى في الفضاء وكون السماوات العلى منه [3] وتظهر وجهة نظر ابن أبي الحديد مخالفة للبحراني فيما يتعلق بتفسير خلق السماوات من الزبد واوضح ان الضمائر ترجع الى الماء لا الى الزبد ، فان أحدا لم يذهب الى ان السماء مخلوقة من زبد الماء وانما قالوا انها مخلوقة من بخاره ، فالريح العاصفة بأمر الله صنعت بخارا وزبدا خلق من الزبد أرضا[4] وهو ما تؤكده بقية الخطبة بقوله عليه السلام

---

[1] -الكتاب المقدس ،العهد القديم والجديد ،مجمع الكنائس الشرقية، ٢مجلد،ط٢ ،بيروت، ١/ ٣ .

[2] -ابن ابي الحديد،شرح النهج، ١/ ٨٧-٨٩ ،وانظر محمد الحسيني الشيرازي توضيح نهج البلاغة ، ١/ ١٩-٢٠ .

[3] -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة، ١/ ١٣٨ ،وانظر اشارته في الجزء الاول ص١٣٩ الى القول بان الماء اصل الاشياء انما هو قول طاليس المالطي وبولونوس الحكيم ،ويورد البحراني ان طاليس أخذه من التوراة.

[4] -ابن أبي الحديد ،شرح النهج، ١/ ٨٧-٨٩ ،أيضا حامد حفني،نهج الحياة،ص١٠٦-١٠٨ .

(ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه (الماء) سبع سماوات).

وتؤكد روايات عن الإمام انه سئل عن خلق السماوات فقال من بخار الماء اما ما يتعلق بخلق الأرض فقال من زبد الماء ، والجبال قال انها خلقت من الأمواج اما السماء الدنيا فمن موج مكفوف[1].

ان خلق الكون من الدخان لا يبتعد كثيرا عن تفسير علماء الطبيعة وان كانوا لم يحددوا الى اليوم التفسير العلمي النهائي لمبدأ الكون ، فقد قالوا بالانفجار العظيم في كتلة المادة الأولى للكون والتي لم يعرفوها وقالوا ان الكون بدا من السديم الغازي او الضباب الرقيق[2] ومع التذكير بالآية الكريمة القائلة(ثم استوى إلى السماء وهي دخان/ فصلت-٤١/١١) فانه يمكن الجمع بين مفهوم الدخان في الآية من انه بخار الماء المتصاعد من الماء بسبب تموجه وشدة حركته[3]. ويبقى ان طرح الإمام هذا ينفي تكون الأرض من الشمس ، ويطرح مفهوم ان الأرض تكونت قبل السماوات ، ومن هنا يقول ابن أبي الحديد ان عدم تعرض الإمام-ع- إلى خلق الأرض بعد السماوات دليل على خلق الأرض قبل السماوات واستدل المفسرون على هذه الحقيقة بقوله تعالى (قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين/فصلت-٤١/٩) ثم قال سبحانه بعدها (ثم استوى إلى السماء وهي دخان/فصلت-١٤/١١)[4] ومنه يفهم ان الأرض مخلوقة والسماء لازالت دخان .

خلق الأرض

تشير النظريات إلى ان الأرض في أول انفصالها من الطور الغازي ثم تبردت سريعا لصغر حجمها ولذا حطت سحب الماء على الأرض بعد برودتها فتشكلت المحيطات والبحار في ثلاث أرباع الأرض ثم بدأت الأنهار

---

[1] -الصدوق ،علل الشرائع،٢/٥٩٣،أيضا صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،ص٢٧٣ .
[2] -مغنية،في ظلال نهج البلاغة،١/٣٢.
[3] -مغنية،في ظلال نهج البلاغة،١/٣٨.
[4] -حامد حفني،نهج الحياة،ص١٠٨ .

تحفر مجاريها ثم بدات الحياة ، ونجد في الخطب(١٨٦،١٨٤،٩١،٨٩،١)من نهج البلاغة إشارات مهمة لما يتعلق بخلق الارض ،ومنها خلق الأرض قبل السماوات[1] ويبدو ان السؤال عن خلق العالم كان شائعا في زمن الرسول (ص) سواء من المسلمين او الملل الأخرى[2] كما وان القول بخلق الارض قبل السماء هي مقولة النبي(ص)[3].

ان نص الامام علي على خلق الأرض يشير إلى الآتي (كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة ولجج زاخرة تلتطم اواذي أمواجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها فذل واصبح ساجيا مقهورا.... وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره..... فهمد بعد نزقاته ولبد بعد وثباته) [4]. والذي يمكن ملاحظته من النص انه بالإضافة للاستعارات والتشبيهات التي تزين الخطبة مثل مفردة الكبس للأرض والفحولة للبحر والجماح والخضوع للماء فان في هذه البلاغة بصمة تدل على استحالة تزوير او انتحال هذا الكلام، والمراد من كبس الأرض هو انه سبحانه خلق وضغط الأرض على الماء الشديد الأمواج ويقدم شارح النهج البحراني تفسيرا لكلام الإمام من ان الله دحى الأرض في الماء وسكن بها الأمواج المستفحلة [5] كما ان الإشارة لكونها مدحوة والتي وردت في القران الكريم لقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها/النازعات-٧٩/٣٠) تبين ان الأرض كرة كما ثبت في علم الهيئة[6].

وسكون الأرض ودحوها (كالبيضة) يضفي على الأرض كونها بيضوية الشكل وهو رأي العلم الحديث ، كما ان المعروف في كتب اللغة ان

---

[1] -العياشي(محمد بن مسعودالسمرقندي/ت٣٢٠هـ) ،تفسير العياشي،٢مجلد،تحقيق هاشم المحلاتي ،طهران، ١٢٠/٢،وانظر المجلسي ،بحار الأنوار ،٣٣٧/٥٤ .

[2] -المسعودي ،أخبار الزمان،ص٢٦، وانظر الطبري ،تاريخ الطبري،١٤/١ .

[3] -ابن كثير،البداية و النهاية،ط١،١٤جزء،علي شيري ،بيروت،١٤٠٨هـ،٣٠/١،ايضا١٧/١

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٧٣/١.

[5] -البحراني ،شرح نهج البلاغة،٣٧١/٢ .

[6] -مغنية ،في ظلال نهج البلاغة،٣٣/٢ .

الدحو يقال على مدحى النعام مثلا وهو موضع البيض أما سكون الأرض فقد عنى به الإمام السكون المؤقت لا الدائمي بدليل خطبة ثانية قال فيها (انشا الأرض فامسكها من غير اشتغال وأرساها من غير قرار(ثبات))[1].

وهذا يعني بالمجمل سكونها من الحركات غير الثابتة ،ويضاف لكروية الأرض كروية الشمس أيضا لقول القران الكريم(وإذا الشمس كورت/التكوير-١/٨١).

نفهم إذن ان الأرض أحدثت على الماء الذي هو اصل الأشياء ،ويمكن اعتبار هذا الماء جزءا من الماء الرئيسي الهالج الذي خلقت منه السماء والأرض والذي تحول (بعد مخضه كما ذكرنا)الى حالتين الأولى هي الزبد ومنها خلقت الأرض والكواكب السيارة وغيرها، وبالتالي كبست على جزء من ذلك الماء الهائج والثانية هي السماء والتي خلقت من بخار الماء وهو الدخان في القران الكريم . ويدل على ذلك خطبة الإمام التي يقول فيها (جعل ماء البحر المتراكم يبسا جامدا ثم فطر منه أطباقا ففتقها سبع سماوات بعد ارتتاقها فاستمسكت بأمره يحملها الأخضر المثعنجر والقمقام المسخر)[2].

وسوف يأتي في مبحث السماء ان السماوات السبع التي خلقت من ماء البحر وجعلت يبسا جامدا هي الكواكب السيارة اليابسة الجامدة وان ما يحيط بها من فضاء هو سماؤها .

ويفسر ابن ابى الحديد كلام الإمام من ان البحر هو حامل للأرض بقدرة الله، وهو معنى قوله (يحملها الأخضر المثعنجر(السائل) والقمقام المسخر(من أسماء البحر) وهذا كله مطابق لما في الكتاب العزيز والسنة

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٢٣.

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٩١ .

والنظر الحكمي ، كما في قوله تعالى (ان السماوات و الأرض كانتا رتقا ففتقناهما / الأنبياء-٢١/٣٠)[1].

والذي يحاول ابن أبي الحديد توضيحه من كلام الإمام هو انه كان هناك يبس جامد ففطر الله منه أطباقا فتقها بشكل سبع سماوات كانت ملتحمة ، والسماوات هذه هي أراضي الكواكب لذا أشار الإمام علي الى الى وجود اكثر من ارض وسماء ، قائلا (الحمد لله الذي لا تواري (تحجب) عنه سماء سماء ولا أرضا أرضا)[2]. والنص يدل دلالة واضحة على تعدد السماوات والأرض، وهو ما فسره ابن ابي الحديد أيضا بأنه يدل على إثبات ارضين بعضها فوق بعض ، كما ان السماوات كذلك بعضها فوق بعض[3]. وفي الآية القرآنية(الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن/الطلاق-٦٥/١٢) أما إثبات ان الأرض مخلوقة فهو قول الامام علي عليه السلام وانشا الأرض فامسكها من غير اشتغال وأرساها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم [4] فهي مخلوقة من الماء مثبتة في الفضاء.

الجبال وحركة الأرض

في شرحه لوظيفة الجبال على الأرض بين الامام علي ان الأرض متحركة ففي الخطبة التاسعة والثمانين من النهج أشار الى كبس الأرض على الماء وحمل تلك الأرض لشواهق الجبال العظيمة على أكتافها وتفجر العيون من أنوف الأرض في سهوبها وصحاريها وأخاديدها الى قوله وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها (جبالها) وذوات الشناخيب (القمم)الشم من صياخيدها (الصخور الشديدة) فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع

---

[1] -ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة/١١/٥١ وما بعدها،وانظر ٦/٥٥ حيث يقول ان الامام علي وطاليس والقران الكريم قالوا بان اصل الأجسام هو الماء ،وراجع أيضا الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة،٣/٣١٤-٣١٥ .و محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٩١.

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٨٤.

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٨٤،وانظر هبة الدين الشهرستاني،الهيئة والإسلام ،مؤسسة أهل البيت،بيروت،١٣٩٨هـ-١٩٧٨م،ص١٠٣ .

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١٢٣.

اديمها وركوبها سهول الأرضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج أهلها على تمام مرافقها ثم يقول-ع-انشأ سبحانه السحاب للأرض التي لا تصلها جداول الأنهار ، لتحيي موات الأرض وتستخرج نباتها[1].

ولا صعوبة في فهم النص فالجبال سبب في سكون الأرض ، كما يمكن ملاحظة المفردة الدقيقة(عدل حركاتها)اي ان هناك حركات غير منتظمة تعدلت لتصبح منتظمة ، ويتبين ان تعديلها كان بالجبال العظيمة ، فالعملية تشمل سكون الأرض وتفجر العيون وأيضا إعداد الهواء في الأرض للساكنين[2]. والقول بتعديل الحركات لا يوحي بالحركة للأرض فقط، بل يؤكد ان للأرض حركات متعددة ونحن نعرف ان للأرض حركات عديدة منها المحورية والسنوية والاقبالية ونقطتي الاوج والحظيظ والتبعية وغيرها[3] اما الجبال فيمكن إجمال فائدتها على النحو التالي :١-جعل الله سبحانه لها جذرا في الأرض فأصبحت عبارة عن وتد ولهذا الوتد وظيفتان الأولى أن يحفظ الجبل من التهافت والانزلاق وثانيا انه يمسك طبقات الأرض بعضها ببعض فيمنعها من الاضطراب وهو مصداق قول الامام وتد بالصخور ارضه[4]. ٢ – ان الجبال مصدر للمياه وحفظها وفي القران الكريم (والأرض بعد ذلك دحاها اخرج منها مائها ومرعاها/النازعات/ ٣٠-٧٩) ويمكن الالتفات إلى ان الإمام قرر في النص ان مصدر المياه ثلاث ، الأول تمثل بالعيون سواء أكان من الجبال او الروابي والصحاري وثانيا جداول الأنهار اما الثالث فهو الأمطار ، فانه لا يمكن الاستفادة من مباشرة من ماء البحر وإلا كان أشار إليه الإمام .٣- ومن فوائد الجبال الأخرى كونها مصدر للمعادن وفي هذا الصدد يشير النهج بقوله، ما تتنفس عنه هذه الجبال من معادن[5] وهي إشارة إلى معادن كثيرة لا معدن واحد. ٤- ان

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٧٤ .

[2] -ميثم البحراني شرح نهج البلاغة،٢/٣٧١ .وانظر الخوئي،منهاج البراعة،٧/٢٠.

[3] - المجلسي بحار الانوار،١٥/٣١ حول راي الامام بحركة الأرض .وانظر محمد تقي التستري ، بهج الصباغة ،١/٤٩٥.

[4] -لبيب بيضون ،تصنيف نهج البلاغة،ص٧٨٤.أيضا حامد حفني،نهج الحياة،ص١١٤.

[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٦١ .أيضا محمد تقي النقوي،مفتاح السعادة ١٠/٥٠ وفيه استعراض مطول لفائدة الجبال .

الجبال العالية بوصف الإمام هي أعمدة الأرض وأوتادها التي سكنت حركاتها حتى لا تميد الأرض بأهلها او تسيخ بحملها (تقذفه خارجا) او تزول عن مواضعها، وهذا بمجمله لتكون الأرض للخلق مهادا وتبسط كفراش فوق البحر ليسكن ولا يجري ولا يحركه سوى الرياح والعواصف ، ويصف الإمام من جهة أخرى عملية تكون البخار والأمطار من البحر بقوله، وتمخضه (البحر)الغمام الذوارف[1].

ان ابن أبي الحديد فسر حركة الأرض من ان الأرض لو تحركت اما ان تتحرك على مركزها او لا فالأول هو المراد بقوله تميد بأهلها والثاني ينقسم إلى أنها تنزل الى تحت او لا تنزل ، فالنزول إلى تحت هو المراد بقوله او تسيخ بحملها، والقسم الثاني هو المراد بقوله (او تزول عن مواضعها)[2].

من عملية الإعداد هذه التي ابتدأت بخلق العالم والأرض وبتعديل حركاتها واعداد الهواء والأنهار والعيون وخضرة الأرض... الخ يفهم ان ذلك تمهيد الى شي ، وهو ما قاله الإمام في النهج (فلما مهد أرضه وانفذ أمره اختار آدم -ع- خيرة من خلقه وجعله أول جبلته واسكنه جنته[3].

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٩٣/٢.

[2] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٥٨/١١-٥٩ .وعن حركة الأرض وكرويتها عند الإمام راجع المجلسي ،بحار الانوار ،٩٥/٥٧.

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٧٧/١ .

خلق الإنسان (المادة والصورة)

تاخر البحث في مسالة الإنسان تماشيا مع تسلسل الخلق في النهج ، وقبل ذلك يجب تناول الأوليات التي كانت قبل خلق الأشياء جميعا بل وخلق الكون ، والتي تظهر متسلسلة في الخطبة الأولى من نهج البلاغة على النحو التالي:

١-انه سبحانه أحال الأشياء لأوقاتها ٢-لاءم بين مختلفاتها ٣-غرز غرائزها ٤-الزمها أشباحها . ولتوضيح الفكرة حول الموجودات ، يضيف الإمام ان الله ١-عالما قبل ابتدائها ٢-محيطا بحدودها وانتهائها ٣-عارف بقرائنها واحنائها[1].

و احالة الأشياء لأوقاتها تعني ان كل شي من (جماد وحيوان ونبات وإنسان) انما هو لمصلحة تتعلق بالعباد وهذه المسالة تشير إلى أن العالم(الأشياء) لم يخلق دفعة واحدة بل على التدرج وبالأسباب [2]. ولننزع التوهم المتعلق بالأشياء الكثيرة والمتولدة فان الإمام علي قال (عالم بها قبل ابتدائها) فانه سبحانه لو لم يكن عالم بها قبل ابتدائها لما قدر على ابتدائها، وحيث ان علمه من صفات ذاته فعلمه بها قبل تكونها كعلمه بها بعد تكونها[3] وعندما أحال الأشياء إلى أوقاتها عنى الإمام ان كل شي يدور مع الوقت اللائق به[4].

وبعض أمثلة الوفاق بين الأشياء المختلفة تتمثل كما في وضع تلائم النفس بالجسم والطبائع مع بعضها كالحب والكره والرافة والقسوة والحزن والفرح ويشير هذا التلاؤم والترابط من انه لا شي وجد عن طريق الصدفة

---

[1] - محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٦/١.

[2] - مغنية،في ظلال نهج البلاغة،٢٨/١ .

[3] - محمد تقي التستري ،بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة،١٦٦/١.

[4] - السرخسي ،اعلام نهج البلاغة،ص٣٨ ،وانظر محمد كاظم القزويني الحائري،شرح نهج البلاغة ،٢مجلد ، مطبعة النعمان ،النجف،١٣٧٨هـ -١٩٥٩م ،٤١/١.

او العبث [١] و فسر ميثم البحراني ملائمة المختلفات وتغريز الغرائز من ان الملائمة جاءت مثلا للعناصر الأربعة متضادة الكيفيات ثم انكسرت صورة كل منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل ، فحصلت كيفية متوسطة بين الأضداد المتشابهة وهو المزاج ذامتزجت الكيفيات المتضادة كاللطيف والكثيف ، اما تغريز الغرائز فقسره البحراني ، بان الله خلق كل ذي طبيعة على خلقه ومقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه كما في قوة التعجب والضحك والشجاعة للأسد والجبن للارنب والمكر للثعلب[٢].

ومسالة تغريز الغرائز تجيب على قضية صدور الأفعال المتقنة للحيوانات .

ان القول بانه سبحانه الزم الموجودات أشباحها أي انه الزم الغرائز اشخاصها حتى تعرف كل مادة بغريزتها فلا تتبدل الغرائز عن الأشباح ولا العكس[٣].

وفي النص المطوا نسبيا يصور الإمام خلق الإنسان بقوله (ثم جمع الله سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اجمدها حتى استمسكت واصلدها لوقت معدود وامد معلوم ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجليها وفكر يتصرف بها وجوارح يختدمها وادوات يقلبها ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل والأذواق والشام والألوان والأجناس ، معجونا بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلة والجمود)[٤].ونحن في هذا النص الذي يشير الى الخلق بالتدريج لا دفعة واحدة ، أمام حالتين الأولى خلق الجسم بلا روح والثانية ان هذا

[١] – محمد الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة،١/٢٨-٢٩ .
[٢] – البحراني، شرح نهج البلاغة،١/١٣٥ .
[٣] – محمد الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ،١/١٩.
[٤] –الطبري،تاريخ الطبري،١/٦١.وانظر محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/٢٠-٢١ .

الجسم كان على أربعة مراحل وسوف نتناولها كالتالي:

١- المرحلة الأولى: الجسم
أ-المادة(التراب) : وقد تمثلت بحزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها [١]
ففي علل الشرائع للصدوق ،يرد ان الإمام أجاب عن علة تسمية ادم -ع-
بهذا الاسم بأنه خلق من أديم الأرض لانه سبحانه بعث جبريل ليأتيه من
أديم الأرض بأربع طينات (بيضاء وحمراء وغبراء وسوداء) من سهل
الأرض وحزنها ثم بأربع من المياه عذب ومالح ومر ومنتن ،ثم أمره
بإفراغ الماء في الطين فادمه الله وجعل الماء العذب في حلقة والماء المالح
في عينه والمر في أذنيه والمنتن في انفه (٢) وقول الإمام جمع سبحانه
من تربه ... صريح بان ادم لم يكن له اثر ولا عين قبل هذه الأرض ،
ولهذا قال تعالى (ان مثل عيسى ابن مريم كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال
له كن فيكون/آل عمران-٣/٥٩) أما التنويعات في تربة الأرض فهي إشارة
الى ان الإنسان كامه الأرض يجمع في استعداده وغرائزه المتناقضات
والمفارقات كالطيب والخبث والسواد والبياض [٣]. ويصف قطب الدين
الراوندي والبحراني أنواع التربة بأنها إشارة الى العناصر الأربعة [٤].
ب-المزج(الطين+الماء): وهي عملية سن الطين بالماء فلزبت (لصقت)،
وهي العملية التي يصفها القران بالطين اللازب لقوله تعالى(انا خلقناهم من
طين لازب/الصافات-٣٧/١١) والحكمة من خلق الإنسان من الطين من
دون (كن فيكون) فسره البعض على أساس تعليم الناس الروية والأناة
ويمكن تفسير خلقه من الطين انه سبحانه أراد تعليم الناس انهم سواء لا

---

[١] -المجلسي ،بحار الأنوار،٥/٢٣٩ ،وانظر مغنية في ظلال نهج البلاغة،١/٤٣.
[٢] -الصدوق ،علل الشرائع،١/٢.
وقارن مع ابن كثير ،البداية والنهاية،١/٩٥ و١/٢٦ حيث يرويه ابن حنبل عن الرسول(ص).
[٣] -مغنية،في ظلال نهج البلاغة،١/٤٤ .
[٤] -الراوندي،منهاج البراعة،١/٧٩،أيضا ميثم البحراني،شرح النهج ،١/١٧،أيضا القزويني الحائري،شرح نهج البلاغة،١/٦٣ .

فضل لابيض على اسود[1] ولا يخفى ان للتنوع في الأشكال والصفات فائدة في سير الحياة وكون المسالة اقرب للعدل الإلهي.

ج-الصورة : قال الامام علي في هذا المجال (فجعل منها صورة ذات احناء ووصول وأعضاء وفصول) والمراد بالصورة صورة ادم والمادة هي التربة أو الطين فاشار الى تقسيم أجزاء الإنسان واعضائه والى الأضلاع بالاحناء والى المفاصل وهو ملتقى العظام بالفصول وما فيه من عصب يشد الأعضاء بعضها الى بعض فوصفه بالوصول [2] وهذا وصف لجزء من الصورة الداخلية لجسم الانسان والتي يمكن ان تندرج ضمن مفهوم التشريح .

د -حالة اجماد الطين ، الذي جعله كالصلصال ومنه اصبح جسما يابسا متينا، وقد اسند الإمام عملية الصلصلة والاجماد (التي وردت في القران سبع مرات) والخلق والمزج الى الله ، إذن في عملية خلق الإنسان نجد ١-المادة، الطبائع(أنواع التربة والمزج) ٣-الصورة، ٤- الجسم الجامد ، وإذا كانت الطبائع هي جزء من المادة وحالة الاجماد هي جزء من الصورة فلم يتبق إلا الصورة والمادة كعنوانين رئيسيين واصلين لخلق الإنسان الأول .

٢- المرحلة الثانية:الروح

لقوله -ع- ثم نفخ فيه من روحه ، وفي القران(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي/الحجر-١٥/٢٩) وبالرغم من صعوبة تفسير الروح [3] فان تفسير الروح هنا هو كل ما يحيا به الشيء، وتوجد تفسيرات تقول انها على هيئة الانسان او انها نور لطيف وهواء خفيف[4] ويعطي الامام

---

[1] -مغنية ،المصدر السابق،١/٤٤،وقارن مع المجلسي، بحار الأنوار ،٩٠/٣٤٢ ،وفيه يروي حديث الرسول(ص)بان الله خلق ادم من الطين والطين من الزبد والزبد من الموج والموج من البحر والبحر من الظلمة والظلمة من النور...من كن وكن من لاشيء).

[2] -مغنية،المصدر السابق،١/٤٥ .

[3] -لقول القران الكريم(قل الروح من أمر ربي وما اوتيتم من العلم إلا قليلا /الاسراء-١٧/٨٥).

[4] -مغنية ،في ظلال نهج البلاغة،١/٤٦.

الصادق -ع- تفسيرا لمعنى (نفخت فيه من روحي) من ان الروح مخلوقة خلقها الله بحكمته ، وفي حديث آخر بقدرته وقد اصطفاها لنفسه كما في القران الكريم لقوله سبحانه من روحي وهي تشابه قوله خليلي وبيتي وكل ذلك مصنوع ومخلوق ومدبر [1] وفي كلمات الإمام يرد ان الروح حياة البدن[2]. وسوف تعالج هذه المسالة في مبحث النفس .

٣- المرحلة الثالثة: الإنسان

لقوله فتمثلت إنسانا ، وفيها اختتم الإمام مراحل خلق الإنسان المكون من مادة وصورة وروح بخلاف الأشياء التي خلقت من مادة وصورة ولعل من المفيد ذكر إشارة المسعودي ، التي أوردها عن الإمام علي من ان الله خلق الأرض وخلق فيها أمما من الجن يسبحونه ويقدسونه قبل خلق آدم -ع-[3] ومن نص الإمام في خلق الإنسان يمكن استخراج النتائج التالية :

١- إن لفظة إنسان أطلقت عندما نفخ الله سبحانه من روحه في الجسم ذو الصورة الذي خلقه من الطين فاصبح ذا أذهان وفكر وجوارح ومعرفة واذواق ومشام والحيوان أيضا مكون من مادة وصورة وغرائز ولا يمكن تسميته بالإنسان لانه بلا أذهان ولا فكر ولا معرفة ، فلفظة المعرفة إذن ملاصقة للإنسان ، والقران سمى هذا الكائن قبل مرحلة الروح بالبشر .

٢-ان الإمام قدم مفردات الأذهان (قوة التعقل)والفكر على الجوارح التي وصفها بالخادمة ، فما هي إلا أدوات يستخدمها كآلة،مما ينوه بتقديم العقل على الجوارح في المعرفة خصوصا انه-ع- ذكر المزج بين الأذهان والفكر والجوارح ليذكر المعرفة بعدها كنتائج لها .

---

[1] -المجلسي ،بحار الأنوار،١٢/٤٠.وانظر القزويني،شرح نهج البلاغة،٦١/١.

[2] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٧٨/٢٠.

[3] -المسعودي(علي ابن الحسين/ت٣٤٦هـ)أخبار الزمان ،تحقيق لجنة من اساتذة النجف،ط٢،دار الأندلس ،بيروت،١٣٨٦هـ،ص٩٣ .

٣- بالإضافة لتعريفه عمل المعرفة بأنها التفريق بين الحق والباطل والأذواق والمشام والألوان والأجناس فانه-ع- يقرر ان المعرفة لا الغريزة هي من يقوم بهذا العمل .

٤- بين أن الإنسان مؤلف من الوان مختلفة وأشياء مؤتلفة واضداد متعادية واخلاط متباينة من الحر والبرد والبلة والجمود . وهي إشارة كما يرى المفسرون الى الطبائع الأربعة سوى أكانت اربعة ام اكثر .

٥-ان إحداث النسل من آدم وحواء ،يلغي نظرية التطور الداروني[1].

٦-ان قول الإمام مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا، يعني به ان الخلق مخلوقون بقدرة الله لا صدفة ومملوكون قسرا لا اختيارا[2].

الكائنات

سنكتفي فيما يتعلق بهذا الجانب بطرح الأمور الكلية التي ذكرها الإمام علي ومنها ان الكائنات خلقت من العدم شانها شان الإنسان والأشياء وهو ما يتلخص بقوله-ع-(ابتدعه خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات)[3] وهذه الكلمة تشير إلى التصنيف الحديث للكائنات ، فكل ما على الأرض هو :

١-الحي،كالملائكة والحيوان والجن والانس٢-ذو الممات،كالشجر والجماد والنبات ٣-الساكن ، مثل الجبال وغيرها ٤-ذو الحركات ، كالانسان والحيوان والماء والكواكب[4].

ويأتي هذا التصنيف العلمي على أساس النوع وهو ما نفهمه من التصنيف العام الذي مر علينا ثم على أساس الجنس ، والذي اقره الإمام بقوله (وفرقها أجناسا مختلفات في الحدود والأقدار والغرائز والهيئات)[5]

---

1 -محمد تقي التقوي ،مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة،٢٢/١.
2 -مغنية، في ظلال نهج البلاغة،٣٩٠/١.
3 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٧٠/٢.
4 -حبيب الله الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،٤٩/١٠.
5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٦٦/١.

فمؤشر الجنس يقاس إذن على أساس ، الحدود، الأحجام ، طبيعة ذلك الكائن العامة المتعلقة بالغرائز ، سواء أكان طائرا أم لا قويا أم ضعيفا وكذا نوعية أكله او طبيعته ، هيئته من اللون والشكل ، والمعروف ان كلمات الإمام علي تأتي غالبا على أساس التصنيف العام ، ومن ذلك قوله مثلا (ان اي شي يغيب آذناه فهو يبيض ،وليس شي يظهر آذناه إلا وهو يلد)[1] ومن الكليات التي عممها على الفقه نهيه عن أكل الطير الذي ليس له قانصة ولا صيصية ولا حوصلة ولا كابرة ونهيه عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وهي معاني تدل على تقسيم الإمام جنس الكائنات التي تتمتع بصفات معينة وتقريره أنها لا تؤكل [2] وكأننا نشير إلى مفهوم الأجناس الفقهية (على أساس الفقه).

وتجب الإشارة إلى أن الخلق والإبداع هما من العدم مضافا إلى ان كل الكائنات على أساس الحدود والمقادير والأشكال الثابتة والغرائز ينفي بلا شك نظرية تطور الكائنات الدارونية، فلا يوجد في كلمات الإمام أي مؤشر على تطور الكائنات من مخلوق إلى آخر مع وجود الفترة الزمنية .

ان من تنظيرات الامام علي الجامعة وصفه للكائنات بالأمم بقوله (متلبدة امما)[3] كما وصف القران ذلك بقوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم /٦/(الأنعام/٣٨) والفرق بين الإنسان والحيوان عند الإمام هو في الذاكرة التي يصفها بالقلب الحافظ . والنطق ويصفه باللسان اللافظ واخيرا الفكر وهو ما عبر عنه بالبصر اللاحظ ليفهم معتبرا[4] وان يستفاد من التجارب

وفي الخطبة المائة والثالثة والستين[5] صنف الإمام علي الطيور على أساس البيئة واختلافها وأجناسها فمنها ما يسكن الأخاديد في الأرض ومنها

---

[1] - محمد تقي التستري،بهج الصباغة،٧/٦٠.
[2] - صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،ص٦٩٥ .
[3] - محمد الحسيني الشيرازي،توضيح نهج البلاغة،٣/١٤١.
[4] -مغنية، في ظلال نهج البلاغة،١/٤٠٨-٤٠٩.
[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/٧٠.

خروق الفجاج ومنها رواسي الأعلام وقصد به الأشياء العالية ، كما واشار إلى اختلاف أجنحتها وهيئتها وقسمها على أساس طيرانها او عدم الطيران لضخامة جسمها ، وكل هذه التقسيمات جاءت بالشكل الكلي العام.

التغير

التغير هو أحد المظاهر المهمة في الطبيعة وهذه الكلمة تشمل الأعراض والنسبية وصراع الأضداد او تفاعلها ، وليس صعبا فهم ان التغير والأعراض انما سميت بهذا الاسم لأنها لا لبث لها وان التسمية يمكن ان تؤخذ من لفظ القران الكريم في قوله تعالى (قالوا هذا عارض ممطرنا/الأحقاف-٤٦/٢٤) ويسمونه عارضا لا لبث فيه او من قوله تعالى (تريدون عرض الحياة الدنيا/النساء-٤/٩٤)لأنها إلى انقضاء او زوال [1] .

وبلا شك ان أحد الأمور المهمة في التغير والتي يؤكد عليها الامام علي هو الدهر او الزمان لذا يقول (في الزمان الغير)[2] والدهر عنده يخلق الأبدان ويجدد الآمال ، يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما ولى منه ولا يبقى سرمدا ما فيه، آخر فعاله كأوله [3] وهي بالتأكيد سنة دوامها التغير والإعادة، وكل فعل الدهر هو الإعادة .

وللدهر وفق تصور الإمام إبادة وإفادة .فما أباده فلا رجعة فيه وما أفاده فلا بقاء له[4] وفي المحصلة النهائية ان ما يأتي به الدهر سوف يتغير يوما ما .فالعلاقة الجدلية في الأشياء طبيعة ثابتة للتغير، بل ان التغير يحصل من خلال هذا التباين ، فالامام يرى (ان كل شي ينفر من ضده)[5] وهي ظاهرة صحية لأنها جزء من طبيعة الأشياء التي لا ابد لها وتحمل في داخلها نهايتها .

---

[1] -د.س. بينس،مذهب الذرة عند المسلمين،ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة،القاهرة،١٣٦٥هـ-١٩٤٦م ،ص١٧ .

[2] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/١٤٧.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/٥١.

[4] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/١١٩.

[5] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/٢٠٩ .

وقد يمكن الاستنتاج من ان تعريف العرض لدى الامام يعني المتغير او الزائل ومنه الحال او الأحوال والليالي والأيام والضياء والظلام او الجزء والبعض كما يلاحظ في خطبه[1] ويقابل الأعراض المتغيرة مفهوم الأزل فالمتغير هو الزائل الأفل اما الأزلي بعقيدة الإمام علي فهو (الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الأفول)[2]، وبالاستناد إلى ما تقدم من خلق الأشياء فان الماء (الذي خلقه الله من العدم) هو الأساس في الخلق ولا يخفى ما للماء من خاصية ديناميكية في التغير والجريان .فاذا استوعبنا ذلك فسنفهم ان الحركة والتغير يكمن في الأشياء كلها وبخاصة عند الوثوق بان الماء محدث وكل محدث متغير زائل وقد صرح القران بحركة الأشياء في قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب/النمل-٢٧/٨٨).

وفي الخطبة الوعظية التي يحذر فيها الإمام من الدنيا ركز على عاملين هما أولا:التغير والتقلب في الحياة والتحول باستمرار من حال إلى حال ،والثاني:عامل الزمن وأثره في الأشياء من التغير والتبدل ، وهذان المعولان يهدمان ويجددان الأشياء ونتائجهما تمتد من القوة الى الضعف ومن الحلو إلى المر ومن الغنى إلى الفقر. فالنصوص التي طرحها الإمام تقول عن الدنيا بان (حالها انتقال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل ،أي ان سجيتها الانتقال)[3].

ان المحدث عند الإمام هو الذي يمكن فيه التغير والانتقال وتغير الأحوال [4] والدنيا عنده لا تدوم وهي حائلة ، زائلة، بائدة ، فكل فرح فيها بعده حزن وإذا اعذوذبت واحلولى منها جانب ، اصبح الجانب الآخر مرا ، سلطانها دول ، وعذبها أجاج وحلوها صبر واسبابها رمام (بالي)[5].

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/١٢٢.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/١٢١.

[3] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،١٣/١٢١ .

[4] - صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،ص٦٨ .

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/٢١٨.

ويضيف الإمام ذاكرا عدم ثبات الدنيا من ان الانسان لا يتجدد له جديد إلا بعد ان يخلق له جديد ولا يعمر معمر يوما إلا بهدم آخر من اجله ولا يحيى له اثر إلا مات له أثر[1].

والتغير هنا لا يمكن ان يفسر على انه صراع بقدر ما يفسر بالتفاعل او التبادل الطبيعي المبني على وجود وجهين للحياة متغيرين او حقيقتين مثل الصحة والمرض والحلو والمر وتبادلهما في الدنيا والثابت هو المتغير او لنقل ثبات قاعدة التغير .

---

[1] محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/٢٨.

المبحث الثاني
السماء

سميت السماء سماء كما يرد عن الإمام علي لأنها وسم الماء(أي معدن الماء)[1] والسماء اسم يطلق على كل ما علاك أي على الكرة البخارية والأجرام السماوية من جهة العلو [2] ويبدو ان مفهوم السماء اكبر من مفهوم الفلك لقول الامام علي (وعلق في جوها فلكا)[3].

وتقدم في خطب الإمام علي ان خلق السماوات والأرض جاء من العدم،من خلال فتق الأجواء وأجراء الماء المتلاطم وتسليط الريح الأولى الشبيهة بالوسادة ،تحمله وتمنعه من الهبوط والتبعثر والريح الثانية تقوم بتصفية الماء وتمخضه كالسقاء لاستخراج ما فيه،والناتج من هذه العملية ان الماء رمى بالزبد فخلقت منه الأرض ، ويقول شارحوا النهج ان الزبد بخار الماء تصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد،وما لطف وغلبت عليه الأجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار [4].وهذا هو مراد الآية القرآنية القائلة(ثم استوى إلى السماء وهي دخان / فصلت-٤١/١١)فالدخان هو بخار الماء المتصاعد اذ لا يوجد في ذلك الوقت غير الماء ،وقد تقدم ان الامام قال بخلق السماء من ماء ودخان وان الأرض خلقت قبل السماء ، وكل هذا يؤكده الامام الصادق -ع- بان الريح خلقت من الماء نفسه ثم سلطت الريح على الماء فثار الماء زبدا فخلق من

---

[1] -الصدوق ،علل الشرائع،٢/١،وانظر المجلسي ،بحار الأنوار،١٣/١٠،وأيضا ٨٩/٥٥.

[2] -هبة الدين الشهرستاني،الهيئة والإسلام،ص٢٨٥.

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦٨/١.

[4] -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،١٤٢/١،ولاحظ١/١٤٦-١٤٧،حيث فسر البحراني الريح الأولى بالعقل الأول والثانية بالعقل الثاني أما الماء فاشار إليه بالفيض الأول الصادر عن الله ،وهذا تضمين لنظرية الفيض التي لم يقل بها الإمام علي -ع-.

الزبد أرضا بيضاء وضعها فوق الماء وثار من الماء دخان كثير فخلقت منه سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب[1].

وبشكل اكثر تفصيلا وعن الامام علي يروي فرات الكوفي ،بان عرش الله كان على الماء بلا ارض مدحية ولا سماء مبنية ولا ملك ولا نبي ولا نجم او قمر فضرب البحور فثارت مثل الدخان فبنى السماء ودحى الأرض ثم فتقها وكانت واحدة ثم استوى إلى السماء وهي دخان فخلقها سبع سموات وجعل في كل سماء خلقا من الملائكة [2].

ان ما يلاحظ في كلام الإمام ان خلق السماوات والأرض جاء أمرا مسلما به ،كما يدل لفظه ،اذ انه -ع- لم يتبعه باحتمالية من مثال (لعل أو ربما أو أظن) بل صاغه بالشكل المطلق ،والإمام ينفي تكون او تشكل الأرض من الشمس لان الأرض حسب ما ورد اقدم من الشمس وكلاهما مخلوقتان ،ويجب ملاحظة انه إذا كان الجسم الأول وهو الماء مخلوقا فهذا يعني أن السماء محدودة متناهية عند الإمام والزمان والمكان أيضا، ويلاحظ ان حركة الماء الأول ذاتية لان من خصائصه الاندفاع والاضطراب والهياج ولعل هذا ينطبق أيضا على السماء والأرض ويشجع هذا القول النص القرآني القائل للسماء والأرض(آتيتما طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين/فصلت-٤١/١١) ، وفي بداية الأمر كانت السماء غير منتظمة في أول خلقها ثم نظم سبحانه رهوات فرجها[3]. وقد ذكرنا إشارة الإمام الى وجود اكثر من ارض وسماء.

وفي الخطبة التاسعة والثمانين نص يدل على الولادة المبكرة للسماء بقوله-ع-في النهج(ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين أزواجها (أمثالها وقرائنها)وذللها للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه ، وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى

---

[1] -الحر العاملي ،الفصول المهمة في أصول الأئمة،٣مجلدات، تحقيق محمد حسين القائيني ،ط١،طهران ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧م،٣/٢٨٠ .

[2] -فرات ابن إبراهيم الكوفي،تفسير فرات الكوفي،ص١٨٤-١٨٦.

[3] -حامد حفني،نهج الحياة،ص١٠٩ .

اشراجها (مجراتها) وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها وأقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها (خروقها))[1].وقوله نظم رهوات فرجها أي ان الكواكب قائمةً في الجو بلا دعائم ولا تعليق وبنظام محكم حسب القوانين الطبيعية(الجاذبية).وقوله-ع- (لاحم بين صدوع انفراجها) أي الصق سبحانه أجزاء الجرم الواحد بعضها ببعض .اما قوله (شج بينها وبين ازواجها)أي جعل بين الكواكب المتشابهة تجاذبا وتماسكا على ما بينها من البعد .وقوله وناداها وهي دخان فالتحمت عرى اشراجها يشير الى مادة الكواكب والتحام مجراتها[2].

وقوله فتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها ، يعني انه سبحانه فتح أبواب السماء بعد انغلاقها اي جعل فيها أبوابا لنزول الملائكة وصعودهم ثم أقام رصدا وهو ما يرصد ويرقب الحركات وهذا الرصد من الشهب هو ما نراه في الليل[3] ولعل تفسير فتق أبواب السماء أي انه سبحانه جعل للمجرات والكواكب طرقا فيما بينها بعد ان كانت مسدودة[4]. وبرواية الإمام انه سبحانه خلق سبع سموات من بخار الماء جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا مرفوعا) أي جعل الطرف الأسفل من كل سماء موجا ممنوعا من الهبوط والسيلان والطرف الأعلى مثل السقف محفوظا او حافظا عن وصول الأدخنة والكثافات الأرضية والشياطين وغيرها[5] وسيأتي ان الأرضيين هي الكواكب السيارة(بناء على نظرة الإنسان من الأرض الى كل ما علاه) و ان السبع سموات هي الفضاء المحيط بهذه الكواكب .

ووصف الامام للسماء السفلى التي هي ما يحيط بالأرض من الفضاء (الموج)المكفوف فعنى به ان ما من جرم في السماء إلا وهو في حركة

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٦٦.
[2] -مغنية ،في ظلال نهج البلاغة،٢/١٩.
[3] -الشيرازي،توضيح نهج البلاغة،٢/٥٦.
[4] -حامد حفني ،نهج الحياة،ص١٠٩ .
[5] -هبة الدين الشهرستاني،الهيئة والاسلام ،ص١٤٦ .

دائمة حول نفسه وبالتالي فان ما يحيط بالأرض من غلاف هو اشبه بالموج المكفوف الممنوع من السيلان والبعثرة وكونه موجا اي دائم الحركة[1].

الفلك

هو دوران السماء[2] وهو مدار النجوم التي يضمها [3] وقد قيل كل مستدير فلك ، والمنجمون عندهم الفلك ما ركبت فيه النجوم ولا يقصرونه على الدوران[4] ويفصل العلامة الحلي من ان لكل كوكب فلكا وهناك فلك جامع محيط بالجميع[5] وهو ما بينه القران بقوله تعالى(وكل في فلك يسبحون /يس-٣٦/٤٠) وعند وصفه للسماء يقول الإمام علي (وعلق في جوها فلكا)[6] ومعلوم ان تعليق فلك الكواكب في جو السماوات وجوف الفضاء هو قول من قال ان الفلك مدار الكواكب في الفضاء كالحلقة المعلقة ولا يناسب قول من يجعل الأفلاك عين السماوات ويعتقد ان الأفلاك مستوعبة للعالم كله[7]. فالإمام جعل الفلك مدار الكواكب وجزء من السماء لا عين السماوات او مستوعبة للكون ويقدم اصحاب الشروح تفاسيرا لمفهوم تعليق الفلك في جو الأرض، منها ما قاله ابن ابي الحديد بان الفلك على هذا الأساس غير السماء وهو خلاف الجمهور وقد حاول ابن ابي الحديد ان يوفق بين رأي الإمام والجمهور من ان الإمام أراد بالفلك دائرة معدل النهار[8].

ويمكن الرد بانه لا خلاف في وجود فلك داخل فلك (أي ان فلك الكواكب الجزئية داخل ضمن فلك السماء باكملها)وهو ما برره محمد باقر المجلسي

---

[1] -الخوئي،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،٣٧٧/١٠ ،وانظر مغنية،المصدر السابق،٣٨/١ .

[2] -الفراهيدي(الخليل ابن احمد/ت١٧٥هـ)العين،تحقيق محمد المخزمي وإبراهيم السامرائي،ط٢، ٨مجدات ، دار الهجرة،قم،١٤٠٩هـ،٣٧٤/٥ .

[3] -ابو هلال العسكري،الفروق اللغوية،ص٢٨٣ .

[4] -الطريحي(فخر الدين/ت١٠٨٥هـ)،مجمع البحرين،تحقيق السيد احمد الحسيني،ط٤،٢مجلدات،طهران، ١٤٠٨ هـ،٤٢٩/٣.

[5] -العلامة الحلي،شرح التجريد،تحقيق املي،ص٢٣٧.

[6] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦٨/١.

[7] -الشهرستاني،الهيئة والإسلام،ص٥٧.

[8] -ابن ابي الحديد،شرح نهج البلاغة،٢٢٢/٦ .

،بقوله اراد بالسماء الأفلاك الكلية والفلك هو الجزئي الواقع في جوفها وإذا علق سبحانه في جوها فلكا يناسب كون الكواكب كلها في فلك واحد[1].

وهو ايضا رأي صاحب بهج الصباغة القائل انه تعالى علق في جو السماء فلك الشهب والشمس والقمر والكواكب (وكل في فلك يسبحون/يس-٣٦/٤٠)[2].

ولعل من المهم التفريق بين قول الإمام علي علق في جوها فلكا وقوله سابقا(بلا تعليق رهوات فرجها) من ان المراد بالثانية ، انها غير معلقة بجسم آخر فوقها واراد بالفلك اسم الجنس وهو أجسامها المستديرة[3].

ان الامام يعطي للفلك صفة الحركة والدوران ففي دعاء الصباح المشهور للامام علي يقول فيه (وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه واتقن صنع الفلك الدوار في مقادير تبرجه)[4]. ومنها قول الإمام في النهج (في فلك دائر وسقف سائر ورقيم مائر)[5].

والمتحرك من الفلك إنما يتحرك حركة دورية كما تتحرك الدائرة على الكرة[6]. ان قول الإمام في فلك دائر يعني به في سمت(طريق)يسير فيه ويدور فيه كالدوائر[7].

وبشكل آخر إنما هو المدار الذي يدور فيه الشمس والقمر مثلا وكونه دائرا اما باعتبار ما حمل فيه (بعلاقة الحال والمحل)أو باعتبار ما

---

1 -محمد باقر المجلسي،شرح نهج البلاغة(المقتطف من بحار الأنوار قدمه علي انصاريان)ط١ ،٣مجلدات، طهران،١٤٠٨هـ ،١/٢٨١ .

2 -محمد تقي التستري ،بهج الصباغة،١/٤٨٥.

3 -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،٢/٣٥٠.

4 -عباس القمي،مفاتيح الجنان،ص٩٢ ،وانظر محمد باقر المحمودي،نهج السعادة،٦/١٢٨ .

5 - محمد عبده شرح نهج البلاغة،١/١٨ .

6 - محمد باقرالمجلسي شرح نهج البلاغة،٢/٢٢٣،وقارن مع الفارابي،الدعاوى القلبية،حيدر اباد،ص٨ ، من ان طبع الفلك الميل المستدير.

7 -البيهقي الكيذري ،حدائق الحقائق،١/١٣٣ .

يستصحب هذين الجرمين من الهواء والغاز لدى الحركة [1]ويمكن القول ان إطلاق الحركة على الأفلاك ليس بالحقيقة بل باعتبار حركة الكواكب[2] وقول الإمام (وسقف سائر)إنما خص السماء الحاوية لكل الأفلاك وإذا فهمنا بناء على ما تقدم ان كل فلك سائر فهذا يعني بالتأكيد (كما سيأتي)أن الشمس أيضا تسير والخطورة تكمن في قوله (ع) بالسقف السائر وهي بالتأكيد إشارة إلى ان السماء تتوسع وإلا قال (بالسقف الدائر)وهي النقطة التي قالها القران الكريم بقوله(والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون/الذاريات-٥١/٤٧) وهذا ما أكده العلم الحديث أيضا من ان السماء تتوسع.

ومع القول بالحركة الدورية للفلك والذي يعني ان الشمس أيضا تدور وتسبح في الفلك ،فانه لا يبقى معنى لقول غاليلو ان الشمس ساكنة[3] وقول الإمام بالرقيم المائر يعني ان الفلك او المجرة ذات الحركة الدورانية (لأنها مسطحة) فيما يبدو للناظر ومائر يعني متحرك [4] وقد فسر الراوندي الرقيم بأنه لوح لان فيه شبه الكتابة وهو كناية عن الفلك الدائر المتردد وفيه الكواكب[5] وبالرجوع إلى نص نهج البلاغة نجد انه سبحانه (أقام السماء بلا عمد ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيرا(الشمس)وقمرا منيرا في فلك دائر....)[6] وبالمقارنة مع نص آخر أورده المجلسي في البحار عن الإمام يقول فيه (ان الله جعلهما يجريان(الشمس والقمر)في الفلك والفلك بحر بين السماء والأرض مستطيل في السماء[7] فلكل هذا فان هذه الأحاديث تصرح بسير الأجرام وجريانها في نفس الفلك وفاقا للرأي الحاضر وخلافا للنظام الغابر لبطليموس)وقوله-ع- مستطيل في السماء هو ما اختاره (كبلر) والمتاخرون من ان الفلك عندهم ليس سوى الخط المستقيم في الفضاء العالي المنحني بشكل بيضوي

---

[1] -محمد الحسيني الشيرازي ،توضيح نهج البلاغة،١/٢٥.

[2] -محمد تقي الخراساني،مفتاح السعادة، ١ /٧٨.

[3] -حول آراء غاليلو راجع،محمد عبد المطلب محمود،تاريخ علوم الطبيعة،ص١٨٩.

[4] -دخيل،شرح نهج البلاغة،١/ ٣٠،أيضا حامد حفني ،نهج الحياة،ص١١١ .

[5] -الراوندي،منهاج البراعة،١/٦٧ .

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،١/١٨.

[7] -الشهرستاني ،الهيئة والإسلام،ص١٥٩ ،وانظر ميرزا حسن جهاني الطباطبائي، مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، ٤مجلدات،مجهول الطبعة،١٣٨٨هـ،٣/١١٣ .

او الهليجي الجاري فيه النجوم ،وهذا الوصف الوارد في الخبر عن الامام انما ينطبق على مذهب الأواخر في صورة الافلاك وهيئتها الاهليجية والمستطيلة لا على مذهب القدماء القائلين بكروية الافلاك [1] كما وان الامام علي ابطل بنظرية خلق السماء والأرض من الماء رأي القدماء القائلين ان الفلك ليس بكونه من اجسام أخرى على سبيل التركيب والمزج وانه لا ضد لصورته المختصة بمادته فلا يجوز ان يكون من جسم اخر كما يتكون الماء من الهواء[2].

الكواكب

تطرقنا سابقا الى قول الامام علي بالسماوات السبع والأرضيين السبع ،وقد اول البعض مفردة الأرضين السبع الى الاقاليم والقارات الموجودة في الارض[3] وهو ما تنفيه لفظة الأرض الواحدة في القران بخصوص هذا الكوكب في كلام الإمام ،كما انه توجد أراضي الكواكب السيارة فلا يمكن مقارنة السماوات السبع باراضي الاقاليم بالارض ،وجواب العلم الحديث ان الارضين السبع هي أراضي السيارات(الكواكب)والسماوات السبع هي الكرات البخارية او الفضاء المحيط بتلك الأراضي وليست افلاك الفلاسفة السابقين لا بحسب الشرع ولا بحسب العلم[4] وتوجد ملاحظة مهمة في النهج تقول(لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها)[5] وهو ما يشير الى تفرقته بين مفهوم الأرضيين والأقاليم.

ويفهم ذلك على اساس ان الرؤية للسماء(التي هي كل ما علاك) من واقع الارض او من سطوح السيارات إلى ما فوقها وكل ما فوقها سماء .

---

1 - الشهرستاني ،الهيئة والإسلام،ص٦٠ ،وقارن مع بحث د.حسام الالوسي،عالم يتغير (ترجمة في فكر النهضة الاوربية،وابعاده الفلسفية والعلمية)مجلة الاديب المعاصر،بغداد،٦ ،١٩٨١م،ص١١٨.

2 - فريد خراسان ،علي بن زيد البيهقي،معارج نهج البلاغة، ص٦٠. وقارن مع ابن سينا،الاشارات و التنبيهات،٣/١٨٥.

3 - الخوئي ،منهاج البراعة،١/٤٠٣ .

4 - الشهرستاني،الهيئة والإسلام،ص١٥٨،الذي يقول انه اخرج الافلاك الباقية من عداد الأرضين لما مر من حصر الأرضيين في سبعة كما في القران وحديث الامام علي-ع- .

5 - محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٢١٨.

اذن فالكواكب عند النظر إليها من الأرض فهي ارض معلقة فوقنا وما يحيط بها سمائها فيصبح لدينا سموات سبع وارضون سبع ، ويروى الصادق -ع- ان أمير المؤمنين علي-ع-سئل عن السماوات والوانها فاجاب ان الأولى هي السماء الدنيا واسمها رفيع وهي من ماء ودخان والثانية قيدوم وهي على لون النحاس والثالثة الماذون وهي على لون الشبه والرابعة ارفلون ولونها الفضة والخامسة هيعون ولونها الذهب والسادسة عروس وهي ياقوتة خضراء واسم السماء السابعة عجماء وهي درة بيضاء[1] ويمكن التطرق للملاحظات التالية

١-ما اشار إليه الامام علي من أسماء السماوات انما هي الكواكب باعتبار انها ما يعلونا لذا تسمى الكواكب سموات ويقدم الإمام دليلا على هذا بقوله (فمن شواهد خلقه خلق السموات الموطدات بلا عمد قائمات بلا سند)[2] فاذن هناك بناء وهناك شواهد مرئية للخلق وهناك تعليق لهذه الشواهد بلا عمد وكيف تكون شواهد ونحن لم نرها ، وهو ما يعني انها معروفة بالأمس واليوم ، ثم ان هناك تعدادا للسماوات ،فكيف تعد ما لانرى اذا فسرنا السماوات بالهواء او الفراغ . بل ان الامام يعجب كيف علق الله في الهواء سمواته[3] وهو الدليل على ان الكواكب هي السماوات المعلقة والأرضين معا .

وهو ما يؤكده الامام الرضا-ع- فقد بسط كفه شارحا لرجل سأله كيف علقت السماوات وقال هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية وفوقها قبة والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوق الأرض الرابعة .....الى السابعة[4]

---

[1] -الصدوق ،علل الشرائع ،٢/٥٩٣ .

[2] -محمد عبده شرح نهج البلاغة،٢/١٠٤ .

[3] -محمد عبده شرح نهج البلاغة،٢/٥٦ .

[4] -نعمة الله الجزائري(ت١١١٢هـ)نور البراهين،تحقيق سيد رجائي،ط١، ٢مجلد،قم،١٤١٧هـ،٢/٩٥ .

٢-من الغريب ما ذكره صاحب كتاب الهيئة والإسلام من ان المسيو وايت وهو مكتشف الكوكب السادس قال ان اسمه ايروس (اورانوس) والإمام يسمي السماء السادسة عروس [1] بل والأكثر غرابة ان الامام قال انها ياقوتة خضراء والمعروف ان كوكب اورانوس الكوكب البعيد الذي يلي زحل يتميز بلونه الأخضر وبحلقاته الخمسة عشر ، وهكذا يمكن تفسير بقية الكواكب (السماوات) فلون السماء المحيط بالأرض وهو من دخان وماء (مغبر)والالوان الأخرى من النحاس والذهب والفضة والبياض التام مقارنة مع زحل ذو الحلقات الملونة والمريخ الأحمر اللون الشبيه بالدم لانه مغطى بأكاسيد الحديد الحمراء وعطارد الملتهب الذي يشبه لون الشمس او الذهب والزهرة اللامعة كأنها البياض[2].

٣-ان تفسير الإمام علي السابق لخلق الأشياء من الماء الذي جاء من العدم ينفي نظرية الفيض الإسلامية التي أتت فيما بعد وكون العقل الأول فاض عن الله وهي نظرية العقول العشرة التي هدمها أيضا نصير الدين الطوسي وهي نظرية إغريقية نمت في أحضان الصابئة الحرانيين وتلقفها عنهم الإسلاميون بإعجاب أمثال الفارابي وسينا واخوان الصفا [3] فالأفلاك عند الامام علي مخلوقة ومبدعة كما انه -ع- لم يشر إلى الفيض في كلماته وخطبه . ثم ان الإمام علي يقول بخلق الأرض قبل السماء[4].

٤- يرد في مناقب ابن شهر اشوب ان رجلا سئل الإمام في الكوفة عن طول الكواكب وعرضه فقال اثنا عشر فرسخا في اثنا عشر فرسخا !!![5].

---

[1] -الشهرستاني،المصدر السابق،ص٢٥٨.

[2] -حول الوان الكواكب انظر د.احمد زكي،في سبيل موسوعة علمية،ط٢،بيروت، ٥٤٠،١٩٧٧-٥٤٢.

[3] -الشيخ عبد الله نعمة،فلاسفة الشيعة،ص٣٧ .

[4] -حول نظرية الفيض راجع الفارابي ،آراء أهل المدينة الفاضلة،ص٤٤.أيضا ابن سينا ،النجاة، ص٣١٣-٣١٤. أيضا الإشارات والتنبيهات،القسم الطبيعي الإلهي، تحقيق سليمان دنيا،مصر،١٩٧٣م ،٢٢٩/٣-٢٣٠.

[5] -ابن شهر اشوب،مناقب ال أبي طالب،٢٦٢/١.

٥-قوله(ع)(وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها)[1] إنما هو تبيان لاحدى فوائد الكواكب من ان ضيائها احسن الزينة واكملها فلو لم تحصل صور الكواكب في الفلك لبقي سطحا مظلما)[2].

٦-ان وصف الإمام علي الكواكب (السماوات)بأنها مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيئات قصد به أقطار الكواكب وحدود حركتها والاقدار يعني صغرها وكبرها فهي ليست متساوية عنده ويعني بالغرائز طبائعها كاليبوسة والبرودة والحرارة وعنى-ع- بهيئتها أي أشكالها المختلفة وألوانها من الأحمر والأخضر والأصفر والأبيض وما إلى ذلك [3].

(وهو الأمر الذي بالإضافة إلى انه يؤكد على نسبية العالم العلوي فانه ينفي ما ورد عن الفلاسفة الإغريق من أن طبيعة الفلك غير طبيعة الأرض)[4].

الجو المكفوف

جاء ذكر الجو الكفوف في حديث الإمام علي حول السماء السفلى ، والذي يصفه في خطبة أخرى بالجو المكفوف الذي جعله الله مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر[5]وقد عرفنا ان المكفوف تعني الممنوع من الهطلان مع سيلان مادته .أما الالتفات لكون الجو مغيضا فتعني ان الجو مضافا لجريان الشمس والقمر فيه فانه يصبح موضعا لامتصاص الليل والنهار .لان المغيض يعني الموضع الذي يمتص الماء ويبلعه . فكأنه -ع- استعار لفظة الليل والنهار لمعنى النور والظلام .لهذا نرى انعدام ضوء النهار في الليل وانمحاء الليل في النهار بامتصاص الجو وابتلاعه للظلام والضياء وهو ما اكتشفه العلم الحديث .من ان الجو يمتص ما يقتضيه

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٦٨.

[2] -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،١/١٥٠.

[3] -محمد الحسيني الشيرازي،توضيح نهج البلاغة،٢/٥٥.

[4] -انظر ارسطو طاليس،في السماء والآثار العلوية،حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي،ط١،القاهرة ،١٩٦١م، ص٨٦٥.لقوله العالم الذي تحت فلك القمر ليس من العناصر الاربعة.

[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٨٣ .

ويصل الباقي الينا[1] والمغيض أيضا يعني تخفيف كمية الحرارة والضوء القادم إلينا من جهة الشمس ،سواء أكان الجو الخارجي الأعلى أو المحيط بالكرة الأرضية .ومن جانب آخر فان الإمام يقول(لو كان وجه الشمس لاهل الأرض لاحترقت الارض ومن عليها من شدة الحر)[2]. وهذا يبرز أهمية مفهوم الجو الكفوف الذي تناوله الإمام علي .

الشمس والقمر

وصف الامام علي الشمس بالسراج المستطير والقمر بالمنير ، وذلك عندما أجراهما الله سبحانه في الفلك الدائر(كما ذكرنا)وهذا يدل على ان الشمس تصدر نورا اكبر من القمر الذي وصفه بالإنارة ، أي عكسه للضوء بالقياس إلى الشمس التي تتصف بأنها سراج مستطير مشع . وفي الآية القرآنية قال تعالى(هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورا/يونس-١٠/٥) ويبنى الكلام أيضا على ان الشمس والقمر متحركان لقول الإمام (واجرى فيها سراجا وقمرا) أي كغيرهما من الأجرام . وليس هناك نجم ثابت[3].

فللقمر والشمس حركة وللفلك العام حركة أيضا ،ويروي فرات الكوفي(ت٣٥٢هـ)عن الإمام قوله ان الله خلق الشمس والقمر وكانا شمسين فمحا الله نور القمر وأبقى الشمس ،لذا قال تعالى(فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتعلموا عدد السنين والحساب/الإسراء-١٧/١٢) وجعلهما الله يجريان في الفلك والفلك بين السماء والأرض مستطيلا في السماء . ولو اختلفا في مقادير جريهما (حركتهما) لاحترق كل شي على وجه الأرض حتى الجبال والصخور[4] ويورد الطبري في تاريخه ان ابن الكوى سال الإمام علي عن لطخة القمر فقال . أما تقرا القران (فمحونا آية الليل/الإسراء-١٧/١٢) فهذا محوه[5].

---

[1] -الشهرستاني،المصدر السابق ،ص٦٢ .
[2] -الكليني،الكافي،٨/١٧٥ .الشهرستاني،المصدر السابق،ص٢٠٢ .
[3] -حامد حفني،نهج الحياة،ص١١١ .
[4] -فرات ابن ابراهيم الكوفي،تفسير فرات الكوفي ،ص١٨٤-١٨٦ .
[5] -الطبري،تاريخ الطبري،١/٧٥.

وفي نهج البلاغة في الخطبة الحادية والتسعين قال الإمام(وجعل شمسها (السماء)آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها(أي أن القمر عاكس)وأجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما)[1] .إذن فالمحو غير ثابت بل متغير.

ان شارح النهج البحراني فسر إبصار آية النهار و هو بقاء الشمس على حالها ومحو آية الليل إنما هو اختلاف أحوال القمر في إشراقه ومحاقه ففي كل ليلة هو في منزل[2]. كما وفسر البحراني ان المقصود بقدر سيرها هو بروجهما ومنازلها ، فالناس قسموا دور الفلك الذي تسير فيه الكواكب باثني عشر قسما سموها البروج وسموا كل قسم درجة وسموا تلك البروج بأسماء منها الثور والجوزاء والسرطان ....الخ اما الشمس فتسير شهرا في كل برج والقمر أزيد من يومين[3].

يصف الإمام علي القمر بـ(الخلق المطيع لله الدائر السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير ثم يقول آمنت بمن نور بك الظلم واوضح بك الهمم ... فامتهنك بالزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإنارة والكسوف)[4] وقوله نور الله بك الظلم أي جعل الضوء عرضا قائما بالجسم وفي النص ألفاظ مهمة مثل الدائر والسريع وكونه مترددا في المنازل التي ذكرت وفيه إشارة الى الزيادة والنقصان والإنارة والكسوف وهذه حصلت بفعل تردد القمر في منازل التقدير .أما الشمس عند الإمام فقد خلقت قبل القمر ، وقد وصف عملية الإضاءة بالنسبة لهما بالشكل المتوافق من ان بطونهما يضيئان لاهل السماء وظهورهما يضيئان لاهل الأرض[5].

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/١٦٧.
2 -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،٢/٣٤٩.وانظر مغنية،في ظلال نهج البلاغة،٢/٢٠.
3 -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،٢/٣٤٩.
4 -محمد باقر المحمودي،نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة،٨مجلد،ط٨، النجف،١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ،٦٠/٢٥. وينسب الدعاء إلى الإمام زين العابدين،راجع محمد ابن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ) الامالي ، ط١، قم ،١٤١٤هـ،ص٤٩٥ .
5 -القمي(علي ابن إبراهيم،تفسير القمي،٢/١٧.

وعلى فرض ان الشمس مضيئة من كل جوانبها والقمر لانـــه متغيـــر عاكس للضوء ودائر فانه في حالة إضاءة القمر عند أهل الأرض فانه يكون مظلما لاهل السماء والعكس صحيح ،فوصفه للـــشمس والقمـــر بـــالبطون والظهور هو بالإضافة إلى انه أحد التعابير البلاغية فان طلوع النـــور فـــي وجه القمر كما نراه من الأرض شبه بالظاهر او بوجه القمر أو بطن القمر.

ومن كلمات الإمام علي في الشمس هو ما يورده المجلسي وهـــو ان للشمس مائة وثمانين منزلا في مائة وثمانين يوما[1].

كما انه أجاب عن طول الشمس (ويقصد بها المسافة للشمس) فاجاب انها تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ !!! والذي يقول عنه صاحب الهيئة والإسلام ان الرقم قريب مما قاله الفلكيون المحدثون[2] وقد سئل الإمام عن طول وعرض القمر فقال أربعمائة في أربعمائة فرسخ[3].

العمد (الجاذبية)

قال تعالى في القران الكريم(خلق السماوات بغير عمد ترونها/لقمان-١٠/٣١)وقد سال الإمام الباقر-ع- عن معنى الآية فأجاب (ثمة عمد ولكن لا ترونها)[4] وهي إشارة مهمة تدل على الدعوة للتفكير في إحداث السبب ،وفي النهج ألفاظا عديدة تشير إلى قدرة الله في تعليق الأفلاك او الأجـسام بلا عمد منها كما ذكرنا علق في جوهـــا فلكـــا وقولـــه-ع- رب الـــسقف المرفوع وقوله أيضا بغير عمد يدعمها ولا دسار ينظمها ،كمـــا ان الإمـــام يدعو إلى التعجب من هذه الظاهرة بقوله(فمن فرغ قلبه واعمل فكره...كيف علقت في الهواء سمواتك)[5].

---

[1] -الشهرستاني،الهيئة والإسلام ،ص١٨٥.
[2] -الشهرستاني،الهيئة والإسلام،ص٢٠٤.
[3] -الشهرستاني،الهيئة والإسلام،ص٢٠٨.
[4] -نعمة الله الجزائري،نور البراهين،٩٥/٢.
[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٥٦/٢.

وقد تتضح الرؤية من خلال النص الذي ذكره صاحب تفسير القمي(ت٣٢٩هـ)والذي يورد عن الإمام قوله (لهذه النجوم التي في السماء مداين مثل المداين التي في الأرض مربوطة كل مدينة بعمود إلى عمود من نور)[١] وينوه محقق الكتاب في الهامش إلى ان الإمام فضلا عن إشارته لامكانية السكن والعمران في السيارات الأخرى ، فانه دلل على قانون التمايل والتجاذب بين هذه النجوم والسيارات[٢].

ويفسر هبة الدين الشهرستاني النص بان قول الإمام مربوطه بعمود من نور قد يكون إشارة إلى تأثير جاذبية الشمس في حفظها لنظام السيارات واتصال حامل الجاذبية بالنجوم على نحو الخط العمودي كما اتفق عليه الحكماء المتاخرون واما قوله بعمود إلى عمود فيمكن ان يكون إشارة لما تقرر أخيرا من ان نظام السيارات تحفظه قوتان من الشمس بسبب التحرك الدوري فلو انفردت القوة الأولى في التأثير ولم تكافئها الثانية لهوت جميع السيارات في كورة الشمس ، ولو انفردت الثانية ولم تكافئها الأولى لرميت النجوم خارج النظام الشمسي من الفضاء الواسع[٣] .

ملاحظات واستنتاجات:

١. مع ان الإمام علي اعلم الناس بالنجوم كما يرد عن الإمام الصادق(ع)[٤] إلا انه كان ينهى عن تعلم النجوم ، فلقد قال(أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدي به في بر او بحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار)[٥].

---

١ -علي ابن إبراهيم القمي،تفسير القمي،٢١٩/٢.

٢ -علي ابن إبراهيم القمي،تفسير القمي،٢١٩/٢،(الهامش)

٣ -الشهرستاني،الهيئة والإسلام،ص٢٨٥.

٤ -ابن طاووس الحسني(علي ابن موسى/ت٦٦٤هـ)فرج الهموم في تاريخ علماء النجوم،دار الذخائر، قم،ص٤٢ .

٥ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة، ١ /١٢٨.

٢. سئل(ع) عن المسافة بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم إلى الشمس[١] وسئل كم المسافة بين السماء والأرض فقال دعوة مستجابة[٢].

٣. اشار الإمام إلى النجوم المزدوجة في السماء بقوله (ما سمر سمير وما أم نجم في السما نجما)[٣].

٤. نبه الإمام إلى وجود المذنبات بقوله(ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب)[٤] فالثواقب هي المذنبات .

وقد أشار إلى اعظم المذنبات ، فقد سئل عن معنى الطارق في القران . فاجاب هو احسن نجم في السماء وليس تعرفه الناس وانما سمي طارقا لانه يطرق نوره سماء الى سبع سموات ثم يطرق راجعا إلى مكانه[٥].ويعقب هبة الدين الشهرستاني بان الإمام قصد بالطارق مذنب هالي وان (تيخو براهه)هو مكتشف هذا المذنب بعد الألف الهجري فقط،واوضح الشهرستاني معنى يعود لمكانه ، أي انها صفة مختصة بالمذنب وكونه طارقا أي ان اصل جرمه منير[٦].

ويبدو هذا التفسير راجحا كما ان قول الإمام ليس تعرفه الناس ، يمكن تعليله على أساس دوران المذنب حول الشمس ورجوعه الى مكانه وهي مدة طويلة تجعله يغيب لفترة طويلة تمتد لعشرات السنين ،مما قد يخفى عن الفلكيين أنفسهم ثم يظهر ويظل محتفظا بطاقته ، طارقا السماء،ويجب ملاحظة القول بان نوره طرق السماوات السبع بأنه يدلل على ما ذكر سابقا من ان الكواكب هي السماوات لان هذا المذنب يسير بشكل أفقي دائري

---

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٧١/٤ ،وانظر صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،٢٧٢ ،ويرويها يوم مطرد للشمس.

٢ -اليعقوبي،تاريخ اليعقوبي،٢٠٩/٢ ،وانظر صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة،٢٧٣.

٣ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٧/٢ ،وحول النجوم المزدوجة انظر محمد عبد المطلب محمود،تاريخ علوم الطبيعة،ص٢٤١ .

٤ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٨/١.

٥ -الطبرسي،علل الشرائع،٥٧٧/٢ .ايضا صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة،ص٢٦٨.

٦ -الشهرستاني،المصدر السابق،ص٣٠٥ وما بعدها .

ويدور حول الكواكب والشمس لا بشكل عمودي ، ويبدو انه مهم الى درجة أن الله سبحانه أقسم به في القران .

الفصل الرابع

المبحث الاول :

النفس في فكر الامام علي (ع)

المبحث الثاني:

*علم النفس عند الإمام علي(ع)

*الشخصية

*تصنيف المرض النفسي

المبحث الاول

النفس في فكر الإمام علي (ع)

للنفس معان عديدة ،فقد يقال سالت نفسه أي دمه ، ونفس الشيء عينه الذي يعرف به والنفس أنثى إذا أريد بها الروح لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة /النساء-٤/١) وإذا أريد الشيء فمذكر وجمعها انفس ونفوس وهي مشتقة من النفس[١].

وتعتبر النفس أحد اصعب الموضوعات التي يواجهها الباحثون ، لتعلقها بغير المحسوس وغير المرئي مما يجعل احتمال التنظير في هذا المجال عرضة للخطا، فتكون النتائج خاطئة ويمكن القول ان علم آثار النفس حقق نجاحا في مجال البحث اكثر من مسالة معرفة النفس بحقيقتها.

وفيما يخص فكر الإمام علي يلاحظ إن اغلب كلامه -ع- بشكله الظاهري ينصب على ذم النفس ، وقصد بذلك النفس الأمارة بالسوء[٢].

وهناك علاقة بين مفهوم النفس عند الإمام وبين علم آثار النفس (علم النفس في المصطلح الحديث) ويتداخل أيضا مفهوم الروح مع النفس، وفي معالجة الإمام للنفس أشار الى تقسيمها وتجردها وبقائها وخلودها وأيضا أشار إلى وجود الروح قبل الجسد ، وقد لا نجد تعريفا محددا عند الإمام إلا انه يمكن القول إننا بمناقشة الآراء العديدة في هذا المجال قد نصل إلى تعريف وفكرة واضحة عنها .

١- الطريحي ،مجمع البحرين ، ٤/٣٤٨-٣٤٩ . وانظر الطباطبائي ،تفسير الميزان، ٦/١٧٨ ،وفيه تفصيل لمعاني النفس ،وقارن مع أبي هلال العسكري،الفروق اللغوية،ص٥١٩ ،وفيه ان النفس اسم مشترك يقع على النفس والروح .

٢-لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة ،ص٦٧٨ .

مفهوم الروح

روي عن الإمام علي قوله الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ [1] وهذا يعني ان الروح مكملة للبدن وبها يحيا ، وإذا استذكرنا مبحث خلق الإنسان السابق وبخاصة المتعلق بنفخ الروح والتي عرفنا إنها مخلوقة لأنها ليست جزءا من الله، فإننا نفهم إن الروح غير البدن ،لأنه سيكون لا معنى للنفخ في البدن . والمفروض ان بدن آدم كان كاملا من حيث العنصر ثم تعلقت به الروح ، كما ورد عن الامام وايضا القران لقوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي/ الحجر-١٥/٢٩) وهو دليل على تجردها وكونها مخلوقة قبل البدن[2].

واختلاف الروح عن البدن يوضحه الإمام بقوله (الروح حياة البدن) كما ان العقل حياة الروح[3] ومن الطبيعي أن نفهم هنا أن الروح هي ما يحيا بها البدن لذا فهما مختلفان .

وقد تأتي تسمية الروح من إنها مشتقة من الريح كما يرد عن الإمام الصادق (ع)[4] وهي دلالة على خاصية الحركة، والروح في نظر الإمام علي لا تموت ، فلم نجد لفظا في النهج أو سواه فيه إشارة إلى موت الروح ، بل إنها تبقى عند خروجها من البدن بعد أن تقبض ويصبح جسد الإنسان منتنا[5].

---

[1] - جعفر الحائري ،نهج البلاغة الثاني ،ص٢٩٢ .

[2] - محمد تقي النقوي الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة،٧مجلدات، طهران ، بلا تاريخ ، ١٣٩/٤ .

[3] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٧٨/٢٠ ، وانظر لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة، ص٦٧٦.

[4] -الصدوق ،التوحيد ، ص١٧١.

[5] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢١٣/١ .

وما يدل على انها حياة البدن هو إنها ترفرف كما يقول الإمام فوق النعش بعد الموت[1] أي انها لا تبقى ملازمة لجسد الإنسان عند الموت وهذا يدل على خلودها وتجردها .

يضاف الى ذلك بان النص المروي عن الامام علي وهو أحد النصوص المشهورة يقول بان الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام فاسكنها الهواء فمن تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف[2].

والقول هنا صريح بخلق الروح قبل البدن ، وهو ما لا يوافق قول الفلاسفة، وقد يمكن التوفيق هنا بين الفكرتين من حيث ان الإمام خص الأرواح لا النفوس ، فالأرواح خلقت قبل الأبدان أما الأنفس فهي حادثة ، وفي وقت نجد فيه عدم ذكر الموت ، توجد ألفاظ في النهج تشير إلى تذوق النفس الموت ومثال ذلك (أمات نفسه)[3] وهذا نجده في القران أيضا بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت /٣/عمران /١٨٥).

ومن اختلافات الروح أنها تأتي في كلام الإمام بشكل واحد وهي غالبا غير واضحة المعالم ، حتى أن القران صرح بذلك قائلا (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا /الإسراء-١٧/٨٥) .

أما النفس فتأتي بشكل متنوع حتى ان القران يصنفها بشكل اللوامة والأمارة والمطمئنة ،أما الإمام فقد صنفها على أربعة أقسام كما سيأتي .

وتمتاز النفس بالضعف والقوة والتأثر والتأثير ، وفي القران النفس هي من يحاسب لقوله تعالى(ليجزي الله كل نفس بما كسبت /إبراهيم -

---

[1] -البحراني(ميثم ابن ميثم) قواعد المرام في علم الكلام ،تحقيق السيد احمد الحسيني، ط٢، مكتبة المرعشي، قم ،١٤٠٦هـ، ص١٥٢ .

[2] -الصفار(محمد ابن الحسن/ت٢٩٠هـ) ، بصائر الدرجات،تحقيق محمد كوجه باغي بطهران،١٣٦٢ش -١٤٠٤ق، ص١٠٨، وانظر المجلسي ،بحار الأنوار ، ٥٨ /١٣٢.

[3] -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة ، ٢/٢٠٤ ، وانظر عبد الباقي الصوفي التبريزي ، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة ، ط١،مجلدان، (فارسي،عربي) ،١٤٢٠هـ، طهران ،١١٥٠/٢ ، وفيه ان النفس الحيوانية او الشهوية هي من يذوق الموت .

٥١/١٤) ويروي ابن عباس نصا يدعم الاختلاف بين الروح والجسد ، فقد قال ان في ابن آدم نفسا وروحا فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح بها التحرك والتنفس فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه كما قال تعالى(الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها/الزمر-٣٩-٤٢)[1].

وهذا النص يرد عن الامام علي وهو يدل على اختلاف المفهومين ، كما يدل على تجرد النفس او الروح ، فقد سئل الامام علي عن الرؤية الصادقة فقال ان الله خلق الروح وجعل لها سلطانا وسلطنها النفس فإذا نام العبد خرجت الروح وبقي سلطانها[2].

ومن كل ذلك نفهم أن الروح هي الطاقة المحركة للبدن وهي حياة البدن. وهي الأصل الأول للحياة وهي جاءت بالنفخ الأول في البدن وهي مخلوقة واستمرارها عبارة عن استمرار الحياة للنطفة الأولى التي تصبح علقة ثم مضغة ثم إنسانا كاملا وقد بين الإمام علي أن النطفة إذا أتمت أربعة أشهر بعث الله إليها ملكا فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله ثم انشأناه خلقا آخر ، ويعني نفخ الروح[3].

---

[1] -المجلسي ،بحار الانوار ، ٦٢/٥٨ .

[2] -المجلسي ،بحار الانوار ، ٤١/٥٨.

[3] -السيوطي،الدر المنثور، ط١ ،٦مجلدات،بيروت،١٣٦٥ هـ، ٧/٥ ،وانظرا لمجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٨٣/٥٧ .

النفس وخصائصها عند الإمام علي

اعتبر الإمام معرفة النفس افضل المعرفة[1] لذا دعى الى معرفة الانسان نفسه ، وقد ذكر ذلك ابن سينا بقوله (معرفة النفس مرقاة إلى معرفة الرب تعالى، كما اشار إليه قائل الحق بقوله من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وداعي الحق عنده هو الإمام علي[2]. ووصف الإمام النفس بأنها جوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها[3]. وقد قسم النفس الى اربعة أقسام هي النباتية ، والحيوانية ، والناطقة والإلهية، وهذا يعني ان هذه النفوس هي نفس واحدة ذات قوى مختلفة ووظائف متباينة .

ومن خصائص النفس تأثرها بالطبائع فقد قال -ع- بان من يقوى اثر النفس فيه بفعل الطبائع يمكنه أن يرتقي في الأخلاق والعلوم الإلهية[4] والنفس من خلال هذا النص تحمل طابع القوة والضعف والتدرج في المعارف والتغير ، كما إننا نجد نصا في النهج قاله الامام عند احتضار الرسول (ص)بقوله(وقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي)[5].

وهو ما يوحي بخاصية الحركة والسيلان ، وإذا كانت الحركة من خواص النفس فان النص يشير الى جسمية معينة مع عدم تحديد الشكل ، ولا يمكن تأويل النفس هنا (كما يبدو)على انها الدم ، لانه سيكون لا معنى لامرار الدم على الوجه.

---

[1] -الخوانساري،غرر الحكم ، ٣٨٨/٧ .

[2] -البير نصري نادر،ابن سينا والنفس البشرية(نصوص لابن سينا)،بيروت، حيث اشار في الهامش الى ذكر ابن سينا للامام علي في كتاب المباحثات مخطوطة رقم ٣٩٧ ،دار الكتب المصرية ، ص١ .

[3] -الخوانساري،غرر الحكم ، ٣٩٢/٧ .

[4] - النباطي العاملي(علي ابن يوسف/ت٨٧٨هـ)الصراط المستقيم،تحقيق محمد باقر المحمودي ،٣مجلدات،المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية، ٢١٤/١ . وانظر احمد الرحماني الهمداني ،الامام علي ،ص٦٢٤ .

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١٧٢/٢.

ومن تأكيدات الإمام المهمة على وجوب معرفة النفس ، هو أن تعرف بطبائع وأركان أربعة : فالطبائع هي الدم والمرة والريح والبلغم ، ودعائمها العقل الذي منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، وأركانه النور والنار والروح والماء ، فأبصر وسمع وعقل بالنور واكل وشرب بالنار وجامع وتحرك بالروح ووجد طعم الذوق والطعم بالماء[1] وكل هذا يدل على تأثير الطبائع في النفس وهو ما يبنى على قوله السابق من اعتدلت طبائعه قوي اثر النفس فيه.

ومن النص نلاحظ انه -ع-جعل العقل ضمن مفهوم النفس ، وان من خواص العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، وأيضا جعل الإبصار والسمع والتعقل يكون بأحد أركان النفس وهو النور.

كما ان الإمام جعل عملية الأكل والشرب تكون بالنار ولا ادري لعله يشير إلى أن الحرارة في النفس تقوم بالهضم او استمرارية عملية الأكل ،أخيرا أكد ان الإنسان يعرف الذوق والطعم بأحد أركان النفس وهو الماء .

ومن الخصائص المتعلقة بتجرد النفس وبقائها بعد الدثور للبدن قوله-ع- تزودوا في الدنيا ما تحرزون به لانفسكم غدا [2].ولم يقل الإمام تزودوا لأبدانكم بل خصص البقاء للنفس ، واشار أيضا إلى أن كمال النفس في الدنيا لا الآخرة[3].

ومن المناسب هنا ذكر حادثة تدل على اختلاف النفس عن البدن وتجردها، فقد عرضت على الإمام قضية ارث لرجل برأسين وفمين واربعة عيون وهو ملتصق من الوسط (سيامي) وسئل ما حكم ارثه، فاجاب-ع-

[1] -المجلسي ، بحار الأنوار ، ٥٣٨/٥٨ .وقد أورد عن الصادق-ع- قوله وجدنا ذلك في كتب علي .

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٧٢/١ .

[3] - محمد تقي النقوي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، ٤٤١/٥ .

ينوم فان اغمض الأعين او غط من الفمين كلاهما كانا واحدا ، فإذا انتبها كلاهما فهما واحد ، وإلا فهما بدنان (شخصان)[1].

ويلاحظ بالإضافة لاختلاف النفس عن البدن هنا وتجرد النفس في هذا المثال ،إن الإمام ابتكر طريقة وبرهانا جديدا في هذه التفرقة حول تجرد النفس عن البدن .

---

[1] -الشيءخ الطوسي ،تهذيب الأحكام ،١٠مجلد،قم ،١٣٦٥،٩، ٣٥٨/١ .وانظر المجلسي ،بحار الأنوار ، ٢٥٨/٤٠ وأيضا ٣٥٤/١٠١ .

أقسام النفس

في سؤال لكميل ابن زياد أراد به من الإمام علي أن يعرفه نفسه قسم الإمام علي النفس على أربعة أقسام هي :النباتية،الحسية الحيوانية ،الناطقة القدسية ، الكلية الإلهية[1].

وقبل البحث في خصائص هذا التقسيم يجب التوضيح ان الرواية لا تبدو غريبة لعدة أسباب منها التدرج الحاصل بالنسبة إلى النفس والذي يتلاءم مع اصل نشوء الإنسان وبدايته من النطفة ثم العلقة والمضغة والجنين ثم الإنسان العاقل وهي مراحل تدريجية ، ومما لاشك فيه ان القران الكريم أعطى تقسيما للنفس تمثل بالأمارة واللوامة والمطمئنة وهذا تدرج في مراحل الرقي النفسي المتغير فيمكن مثلا مقارنة النفس الأمارة بالحسية الحيوانية عند الإمام ، والنفس اللوامة بالناطقة القدسية كونها تحمل وسطية التعقل واللوم على الذنب ، أما المطمئنة فهي أعلى مرحلة وهي الكلية الإلهية .

ولعل ما ينسجم وتطور النفس وتدرجها إلى الروحانية ،هو ما أشار إليه صدرالدين الشيءرازي في الجزء الرابع من الأسفار من أن للنفس ثلاث نشات هي الصورة الحسية الطبيعية والنشأة الثانية هي الأشباح والثالثة هي العقلية[2].

ويذكر ان شبيه بهذا التصنيف أورده صاحب تحف العقول(ق٤)عن الإمام علي من ان للأنبياء خمس أرواح هي روح القدس والإيمان والقوة

---

[1] –محسن الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي ، ، ١١١/٣ .وانظر القمي(القاضي سعيد/ولد١٠٤٩هـ) التعليقة على الفوائد الرضوية،قم،١٤١٥ق-١٣٧٤هـ.ش،ص١١٠-١١١،وانظر المجلسي ،بحار الأنوار، ٨٥/٥٨ ،الطريحي ،مجمع البحرين، ٣٤٩/٤ ، أيضا هادي كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة،ص١٦١ . وقارن مع د.محمود قاسم ،النفس والعقل عند فلاسفة الإغريق والإسلام ،القاهرة ،١٩٤٩ م،ص٨٩ ،حيث نجد هذا التقسيم عند الفارابي ،ابن سينا ،الغزالي ،وغيرهم من الفلاسفة وهي فكرة يونانية .

[2] –حبيب الله الهاشمي الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٩٦/١٩ .

والشهوة والبدن وللمؤمنين أربعة أرواح هي روح الإيمان والقوة والشهوة والبدن[1].

ومن التدرج الحاصل للإنسان أن النطفة تتحرك من الجمادية إلى النباتية في الرحم إلى الحيوانية ثم إلى الإنسانية ، وقد أشار القران الكريم إلى ذلك بقوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر/المؤمنون-٢٣/١٢-١٣)[2].

أولا:النفس النامية النباتية :

ولها خمس قوى هي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والمربية وبدا إيجادها عند مسقط النطفة ومقرها وانبعاثها من الكبد ومادتها من لطائف الأغذية وفعلها النمو والزيادة وهي أشبه الأشياء بنفس الحيوان [3].

ويبدو ان الإشارة إلى أن انبعاثها ومقرها الكبد ،هو من حيث كونه مصنعا للنمو في الجسم أما خاصية الزيادة والنقصان فلعله يشير إلى الكون والفساد داخل الجسم .

ثانيا:النفس الحسية الحيوانية :

ولها خمس قوى هي سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان هما الشهوة والغضب وانبعاثها من القلب وهي أشبه الأشياء بنفس السباع ، وبدأ إيجادها عند الولادة الجسمانية وفعلها الحياة والحركة والظلم والغلبة واكتساب الأموال والشهوات الدنيوية .

---

[1] -ابن شعبة الحراني،تحف العقول،ص١٩٠ .

[2] -محمد تقي النقوي،مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة ، ١٧٢/٧ .

[3] -القاضي سعيد القمي،الفوائد الرضوية ،ص ١١١وانظر تصنيف نهج البلاغة،ص٦٨٢ .

وحول الشرح الكافي لقوى النفس النباتية راجع البحراني،شرح نهج البلاغة، ١٨٣/١ .

ثالثا:النفس الناطقة القدسية :

ولها خمس قوى هي فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة ولها خاصيتان هي النزاهة والحكمة وبدا إيجادها عند الولادة الدنيوية ومقرها العلوم الحقيقية الذهنية وموادها التاييدات العقلية ، وفعلها المعارف الربانية ، وسبب فراقها ،تحلل الألات الجسمانية وهي أشبه الأشياء بنفس الملائكة[1].

رابعا:النفس الكلية الإلهية :

هي قوة إلهية وجوهرة بسيطة حية بالذات ، اصلها العقل منه بدأت وعنه دعت واليه دلت واشارت وعودتها إليه إذا كملت وشابهت، من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل وغوى ولها خمس قوى ، بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وغنى في فقر وصبر في بلاء ولها خاصيتان هي الرضا والتسليم ومبدؤها من الله واليه تعود...ثم ختم الإمام بقوله تعالى(يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية/الفجر-٨٩/٢٧-٢٨) واضاف ان العقل وسط الكل لكيلا يقول أحدكم شيئا من الخير والشر إلا بقياس معقول [2].

ومن النصوص السابقة يمكن ملاحظة ما يلي :

١. قوله -ع- ان بدا النفس الحيوانية عند الولادة لعله أراد الولادة الجسمانية للجنين ، والذي تتكون أعضائه وقواه الحيوانية ويستعد لافاضة الروح الحيواني[3].

٢. ان العقل والشهوة ضدان مختلفان عند الإمام علي [4]وهذا يعني اختلافهما الأمر الذي يتناسب مع تقسيم النفس الحيوانية والناطقة المختلفتان .

---

[1] -سعيد القمي ،الفوائد الرضوية ،ص١١٢.

[2] -المجلسي ،بحار الأنوار، ٨٥/٥٨ ،وانظر هادي كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة ،ص١٦١ .

[3] -سعيد القمي ،الفوائد الرضوية،ص١١٢ .

[4] -الشيخ احمد الحائري،تهذيب النفس ،ط١،دار الحجة ،قم،١٤٢١ هـ ق،ص١٩ .قارن مع افلاطون ،الجمهورية،ترجمة حنا خباز،ط٣، مصر، المطبعة العصرية،بلا تاريخ ،ص١٠٥،و قول سقراط بان في النفس قوتان هما الذهنية والشهوية.

٣. ان النفس الإنسانية واقعة بين قوى النفس الشهوية والعاقلة ، فبالأولى يحرص على تناول اللذات البدنية كالغذاء واللذة والظلم وبالأخرى يتناول العلوم الحقيقية والفضائل المؤدية إلى السعادة [١].

٤. ذكر الإمام النفس الحيوانية وان مقرها القلب ولها خاصيتان الشهوة والغضب ويدعم قوله هذا كلامه في النهج حول القلب بأنه إذا سنح له الرجاء أذله الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الأسف...[٢].

٥. يبدا منهج الامام في عرض أجزاء النفس بتفصيل النفس أولا ثم زمان إيجادها (لحظة إيجادها) ثانيا ، ومقرها وفعلها ثالثا .

٦. يمكن القول ان النفس الناطقة قوة منظمة تمنع الإفراط الحاصل في النفس الحيوانية .

---

١ -الطريحي ،مجمع البحرين ، ٣٥٠/٤ .

٢ - الصدوق ،علل الشرائع، ١٠٨/١ ،وانظر محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ٢٥/٤ .

المبحث الثاني

*علم النفس عند الإمام علي (ع)

أصول علم النفس

يعنى علم النفس بدراسة الإنسان من حيث سلوكه ، تفكيره ، ذاكرته ، شعوره ، فهمه وطريقة تعلمه وشخصيته وصحتها وأمراضها والوراثة ، ويرتبط علم النفس بعلاقات وثيقة مع علم الاجتماع .

وقد يكون من الصعب القول بوجود علم نفس متكامل في الفكر الإسلامي ولكن قد تذل هذه الصعوبة عند تحليل اراء الإمام علي ، وان كانت تلك الآراء قد توزعت بشكل متناثر في الكتب والمصادر المتعلقة بالسلوك الصحيح والوراثة والبيئة ومراحل النمو للإنسان والمزاج والشخصية وأشكال اللذة وامراض النفس الأخرى ، وبالمجمل فان هذه الآراء تشكل البذور الأولى لتكوين أفكار عالية المفهوم والدقة لبناء علم النفس الإسلامي ، وقيمة هذه الأفكار تكمن في كونها سابقة على من جاء بعدها ، بل واكثر خصوبة وفائدة وشمولية .

أنواع الفعل ورد الفعل (المثير والاستجابة)

يتناول علم النفس مجمل سلوك البشر إلا أن الزاوية التي تناولها بشدة هي المتعلقة باستجابتنا تجاه الأشياء داخلية كانت أم خارجية ، مادية أم معنوية والتي تسمى المثيرات ، وهي تتناول جانبين من الشخصية هما الوجداني والإدراكي فالأول يتمثل في الإرادة والرغبة والانفعال وغير ذلك والإدراكي يتمثل في المهارات والآليات العقلية الصادرة تجاه المثيرات [1].

ونلاحظ ان العلم الحديث يشدد على مفهوم الحالة السوية، والتي من خصائصها الإدراك الجيد للواقع وبردة فعل متوازنة ولا تعتمد الإساءة

---

[1] د.محمود البستاني،علم النفس في ضوء المنهج الإسلامي،ط١،قم،١٣٨٢هـ،ص٩-١٠

وتدرك ما يقوله الآخرون من دون مبالغة او إفراط كما ان لها القدرة على ممارسة سيطرة اختيارية على السلوك[1].وهو ما قرره الإمام من قبل بقوله(لا ترى الجاهل إلا مفرطا او مفرطا)[2].

ويمكننا تحليل قول الإمام علي بان الإساءة يمكن أن تقابل بالإحسان فتكون من احسن الفضائل[3]، معتبرين ان الإساءة مثير أما نوع الاستجابة المطلوبة فهو الإحسان كما يفهم من قول الإمام ،فالفعل يقابله رد الفعل السليم او غير السليم .

ان للفعل الإنساني صورا عديدة تتراوح بين الخير والشر ،الحسن والسئ ، المقصود وغير المقصود وبالمعنى الأعم الفعل السالب والموجب ، ورد الفعل (الاستجابة)أيضا له صورا عديدة هي نفسها صور المثير ولكنها تأتي كالتالي :

١. معاكس : مثل ان يكون الفعل خيرا ويقابل بالشر ولا وجود لرد الفعل هذا في تنظير الإمام علي بل انه –ع– يعالج الشر بالتوصية بان يحصد الإنسان الشر من صدر الأشرار بقلعه من صدور الخيرين أولا [4] واكثر من ذلك يوصي بردة فعل متعقلة بقوله لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءا وأنت تجد لها في الخير محتملا [5].

٢. أن يكون الفعل شرا ويقابل بالخير (مثيرا سيئا واستجابة حسنة)ومثالها كثير في كلمات الإمام ، التي منها (عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شره بالإنعام عليه)[6] وقوله –ع– إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب [7].

[1] –د.قاسم صالح حسين ،علم نفس الشواذ والاضطرابات النفسية،ط١،اربيل،٢٠٠٥م، ص٣٥.

[2] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٥/٤.

[3] –الخوانساري ،غرر الحكم ، ٣١٠/٧ .

[4] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤٢/٤ .

[5] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٨٤/٤ .

[6] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤١/٤.

[7] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٩٩/٤ .

وهي ردة فعل نحو أحد الخوارج الذي سب الإمام، وقد حاول أصحابه ان يقتلوا الخارجي.

٣. أن يكون الفعل شرا ويقابل أحيانا بمثله ، ومثاله عند الامام قوله (رد الشر بالشر فان الشر لا يرده إلا الشر)[1] وردة الفعل هذه لا تناقض ما سبق بل تشمل نوعية من الشر ليس لها إلا الرد .

٤. النموذج الأخير هو أن الخير يقابله الخير ، وبلا شك ان كل الحكم الأخلاقي عند الامام تقول بهذه الاستجابة .

ويلاحظ ان الإمام يؤسس ردة فعل الإنسان (الاستجابة) من إنها يجب ان تكون مبنية على أساس الجانب الإدراكي والأخلاقي في حين ان الجانب السئ من المثير فانه بلا شك مرض من أمراض القلب او النفس لانه بحسب البحث السابق عن النفس والتي مركزها القلب، فإنها تملك قوى هي أساس للأمراض النفسية كالغضب والحرص والحقد والظلم واليأس والخوف والحذر....الخ.[2] وهي أفعال غريزية بالطبع ووراثية لأنها لدى كل الناس ومن هذه الأفعال الإنسانية يحدث الخطا مع الغير(تأثيرا أو تأثرا)وهي انفعالية غير مستقرة لهذا فإنها تعتبر الجانب الوجداني او العاطفي للإنسان الذي يصدر عنه المثيرات (الفعل)أما الجانب الإدراكي للإنسان المتمثل بالنفس العاقلة فهو فضلا عن كونه خاضعا أحيانا للحالات الانفعالية فان الجانب الادراكي يمكن ان يقع فيه في حالات مرضية من قبيل التذكر والنسيان وردة الفعل في هذا الجانب تأتى ضمن دائرة الإدراك والتفكير ومركزها القلب الذي يصفه الإمام أيضا بان فيه موارد من الحكمة وأضدادها من الأفعال الانفعالية التي سبق ان ذكرناها.

---

[1] -ميثم البحراني ،اختيار مصباح السالكين،ص٦٥١،وانظر الخوانساري،غرر الحكم، ٨٦/٤ .

[2] -محمد عبده شرح نهج البلاغة، ٢٥/٤ .

ويصور الإمام الاستجابة في الجانب الادراكي بقوله (فالناضر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله (فعلـــه) ان يعلم اعمله عليه أم لــــه، فان كان لــــه مضى فيه وان كــان عليه وقـف عنه) [1] . وهو تنبيه إلى ضرورة التعقل بالرد . و لعلها أفعال عقلانية ، نعم ، ولكنها متباينــة، وهذا الأصل السلوكي يبين اثر البيئة والوراثة معا في الفعل الإنساني بـل والنفس الإنسانية .

وقد يأتي اختلاف فعل الإنسان بسبب اختلاف مبادئ طينته ، لذا نــرى في كلام الإمام وصف لهذه الحالة بان من اختلاف طينة الإنسان نرى ناقص العقل وتائه القلب ومتفرق اللب وطليق اللسان [2].ويمكن القــول ان هــذه النظرية اعتمدت اليوم على شكل نظرية بنية الجسم وهي تعنــى بدراسـة شكل وتركيب الأجهزة البايلوجية للإنسان ومنها ظهـرت الفراســة (فـن التعرف على الشخصية)ورائدها هو الفرنسي(كريتشمر-١٩٢٥)وقد ربـط بين خصائص الجسم والمزاج ، ويضاف لذلك النظرية الغذائية ، وهي تهتم بتأثير مادة غذائية معينة على الإنسان وسلوكه الحسن او السئ [3].وهو ما سوف نتطرق إليه في مبحث تصنيف العلوم حيث أشار الإمام إلــى تــأثير المواد الغذائية على الإنسان وحالته النفسية سلبيا او إيجابيا.

ويبدو من المهم توضيح الفرق بين الفعل الإنساني الذي يمثل ما يــشبه السلوك النفسي والفعل الأخلاقي ، فهذا الأخيـر يمثـل النتيجــة النهائيـة الصحيحة للفعل الإنساني النفسي ، وكلاهما يمثـل تعـاملا مـع الغيـر ، والأخلاقي هو محصلة ذات قيمة تتميز بالتعقل والاعتدال .

ومن كل ذلك فالفعل ورد الفعل عند الإمام علي يجب أن يكــون بـشكل متعقل وفق ضوابط أخلاقية وهذا يساعد في بناء الإنسان والشخصية وهي

---

[1] -محمد عبده شرح نهج البلاغ، ٢/٤٤ .

[2] -محمد عبده شرح نهج البلاغ، ٢/٢٢٧.

[3] - حول هذه النظريات انظر د.قاسم صالح حسين ،علم نفس الـشواذ والاضـطرابات النفسية،ص٤٧.

التي يعرفها العلم الحديث ، بأنها أفعال وردود أفعال الشخص تجاه المجتمع والتي تتكون من البيئة أو الوراثة أو كليهما[1] .

محركات السلوك الإنساني

إن اشد العيوب بروزا في نظرية الغرائز هو إهماله أولا الأصل النفسي للغرائز وإهمالها ثانيا للطبيعة الثنائية في ذلك الأصل ، وحين نتجه إلى التصور الإسلامي نجده يحدثنا عن (الأصل النفسي) وطبيعته الثنائية ويشكل هذا الأصل المحرك الأول لكل نشاط بشري [2].

ومن هذا المنطلق يقول الإمام علي (إن الله ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة و من غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم [3]).

والنص لا يحدد محركا للسلوك الإنساني فحسب بل وسلوك الملائكة والحيوان ،والمبدأ المذكور يحمل (طابعا ثنائيا)لمفهوم الغريزة يتمثل في طرفين يتجاذبان الإنسان في بحثه عن اللذة وتجنب الألم وهما الشهوة والعقل او الذات والموضوع او الخير والشر او الأمر والنهي الشرعي ، والإنسان يرث هذا التركيب الثنائي فطريا (من حيث البعد النفسي)يواكبه ميراث فطري (من حيث البعد الادراكي) هو الوعي بمبادئ الشهوة والعقل فقد قال تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها/الشمس-٩١/٧)[4].

وهذا يعني ان الإنسان حينما ركب فيه الاستعداد لممارسة الخير والشر (العقل والشهوة) فقد ركب فيه (إدراك) لكل من الخير والشر حتى تصبح

---

[1] -احمد عزت راجح ،أصول علم النفس ،،مصر ،١٩٧٢م، ص٦٢-٦٣.

[2] -د. محمود البستاني،دراسات في علم النفس الإسلامي ،٢مجلد، ط١، دار البلاغ،بيروت،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١/ ١٤ .

[3] --الصدوق ،علل الشرائع، النجف ،١٩٦٦م، ١/ ٤ ،وانظر المجلسي،بحار الأنوار ، ٥٧/ ٢٩٩ .

[4] -د. محمود البستاني،دراسات في علم النفس الإسلامي، ١/ ١٤-١٥ .

ممارسة السلوك خاضعة لعملية اختيار لا إجبار مما يترتب على ذلك تحمل مسؤولية السلوك الذي يمارسه[1].

ويلاحظ ان دلالة التركيب من الشهوة والعقل في نص الإمام يشير إلى مفهوم الغريزة ويشير إلى مفهوم اثنيني يتميز بالصراع لاختلاف عمل كلا منهما. ويمكن القول ان كلا من العقل والشهوة يفهم اللذة بطريقته الخاصة ويبحث عنها متجنبا الألم ، فالشهوات تبحث عن الإشباع المطلق في اللذة بطرق غير مشروعة بينما العقل يوجه اللذة إلى ناحية اكثر أخلاقية .
فالإمام علي وبتعبيرات عدة يصف اللذة بأنها آفة او مفسدة وان عواقبها وخيمة[2] وهي لا تبقى و ليس لها دوام وهذا يعني انه لا إشباع مطلق في اللذة فهو -ع- يقول لا خير في لذة لا تبقى[3].

فمجال اللذة الشهوية مؤقت ومحدود ويعطي نتائج محدودة غير مفيدة بل ومضرة وبالمقابل فالعقل يسعى إلى اللذة ، ولكنها ليست لذة سلبية فسواء أكانت اللذة في العلم او الشهوة كما يصفها الإمام (منهومان لا يشبعان ، طالب علم وطالب دنيا)[4].فان العقل يبني لذته المفيدة على شكل لذة علمية وأخلاقية فالنص لا يعيب عدم الإشباع عند طالب العلم .

ومفهوم اللذة والألم الموازي للخير والشر هو نفسه الغريزة السلوكية المحركة لفعل الإنسان المتمثل بالشهوة والعقل ، أو لنقل ان اللذة والألم من آثار العقل والشهوة ،ولو طبقنا على العقل مفهوم الخير والشر فانه يمكن النفور من الجانب الشهوي في حالة التدريب على تأجيل اللذة غير السليمة والإمام يقول في هذا الصدد(أخر الشر فانك إذا شئت تعجله)[5] وهي طريقة لإدراك اللذة وان كانت شريرة فلذة الشر مدعوة بهذه الكلمة إلى التأني وبخاصة كونها ممزوجة بالحرية فإذا شاء الإنسان أخرها.

---

[1] -د.محمود البستاني،علم النفس على ضوء المنهج الإسلامي الحديث،ص١٨ .
[2] -الخوانساري ،غرر الحكم ، ٣٥٨/٧ .
[3] -الخوانساري،غرر الحكم ، ٣٥٧/٧ .وانظر محمد عبده،شرح نهج البلاغة ، ٢١٨/٢ بقوله ما لعلي ولذة لا تبقى .
[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة، ١٠٥/٤ .
[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة، ٥٦/٣ .

وكل دعوات الإمام الأخلاقية تدعو إلى معالجة وإيقاف لذات الشر ومحاربة زخارف الدنيا وحتى اللذة غير العقلية فان الإمام يبيحها من حيث كونها غير محرمة وهو ما اسماه ساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل[1].

ان ثنائية الشهوة والعقل ومصاديقها الأخرى عند الإمام علي وكونها أصلا لتفسير السلوك تؤكد وجود قوة سالبة وموجبة ،صحيحة او غير صحيحة وتفترض وجود غلبة او ردع من أحدهما . فللقلوب من وجهة نظر الإمام خواطر سوء والعقل هو من يزجر هذه الخواطر[2].
وقوة التعقل التي تقنن وتنظم كل ما هو شر (او ما تتبناه غريزة الشهوة) تدلنا على صحة التقسيم السابق للنفس من نباتية وحيوانية وناطقة وإلهية.

ان ثمة تشابها بين التقسيم السابق وبين علم النفس الحديث كما في نظرية فرويد المبنية على (الهو والانا والانا العليا) اما الهو فيمثل ما اصطلح عليه الإمام علي –ع– بالشهوة مع ملاحظة فرق المصطلحين ، ويجسد (الهو) مجموعة غرائز تبحث عن الإشباع ،اما الأنا فيمثل العقل ومهمته كبح غرائز (الهو) وتنظيم طرائق الإشباع وفق الواقع[3].

وإذا شئنا الدقة فان النفس الحيوانية الشهوية هي ما يمثل أيضا مفهوم (الهو)والنفس الناطقة هي الأنا أم الأنا العليا فكأنها النفس الإلهية المتدرجة في مدارج المعرفة الإلهية والتي يمثلها فرويد بجهاز القيم الخاص عند الشخصية نفسها والتي تكون منحرفة أحيانا .إلا ان فرويد هنا يعطل جانبا من جوانب النفس ويبطل تطلعها الروحي في جوانب الأخلاق والمعرفة[4].

---

[1] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة، ٤/٩٣
[2] –الخوانساري،غرر الحكم، ٧/٣٢٦ .
[3] –البستاني،دراسات ، ١/٢٠ .
[4] –حول آراء فرويد راجع :سيجموند فرويد،الأنا والهو ،ترجمة د.محمد عثمان نجاتي ،ط٤ ،بيروت ،١٤٠٢هـ–١٩٨٢م،ص٣٣ وحول الأنا العليا راجع ص٤٦.

ويشبه فرويد الانا بالفارس على ظهر الحصان ، ويبقى الفارس مكرها نفسه على توجيه الحصان الوجه التي يريدها الحصان نفسه لا الفارس ، والفارق بين التصور الإسلامي ان الامام علي أوضح ان الحصان او المطية ، تتسم بكونها ذلولا وحمل عليها أهلها) اما الفارس الذي يتمثل بالفارس فقد أعطى زمام هذه المطية[1] أي أن زمام(الهو=المطية اوالحصان) بيد الفارس(النفس الناطقة)يوجه به حصانه (النفس الشهوانية) في حين أن فرويد قدم تشبيها مضادا وهو ان الحصان يوجه الفارس[2].

وقد يعطي الإمام منهجا آخر في قيادة النفس بشكل عام نظرا لان النفس تميل إلى الخطا ، فيقول العلم رائد والعدل سائق والنفس حرون[3].

ويبدو ان الذات العاقلة تشعر بمتعة خاصة متعقلة لأنها تقوم بتنظيم أفعال النفس الشهوانية وتحاول تحجيمها ،وتدل إشارة الإمام للذة الشهوانية بأنها لاتبقى وهو دليل على ضعفها مقارنة باللذة العقلية التي هي اشد فاعلية ، من العقل والشهوة اللتان تتأثران بعوامل معينة مصدرها الواقع المتمثل بالبيئة أو الواقع المفروض وهو الوراثة .

البيئة والوراثة

ان ثنائية البيئة والوراثة تشكل أرضية محكمة لمفهوم الأصول النفسية عند الإنسان من حيث التأثير ولعل الفطرة هي أحد مصاديق الوراثة، ويمكن القول ان الإنسان يرث الأصول البايلوجية كالجوع والعطش والجنس ، ولكن الأمر قد يختلف في الأصول النفسية ، فهل نحن نولد مزودين بنزعة العدوانية او البخل أو سوء الأخلاق أم البيئة هي ما يؤثر في تلك الجوانب أم إن كل ما في الأمر إننا نولد مزودين او مورثين بقوة وقابلية للاتسام

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٤٨/١ ،وفيه يقول ان الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها .

[2] -البستاني ،دراسات ، ٢١/١ .

[3] -الشريف الرضي ،المجازات النبوية ،تحقيق طه محمد زويني ،قم ، ص٢٠٤ .

بهذه الصفات او تلك؟ وحتى الحاجات البايلوجية تؤثر عليها التنشئة من خلال طريقة فعل وتنظيم الحاجات البايلوجية[١].

وسوف نتناول هذه المسالة من زاويتين ، الأولى هي البيئة والتنشئة والثانية هي الوراثة والفطرة ،وبداية يجب معرفة ان أئمة الشيعة يطلقون على عامل الوراثة اسم (العرق)[٢].ومنه قول الامام علي (حسن الأخلاق برهان كرم الأعراق)[٣] ،والفطرة أحد أركان الوراثة كما يمثل ذلك في النهج القائل(وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها)[٤] وهي مشابهة لمفهوم تركيب العقل والشهوة السابق كونه وجود أساسي في اصل الخلقة لكل البشر ، وعلى هذا يمكن تأكيد مفهوم قابلية الاتسام بالصفات الخيرة و الشريرة من النصوص السابقة ، فالشر عند الإمام مثلا (كامن في طبيعة كل أحد فان غلب صاحبه بطن وان لم يغلب ظهر)[٥].

وخصال الشر او المنتجة للشر هي الكذب والجور والجهل[٦] وهذه الرذائل هي ما يطبع عليها الإنسان[٧]، وهي جزء من النفس الغضبية او الشهوية ، ويصف الإمام الرذائل هذه أيضا بالغرائز ، فالبخل والجبن والحرص هي غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله [٨]. فالصفات السيئة إذن هي غرائز وراثية بالإضافة الى انها تكتسب من البيئة او تنهض بها ، والصفات الأخلاقية الكريمة أيضا تورث ويمكن اكتسابها عن طريق التعلم او المعرفة والتربية أي من خلال البيئة ، وكل هذا لان العقل والشهوة هما تركيبان في الإنسان وهذا الإنسان جزء من الأرض ومن هنا فالإمام يوضح ان اختلاف الصفات الإنسانية سواء أكانت النفسية والذهنية تأتي

---

١ -البستاني،دراسات، ١/٢٩ .

٢ -محمد تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية ،ط١،جزآن،النجف،١٣٨٨هـ-١٩٦٨م،١/٧٠ .

٣ -الخوانساري،شرح غرر الحكم ،٣/٣٩٢ ،وانظر الواسطي ،عيون الحكم ،ص٢٢٨ .

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ١/١٢٠ .

٥ -الخوانساري ،شرح غرر الحكم، ٧/١٧٤ .

٦ -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ، ٧/١٧٣ .

٧ -الخوانساري ،شرح غرر الحكم، ٧/٣١٠ .

٨ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ، ٣/٨٧ .

لاختلاف طينهم من سبخ الأرض او عذبها وحزنها وسهلها ، فالناس على حسب قرب أرضهم يتقاربون وعلى قدر اختلافهم يتفاوتون ، فتام الرواء ناقص العقل والطويل قصير الهمة وصاحب العمل الزاكي قبيح المنظر والقصير ذكي وتائه القلب متفرق اللب[1].

ويوضح شارح النهج البحراني ان الإمام أضاف المبادئ للطين وهي الممتزجات المتنقلة في أطوار الخلق كالنطفة والعلقة والمضغة وهي مختلفة في استعدادها لقبول الأمزجة لذا يختلف الناس[2].

وإذا كان هذا الكلام يؤكد على الغرائز والتأثير الوراثي فانه لا ينفي وجود تأثير البيئة بدلالة قول الإمام علي ،فهم على قرب أرضهم يتقاربون وهذا يشمل تأثيران الأول يتعلق بتأثير نفس الموطن والثاني يخص تأثير وتأثر الفرد بالآخر على أساس تشابه الصفات او اختلافهم لنفس السبب .

وبينيا فان السمات الأخلاقية يمكن اكتسابها وتقويتها والتدرج فيها أما الصفات المزاجية فهي صفات وراثية خاضعة للاختلاف والقوة والتأثر كما في الانطواء والانبساط والحياء ويمكنها أيضا التأثر بالبيئة وهو ما يقوله الإمام علي من ان الأيام توضح لك السرائر الكامنة [3] أو يتبين أيضا ذلك من خلال قوله العادة طبع ثان [4]وذلك يدل على تغلب التربية على الوراثة ،ويشمل ذلك قول الإمام من عود نفسه المراء صار ديدنه [5].

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٢٢٧/٢ .

[2] -ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة،١١٧/٤ .

[3] - كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة،ص١٨ ،وانظر تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية ،١١٢/١.

[4] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم،١٨٥/١ ،وانظر تقي فلسفي،المصدر السابق ،١٤٩/١ .

[5] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،٣٦٤/٧ .

وقد يكون الأثر البيئي من نوع آخر كالفقر ،الذي يصفه عليه السلام بأنه منقصة للدين ومدهشة للعقل وداعية للمقت [1] وهو هنا نوع من النقص او الإحساس بالنقص .

ان التصور الإسلامي ينظر الى الأصول العقلية بأنها تخضع لنمط ثابت من الوراثة بشكل عام وتخضع لوراثة طارئة بشكل خاص ، مضافا لذلك التأثير البيئي أيضا[2].

فقد سئل أحدهم الإمام الصادق –ع–عن اختلاف الرجال في الفهم بقوله منهم من أكلمه ببعض كلامي فيفهمه كله ومنهم من يرد كلامي علي كما كلمته ومنهم من يقول اعد علي ، فاجابه الإمام موضحا المقدرة العقلية في ثلاث مستويات على أساس الوراثة بان الأول والذي يعرف الكلام كله هو من عجنت نطفته بعقله والثاني هو المستوفي للكلام ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي ركب عقله في بطن أمه أما الثالث الذي يطلب إعادة الكلام فذاك الذي ركب عقله بعدما كبر[3].

ويشير هذا النص الى وجود بعد فطري عام للنوع الإنساني كله ووجود بعد ما قبل الولادة (بيئة الرحم) وثالثا وجود البعد ما بعد الولادي وتمثل بالحياة الأرضية ويشير النص إلى ان الإنسان يرث المهارة العقلية اما الوراثة الطارئة فتكمن في بيئة الرحم[4].

وهنا نلاحظ تأثير كل من البيئة والوراثة على المهارة العقلية ونلاحظ مستويات استكمال المهارة العقلية ومنها تأثير بيئة الرحم على النطفة ولا يخفى أيضا تأثير البيئة الخارجية على بيئة الرحم ، ثم إذا ما كان هناك عارض على هذه العملية داخل بيئة الرحم فان الاستكمال سيكون في البيئة

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٧٦ .
[2] -البستاني ،علم النفس في ضوء المنهج الإسلامي ،ص٣٩ .
[3] -الكليني ،الكافي ،١/٢٦ .
[4] -البستاني،دراسات في علم النفس الإسلامي،١/٣٣ .

الخارجية ، ويروى عن الإمام قوله ان حد العقل إلى خمس وثلاثين سنة إلا التجارب[1].وهذه إشارة إلى تطوير المهارات من خلال التجربة.

إذن فمعوقات الذكاء أو المهارة العقلية ترجع إلى الوراثة بالتأكيد وتأثير الوراثة الطارئة أيضا، والتي تأتي من تأثير الأبوين أو العوامل الخارجية والنفسية للام على وضع الجنين وقدرته الفهمية والنفسية ، وكأننا من خلال قراءة النص السابق أمام وراثة نقية ووراثة بينية إذا صح التعبير .

أما الأصول النفسية للوراثة عند المفكر الإسلامي فان ذلك يتم من خلال إخضاع الظاهرة النفسية لمحددات عامة وخاصة تأخذ كلا من الوراثة والبيئة بنظر الاعتبار. والوراثة تتمثل هنا على أساس الاستعداد أو القوة ، فالطبيعة البشرية ترث الاستعداد لممارسة هذا الأصل النفسي او ذاك حسب البيئة التي ترسم الاستعداد الى فعل فيختاره الفرد بمحض إرادته لا على نحو الفضل[2].

ويرد عن الامام علي في الأصول النفسية الموروثة ما يرجع إلى اصل الخلقة ، لان الإنسان مخلوق من ماء وطين ونور وظلمة وريح ويرث الإيمان من النور أما الظلمة فتورثه الظلال والكفر ويورثه الطين الرعدة والضعف والقشعريرة[3]. فالإنسان بتعبير الإمام علي معجونا بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية والأخلاط المتباينة[4].ولهذا من البديهي ان تكون هذه الصفات جزءا من نفسية الإنسان ، وللطبائع تأثير على أصول الإنسان النفسية وهي الريح والمرة والدم والبلغم وهي الطبائع التي يقول عنها الامام الصادق -ع- انها وجدت في كتب علي[5].

---

[1] -الصدوق(محمد بن علي /ت٣٨١هـ)من لا يحضره الفقيه،تحقيق علي اكبر غفاري، ٤مجلدات ،ط٢،جماعة المدرسين، قم،١٤٠٤هـ-ق،٤٩٣/٣ .

[2] -البستاني ،دراسات ،٣٧/١-٣٨ .

[3] -فرات الكوفي(فرات بن ابراهيم /ت٣٥٢هـ)،تفسير فرات الكوفي ،تحقيق محمد الكاظم، ط١،وزارة الثقافة والإرشاد،طهران،١٤١٠هـ-١٩٨٩م،ص١٨٦

[4] -محمد عبده،شرح النهج،٢١/١ .

[5] -المجلسي ،بحار الانوار،١٣٨/٥٨ .قارن مع افلاطون ،الجمهورية،،ص٨٣،حيث تحدث عن أبناء الأرض واختلاف طينة ومعادن الناس.

وعلى هذا تكون الأصول النفسية وراثية كما في المزاج والانطواء والانبساط .

ونأتي الى وراثة ثانية هي بالإضافة إلى وراثتها الخصائص النفسية فإنها تشير إلى وراثة الصورة او الملامح ففي سؤال عن سبب شبه الولد لأخواله او أعمامه يقول الإمام الحسن-ع- بإشارة من أبيه ، انه إذا جاء الرجل أهله بنفس ساكنة وجوارح غير مضطربة تصارعتا النطفتان وبوقوعهما على جانبي الرحم خرج الولد يشبه أعمامه[1].

والمعروف ان علم الوراثة يؤكد تأثير الأقارب على النطفة لما يمكن ان نسميه تاريخ الصفات النفسية عند جماعة متصلة متقاربة، وتؤثر البيئة على فضائل مهمة لنفسية الفرد فالوفاء والصدق يكتسبان، والإمام يقول عن هذه الحقيقة(اكره نفسك على الفضائل فان الرذائل أنت مطبوع عليها)[2].

وهذا لا يعني ان الإنسان غير مطبوع على المكارم خاصة مع وجود الآية القرآنية القائلة (فالهمها فجورها وتقواها/الشمس-٩١/٨) والقول ان بعض الفضائل مثل الوفاء والصدق والخير والحلم اكتسابية ، أي إنها خاضعة لتأثير البيئة أيضا بشكل او بآخر ، ونجد الإمام يدعو إلى الحلم بقوله (إن لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم إلا أوشك ان يكون منهم[3].وهكذا يقاس على كثير من الفضائل حتى ان الفضيلة عنده-ع- هي غلبة العادة هذا مع انه يصف العادة بأنها طبع ثان[4] ولهذا يقول قارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم[5].وهذه دلالات واضحة على التأثير البيئي في إمكانية كون الإنسان خيرا او شريرا بفعل الظروف .

---

[1] -الطبرسي،علل الشرائع،١/٩٥ ،وانظر الصدوق،عيون أخبار الرضا،٢/٦٨ .

[2] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٧/٣١٠.

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤٧ .

[4] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٧/٢٨٤.

[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣/٥٢ .

ومما يجدر تناوله عند الإمام علي هو تأثير الصفات الجسمية على النفسية إذ ان للجسم تأثيران هما البيئي والوراثي فهو يقول ان الطرش في الكرام والهوج في الطوال والكياسة في القصار والنبل في الربعة وحسن الخلق في الحول والكبر في العور والبهت في العميان والذكاء في الخرس [١] كما ان الامام يقرر انه لا رجل سوء في أربعين اصلع ولا يجد كوسجا (ناقص الأسنان) صالحا[٢].

وكل هذه بيانات إلى تأثير الوراثة او البيئة في الفقدانات العضوية للإنسان في جوانبه النفسية من كرم وغباء وفطنة ونبل وحسن الخلق او الكبر وهو ما سنتناوله في مبحث الشخصية .

---

[١] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٢٠/٣٠٣ .

[٢] -كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة،ص١٦٣،وانظر الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،٩/٢٤٥ .

الشخصية : نموها.أمراضها.علاجها

ان نمو الشخصية كأي ضرب آخر من النمو ، يعتبر حصيلة تفاعل الميراث الفطري(ما قبل الطفولة)مع بيئته وبخاصة البيئة الاجتماعية حتى لتعرف الشخصية أحيانا بأنها طبيعة الفرد بعد ان يؤثر فيها التفاعل الاجتماعي[1].

وإذا كان العلم الحديث يقيس تكون الشخصية على أساس الطفولة ومراحل الفرد ،فان المفكر الإسلامي يقدم تجربة للتأثير النفسي هي اقدم مما قدمه علم النفس الحديث وهو ما يتمثل بأثر البيئة والوراثة على المكونات الشخصية بدا من انتقاء الزوجة الى انعقاد النطفة الى الرضاعة .

ويرجع علماء النفس نظريات تكون الشخصية الى: ١-البيئة٢-الوراثة٣- البيئة والوراثة معا[2] ، وهو ما اختاره المفكر الإسلامي باختياره الطرف الثالث .

أ- ما قبل الولادة:

من المراحل السابقة للطفولة او أدوار الشخصية توجد مرحلة مهمة وهي ما يتعلق باختيار الزوجة طلبا للصحة النفسية والجسدية ، ففي مرحلة اختيار الزوجة ينهى الإمام عن نكاح الزنج [3] وهذا الأمر لا ينطوي على أي تمييز عنصري او عرقي لان العلم الحديث اثبت فشل نتيجة هذا الزواج في نسله الأول بالرغم من تحسنه فيما بعد ،لاختلاف خصائص النطفة بين العرق الأبيض والأسود[4].

ونهى الإمام عن الزواج بالمرأة الحمقاء لانه أعتبر صحبتها بلاء وولدها ضياعا[5] وهي إشارات كان الرسول(ص) يقدمها فقد نهى (ص)

---

[1] -د.احمد عزت راجح،علم النفس في ضوء المنهج الإسلامي،ص٤٠٩ .

[2] -ولـيم بـارنيز ،علم النفس التجريبي ،ترجمة د.حلمي نجم عبد الله،بغداد، ١٩٨١م،ص٦٣ .

[3] -كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة ،ص٣٠ .

[4] - لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة،ص٧٩٤ .

[5] -كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة،ص١٦٩ .

بقوله إياكم وخضراء الدمن ، وإذا سئل عن معنى ذلك أجاب(ص) انها المرأة الجميلة في منبت السوء[1].وهذه الأحاديث وغيرها تنبه إلى اثر العامل الوراثي في تكوين الشخصية فيما بعد من خلال زاوية اختيار الزوجة،فالمرأة الحمقاء مثلا تشير إلى تأثير مرضي وراثي على الطفل وأيضا بيئي لعدم أهليتها للتربية والنتيجة هي ضياع الأطفال وكثرة المشاكل الاجتماعية والنفسية .

ويعالج الإمام علي مشكلة أخرى تتعلق بعملية الزواج والذي يشدد فيه على اتباع طرق صحيحة تامينا للسلامة الصحية والنفسية ، فمما يروى،ان أسودان انجبا طفلا ابيضا فقال الإمام للرجل أتتهم امرأتك فقال الرجل لا، فقال الإمام هل أتيتها وهي طامث فقال الرجل نعم ، فسال المرأة نفس السؤال فقالت نعم ، فقال الإمام انطلقا فانه ابنكما وانما غلب الدم النطفة فابيض[2].

وهناك جانب نفسي وصحي آخر تمثل في إطعام الحوامل او مرحلة ما بعد الإنجاب ، لتأثير ذلك على نوعية الحليب فيؤثر بالتالي على الطفل ، فالإمام يقول خير تموركم البرني فأطعموه نسائكم في نفاسهن تخرج اولدكم زكيا حليما ، كما نقل عن الإمام -ع-وعن الرسول(ص) انه أول ما تأكل النفساء الرطب فان الله تعالى قال لمريم (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا / مريم-١٩/ ٢٤) فان الغلام يكون حليما وان كانت جارية كانت حليمة[3]. و التأثير الصحي النفسي يشمل الحليب ، فما من لبن يرضع به الصبي اعظم بركة عليه من لبن أمه حتى ان الإمام يعتبر اللبن أحد اللحمين[4].

---

[1] -الكليني ،الكافي ،٥/ ٣٣٢ ،وانظر الطريحي،مجمع البحرين ،٢/ ٥٦ .

[2] -الحر العاملي(محمد بن الحسن/ت١١٠٤هـ)،وسائل الشيعة،٣٠مجلد،ط٢،قم،١٤١٤هـ.ق،٢١/ ٥٠٤ .

[3] -الكليني ،الكافي،٦/ ٢٣ .

[4] -الخوانساري،غرر الحكم ،٧/ ٣٥٦ .

والإمام يريد الإشارة إلى ان مرحلة الرضاعة للطفل تعكس (إذا ما كانت غير صحيحة)انفعالات واضطرابات نفسية على الإنسان فيما بعد ، والتأكيد على نوعية الحليب كان من أساسيات نصائحه فمن قوله انظروا من يرضع أولادكم فان الولد يشب عليه[1].او قوله لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن يغلب الطباع [2] إلى قوله وتوقوا على أولادكم من لبن البغي من النساء والمجنونة فان اللبن يعدي[3].

ان كل هذه النماذج من النصوص تشير الى دور الوراثة ونوعيتها من خلال المرضع التي ربما تحمل صفات نفسية غير جيدة مثل الحمق والجنون والبغي ،ونفهم هنا ان لدى الطفل طباعا موروثة يمكن ان تتغير بواسطة وراثة أخرى تكمن في اللبن ،أي انهما وراثة طارئة أخرى لام أخرى ، ولا يخفى ان هذا التأثير وراثيا بينيا لتأثر الطفل بالمرضع وهي جزء من البيئة ، ونستنتج أيضا ان للحليب خاصية عجيبة فهذا السائل له القدرة على نقل خصائص وراثية باعتباره خلاصة صفات الجسم وكونه مشتق من الدم ، ويختلف الحليب من الذكر إلى الأنثى فحليب الذكر اكثر كثافة من حليب الأنثى (المولود)كما يقول الإمام ولذا جعل الأطباء ذلك استدلالا على الذكر والأنثى[4].

بدما بعد الولادة:

تنقسم مراحل الشخصية الإنسانية في التقسيم الإسلامي الى أربعة مراحل هي :١-الطفولة المبكرة ٢-الطفولة المتأخرة ٣-المراهقة ٤-المرحلة الراشدة . وتبدا الطفولة الأولى من ١-٧ سنوات ، اما المتأخرة فمن ٧-١٤ سنة ، ومرحلة المراهقة من ١٤-٢١ سنة ، اما المرحلة الأخيرة وهي الراشدة فان بدايتها من ٢١ سنة إلى نهاية حياة الفرد[*] .

الطفولة المبكرة:

---

[1] -كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة ،ص١٧٠ .
[2] -الكليني ،الكافي،٤٣/٦ ،(باب الرضاع).
[3] - صادق الموسوي ،تمام نهج البلاغة،ص٧٣٦ .
[4] -محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة،٣٣٠/٦ .
[*] -البستاني ،علم النفس ،ص٦٩ .

نلمس في أحاديث الإمام هذه التقسيمات حيث يقول (يثغر الصبي لسبع (تسقط أسنانه) ويؤمر بالصلاة لتسع ويفرق بينهم في المضاجع لعشر ويحتلم لاربع عشرة وينتهي طوله لإحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين إلا التجارب)[1].

والإمام هنا يعتمد نظام السبع سنوات لمراحل شخصية الإنسان وحد السبعة الأولى هي سقوط الأسنان اما الثانية وهي نهاية الطفولة المتأخرة او الصبا فبدايتها المراهقة او الاحتلام في سن الرابعة عشرة ونهايتها في سن الحادية والعشرين كونها نهاية للمراهقة ونهاية مرحلة النمو وقد عبر عنها بالطول اما نهاية عقله فحده الإمام بسن الثمان والعشرين وهناك مفردتان مهمتان هما ان يؤمر بالصلاة لتسع وهي مرحلة وعي بالنسبة للطفل او الصبي لأنها تكون في السبع الثانية للعمر كما أمر الإمام ان يفرق بينهم في المضاجع في سن العاشرة لقدرة الطفل على التميز والتفكر الجنسي وبالتالي فالعزل مهم في هذه المرحلة ويجب الانتباه إلى ان عقل التجربة ينمو في مرحلة ما بعد الثماني والعشرين سنة بالنسبة للإنسان .

والمراحل السبعية الأولى كما يبدو هي مراحل نمو للجسد أولا والعقل ثانيا وأيضا للحالة أو الحالات النفسية للإنسان ، لذا يتحدد الكثير من جوانب شخصيته في هذه المراحل ،ويدعم هذه الأفكار قول الإمام علي (ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او صديقك)[2].

ويظهر من النص ان الشخصية تتمتع في السبع الأولى من العمر بالحرية وبالامتيازات التي تجعله ريحانة دون ان يتسلم أوامر تفكيرية او مسؤولية كبيرة.

---

[1] -المجلسي ،بحار الأنوار،٣٦٠/٥٧.

[2] -الصدوق ،من لا يحضره الفقيه ،٤٩٣/٣ .وانظر ابن أبي الحديد،شرح النهج ،٣٤٣/٢٠ .

فالطفل يعامل معاملة مختلفة في بدايته ،تصل الى حد اللعب معه وتسليته حتى ان الامام يقول (من كان له ولد صبا)[1]. ثم إن الإمام يقدم ملاحظة بايلوجية في هذه المراحل بقوله (يشب الطفل كل سنة أربعة أصابع بأصابع نفسه)[2].

ومن الحقوق التي يتمتع بها الوالد هي الطاعة اما الولد كما يقول الامام فحقه على والده ان يحسن اسمه وادبه ويعلمه القران[3] وهي انتباهه ذكية لدور الاسم في تكوين شخصية الطفل وملازمته فيما بعد وحمل النص تذكيرا بدور الأخلاق والتعليم المهمين للطفل .

الطفولة المتأخرة :

وهي مرحلة الصبا ، وفيها يتعلم الصبي الصلاة ويفرق بينه وبين اخوته في المضاجع ويؤدب ،لذا كانت اللفظة تطلق على هذه المرحلة بان ولدك خادمك سبعا ، وفي هذا التأديب يقول الامام (أدب صغار بيتك بلسانك على الصلاة والطهور فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب (بالعصا)ولا تجاوز ثلاثا)[4].

حتى ان الامام يأمر بتأديب اليتيم أيضا مع ماله من حرمة فيقول (أدب اليتيم بما تؤدب به ولدك واضربه مما تضرب منه ولدك)[5] وهو مقياس يبنى على ان تكون الغاية نبيلة وداعية للتربية وليست هي عبارة عن قسوة على اليتيم .

---

1 -الكليني ،الكافي،٦/ ٥٠.أيضا تقي فلسفي،الطفل بين الوراثة والتربية ،٢/ ١١٧ .

2 -الكليني ،الكافي ،٦/ ٤٦.

3 - صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة ،ص٥٩٣،لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة،ص٢١٣

4 -الشيخ الطوسي،تهذيب الأحكام،ط١٠، ٤مجلدات،تحقيق حسن الخرسان،طهران،١٣٦٥هـ،٨/ ١١١.

5 -الكليني ،الكافي،٦/ ٤٧ ،أيضا تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية ،١/ ١٤٩ .

ومع كل هذا فالإمام يوصي بعدم تعنيف الطفل دائما فعنده ان الإفراط في الملامة يشب نيران اللجاج [1] ومن التوصيات المهمة لتربية الصبي هو ما رواه الامام عن النبي (ص)وفيه أمر بتعليم الأولاد السباحة والرماية[2].

وان لا يوعد الصبي ثم لا يوفى ، فقد قال الإمام لا يصلح الكذب جدا ولا هزلا ، ولا ان يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له[3].أي ان الوالدين لعهودهما يلقنان الطفل بسلوكهما المنحرف درسا في الخروج على العهد والتخلف عنه ويعلمان ان الإنسان يستطيع ان يكذب ويخدع الناس و قلب الطفل كعدسة تصوير تلقط الصور المختلفة لافعال والديه وأقوالهما[4].

ان أسلوبا متوازنا يلتمس في تنظيرات الإمام ، ففي الوقت الذي يبيح به ضرب الوالد للولد معتبرا إياه كالسماد للأرض [5] فانه يعطي الطفل كرامة معينة لكي يحافظ على شخصيته ومنها انه ينهى عن طريقة خاطئة في الحلاقة تثير الضحك على الطفل فيقول (لا تحلقوا أولادكم القزع (حلق موضعا وترك الآخر)[6].

و النصوص السابقة تشير بوضوح الى ان السنوات السبع الأولى من الطفولة تتسم بطابع اللعب والثانية تتسم بطابع التربية والتنشئة القائمة على التدريب وان بداية السنوات السبع الثالثة وهي مرحلة المراهقة ،تتسم بطابع الإلزام[7].

ومن تحليلات الإمام للطفل في مرحلته الأولى وهي نوع من الفراسة يكشف الإمام بناء على تحليلات الصفات النفسية او البايلوجية جزءا من شخصية الإنسان فهو يقول (إذا كان الغلام ملتاث الادرة صغير الذكر ساكن

---

[1] -الحراني ،تحف العقول،ص٨٤ .
[2] -الكليني ،الكافي،٤٧/٦ .
[3] -الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة،٣٠مجلد،٢٥٠/١٢.
[4] -تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية ،٢٨/٢ .
[5] -ابن أبي الحديد ،شرح النهج ،٣٢٥/٢٠ .
[6] -الكليني،الكافي،٤٠/٦.
[7] -البستاني ،دراسات،ص ٦٠/١.

النظر فهو مما يرجو خيره ويؤمن شره وإذا كان الغلام شديد الادرة كبير الذكر حاد النظر فهو ممن لا يرجى خيره ولا يؤمن شره)[1].

ولعل هذا ما يمكن اعتباره تفحصا للتأثير الوراثي على شخصية الطفل وسلوكه ويستصحب هذا السلوك القوي حتى المراحل القادمة من حياته وشخصيته .

ومرحلة الطفولة كما صورها الإمام هي ليست مرحلة مهارات ذهنية او تعليمية جادة في حين ان ما بعدها من المراحل تبدو اكثر أهمية في توضيح شخصية الإنسان ، ومن هنا فمرحلة الصبا عند الإمام مهمة من حيث تطور المهارات ، فقلب الحدث كالأرض الخالية (صفحة بيضاء)لا توجد فيها فكرة صحيحة او خاطئة ، فان عواطف الطفل ومشاعره تظهر قبل عقله (لذا قال فبادرتك بالأدب) ويمكن الاستفادة من أحاسيسه قبل ذخائره[2].

وإذا كان الإمام يعطي الكهول صفة ان يتعلموا الفكر وللشيوخ الصمت فانه يأمر بان يتعلم الأحداث للجدال والمراء[3].

وهو ما يساعدهم على تنمية العمليات الذهنية والعقلية وتنمية وتقويم السلوك والشخصية .

كما ان القول بتعليم الصبيان الصلاة في السنة التاسعة وهو ما يقترن بالإلزام وتنمية السلوك وكلمة قلب الحدث كالأرض الخالية وما القي فيها من شي قبلته[4].

---

1 -الكليني ،الكافي،٦/٥١ ،وانظر ابن جبر، نهج الإيمان ،ص٢٨٢.

2 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٣/٤٠ ،أيضا تقي فلسفي،الطفل بين الوراثة والتربية،١/١٤٩ .

3 -ابن أبي الحديد ،شرح النهج ،٢٠/٢٨٥.

4 -محمد عبده ،شرح النهج ،٣/٤٠ .

تشير إلي تناول الجانب المعرفي بشطريه التعليمي والعلمي والمعرفي والى أهمية التنشئة في الطفولة بحيث شبهها بالأرض الخالية والتي تتقبل ما القي فيها وهذه التنشئة سوف تتضاعل عقيب مرحلة المراهقة او خلالها فصاعدا ، مما يدل على خطورة هذه المرحلة[1].

وإذا اعتبرنا الشخصية كما تعرف عبارة عن نظام متكامل من الصفات يميز بين الفرد من غيره[2] فان شخصية الإنسان تتميز بشكل مبدئي وأولي في المرحلة الثانية للطفل ثم تقوى وتكبر بالتدريج في مرحلتي المراهقة والرشد ،ونلاحظ في أحاديث الإمام ان شخصية الطفل في بدايتها هي وجدانية انفعالية ،لذا توصف بأنها تعتمد على الدوافع العاطفية، كما في قول الإمام علي ولدك ريحانتك سبعا ثم تصبح في المرحلة التالية متعلمة ومميزة سواء في تعلم الصلاة او المهارات او الفصل في المنام .

وعندما يصف الصبي بأنه (خادمك سبعا) فهو لامكانية تطويعه وتعليمه والنتيجة النهائية هي سواء كانت خيرة أم لا ، تخرج طفلا قد يكون بتعبير الإمام صديقا لأبيه او عدوا ، وفي كل ذلك تشير القضية الى التأثير البيئي على الطفل مضافا له التأثير الوراثي .

أما مرحلة المراهقة فالتفريق في المضاجع في سن العاشرة يأتي لان الطفل يبدا في تمييز الأمور الجنسية وتفحصها ،ومرحلة المراهقة كما قلنا عند الإمام تبدا في سن الرابعة عشرة او عند الاحتلام وهي قاعدة أساسية لتلك المرحلة ،وقول الإمام السابق ان منتهى طول الفرد لإحدى وعشرين سنة يدلل على اثر المراهقة والبلوغ في التأثير على البناء الجسمي والنمو ، وقد رافق ذلك قوله –ع– بان منتهى عقل الإنسان الى ثمان وعشرين سنة إلا التجارب وهي الإشارة الواضحة إلى مرحلة المهارة العقلية والنمو النفسي أيضا كون العقل أحد ضوابط مرحلة المراهقة وهنا يشترك في بناء شخصية الإنسان الوراثة والبيئة وهو ما يتمثل بالتجارب ، مما يعطي لبناء الشخصية تنوعا وبعدا آخر يتمثل في التطور المستمر .

---

[1] –البستاني ،دراسات ،١/٨٢ .
[2] –د.احمد عزت راجح ،أصول علم النفس ،٣٧٩ .

الشخصية والأمراض النفسية

تعتبر الأعراض النفسية أعراضا قهرية كالتفكير بالجنس أو الموت أو غير ذلك وهي اليات دفاعية عقلية وظيفتها حماية الشخص من القلق وبشكل غير واع[1].

أما الأمراض النفسية والعقلية فما هي إلا وسائل شاذة للتخلص من أعباء وأزمات نفسية لا سبيل إلى التخفيف منها إلا بالتورط في هذه الأمراض وهي مظاهر للهزيمة في معترك الحياة أو قل إنها مخابئ يفزع إليها الفرد من غارات الحياة[2].

ومن الأمراض النفسية والعقلية والتي يسميها المصطلح الحديث بالعصاب والذهان هو مرض الوسواس ،القلق ، الجنون، العدوان ، الانطواء والأنانية...الخ .

وبالتوجه إلى التصور الإسلامي للظاهرة النفسية نجد انه يشطر العمليات النفسية إلى (الشاذ) و(السوي) من حيث الاستجابة، مادام المشرع الإسلامي (وهو هنا الإمام علي) قد رسم الكائن الآدمي وفق التركيب الثنائي من الشهوة والعقل او الذات والموضوع ، فكل استجابة باحثة عن اللذة هادفة إلى الإشباع المطلق تعد سلوكا شاذا وكل استجابة باحثة عن اللذة هادفة إلى الإشباع المقيد تعد سلوكا سويا[3].

ولا يعني هذا ان غلبة الشهوة على العقل هو ما يخرج الإنسان من مفهوم (السوي) ليدرجه ضمن مفهوم الشذوذ بدرجات مختلفة وبالنتيجة فالشذوذ مرض نفسي يوضح ان الإنسان غير متوازن بشي ما او أشياء عديدة .

---

1 -بارنيز ،علم النفس التجريبي،ص٧٢.
2 -عزت راجح ،أصول علم النفس ،ص٤٧٢ .
3 -البستاني ،دراسات ،١٢٥/١ ،وحول تركيب العقل والشهوة راجع ،كاشف الغطاء ،مستدرك ،ص١٧٢

ولا يخفى ونحن نبحث عن الأمراض النفسية التي يفسرها ويعالجها الإمام علي ، التداخل بين معالجة الجانب النفسي والأخلاقي ، ولا توجد غرابة فالمفهومان يخصان الإنسان ويركزان على الجانب الصحي الشخصي سواء أكان فعله نابعا من دواخله (واعيا أم غير واع به)وهو ما نسميه بالنفسي او فعله الذي يترك أثرا أخلاقيا على نفسه او غيره ، فكل من الفعل الأخلاقي والنفسي مهم ومتداخل وظواهر النفس هي البنية التحتية للأخلاق .ومن كل ذلك نقول ان الأمراض الشخصية في تصور الإمام علي تنحو بنحوين ، الأول تفسيرها والثاني معالجتها وتتنوع على أساس ١- مرض عقلي (ذهان في العلم الحديث)٢- مرض نفسي (عصاب في العلم الحديث).

المرض العقلي

يصنف المفكر الإسلامي السلوك الى قسمين أحدهما السلوك الفكري او العبادي والآخر السلوك النفسي ويرتبط الأول بمبادئ الشرع فالملحد والفاسق ومطلق من لا يلتزم بأحكام الدين كالكاذب والسارق والمغتاب والمفتري يطلق عليه الإسلام اصطلاح المرض وهذا يعني ان الإسلام يجمع بين وحدة السلوك النفسي والفكري ويحسبهما مرضا نفسيا [1]. والإمام علي لا يحلل الأمراض النفسية وفق الدين فقط بل ووفق الطبيعة الإنسانية بشكل عام .

والمرض العقلي(غالبا هو الجنون) يقسم إلى عضوي وغير عضوي، فالمرض العقلي غير العضوي ينتج أحيانا من ضغوط نفسية تؤدي الى الجنون فالحدة عند الامام ضرب من الجنون لان صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم[2]. والجنون يصنف هنا إلى ١- طارئ ومؤقت وهو ما ينتج من ضغط معين يمكن شفائه ويأتي من الأمراض النفسية ٢- الدائمي الذي وصفه-ع- بالمستحكم وهذا أيضا يرجع إلى الضغط المستمر وكلا الحالتين تتأثر بالبيئة والوراثة . والأمثلة التي طرحها الإمام حول

---

[1] -البستاني ،علم النفس الإسلامي،ص١٢٥-١٢٦

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٥٦/٤ ،أيضا ٢١٨/٢ ،حيث يقول-ع- امختبط أنت أم ذو جنة فالأول هو الذي خلط عقله وهو نصف المجنون والثاني المجنون الصرف .

التأثيرات النفسية كثيرة والتي تؤدي إلى ألــوان مــن الجنــون المؤقــت والدائمي مثال ذلك قوله -ع- أول الغضب جنون وآخره نــدم [1] فالغــضب سلوك غير صحيح وإدامته تعني سلوكا شاذا يصل إلى حد الجنون ،ويبــدو ان الاستدامة التي تتمثل بالجنون المستحكم الذي ذكره الإمام هي الفاصــل بين المرض النفسي (كونه جنونا مستحكما)لان فيه تــأثيرا علــى الطبــاع وعلى العقل بشكل عام .وقد ينتقل الجنون من خلال اللبن (الرضــاعة لان اللبن يعدي) كما سبق القول ،والإمام يتعامل مع المجنون من ناحية شرعية ومنطقية بإعفائه من العقوبة ، فهو يقول رفع القلم عن الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق والنائم حتى يستيقظ[2].وقد نرى صحة هذه المعلومــة حينما نعرف ان علم النفس اليوم يصف صاحب الجنون بأنه غير مــسؤول عن أفعاله الخاصة بما فيها الإجرامي[3].و من ناحية أخلاقية فــان الإمــام يعتبر المجنون مبتلى فقد روى عن الرسول (ص) انه مر علــى مجتمعــين فقالوا هذا مجنون فقال (ص) المجنون المتبختر في مــشيته النــاظر فــي عطفيه ... الذي لا يؤمن شره أمـــــا هذا فمبتلى[4].

الأمراض النفسية (العصاب)

يبدو ان عنوان المرض النفسي والقلبي واحدا عند المشرع الإسلامي ، إذا أردنا تقسيم المرض النفسي إلى هذين العنصرين ، وكما قلنا فان مقياس السلوك عند الإمام علي يتحدد بكونه صحيحا أو غيــر صــحيح (ســويا أو شاذا) وعند الإمام قد يكون هناك تداخل بين المرض القلبي والعقلي لارتباط العقل بالقلب فهو يقول (كان قلوبكم مالوسة فانتم لا تعقلــون)[5].والقلــب المالوس هو الذي مسه الجنون[6].

---

[1] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/٢٩٣ .
[2] -الشيخ المفيد،الخصال،ص٩٤.
[3] -قاسم صالح حسين،علم النفس الشواذ،ص٤١.
[4] -الصدوق،الخصال،ص٣٣٢.
[5] --محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٨٣.
[6] -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة ،١٠/٢٢٦ .

ان العلاج النفسي ، هو استخدام أي طريقة نفسية لمعالجة مشكلة أو اضطراب انفعالي ويمكن ان يؤثر في سلوك الآخرين[1].ومن هنا فان فهم هذه المسالة يوضح لنا لماذا كان الإمام علي كثير الاستخدام لمعالجة نفس الإنسان من خلال الوعظ أو النصيحة أو التذكير والتنبيه ، وفي كل ذلك يستخدم الإمام وسائل عديدة للمعالجة ويشخص الحالات المرضية بواسطة الطرق التالية:

١. العلامات الظاهرة والوصف:وتلك الصيغة مطروحة بكثرة في أحاديث الإمام ومثالها قوله (الجاهل يعرف بست خصال ، الغضب من غير شي والكلام في غير نفع والعطية في غير موضعها وان لا يعرف صديقه من عدوه وإفشاؤه السر والثقة بكل أحد)[2] أو عندما يصف المنافقين وهم المصابون بأحد الأمراض النفسية (كما سيأتي) ويبين ان علاماتهم التلون وأيضا القلب المريض والحسد والتمويه والإسراف .....الخ وهي مجموعة صفات طويلة لهؤلاء المرضى .

٢. عن طريق التغيرات النفسية :ومصداق ذلك قوله –ع-(ما اضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)[3]وقوله المرء مخبوء تحت لسانه[4] وهذه الأمثلة كثيرة أيضا في أحاديث الإمام .

٣. عن طريق التقوى العالية والفراسة:فقد قال له رجل إني احبك ،فقال –ع- كذبت[5].

---

[1] -د.حامد عبد السلام زهران،الصحة النفسية والعلاج النفسي،ط٢،عالم الكتب ،القاهرة،ص١٩٧ .

[2] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٧٧/٢٠ .

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٧/٤.

[4] - محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣٨/٤ .

[5] -ابن شهر اشوب،المناقب،٩٦/٢ ،وانظر محمد العبادي،الإمام علي وتنمية ثقافة أهل الكوفة ،ط١،قم،١٣٨١هـ،ص٨٨-٩٠

٤. التشخيص بواسطة التصنيف:وسيأتي قوله بني الكفر على أربع دعائم ، الفسق والغلو والشك والشبهه، وسيأتي الحديث حول هذا التصنيف .

٥. بواسطة التعريف :وهو يتعلق بجواب الإمام عن سؤال يخص شـخص او حاله ،فقد سئل عن قبيلة ما فصنفها بحسب السلوك والشخصية ، فقال بان بني مخزوم ريحانة قريش وان حديثهم محبوب وبنـي عبـد شـمس أبعدهم رأيا وامنعهم لما وراء ظهورهم ووصف قبيلته بأنهم ابذل لما فـي أيديهم(الكرم) واسمح عند الموت بنفوسهم ، ويقول نحن افصح وانـصح واصبح وبالمقابل وصف بني عبد شمس بأنهم اكثر وامكر وافكر [1].وكـل هذه تعريفات لسلوكية جماعة معينة، والحديث بشكله العام يـشير لغلبـة الطابع الوراثي عليهم

٦. التشخيص الترابطي:وهذا الجانب من الصفات الملازمة لبلاغة الإمـام علي سواء في التشخيص النفسي او غيره ، فمن ذلك مقولة الإمام (مـن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعـه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار)[2] .وفي هذا التـرابط نلحظ انتقال وتدرج في السلوك الإنساني .

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٨/٤ .
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨١/٤ .

ملاحظات في تحليل الظاهرة المرضية النفسية في فكر الإمام

في أحيان عديدة أعتبر الإمام علي فارق السلوك على أساس النوع والدرجة في فعل السلوك فهو -ع- يحذر من الغضب معتبرا إياه شرا وعدوا يثير كوامن الحقد وهو جنون وطيش ...الخ [1] ومع هذا فهو يشير إلى الغضب لله ، كما في حديثه لأبي ذر (يا أبا ذر انك غضبت لله فارج من غضبك لـه) [2] وأيضا قوله -ع-(وقد ترون عهود الله منقوصة فلا تغضبون)[3]ونهى الإمام عن العصبية والحقد بقوله فأطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية وأحقاد الجاهلية [4]وفي المقابل فانه إن كان لابد من العصبية فسيكون التعصب لمكارم الأخلاق [5] وإذا كان النوع والدرجة هنا ينطبقان على الغضب والعصبية وغيرها فانهما لا ينطبقان بالتأكيد على اللؤم والمكر والحقد وغيرهما من الأمراض .

١. ان ثمة مفاهيم في السلوك تتسم بطابع النسبية ، كما في التكبر والجبن والبخل ، الممدوح بالنسبة للنساء ، والذي لا يمكن تطبيقه على الرجال[6]، وقد يكون سلوك التواضع أحيانا بالنسبة للرجال في غير محله ، ولهذا يقول الإمام (من أتى غنيا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه)[7] ومن ذلك التفاوت أيضا ما يشمل الحياء سلوكا للفرد ففي النهج (لا إيمان كالحياء والصبر)[8] ومن جهة أخرى فالإمام يحث بان لا يستحي أحد إذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه [9].

---

[1] -الخوانساري،غرر الحكم،٢٩٣/٧ .

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٢/٢ .

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٠٥/١ .

[4] - -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٤١/٢.

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٥٠/٢.

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤،٥٢.

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤،٥٠.

[8] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٧/٤.

[9] -البحراني،اختيار مصباح السالكين،ص ٥٩٧وانظر التستري، بهج الصباغة،٣٨٤/٧.

٢. يأخذ الإمام علي نمط السلوك على أساس الوسطية والاعتدال فانقباض الناس عنده مثلا مكسبة للعداوة والانبساط مجلبة لقرين السوء فكن كما يقول بين المنقبض والمسترسل فان خير الأمور أوساطها[١] وقاعدة سلوك الشخصية يبنى عن الابتعاد عن الإفراط والتفريط ومنه أيضا قول الإمام (الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي وحسد[٢].

مما سبق فان الإمام يتناول الظاهرة النفسية للفرد من عدة منطلقات منها:

أ-بوصفها مرضا نفسيا عاما سواء أكان مسلما أم لا.

ب-بوصفها موعظة او تحليلا لمرض نفسي او حكمة أخلاقية بشكل عام ،وكل هذه المسائل تعبر عن وصف لحالات شاذة في السلوك تؤدي الى خراب أخلاقي.

ج- أحيانا يكون الوصف على شكل أمر أو نهي شرعي ،فالمجنون والمعتوه اللذان لا يفيقان رفع عنهما القلم [٣].

د- بوصفه أمرا عقائديا فالصدق والكذب الأخلاقيان يشيران إلى الأمر الشرعي والعقائدي معا لانهما مرتبطان بالإيمان ، والإيمان عند الإمام أن يؤثر الإنسان الصدق وان ضره على الكذب وان انتفع به [٤] و يضيف أيضا جانبوا الكذب فانه مجانب للايمان [٥] . ويوصف الكذب مرضا نفسيا فالإمام يحذر من صداقة الكذاب لانه كالسراب يقرب البعيد ويبعد القريب [٦] الأمر الذي لا يعبر عن الواقعية بل الوهم . والبعد النفسي للكذب هنا ينطوي على شذوذ غير سوي لا يعطي نتائج ثابتة إذا ما كانت هناك استجابة أما البعد

---

١ -الحديد،شرح النهج، ٢٨٦/٢٠ .

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٨١/٤ .

٣ -الحميري البغدادي(عبد الله/ت٣٠٠هـ)،قرب الإسناد،ط١ ،مؤسسة ال البيت ،قم، ١٤١٣هـ ،ص١٥٥ .

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة٤/١٠٥ .

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١٥٠/١.

٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١١/٤ .

الأخلاقي فان الوفاء عند الإمام علي مثلا هو توأم الصدق [1] في حين ان الكذب هو شر القول[2].

تصنيف المرض النفسي

يعالج المشرع الإسلامي المرض النفسي بأكثر من طريقة ومنهج ، فقد عالج ذلك من الناحية النفسية الخالصة سواء أكان مزاجا أم صفات وثانيا من زاوية فكرية ، او قل انه عالج ذلك من زاويتين رابطا بين المرض النفسي او الفكري جاعلا منها (وحدة)واحدة ، والصلة بين المرض النفسي والفكري عالجها الإمام علي عندما بين ثلاثة أنماط من السلوك هي :١- الكفر ٢-النفاق ٣- الإيمان ، والأولان يجسدان المرض أما الإيمان فيمثل السلوك السوي[3].

وإذا ذكرنا بان الإسلام يجمع بين السلوك الفكري العبادي والنفسي ويحسبهما واحدا ، فان المفردة الأولى وهي الكفر توسعت عند الإمام حينما قال بني الكفر على أربع دعائم ، الفسق والغلو والشك والشبهة [4].

ويلاحظ هنا ان تصنيف الأمراض هو ثنائي وتمثل بالكفر والنفاق أما الحالة السوية وهي الإيمان ، فتبدو أحادية ومع هذا فهي تتشعب ، والاتجاهات الثلاثة الرئيسية قائمة (بالرغم من إنها فكرية)على أساس نفسي فالإيمان بني على أساس نفسي سليم أما الكفر والنفاق فقد بني على أساس نفسي مضطرب أو مشوش أو شاذ وغير سوي والفرق بينهما ان مرض الكفر يأتي بحالتين هو الصريح والآخر الباطن (وهو النفاق) والقران يشير إلى المرض النفسي بقوله تعالى(الذي في قلبه مرض/الأحزاب-٣٣/٣٢)ومن التصنيف الثلاثي الأساسي لهذه الأمراض تخرج أربعة تصنيفات أخرى او دعائم ولكل دعامة أربعة شعب هي :

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/٩٢ .

[2] -ميثم البحراني،شرح مائة كلمة،ص١٦١ .

[3] -البستاني ،دراسات ،١/١٣٨-١٣٩ .

[4] - كتاب سليم ابن قيس ،تحقيق المحمودي،ص٤٧٠ ،وانظر محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٤٠/٩ .

الدعامة الأولى – الكفر. وهي تتضمن

١. الفسق: وقد بني على الجفا والعمى والغفلة والعتو .
٢. الغلو : ويبنى على التعمق بالرأي والتنازع فيه والزيغ والشقاق ، ولتوضيح الحالة اللاسوية يقول الإمام فمن تعمق لم ينتبه الى الحق ولم يزده إلا غرقا في الغمرات ولم تنحسر عنه فتنة إلا غشيته أخرى ومن نازع في الرأي وخاصم شهر بالحمق من طول اللجاج ومن زاغ قبحت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة .
٣. شعب الشك : وهي المرية والهوى والتردد والاستسلام .
٤. شعب الشبهة : وهي إعجاب بالزينة وتسويل النفس وتأويل العوج ولبس الحق بالباطل ، فالزينة تصدف عن البينة وتسويف النفس يقحم على الشهوة والعوج يميل بصاحبه [1] وسنناقش شعب الفسق أومن حيث كونها أمراضا .

ويجب التنويه الى ان صفة الكفر بمجملها تتضمن عشرون نمطا من السلوك كلها تنسحب على المرض (العصاب)فالغلظة في الطبع مثلا والفظاظة في الخلق والخرق في التعامل وعدم الصلة والبر والرفق كلها إفصاح عن الجفا الذي جعله نص الإمام على أول سلوك من شعبة (الفسق).

إن أول دعامة من الكفر وهي ذات طابع نفسي صرف تتصل بالنزعة العدوانية وتقف في أعلى سلم الأمراض النفسية (العصاب)[2]. ومن الجفا عند الإمام الإفراط في المزاح وهو من الخرق والحماقة واعتبره لقاح الضغينة وبذرة العداوة وموجب الشحناء[3] أي إن كل هذا يقود الى الجفا ثم العمى والغفلة والعتو، والتدرج واضح في مراتب المرض، فإذا قال أحدهم ان هذه أفعال فقط وليست أمراضا فسوف يكون مخطئا ، لان كل ذلك إنما هو سلوك للشخصية، والتعاملات بشكل عام هي سلوك يتراوح بين الشدة والضعف ويمكن لهذه الأمراض المتقدمة ان تصبح عادة، والعادة

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٤/٩ .
[2] -البستاني ،دراسات ،١/١٤٠ .
[3] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،٧/٣٦٥ .

عند الإمام طبع ثان ، والطباع تدعو الإنسان إلى ما ألفه [1].وهنا يدخل الإمام مفهوما أخلاقيا للتغلب على هذه الأمراض النفسية بقوله ،الفضيلة غلبة العادة ولان كل طبيعة ما هي إلا سلطان على الإنسان وبدعوة الامام للفضيلة من خلال غلبة العادة وبذلك يصل الإنسان إلى اشرف المقامات[2].

أما الدعامة الثانية من الكفر فهي الغلو ويتفرع منها أنماط من السلوك كالتعمق بالرأي والتنازع فيه والزيغ والشقاق ، وواضح ان الغلو بشكله العام هو المبالغة في التعامل مع الظواهر وتحميلها اكثر من الواقع بطرق العناد والمخاصمة والدخول لعالم الوهم [3]والدعوة إلى عدم الاستبداد والعناد تطرح في النهج بأمثلة منها ، من استبد برأيه هلك[4]والمعجب برأيه جاهل [5] يضاف إلى ذلك ان استقبال وجوه الآراء يوصل الى معرفة مواقع الخطا [6]وإلا فالزيغ سيكون نتيجة حتمية، فيها يستوي السلوك السئ والحسن . وهذه الأنماط من السلوك معروفة في علم النفس وطابعها العام الإفراط في الفعل الإنساني والتفريط ،وفيها يكون المرض الإنساني النفسي أما الوسطية فهي نتيجة ثابتة للشخصية السوية .

أما الدعامة الثالثة فتقوم على ظاهرة الشك والذي يكون انتسابه الى المرض النفسي (العصاب) واضحا كما في مرض القلق والحصر والهستريا بالمفهوم الحديث[7].

وشعب دعامة الشك ، هي التماري الذي هو الجدل لاجل الجدل لا إحقاق الحق وثانيا الهول وهو الفزع من أمر لا يعرفه ثم التردد الذي يعكس

---

[1] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،٢٨٥/٧ .
[2] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،٢٨٥/٧ .
[3] -البستاني ،دراسات ،١٤٠/١.
[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤١/٤.
[5] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،١٣٢/٧ .
[6] -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،١٣٢/٧ .
[7] -البستاني ،دراسات،١٤١/١ .

التباين في ان يفعل الشخص أو لا يفعل ثم الاستسلام وهو إلقاء النفس في تيار الأحداث والخضوع[1].

ولا جدال في انسيابية أعراض مرض الشك بشكله النفسي الذي بدا من الفزع من ما هو مجهول ثم التردد والحيرة وبالتالي فالنتيجة هي الاستسلام الذي يؤدي إلى تمامية المرض أو إكماله لمفهوم الشخصية الشكاكة ولهذا نرى الإمام يصف الشك بأنه ارتياب وان ثمرته الحيرة التي هي سبب الشك أيضا ، وانه مفسد للحالة السوية للإنسان والتي يصفها بالإيمان واليقين[2].

أما الشعبة الأخيرة فواضحة الصلة بالأمراض النفسية ما دامت لا تتعامل مع الظواهر بنحوها السليم بقدر ما يتعامل المريض من خلالها مع أوهامه(يتأول ، تسول له نفسه ، يلبس عليه) دون ان يستبصر حقيقة سلوكه القائم على رواسب قائمة غالبة عن وعيه[3].

وأساس الشبهة هي الإعجاب بالزينة وهو ما يشكل انحرافا عن الوضوح وتسويل النفس المؤدي للشهوة إنما هو إفراط في السلوك ، وذكر الإمام ان من ضمنه العوج فهو كما نرى ميل في سلوك الفرد ثم أخيرا لبس الحق بالباطل[4].

وهذا يعني اختلاط الصح بالخطا او الحالة السليمة بغير السليمة ، ومنها الشبهة فالإمام يقول ان الشبهة سميت بهذا الاسم لأنها تشبه الحق [5] فهي ليست حالة سوية، بل هي مرض انحرافي يدخل في مداخل الوهم ولهذا يخدع الفرد ،لان المسالة اكبر من وعيه ، وعلى الإنسان ان يفسر هذه الحالات غير السليمة ويحللها لا ان يخضع لها تماما ويستسلم .

---

1 -كتاب سليم بن قيس،ص٤٧١ ،وانظر محمد عبده شرح النهج ،٩/٤٠.
2 -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،١٨٢/٧-١٨٣ .
3 -البستاني ،دراسات،١٤١/١ .
4 -كتاب سليم بن قيس،ص ٤٧٠ .
5 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٨٩/١.

الدعامة الثانية - النفاق -

وهو الدعامة الثانية في المرض النفسي ويبنى على الشعب التالية [1].

١. الهوى : ومن شعبه ، البغي، العدوان ، الشهوة والطغيان .
٢. الهوينا : ويشمل الغيرة ،والأمل،والهيبة والمماطلة .
٣. الحفيظة : وشعبها ، الكبر ،الفخر ،الحمية والعصبية .
٤. الطمع: وهو على أربع شعب هي الفرح، المرح ، اللجاجة والتكبر .

وهذه التصنيفات هي أمثلة واضحة في حقل المرض النفسي كما في العصبية والحمية والكبر ....الخ ولا أظن ان علماء النفس قديما وحديثا درسوا هذا النحو من التصنيف ، والفارق بين مرضي الكفر والنفاق إنما يستند الى نمطين من الاستجابة المريضة حيال المرض الظواهر فهناك اضطرابات التفكير كالعمى والغفلة والشك والشبهه (وقد تحدثنا عنها)ويقابلها الاستجابة المتصلة باضطرابات الوجدان وهي الاستجابة (النفعية) التي تتعامل مع الظواهر بمقدار ما تحققه من الإشباع للمريض من حاجات وهذا الجانب هو ما يتناوله مبحث النفاق [2].

والنفاق هو التعامل بوجهين مما يشير إلى وجود ازدواج في الشخصية ،وفي تصنيفات الإمام نجد عشرين نمطا من السلوك وكلها تتكون من مرض نفسي وفكري متحدان في مفهوم المرض والإسلام يعتبر الانحراف الخلقي والصفات الرذيلة أمراضا فكما قلنا ان القران قال تعالى (في قلوبهم مرض/البقرة-٢/ ١٠)[3].

والمنافق عندما يتعامل نفعيا مع الظواهر بحسب تقسيم الإمام ، فانه ينطلق من سمات الأمل والغرور والتهيب من جانب ثم سمات الكبر والتعصب والفخر من جانب آخر وهذه النزعة تلتحم مع طبيعة تعصب المنافق لذاته ومن تعامله النفعي المصحوب بالأمل (أي انه ينافق للحصول

---

[1] -كتاب سليم بن قيس،ص٤٧٠ .
[2] -البستاني ،علم النفس الإسلامي ،ص١٢٩ .
[3] -محمد تقي فلسفي،الطفل بين الوراثة والتربية ،١/ ١٢٠ .

على مكسب مادي او بتهيب خشية الفضيحة)[1].إذن فالفرد يتحسس من نقص لديه وهو الذل فيعوضه بأحد مظاهر السلوك المرضي وهو التكبر.

ان الإمام علي يفسر النفاق من خلال إحساس المنافق بالدونية و النقص لذا يقول -ع- (نفاق المرء من ذل يجده في نفسه،ويقول التعزز بالكبر ذل)[2].

و ينطبق هذا على الكبر أيضا كأحد أجزاء النفاق فمن تكبر على الناس ذل[3] وترجم الإمام السبب لهذا الإحساس بالنقص من ذوي العيوب ، وذلك ليتسع لهم العذر في معايبهم بان يحبوا إشاعة عيوب الناس[4]،كما يستثمر الإمام مفهوما الحسد والملق في طلب العلم كون الغاية نبيلة فهو يقول(ليس من أخلاق المؤمن الملق ولا الحسد إلا في طلب العلم)[5].

ويلاحظ في تصنيف الإمام لهذا المرض وضعه للنفاق كمفهوم عام وجعله الأمراض النفسية الأخرى فروعا تندرج تحت شعب ، أما المكسب النفعي للذات والشخصية فهي تتمحور حول الأنانية الذاتية كما في ألفاظ الغيرة والأمل والمماطلة والكبر وافخر والحمية والعصبية وهي رؤوس أقلام للشخصية الأنانية وهو مرض تفخم الوجدان ثم الهوس(قمة الغرور)حتى الوصول الى التهلكة وبالإضافة لصفات هذه الشخصية فإنها تمارس نوعا من التناقض الداخلي يتمثل بالذلة مع وجود الكبر والفخر النقيض للذلة ، وهو سلوك مرضي غير سوي ولا صحيح ومن ذلك الإعجاب بالنفس الذي هو عند الإمام يمنع الازدياد والتطور في المعرفة [6] أم الطمع فيشكل نوع من الاستعباد لذ لا يمكن التخلص منه[7].

---

[1] -البستاني ،علم النفس الإسلامي ،ص١٢٩ .

[2] -الواسطي ،عيون الحكم ،ص٢٣ .

[3] -الحراني ،تحف العقول ،ص٨٨ .أيضا انظر تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية،٢/٣٧٥ .

[4] -الخوانساري،غرر الحكم،٤/٣٨ .

[5] -الحراني ،تحف العقول،ص٢٠٧ .

[6] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤١ .

[7] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤٢ .

ان الإمام علي يستخدم أحيانا في تشخيص الأمراض أسلوب التمييز او التفريق فقد سئل عن الفرق بين الغم والخوف فقال-ع- الخوف مجاهدة الأمر قبل وقوعه والغم هو ما يلحق الإنسان من وقوعه[1].

ما يتبقى أخيرا ، هو ان الإمام علي لم يضمن مرض النفاق سمات الكفر (مع اشتراكهما في مفهوم المرض)بل جعلهما ظواهر تتصل بالتعامل النفعي مع الأشياء فالمريض الباحث عن الإشباع النفسي للذات يظل يعنى بالأمل ويغتر بما حققه من إشباع وهمي من خلال التكبر والفخر والتعصب وغيرها، ولكن الإنسان بهذه النفعية المريضة قد يحافظ على اطماعه بصورة مؤقتة ويعترف ظاهرا بالسماء أو المبدأ أو الدين ولكنه ينهزم عند إعلان الجهاد مثلا [2].وهذه هي سمة السلوك النفاقي للشخصية ذات الوجهين ، أي انها لا تطابق بين الفعل والعمل وتمتهن ازدواجا للشخصية .

ان تصنيف الإمام لمرض النفاق والكفر مع أهميته التي لم يلتفت إليها باحث طوال تاريخ علم النفس المرضي ، فان هذا الترقيم الذي بلغ أربعين مفردة افصح عن كل أنماط السلوك النفسي والمتصل بالموقف الفكري (أيا كان نمطه)وهولا يخلو من واحد او اكثر من الأصول المذكورة او انها تشكل جذورا لها [3].

ويتضح مما سبق ان العصاب اما أن يكون كفرا (أي نكرانا لحقائق الحياة وارتباطها بمبدع)مع تنوع جذور هذا الكفر او نفاقا والذي يعني بحثا عن إشباع ذاتي وكلاهما بإقرار علم النفس مرض لان المنكر للحقائق يحيا بعالم الوهم وهذه سمة رئيسية للمرض أما الباحث عن إشباع فهو يحيا في عالم اللذات ، وبالنتيجة يتفرع من هاتين السمتين أنواع السلوك اللاسوي [4]

---

[1] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٢٨٥ .
[2] -البستاني ،دراسات،١/١٤٣-١٤٢ .
[3] -البستاني ،دراسات،١/١٤٦.
[4] -البستاني ،دراسات،١/١٤٦

علاج الأمراض النفسية

يقرر علم النفس الحديث ان الأمراض النفسية تنشا من سبب او اكثر منها:١-الوراثة ٢- تنشئة الطفل ٣-الضغوط ٤- الثقافة المنحرفة بشكل عام ، وهذا ما يقره التصور الإسلامي مع توصياته المختلفة فيما يعلق بالتحسين الوراثي وتنشئة الطفل في مرحلته المتأخرة لا المبكرة ويملك المشرع الإسلامي تصورا خاصا تجاه الضغوط والشدائد فالصحة النفسية تبنى على المعرفة والوعي بالتصور للضغوط والثقافة [١].

ان علم النفس الحديث يعالج الأمراض النفسية بواسطة :١-العلاج التحليلي ٢- السلوكي٣- الإرشادي ، والمشرع الإسلامي لا يعارض هذه الطرائق من المعالجة وهو أيضا لا يتكئ على أحدهما دون الآخر لان ذلك سوف يكون إدراكا غير صائب في تفسير نشاة المرض ومعرفة علاجه والعلاج الإرشادي هو الطريق الذي يختطه المشرع الإسلامي ولا يعني هذا استبعاد العلاج التحليلي والسلوكي بل انه لا يعتبرهما مصدرا النجاح [٢].

ويعتمد الاتجاه التحليلي على الفعاليات اللاشعورية والجنس او العدوان وقد المح الإمام علي إلى مفهوم اللاشعور الذي منه الحلم والمزاج وهفوات اللسان ، ومن إشارات اللاشعور قوله-ع- الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا[٣]وهي حالة لاشعورية عامة بالنسبة إلى البشر على الأقل فيما يتعلق باللاشعور بالعالم الآخر .

ومن الكلمات المهمة والدالة على أسلوب التحليل النفسي وفهم اللاشعور قول الإمام علي (ما اضمر أحد شي إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)[٤].

---

[١] -البستاني،علم النفس،ص١٣٧
[٢] -البستاني ،دراسات،١/١٦٢ .
[٣] -الواسطي ،عيون الحكم ،ص٦٦ .
[٤] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة ،٤/٧ .

ويدل هذا الكلام على سبق الإمام لنظريات فرويد فيما يتعلق بتــأثير اللاوعي واللاشعور ويبين خطا الباحثين القائـل ان موضـوع اللاشـعور الفرويدي لم يخطر على بال أحد[1].

ويكمن علاج الإمام علي لهذا المرض من خـلال مواجهـة المـريض مباشرة وتبصيره بالعيوب التي تكشفه دون ان يعيبهـا قـائلا (ان أحببـت سلامة نفسك وستر معايبك فأقلل كلامك واكثر صـمتك)[2] وهـذه طريقـة إرشادية تحليلية وقد يشخص عيوب الشخصية الإنسانية من خـلال الكـلام لان(المرء مخبوء تحت لسانه)[3]. وفضول الكلام كما يقول الإمام يظهر ما بطن من العيوب ويحرك الساكن من الأعداء[4] وثمة علاج عملي يطرحـه الإمام علي لمفهوم اللاوعي فهو يقول (وتدارك مزاج تخيلك بمكاثرة أهـل الحكمة فان مفاوضتهم تريح الرأي المكدود وترد ضالة الصواب المفقـود)[5] وهو أسلوب لتربية النفس وتهذيبها والتحكم بالأسباب المؤدية للاوعـي .وفي كل الأحوال فان هذه المعالجة تجمع بين التحليل النفسي للفرد بفراسة عالية وبرهان كما ويضاف لها الأسلوب الإرشادي .

أما العلاج السلوكي فالإمام يحاول فيه إزالـة الأسـباب المؤديـة إلـى المرض النفسي فالخوف مثلا حالة إرهاب للإنسان لذا فهو يعالج الخـوف من خلال الوقوع فيه بقوله (إذا خفت شيئا فقع فيه ،فان توقيك منه اعظـم من الوقوع فيه)[6].

والمطالبة بوقوع المريض في ما يتخوف منه وتعريضه لمصدر الخوف يعني نمطا من العلاج السلوكي الذي تتجه المدرسة السلوكية الحديثة إليـه ويستوي في ذلك ان تكون الحالة طابع بيئي او وراثي[7].

---

[1] – محمد تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية ،٣٦٣/١٠ .
[2] –جعفر الحائري ،نهج البلاغة الثاني،ص٣٢٠.
[3] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣٨/٤ .
[4] – الخوانساري ،غرر الحكم،٣١٣/٢.
[5] –ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٣٣٩/٢٠ .
[6] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤٢/٤.
[7] –البستاني ،دراسات ،١٦٥/١٠.

يرافق هذه الحقائق قول الإمام إن لم تكن حليما فتحلم [١]في إشارة إلى اثر التعلم بمقابل الوراثة والبيئة ،وقد يضاف إلى العلاج النفسي استخدام الطريق الديني المتمثل بالأدعية الكثيرة لدى الإمام او غيره أو قراءة القران الذي فيه شفاء للنفوس[٢].

او من خلال ذكر آل بيت النبي(ص) فالإمام يقول (إن ذكرنا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ووسواس الريب)[٣]ومن هنا فهو يوصف في النهج النبي(ص) بالطبيب النفساني بقوله(طبيب يدور بطبه ....يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي وآذان صم والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة)[٤].

ومن المعالجات العامة للسلوك والشخصية إعطاء الإمام وصفا للشر بأنه مركب الحرص ويصفه بالكامن في داخل الإنسان ، والشرير لا يظن بأحد خيرا لانه لا يراه إلا بطبع نفسه ، وقد بين الإمام أيضا ان الخلال المنتجة للشر هي الكذب والبخل والجور والجهل[٥].

وكل هذا يعالجه الإمام بالمنهج الإرشادي المجتنب للشر والمستند إلى لفظة (إياك)أحيانا مع ان العلاج التطبيقي عنده قد استند إلى تحليل عام للشخصية الإنسانية ويكون فيه المرض أو الحالة غير السوية مشتركة في المرض فقال(ع) (احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك)[٦].

ومن الأمراض التي عالجها الإمام أيضا القلق الذي يصفه بالهم والذي من آثاره انه يذيب الجسم ويهدمه[٧] واعتبره سبب رئيسي من أمراض

---

[١] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤٧.
[٢] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٢١٦
[٣] -محمد باقر المحمودي،نهج السعادة،٣/٤١٣،وانظر صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،ص٧٢٥
[٤] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٢٠٧ .
[٥] - الخوانساري ،غرر الحكم،٧/٣٦٥ .
[٦] -الخونساري ،غرر الحكم،٧/١٧٣-١٧٤ .
[٧] -الواسطي ،عيون الحكم ،ص٣٣ .

الشيخوخة[1] ويعالج القلق بالمحبة بقوله (أطلق عن الناس عقدة كل حقد)[2] وكل هذا نوع من التفريغ النفسي والقلبي للحد من القلق والألم الآتي من الحقد والخوف مما يشكل هما ويعطي الإمام صورة مهمة لاستجلاب الطمأنينة النفسية بقوله ،اشعر قلبك الرحمة لجميع الناس والإحسان إليهم. وفي موضع آخر يصف الامام الراحة بأنها تكمن في الزهد وقد وصف ذلك بالراحة العظمى[3].

ومن المهم ذكر معالجة الإمام للغضب ،فقد عرفه سلوكيا بأنه يثير كوامن الحقد وان أوله جنون وآخره ندم ،ويصف الغاضب الذي لا يقدر على مضرة عدوه بأنه يطيل حزنه ويعذب نفسه ، ويعالج هذا السلوك المنحرف إرشاديا بالأمر بترك الغضب واستخدام الحلم ويهدد الإمام بالواعز الديني موضحا ان نتائج الغضب وخيمة لهذا يجب تحكيم العقل [4].

وفي كل نشاطات الإنسان السلوكية يدعو الإمام إلى المحاسبة كنوع من تعديل الانحرافات النفسية والعقلية فهو يقول (على العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدين و الرأي و الأخلاق و الأدب فيجمع ذلك في صدره او في كتاب و يعمل على إزالتها)[5].

ان الإمام علي يستخدم في مجال الصحة النفسية علاجات عديدة منها القول بتقسيم العمل واستخدام اللذات المقبولة على مستوى الدين ، فللمؤمن عنده ثلاث ساعات . ساعة يناجي بها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلي بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل[6].

---

1 -محمد عبده ،شرح النهج ،٣٤/٤ .
2 -محمد عبده ،شرح النهج ،٨٧/٣ .
3 -الواسطي،عيون الحكم،ص٧٤وص٨٢.
4 -الخوانساري،غرر الحكم،٢٩٣/٧-٢٩٤(باب الغضب).
5 -المجلسي ،بحار الأنوار،٦/٧٥ .
6 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٠٥ ،وانظر عبده،شرح النهج ،٩٣/٤ .

ومن الصحة النفسية أيضا إتقان العمل وعكس ذلك سوف يكون هناك نوع من الهم لذا يقول الامام (من قصر بالعمل ابتلي بالهم)[1] كما انه-ع- يدعوا إلى الاهتمام بالطبيعة وراحة النفس . فالطيب عنده نشرة والعسل نشرة والركوب نشرة والنظر إلى الخضرة نشرة [2] والنشر هو ما يوجب انبساط الأعصاب بعد أصابتها بعلة .

كذلك يدعو الإمام إلى السرور ،وهو ما يبسط النفس ويثير النشاط أما الغم فيقبض النفس ويطوي الانبساط [3] ودعا إلى عدم اشتغال القلب بالهم على ما فات لان ذلك سيشغل الإنسان عما هو آت [4] ويبين الإمام ان البوح بالسر إلى شخصية عاقلة وحكيمة ومشاورتها هو نوع من الترويح النفسي والعقلي فهو يقول (من شاور الرجال شاركها عقولها ،ومن استبد برأيه هلك)[5].

ودعى إلى الابتعاد عن الخوف والحزن لانهما ينقصان من عمل الإنسان ويؤذيانه وقد عالج الحزن بالدعوة لسماع كلام العلماء ولقاء الأصدقاء ومرور الأيام بقلة البلاء [6] وراحة النفس والإنس عنده في الزوجة الموافقة (المناسبة) والولد البار والأخ الموافق [7]. وهي مسائل تدعو الى سكينة النفس واطمئنانها وبالتالي العيش بشكل طبيعي وبحياة تخلو من التوتر او المشاكل.

---

1 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٢٦ .

2 -محمد باقر المجلسي ،شرح نهج البلاغة ،٤٨٧/٣ ،وانظر التستري، بهج الصباغة،٨٤/٩ .

3 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٦٢.

4 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٥٣٠ ،وانظر الخوانساري،غرر الحكم،٢٩٧/٧ .

5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٤١/٤.

6 -محمد السبزواري(ق٧)،معارج اليقين في أصول الدين ،تحقيق علاء آل جعفر،ط١،قم ،١٤١٣ هـ -١٩٩٢م، ص٥١٨ .

7 -الواسطي،عيون الحكم،ص٦٥ .

الباب الثاني

الفصل الاول : الأخلاق

المبحث الاول:
النظريات الاخلاقية
المبحث الثاني :
بعض المفاهيم الاخلاقية

الفصل الثاني : العلم و الحكمة

المبحث الاول:
العلم وتصنيف العلوم
المبحث الثاني:
الحكمة والمعرفة عند الامام علي (ع)

الفصل الثالث : السياسة

المبحث الاول:
السياسة والحكومة في فكر الامام علي
المبحث الثاني:
انواع السياسات عند الامام علي (ع)

الفصل الاول

الأخلاق

المبحث الاول :
النظريات الاخلاقية

المبحث الثاني:
بعض المفاهيم الاخلاقية

المبحث الاول
النظريات الاخلاقية

الأخلاق في فكر الإمام علي(ع)
التعريف بالأخلاق

لا تفصل الأخلاق في التصور الإسلامي عن واقع الإنسان مبدءا وغاية وهدفا، وبما ان الحقيقة الإنسانية واحدة والهدف ثابت ، فان الأخلاق في واقعها ما هي إلا حقيقة واحدة ثابتة ، ملائمة لذلك الهدف [1]. فنحن مثلا نرى ان حسن الخلق هو أمر جيد يضاده سوء الخلق وهو انحراف نفساني وله آثار سيئة، ونتائج خطيرة للمصاب به منها المقت والنقد والذم وربما تفاقمت أعراضه ومضاعفاته فيجلب مختلف المآسي الجسمية والنفسية والمادية والروحية[2].

ويختلف الفعل الأخلاقي عن الفعل العادي بان الأول جدير بالثناء والشكر والناس ينظرون إليه بعين الرضا وقيمته تختلف عن قيمة الفعل العادي[3]. او قد يكون اختلافهما راجع الى ان السلوك العادي يصدر بشكل غير واع او غير متعقل ، وهو غالبا ما يكون معتدل او مفرطا وبالمقابل فان السلوك الأخلاقي هو سلوك وفعل واع ذو قيمة حسنة نافعة منمية للروح الإنسانية وللشخصية وهو يتدرج في الكمال والرقي.

ويمكن معرفة وجهة نظر الإمام علي في هذا المجال ، من خلال توضيح مفهوم الأخلاق عنده وأصولها ومحفزاتها والتساؤل فيما إذا كانت تتمتع بالنسبية او الثبات كما يمكن تناول مفهوم الوسطية في الاخلاق ، وجملة من القيم الأخلاقية والفضائل وتوضيح معنى الرذيلة والفضيلة واللذة والنية والسعادة والخير....الخ. والأمر الذي يجب ذكره في هذا المجال ان الإمام علي هو أول من صنف في مجال الأخلاق وذلك في رسالتين له في

---

[1] -مرتضى المطهري،فلسفة الأخلاق، ترجمة وجيه المسبح،ط، بيروت، ١٣٢٤هـ، ص١٢ (مقدمة الناشر)

[2] -محمد مهدي الصدر، ،أخلاق أهل البيت(ع)،ط٢،قم،١٤٢٣هـ-ق-٢٠٠٢م،ص١٥.

[3] -مرتضى المطهري،فلسفة الأخلاق ،ص٢٠.

النهج، الأولى لابنه الحسن(ع) والثانية لابنه محمد المعروف بابن الحنفية[1].

وقد امتاز أسلوب الإمام علي في مجال الأخلاق بما يلي :

١-البساطة في طرح المفردة الأخلاقية وثبا ت مصداقيتها .

٢- الواقعية ،من خلال ربط مفردات الأخلاق بالعمل والتطبيق.

٣-اعتماده الثقافة القرآنية.

٤-التأكيد على ثبات الأخلاق.د

يستطيع المتتبع لكلمات الإمام علي وكما ترد في نهج البلاغة معرفة (وبسهوله)الأسلوب الأخلاقي المتضمن في تلك الخطب والكلمات والرسائل ، فهناك توصية شديدة بالأخذ بمكارم الأخلاق لأنها رفعة وبالمقابل فانه ينهى عن الأخلاق الدنية باعتبارها تضع الشريف[2].

حتى ان الإمام دعى للعصبية في مكارم الأخلاق إذا كان لابد من العصبية في شي ، وذلك يكون في محامد الأفعال ومحاسن الأمور بالأخلاق الرغيبة والأحلام العظيمة والآثار المحمودة[3].

ان الإمام علي يميز بين نوعين من الأخلاق الأولى المحمودة والتي يجب ان تظهر والثانية المذمومة والتي يجب ان تقمع[4] .

ولاكمال فهم وتعريف الأخلاق عند الإمام يمكن ملاحظة المميزات التالية للأخلاق عنده(ع).

١-صنف الإمام مكارم الأخلاق على عشرة خصال هي السخاء ، الحياء ، الصدق، أداء الأمانة ، التواضع ، الغيرة ، الشجاعة، الحلم، الصبر ، الشكر[5].

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣/٣٧،وأيضا ٣/٧٦.

[2] -الحراني،تحف العقول، ص٢١٥.

[3] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢٠٠.أيضا صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة،ص١٤١.

[4] -الواسطي ،عيون الحكم ،ص٢٦٤.وانظر الخوانساري،شرح غرر الحكم ،٤/٢٤.

[5] -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٢٧٥.

٢- تمتاز الأخلاق عند الإمام بالثبات ، ويتمثل ذلك بقوله -ع- إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها ، واجعلوا اللسان واحدا[١] وهو نهي عن التلون في السلوك من حال الى ضدها مع المنافع والأعراض[٢] الأمر الذي يفسره شارحوا النهج ، بأنه النهي عن تبديل الأخلاق والرد فيها لانه من ترك خلقا وتخلق بغيره فقد كسره[٣].

٣- تميزها بالشمولية، فهناك دعوة الى كون مكارم الأخلاق مرغوبة لذاتها الخير، فالأمام يحدد من إننا لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا لكان ينبغي ان نطالب بمكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح[٤].

٤-التربية الأخلاقية تبدا من الذات، ومن هذا المنطلق يقول الإمام اعلموا انه من لم يعن على نفسه ، حتى يكون له منها واعظا وزاجرا لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ[٥].

٥-المحاسبة سواء أكانت الشفوية ام المكتوبة، او كما يقول (ع) (على العاقل ان يحصي على نفسه مساويها في الدين والرأي، والأخلاق والأدب فيجمع ذلك في صدره او في كتاب ويعمل على إزالتها)[٦].
كما ان الإمام دعى الى ترويض الأنفس على الأخلاق الحسنة[٧].

٦-التجانس في الأخلاق، وهو ما يحصل بين أصحاب الأخلاق الحسنة من جهة أو أصحاب الأخلاق السيئة من جهة أخرى ، فاللئيم لا يتبع إلا شكله

---

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٩٣/٢.
٢ -مغنية ،في ظلال نهج البلاغة ،٥٣٤/٢.
٣ -السرخسي ،أعلام نهج البلاغة ،ص١٦٥.وانظر محمد تقي التستري،بهج الصباغة،٣٢٣/١٢.
٤ - الواسطي ،عيون الحكم ،٣٣٠. وانظر جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني،ص٣٠٢.
٥ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦٠/١.
٦ -جعفر الحائري، نهج البلاغة الثاني ،ص٣٠٢.
٧ - صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة،ص٧٦٥.

ولا يميل إلا إلى مثله ، ولا يودوا الأشرار إلا أشباههم ولا يصحب الأبـرار الا نظراؤهم[1].

٨-إن وحدة اختبار الرجال الأخلاقية تكمن في مفـاهيم الرضـا والغـضب والأمن والرهب والمنع والرغب[2].

٩-وهناك مميزات أخلاقية متفاوتة بالنسبة إلى الرذائل والفـضائل منهـا اعتباره-ع- البخل والنفاق والكذب من أذم الأخلاق[3] والخيانة أقبحها [4]. وبالمقابل فان اكرم الأخلاق و أعمها نفعا هو العدل[5].
وهنا فإننا إذا ما عرفنا بشكل عام ان الخلق عبارة عن هيئة فـي الـنفس راسخة وعنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية [6] وهو تعريف للأخلاق فانه يمكن فهم قول الإمام بان أساس العمل التمييز بين الأخلاق المذمومة والمحمودة وهو يعني قدرة او قوة في الإنسان تميز الفعل الحسن من السئ.

النظريات الأخلاقية

يتطرق تاريخ التنظير الأخلاقي إلى عـدد من النظريـات الأخلاقيـة والتي بدأت مع اليونان والحكماء المسلمين وعـصر النهضة مـرورا بالفيلسوف الألمـانـي (كانـت) والفلاسفة الآخرين [7].

---

1 -الخوانساري ،غرر الحكم،٧/٤٥.
2 -الخوانساري ،غرر الحكم،٧/٩٧.
3 -الواسطي ،عيون الحكم ،٤١٠-٤٣،وانظر الخوانساري ،غرر الحكم ،٣/٣٠٣.
4 -الواسطي ،عيون الحكم ،ص١١٨.
5 -الواسطي ،عيون الحكم ،ص١٢٢.
6 -كمال الحيدري ،التربية الروحية(بحث في جهاد النفس)ط٦،دار فراقد ،إيران،١٤٢٤هـ ، ص٦٢ .
7 -حول هذا الموضوع راجع د.توفيق الطويل،فلسفة الأخلاق ،نشاتها وتطورها ،ط٣،دار النهضة،مصر ،١٩٧٦م.أيضا السيد كاظم الحائري ،تزكية النفس،ط١،قم،١٤٢١هـ.ق،ص١٣ وما بعدها.

وسيكون من المفيد استعراض هذه الأصول الأخلاقية او البعض منها ومعرفة مدى قربها أو بعدها عن فكر وطرح الإمام علي ، ومن هذه النظريات :

أ- نظرية العاطفة (الغريزة):

وهي من اقدم النظريات الموجهة للسلوك الإنساني الأخلاقي واصحابها يؤمنون بان مناط المواقف والأفعال هو العواطف الإنسانية. وهي تنحو بمسارين الأول يتمثل بالأنانية وهي الميل الطبيعي للإنسان والذي يجلب اللذة ويدفع الضرر ، والثاني يتعدى الميل الإنساني الذاتي ليصل إلى الغير ، واصحابه يحسون ببهجة إذا انتفع او سعد الغير[1].

وفي نهج البلاغة إشارة الى فكرة قبول تعدي الميل الذاتي النفعي وتقديم الآخر على النفع الذاتي او السلوكي وهو ما تمثل بقوله -ع- (أحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره لغيرك ما تكره لها)[2]. ولكن هذا لا يعني القبول بأصول هذه النظرية ،فالفكرة التي طرحها الإمام تعتبر قاعدة مشتركة في كافة الأديان وهي تعتمد على مفهوم المحبة بشكل أساسي وإلغاء لجانب الأنانية العاطفي الغريزي والنفعي لانه ميل طبيعي للإنسان .

ان أهم ما يميز المودة(العواطف)من وجهة نظر الإمام علي أنها زائلة لادنى عارض يعرض لها ، وبخاصة مودة أبناء الدنيا ، فالإمام يعتبر ان ودهم ينقطع بانقطاع أسبابه[3]. وعلى هذا النحو من عدم الثبات فانه لا يمكن قبول العاطفة مبدءا لاصول الأخلاق ، لان هذه النسبية والتبدل في العاطفة يجعل منها مفهوما اقل عمومية من مفهوم الأخلاق عند الإمام التي تتمتع بالثبات والديمومة والتطور ، فإذا ذكرنا بإشارة الإمام الخاصة برفضه تهزيع الأخلاق وتبديلها ، نجد أنفسنا ملزمين بعدم قبول الأصل العاطفي المتبدل في مقابل مفاهيم ثابتة والتي وصفها الإمام علي بالأصول ومنها الكرم والحياء والصدق والشجاعة....الخ.

---

[1] -مطهري ،فلسفة الأخلاق ،ص٣٩.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤٥/٣.
[3] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٥٩/٧.

كما ان النقطة الأساسية عند الإمام ان الأخلاق فعل يكتسب على الأقل المحمود منها ، لذا نجد الإمام يشير الى إكراه النفس على الفضائل ، لان الإنسان مطبوع على الرذائل [1].

وقد يكون السؤال هنا هل ان الرذائل من الغرائز ؟ وإذا كان ظاهر كلام الإمام يشير الى هذه الحقيقة ، فان الأخلاق بشكل عام لا تشير الى الرذائل فقط بل والفضائل أيضا ، والأخلاق او الفضيلة بتعبير الإمام علي إنما هي غلبة العادة، وان الطباع (ذات الأصل الغريزي) تدعو الإنسان الى ما ألفه ، ولذا يحث على ترك العادات ومجاهدة النفس والأهواء بغية الوصول الى اشرف المقامات [2]. وفي الحقيقة لا معنى لجعل الغرائز والعادات من الفضائل لاتسامها بطابع جامد ، محدد غير متطور ولا يصل بالإنسان إلى المقامات الروحية والأخلاقية العليا ، والتي كثيرا ما حث عليها الدين الإسلامي أو الرسول(ص) او الإمام علي ، فهل يمكن اعتبار غريزة الأمومة او محبة الوالد للولد من الفضائل طالما إنها مغروسة في الإنسان ولا تكتسب ، وهنا سوف نخضع إلى حتمية في الفعل الأخلاقي إلا إذا وجهت هذه الغرائز بطريقة عقلية سامية الغاية منها هو الفعل الأخلاقي.

وبعكس ذلك سوف يكون لا معنى للثواب والعقاب إذا كان الفعل الأخلاقي مغروسا في الإنسان على شكل عواطف حتمية تعبر عن عادة او طبيعة ، وقد يعتبرها المتعود حسنة او مفيدة وهو ما يؤدي إلى تشتيت قيمة الفعل الأخلاقي الثابتة ،طالما ان كل إنسان يعتبر ان عادته فعلا أخلاقيا.

وقد يمكن اعتبار كل محبة (من حيث كونها من العاطفة) أخلاقا وان كانت ممدوحة ، وليس كل فعل ممدوح او مذموم يعد فعلا أخلاقيا أو غير أخلاقي ، فالفارس القوي يمدح وهذا ليس فعلا أخلاقيا والأم لا تشعر بمحبة ابن جارتها كما هو حبها لابنها وكل هذا ليس فيه عنصر اختيار او اكتساب

---

[1] -الخوانساري ،غرر الحكم،٣١١/٧.
[2] -الخوانساري ،غرر الحكم،٢٨٥/١.

لملكات غير غريزية [1] وعلى العكس من ذلك فالأدب فعل أخلاقي لانه يكتسب او كما يقول الإمام العقول مواهب والآداب مكاسب [2].

ويصبح واضحا لدينا ان الغرائز والتي يصف الإمام بعضها كالبخل والجبن والحرص لا يمكن ان تكون أصلا للأخلاق ويمكن التطرق لإشكال ورد في مبحث النفس حول نص الإمام المتعلق بتركيب او غريزة العقل والشهوة في الإنسان ، فهل تكون الشهوة اصل العاطفة وبالتالي الأخلاق ، والجواب على هذا الإشكال بنفيه وجود العقل الذي يمكن ان يكون مصدرا للأصول الأخلاقية كونه أصلا تقويميا في الإنسان بدلا من الشهوة التي هي عبارة عن الجانب الغريزي او السلبي في الأخلاق.

او من الممكن التوفيق بين العقل والشهوة كأساس للفعل الأخلاقي كونهما محركا في الإنسان تمثلا بالسلب والإيجاب وبهما يكمن الصراع داخل الإنسان للوصول الى الفضيلة .

وباكمال النص والذي يشير إلى ان الإنسان إذا غلب شهوته عقله اصبح أسوٴ من البهائم وإذا غلب عقله شهوته اصبح افضل من الملائكة ، فان الأخلاق ترتبط بالجانب الثابت لا المتغير وهو العقل لا الشهوة ، ويضاف لكل ذلك ان الإمام عالج وكما في القران والسنة النبوية مسالة كبح حب الذات الغريزي والعاطفة المتقلبة من خلال الإشارات الزهدية والأخلاقية الكثيرة والتذكير بالعالم الآخر ، بل ان اغلب آراء الإمام الأخلاقية في النهج وغيره جاءت لكبح حب الدنيا التي سببها حب الذات الغريزي .

بـ/العرف والعقلاء:

ويبنى هذا الاتجاه على ان كل ما طابق العرف والعقلاء على حسنه اصبح حسنا وكل ما طابق على قبحه اصبح قبيحا [3] وهو تحليل غير تام الصحة لجعله مقياسا للأخلاق .

---

[1] -مطهري ،فلسفة الأخلاق ،ص٤٣.
[2] -الواسطي ،عيون الحكم ،٦١.أيضا الكراجكي،كنز الفوائد،ص٨٨.
[3] -الحائري ،تزكية النفس،ص١٣.

والضمير او العقل في مثل هذه الحالة سوف يكون الوسيلة الأفضل من العرف او تقريرات العقلاء ، وعندما نقرا في خطابات الإمام علي قوله (كفاك من أدبا لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك)[1] نفهم ان الحكم الصحيح هنا ذاتي والفعل الأخلاقي الخاطئ هو فعل خارجي، يمكن ان يكون عرفيا (متعارف عليه) بل ان المقياس الصحيح للأخلاق هنا هو استخدام العقل في رفض السلوك الخاطئ للغير ، والأساس هنا يكمن في التمييز الذاتي للحسن وغير الحسن ومن ذلك يمكن تفسير قول الإمام علي الداعي الى مقارنة أهل الخير ليكون الإنسان منهم ومباينة أهل الشر فيبتعد عنهم[2] من انه إجراء احترازي من أهل العامة وثقافتهم الأخلاقية .

ومن جانب آخر يمكن ملاحظة ان الإمام علي من خلال ابتعاده عن الرأي السائد ، فانه قد وجه نقدا الى المجتمعات السابقة مثلا او الحاضرة فيما يتعلق بسوء السلوك الأخلاقي ، وتمثل ذلك بتحذيره مما نزل بتلك المجتمعات والأمم من سوء الأفعال وذميم الأعمال ، ودعى -ع- الى معرفة الخير والشر ، وحذر من اتباع تلك السلوكيات الخاطئة [3] وهذا ما ينفي فرض ان المجتمعات ذات المفاهيم الأخلاقية الخاصة بها او المصطنعة ، تحمل الأصل الحقيقي او الأساس للقاعدة الأخلاقية ومنها العرف سواء أكان في بيئة محلية او عالمية . وإذا ما اعترضتنا مقولة الإمام في وصيته لاحد أبنائه والتي تقول (يا بني إذا كنت في بلدة غريبة فعاشر بآدابها)[4] فان ذلك يؤول بالتأكيد على أساس المجاراة للغير في الآداب السلوكية ، ولا تعني مفهوم الأخلاق بشكل عام ، ولا تعني أيضا تغيير الأخلاق وفقا لكونها تتغير من مجتمع الى آخر فالخاصية الأكيدة للأخلاق عند الإمام وكما سيأتي هي الثبات .ويضاف لذلك ان نهي الإمام عن تهزيع الأخلاق يعتبر رد على مفهوم عرفية الأخلاق او الرأي العقلائي من مجتمع الى آخر والذي قد يجر الى استخدام الأنسب او الاصلح او الأقل ضررا تبعا للزمان او المكان او

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٥/٤.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٥٢/٣ .

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٤٢/٢ .

[4] -المجلسي ،بحار الأنوار،٢٦٦/٤٤ .أيضا القندوزي،ينابيع المودة،٢٧٣/٣ .

المدينة او الريف او الدولة المتطورة والمتخلفة وهو بالتالي مـا لا يجـوز على مفاهيم ثابتة كالأمانة والشرف والصدق....الخ.

ومن جهة أخرى يتطرق ابن ابي الحديد لتوضيح قول الإمام علي من شكا الحاجة الى مؤمن فكأنما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكأنمـا شكا الله ، وقد علق الشارح قائلا (ان هذا مذهب ديني وهو غير المـذهب العرفي ، لان المذهب المشهور في العرف والعادة يستهجن الشكوى علـى الإطلاق ، لانه يدل على ضعف النفس وخذلانها وقلة التصبر وهو عنـدهم غير محمود)[1].

وقد قصد ابن ابي الحديد بالمذهب المشهور في العرف والعادة كل مـا هو غير الأخلاق الإسلامية التي تبيح الشكوى الى الله وذلك راجع لمفهـوم الإيمان بالله .

ونجد في النهج الكثير من التظيرات التي تبيح استخدام ما قد يعتبر في العرف او عند العقلاء عيبا كالغضب الذي يذم ويذمه الإمـام علـي أيـضا ولكنه يرحب به إذا جاء بشكل آخر كالغضب لله[2].

ويشير أيضا الى بخل ممدوح لدى المرأة بل وزهو وجبن ، ومـع ان هذه الصفات غير ممدوحة ، لكنها عندما توضع في المكان الصحيح تعطي قيمة أخلاقية كبرى فالمرأة المزهوة لا تمكن من نفسها وإذا كانـت بخيلـة حافظت على أموال زوجها[3].

وقد يكون التواضع مذموما فعند الإمام ان من أتى غنيا فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه[4]. ويمكن ملاحظة لفظة (تواضع لغناه) والتي تعنـي

---

[1] – ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة، ٧٢/٢٠.
[2] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١٢/٢. أيضا ٢٠٥/١.
[3] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٥٢/٤.
[4] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٥٠/٤.

نوع من الملق الذي يؤدي الى النفعية ، وهذه الآراء بمجملها تمثل نقدا للمتمسكين بنظرية الأعراف او العرف الأخلاقي .

و في النهج نقدا مباشرا اكثر وضوحا لهذا الصنف من الناس والذي يتعامل بعرف أخلاقي لا يتعدى ما عرفوه فيقول -ع- المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا[1] والذي يفسره شارحوا النهج من ان للمعروف ميزان شرعي وعرفي ولكن هولاء خالفوا الميزان فاضحى عندهم ما رواه بنظرهم وما ذهبوا إليه بحسب مصالحهم ومنافعهم وهو ما نراه في المجتمع اليوم . فالسفور في نظر الشرع مثلا منكر وعند مجتمعات أخرى هو أمر جيد[2].

ج-القانون :

ان القائلين بهذا الأساس للأخلاق يستندون إلى مفهوم قد يكون نابع من قانون الإنسان او الدولة او الدين او المجتمع ويمكن وصف المجتمع بأنه العرف اما البقية فهي متنوعة وقد تكون خاطئة او اجتهادية او موضوعة . طالما ان الأديان متفاوتة نوعا ما .

في المقابل نجد الإمام علي يعطي لمكارم الأخلاق صفة شاملة كما ذكرنا سابقا بقوله لو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف من نار ولا ثوابا ولا عقابا، لكان ينبغي ان نطالب بمكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاح . ونجد في النهج ان ما ينافي فكرة ان منبع الأخلاق هو القانون ،النقد الذي وجهه الامام لما هو اكثر سهولة من القانون الأخلاقي وهو القانون الفقهي الذي يتنوع ويصبح قانونا بناء على اجتهادات غير صحيحة وخاطئة فهو يقول -ع- (ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم ... فهل ان الدين غير الدين أم

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٥٤/١، أيضا ١٥٦/١.

[2] -عباس علي الموسوي،شرح نهج البلاغة، ط١،٥مجلدات ،بيروت ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، ٤١/٢.

ان النبي غير النبي أم ان الشريعة غير الشريعة)[1] وكل هذا إشـــارة الـــى نسبية القانون المجتهد فيه او بنسبية الحلول المقدمة من قبل الإنسان .

ويضاف لكل هذا ان فكرة وضع أسس قانونية للأخلاق يناقضه كـــون البعض من الأخلاق المذمومة او الحسنة هي عبارة عـــن غرائـــز ، وقـــد تطرقنا لقول الامام ان الجبن والبخل والحرص غرائز ، وذكرنا ان الفضائل مكتسبة (من حيث وجودها الثابت) وفكرة كونها تكتسب حسب المجتمع او القانون الخاص بالمجتمع سوف يفقدها ثباتها بل وأهميتها .

ـ الوجدان او الضمير

يؤمن أصحاب هذه النظرية بان الله تعالى أودع في الإنسان قوة خلاقة قادرة على إلهامه والإيماء له بما ينبغي فعله من أعمـــال حميـــدة وســـيرة حسنة وهذه القوة ليست هي العاطفة او العقل او الإرادة كما يقول الفلاسفة بل هي عبارة عن إلهامات الوجدانية المغروسة في باطن الإنسان[2].

والحقيقة إننا عرفنا سابقا ان الامام علي أشار الى الغرائز في الإنـــسان وهذه هي النقطة الأولى ثم أشار الى مفهوم الفطرة الإنسانية والتـــي هـــي عنده كلمة الإخلاص (أحد الطرق الدالة على وجود الله)[3] وإذا هناك ملكـــة في داخلنا تدلل على وجود الله سبحانه الذي هو قمـــة الحـــسن والجميـــل والإنسان يعرفه بوجدانه، ولكننا بصدد الصفات الأخلاقية ، هل هي مغروسة بشكل جبري أي ان الإنسان يفعل الخير بشكله الآلي ، ومن منظور الامـــام تبدو هذه الفكرة مشابه لمفهوم الفعل الإنساني والذي هو عبارة عن أمـــر بين أمرين من وجهة نظر الامام –ع– فالله أمر عبـــاده تخييـــرا ونهـــاهم تحذيرا ،وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا[4] والفعل الإنساني مـــشابه للفعـــل الأخلاقي (من حيث تعلق المسالة بفعل الله او البشر) ومن هنا فلا جبريـــة

---

[1] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/١٥٤–١٥٥. جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني ، ص٣٠٨.

[2] –مطهري ،فلسفة الأخلاق،ص٥٣.

[3] –راجع مبحث الإلهيات .

[4] –محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٧/٤.

في المفهوم الأخلاقي ، وهذا يأتي بالاعتماد على اصل قاعدة الامام علــي ، وعلى هذا الأساس لا يمكن اعتبار الغرائز مسالة جبرية خالصة ، فهنــاك غرائز حسنة وسيئة ولكنها ليست الأصل النهائي للفعل الأخلاقي والذي كما قلنا بالاكتساب ، والحقيقة فان العقل هو من يــنظم هــذه الغرائــز ومنهــا الضمير او الوجدان ولهذا لا نستطيع ان نحكم بخطا قول الإمام بان لا تحمد الصبي إذا كان سخيا فانه لا يعرف فضيلة السخاء وانما يعطي ما في يــده ضعفا [1] وإذا فرضنا ان الوجدان والضمير هو هبة عامة لكل البشر فهــل يمكن اعتبار الفعل السيئ او الحسن الذي يفعله غيــر العاقــل أخلاقيــا ؟ والجواب كلا ، فغير العاقل لا يحاسب ، يتضح لنا هنا ان جزءا مــن فكــر أصحاب الوجدان كأصل للأخلاق قد رفض من قبل الامــام علــي –ع– لان الغرائز او الوجدان قد تكون ملكا للجميع ولكن الأساس الذي يجعلــه فعــلا أخلاقيا هو العقل لانه مقياس لتمييز الفعل الصحيح من الخاطئ.

ويمكن ملاحظة تأكيدات من الامام فيما يخص الإلهامات الوجدانية كما في إشارة سلو القلوب عن المودات فإنها شواهد لا تقبل الرشا ، والمــودة تعاطف القلوب في ائتلاف الأرواح [2].

او قد يكون الضمير او الوجدان بالنية، ولكن كل ذلك يعتمد على العقــل فلو لم يكن الإنسان عاقلا لم يسال قلبه ولم ينــضم غرائــزه او يــستخدم التعاطف كمودة تعتمد على الفهم الأخلاقي وبتعبير الامام انه يستدل علــى عقل الرجل بالتحلي بالعفة والقناعة[3].

ومن الضروري القول ان الأيمان والأخلاق الوجدانيين يدعوان إلــى الاعتراف بإله واحد وهذه هي الفطرة كما سبق القول ولكن الفعل الخلقــي الذي يريد أصحاب هذه النظرية تقديسه بالاعتماد على الوجدان فانه بالرغم من ثبات قيمته فهو ليس مطلقا في كل الحالات فالقبح ليس دائما هو مطلق

---

[1] –ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٣٣٠.

[2] –الخوانساري،غرر الحكم،٧/٥٧–٥٨.

[3] –الخوانساري،غرر الحكم،٧/٢٦٣.

الكذب والحسن ليس دائما هو مطلق الصدق ، فالإيمان عند الإمام ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك[1].

فإذا كان السؤال هل ان الإنسان مفطور على حب الخير ونبذ الكذب والقول بالصدق فان جواب ذلك من منظور فكر الإمام علي انه ليس دائما ان القبح هو مطلق الكذب او الحسن هو مطلق الصدق فهناك استحسان عقلي لكذب فيه إصلاح كما في قوله -ع- (ثلاثة يحسن فيهن الكذب المكيدة في الحرب وكذبك على زوجتك والإصلاح بين الناس ، وثلاثة يقبح فيهن الصدق، النميمة وإخبارك الرجل عن أهله بما يكره وتكذيبك الرجل عند الخبر)[2].

وتبدو هذه المسالة في هذه اللحظة التي نفكر فيها إنما هي فكرة اقرب للعقل والأكثر صحة، ويفهم من النص ان الكذب والصدق او القبح والحسن (على اعتبار التعميم على المعنى الأخلاقي) هما اكثر التصاقا بالعقل منه الى الجانب الوجداني وبخاصة ان العقل عند الامام منزه عن المنكر آمر بالمعروف [3]. مما يعطيه ميزة التفريق ومعرفة القبح والحسن وإذا كنا قد تحدثنا عن الغرائز السيئة والحسنة في الإنسان والتي ذكرناها عند الامام سابقا ، فمع وجود هذا الغرض ومع مسالة وجود الضمير فان الاعتماد على الوجدان كقاعدة يجعلنا نعطي لهذه الغرائز أهمية اكثر من أهمية العقل ونحن نعرف ان مفردات الأخلاق الثابتة تتعامل مع الغير لا مع ذواتنا فقط واقصد انها لا تعتمد على المعنى الغريزي لدينا فقط بل مع مفاهيم ذات قيمة مرتبطة بالآخرين، وما الفضيلة في نظر الامام إلا غلبة العادة [4]. التي هي غريزة بالنسبة لنا.

وهذا يتحقق بتحويل الغرائز السيئة على الأقل إلى فعل فاضل او إخراج الفعل الفاضل للتعامل مع الغير ، وهذا لا يتم إلا بالتعقل لهذا كله لم

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/١٠٥.
[2] -الواسطي،عيون الحكم،٢١٣-٢١٤.
[3] -الواسطي،عيون الحكم،ص٤٦.
[4] -الواسطي،عيون الحكم،ص٣٨.أيضا الخوانساري ،المصدر السابق،٧/٢٨٥.

يكل الإسلام ولا الإمام على أمر التزام الفضيلة في السلوك إلى الضمير وحده وانما جعل لها سند من القانون يكفل لها ان تصير واقعا اجتماعيا تبنى عليه العلاقات الاجتماعية والسلوك الإنساني[1] .

هـ -العقل

تقسم الحالات النفسية إلى ١- عقلية كالإدراك والتفكير ٢- حالات فاعلة كالعزم والإرادة ٣- انفعالية كاللذات والآلام والهيجانات ، وذلك مطابقا لرأي القائلين بان الإنسان مركبا من عقل وارادة وقلب[2].

وقد استعرضنا سابقا في مبحث النفس تقسيمها إلى أربعة أقسام والى ان الإنسان مركبا من العقل والشهوة ، وفعله الفاضل يكون بغلبة العقل للشهوة[3]، لان الشهوة والعقل ضدان[4]. وهذه العملية المتضادة هي جزء من الديناميكية الواقعية للإنسان والتي تعتبر ثنائية تشابه مفهوم الحق والباطل او الخير والشر ، وهذه الثنائية هي منبع واصل المفهوم الأخلاقي، حيث تبنى على الواقع المركب في الإنسان من العقل والشهوة وهذه الأخيرة بالتأكيد مفهوم واسع يتمتع بكونه مادة او اصل الشر[5] وكل من الشهوة والعقل مركزهما القلب و يصفه الامام بان فيه مواد من الحكمة وأضدادا من خلاف هذه الحكمة كما في مفاهيم الطمع والحرص واليأس والأسف والغضب والحذر والأمن والجزع والجوع [6] .

و يتضح هنا ان في القلب مفاهيم سيئة والضد منها أيضا في القلب وهو ما يتمثل بالفضائل او طريقتنا في تحويل الرذائل إلى فضائل ، والأفعال الصالحة وغير الصالحة في القلب ، والاعتماد في كل ذلك على العقل وللإمام تأكيد على العقل ، فهو يقول ان غريزة العقل تأمر باستعمال العدل

---

[1] -محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ط٢،دار الزهراء ،بيروت،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ،ص٤٣.

[2] - لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة،ص٦٨٣.

[3] -راجع مبحث النفس.

[4] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٣.

[5] -الصدوق علل الشرائع،١/٤.

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٢٥.

او ان غريزة العقل تابى ذميم الفعل [1] والفضيلة ، او كما يشير –ع– بان راس الفضائل يأتي من امتلاك الغضب وإماتة الشهوة [2] لان العلاقة الجدلية بين الشهوة والعقل هي تقنيين الغرائز بالعقل، ويأتي رد الإمام حاسما بأنه من الصعب التمتع بالفضيلة مع وجود الشهوة، بل هو يقول ما اصعب على من استعبدته الشهوات ان يكون فاضلا [3] وهو الأمر الذي يأتي من غلبة الشهوة للعقل ولا يخفى ان ثنائية الشهوة والعقل من أروع التنظيرات التي لا تدل مطلقا على جبرية في السجية أو الغريزة، لانه في مقابل الشهوة يوجد العقل ولان هذه القسمة العادلة تدل على ثبات في اصل كل إنسان وهي قانون محكم الحكمة ويدل على عمومية مفهوم الأخلاق عند كل البشرية المختلفة والمنوعة وهذا المصداق يؤكده قوله تعالى (فالهمها فجورها وتقواها/الشمس–٨/٩١) وبالرغم من ثبات العقل والشهوة الا انها تفاوتت من إنسان لاخر تبعا لعدة أمور منها البيئة والوراثة والإرشاد الديني .

فإذن نحن أمام غرائز سيئة داخل الإنسان والعقل هو من يلزم تلك الغرائز بالصيغة الأخلاقية ، او كما يقول الإمام ان للقلوب خواطر سوء والعقول تزجر عنها [4].

فالأخلاق تتكئ على قوة العقل ووعي الإرادة وهو ما تفعله الميول الفردية [5] لان الإنسان يواجه رذائل كثيرة طبع عليها وعليه ان يقيدها او يتخلص منها ولنأخذ مثال الغضب الذي اعتبره الامام شرا وهو مفسد للعقل ويثير كوامن الحقد وبالمقابل يقول فاز بالفضيلة من غلب غضبه وملك نوازع شهوه [6].

---

[1] –الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٤٩.
[2] –الواسطي ،عيون الحكم،ص١٦٣.
[3] –ابن أبى الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٢٥٨.
[4] –الخوانساري،غرر الحكم،٧/٣٢٦.
[5] –مطهري ،فلسفة الأخلاق،ص٥١.
[6] –الخوانساري،غرر الحكم ،٧/٢٩٤.

إذن هناك وعي وتبصر فيما يتعلق بسوء الفعل او حسنه والحد الفاصل في دور العقل بالنسبة للأخلاق يتمثل بما قاله الامام علي (كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك من رشدك)[1]. وإذ يقرر الإمام ان من غلب شهوته ظهر عقله[2] فهو يعني ارتباطا ما بين الإرادة والعقل . اذ انه كلما وجد العقل وجدت الإرادة وعدم العقل يعني عدم الإرادة وهذا بعكس الحيوان الذي يملك غريزة او ميلا او شهوة لكنه يفقد الإرادة [3] والفرق بين الميل والإرادة كبير ، فالميل جاذب داخلي ففي الإنسان يشده نحو الأشياء الخارجية كالجوع والجنس وغيرها اما الإرادة فهي تتعلق بذات المريد وباطنه وليس علاقة جذب بينه وبين العالم الخارجي ، فالإنسان يفكر في موضوع ما ويحسب له ولعواقبه ويقارن بواسطة عقله مصالحه ومفاسده ثم يختار الخطوة الاصلح بما يأمره العقل [4] وهذا الأمر يتوافق وقول الامام ان الناضر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدا عمله ان يعلم أعمله عليه أم له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه[5] وهذا تعبير عن استخدام الإنسان لعقله وارادته لمعرفة المصلحة الحسنة او السيئة وكذا الفعل الحسن او القبيح ، وعندما يصف الإمام النساء بضعف العقل[6].

فإنما يأتي ذلك لضعف الإرادة وغلبة العاطفة على العقل او الميول على الإرادة .

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٩٩.
[2] -صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة،ص١٦٣.
[3] -مطهري ،فلسفة الأخلاق،ص٤٧.
[4] -مطهري ،فلسفة الأخلاق،ص٤٨.
[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٢/٤٤.
[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٣/١٥.

ركائز الأخلاق

كان مفكرو الإسلام على اتفاق في إقامة المبادئ الخلقية على أساس من الإيمان بالله وعلى نحو ما ورد في القرآن[1] وسوف نتناول بعض الركائز الأخلاقية في نهج البلاغة التي تسير على منهج ربط الأخلاق بالله أو القانون الديني، وهو ما يتمثل بالإسلام، وهذه القواعد كالتالي :

١- محاسبة النفس: وهو ما تمثل بقول الإمام ، حاسب نفسك فان غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك[2] كما ان من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر[3] وقد دعى الإمام إلى ترويض الأنفس على الأخلاق الحسنة [4] وذلك يتم من خلال محاسبة النفس

٢- التطبيق على الذات : فمن نصب نفسه للناس إماما فليبدا بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه[5] وكثيرا ما يدعو الإمام الى ان يشغل المرء بعيبه لان ذلك أهم من الانشغال بعيوب الناس[6] وقد وصف الذي نظر في عيوب الناس وانكرها ثم رضاها لنفسه بالأحمق[7] معتبرا ذلك من اكبر العيوب[8].

٣- اقتران القول بالعمل : فالمتقي عند الإمام هو من يصف الحق ويعمل به[9] ويمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل[10]. وقد وجه الإمام ذما ونقدا لمن لا يقرن القول بالعمل بقوله (لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به)[11].

---

[1] -د.توفيق الطويل.فلسفة الأخلاق .ص١٣٨.
[2] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.٢١٣/٢.
[3] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.٤٧/٤.
[4] - صادق الموسوي.تمام نهج البلاغة.ص١٤٨.
[5] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.١٦/٤.
[6] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.٨١/٤.
[7] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.٨١/٤.
[8] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.٨٢/٤.
[9] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.١٥٣/١.
[10] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.١٦٣/٢.
[11] -محمد عبده .شرح نهج البلاغة.١٢/٢.

٤- ميزان الفعل الأخلاقي : وتبنى هذه القاعدة عند الإمام علي على العدالة في التعامل مع الغير وتوضح ذلك في النهج في وصيته لابنه الحسن(ع) بقوله (يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب ان يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارضى من الناس بما ترضاه لهم من نفسك)[1].

وهذه الطريقة تؤدي الى تأديب النفس أيضا فبالإضافة لتلك القاعدة الذهبية الأخلاقية والتي هي أيضا قاعدة في علم الاجتماع الإنساني فان الامام يقول (كفاك أدبا لنفسك ما تكرهه من غيرك)[2].

وتذكرنا هذه القواعد الأخلاقية بنظرة جون ستيوارت مل الذي يشير إلى أن الأخلاق الكاملة تتمثل في القاعدة الذهبية للمسيح وهي ان لاتعامل الناس الا بما تحب ان يعاملوك به وان تحب جارك كما تحب نفسك ، وقد بنى مل نظريته الأخلاقية على أساس المنفعة الخاصة لصالح المجموع [3].

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤٥/٣.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٩٦/٤.

[3] -حول جون ستيوارت مل انظر توفيق الطويل،المصدر السابق،ص٢٠٢-٢٠٣.

المحفزات الأخلاقية

يهدف تحفيز الأخلاق الى تنشيط الفعل الأخلاقي او استدامته بواسطة الإثابة عليه،ولم يقتصر الإمام علي في التحفيز على الوعظ والتنبيه والحث على العمل فقط بل أضاف الى ذلك محفزات مالية لزيادة النشاط الثقافي والمؤدي الى تدعيم الأخلاقي الفاضل ، فقد فرض لمن قرا القران عطاء ماليا [1] والاعتماد في الأخذ بالعامل الأخلاقي يبنى عند الإمام على مفهوم النية،كما هو حال الفعل الإنساني ، فسواء كنت معتمدا على الحافز أم لا فستكون النية هي الحد الفاصل في الفعل الإنساني الفاضل وبالتالي فلا خير في قبول فكرة الثواب الأخروي والعمل على استحصاله بالعمل او الأخلاق كونه منشطا لتقويم السلوك ،فالنية عند الإمام هي أساس العمل ... بل لعلها انفع من العمل نفسه وصلاح النية عنده بصلاح العمل فلا يقبل العمل عنده من دون النية[2].

ومن المحفزات الأخلاقية ما يلي :

١- المثل الأعلى او الأسوة الحسنة :

ان الإمام غالبا ما يشير الى سيرة الرسول(ص) والتاسي بها بتواضعه في أكله على الأرض وجلوسه جلسة العبد او خصفه النعل وترقيعه ثوبه(ص)[3]. والمثل الثاني الذي يشير له الإمام هم الأنبياء كقدوة أخلاقية كما في التذكير بإبراهيم و موسى وعيسى (ع)[4]. كما أشار واصفا نفسه بالإمام وان لكل مأموم إماما يقتدي به ويستقصيه بنور علمه[5] فهو مثل السراج بالظلمة يستضي به من ولجها[6]. ولا يقنع الإمام نفسه بان يكون أميرا للمؤمنين ولا يشارك الناس بمكاره الدهر او يكون لهم أسوة[7].

---

[1] -المتقي الهندي،كنز العمال،٣٣٩/٢. وانظر محمد العبادي ،الامام علي-ع-وتنمية ثقافة أهل الكوفة ،ط١،قم،١٣٨١هـ-،ص٨٥.

[2] -الخوانساري،غرر الحكم،٣٩٨/٧.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٥٩/٢.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٥٨/٢.

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٧٠/٣.

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٢٧/٢.

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٧٢/٣.

ومحبة ال البيت تندرج تحت مفهوم الأسوة الحسنة او المثل الأعلى الذي يوصل إلى السعادة لذا قال الإمام بان اسعد الناس من عـرف فـضلنا وتقرب إلى الله بنا[1]. رابطا مفهوم القدوة الحسنة بالسعادة.

٢- إلزام الضمير :

ربط الإمام على مفهوم الضمير بالله فهو سبحانه المطلـع كمـا اشار على إضمار كل مضمر وقول كل قائل وعمل كل عامل [2] وهنا نحـن أمام رقابتين الأولى هي من الله سبحانه والثانية هـي الـضمير، علـى ان الإمام أشار إلى رقابة أخرى تلزم الفرد بالعمل الحسن وهي رقابـة غيبيـة للملائكة بقوله في الدعاء المشهور باسم كميل (والكرام الكـاتبين الـذي وكلتهم بحفظ ما يكون مني وجعلتهم شهودا علي مع جوارحي) [3] والـردع الذي جاء هنا على شكل موعظة أوضح ان هناك رقابة دقيقة تـدعو الـى الزام يحفز العمل الحسن ويحارب السيئ منه ، ويبقـى القـول ان رقابـة الخالق هي أهم الرقابات لأنها تراقب حتى النوايا بالإضافة للسمع والبـصر وغيرها ، فالإمام يقول أيها الناس اتقـوا الله الـذي ان قلـتم سـمع وان أضمرتم علم [4] فالله محصي آثار الخلق واعمالهم وعدد أنفـسهم وخائنـة أعينهم وما تخفي الصدور من الضمير [5].

٣- التربية والتدريب :

وذلك في الدعوة إلى ترويض النفس على الأخلاق الحـسنة[6] وان يقـول الناس الخير ليعرفوا به وان يعملوا به ليكونوا من أهله[7].

---

[1] -الواسطي ،عيون الحكم،ص١٢٤.
[2] -الواسطي ،عيون الحكم،ص١٤٢.
[3] -الشيخ عباس القمي،مفاتيح الجنان ،ص١٠٠.
[4] -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٣/١٩.
[5] -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،١٥٩/١.
[6] -الصدوق،الخصال،ص٦٢١.
[7] -الحراني ،تحف العقول،ص٢١٦.

٤-تهيئة الجو الصالح:

ويتمثل ذلك بالابتعاد عن الأسباب المؤدية إلى فساد الأخلاق ، التي تكون من خلال معاشرة السفهاء[1] أو صحبة الأشرار والتي توجب سوء الظن بالأخيار[2] ولهذا أشار الإمام انه ينبغي لمن أراد إصلاح نفسه وأحراز دينه ان يتجنب مخالطة أبناء الدنيا[3] وهؤلاء بالتأكيد الذين لا يريدون إصلاح النفس أو حفظ دينهم .

مفهوم الثبات والنسبية في الأخلاق

لعل السفسطائية من أوائل الفرق التي أحالت مفهوم الأخلاق إلى النسبية باعتمادها على الوجدان المتغير بتغيير الأفراد [4] فهل إن الأخلاق تختلف بحسب الزمان والمكان أو الإنسان ، بحيث لا يمكن تقديم طرحا واحدا لكل البشر في كل الأزمنة ، وهل هذه النسبية ترضي أصحاب مفهوم ثبات الأخلاق ؟ إن هنا ما يمكن نفيه من خلال فكر الإمام علي -ع- سواء من خلال حصره مكارم الأخلاق بعشرة كما سبق القول وهو ما يعني أساس ثابت لمفهوم مكارم الأخلاق ، أو ثانيا عندما قسم الفضائل إلى أربعة أجناس والتي منها الحكمة والعفة (والتي قوامها في الشهوة) والقوة والعدل (وقوامها في اعتدال النفس)[5].

وهي أيضا قاعدة عامة للبشر تعني ان هناك رابطة واحدة ثابتة بين الفضائل وبين الطبيعة الإنسانية للنفس ويضاف لهاتين المفردتين قول الإمام بأصلي الشهوة والعقل المركبة في الإنسان وهو ما تمت مناقشته في أصول الأخلاق ، ويورد ابن أبي الحديد مقولة الإمام (إذا خبث الزمان كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت)[6].

---

[1] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٨٥ .

[2] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٠٢ .

[3] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٥٥٥ .

[4] - انظر حول هذا الموضوع، أفلاطون ،الجمهورية، ص١٢. أيضا د. توفيق الطويل،فلسفة الأخلاق،ص٣٢ .وراجع أيضا ص٥٦. وحول السوفسطائية انظر د.جعفر آل ياسين ،فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ،ط٣ ،بغداد، ١٩٨٥م،ص١٠٦ .

[5] -أبو الفتح الكراجكي ،معدن الجواهر،ص٤٠ .وانظر المجلسي ،البحار ،٨١/٧٥.

[6] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٤٧/٢٠.

ويلاحظ ان ذلك لا يعني تأثيرا للزمان والمكان في اصل الفعل الخلقي وإلا قال الإمام تغيرت الفضائل ولم يقل كسدت وكما يلاحظ ان قول الإمام اكره نفسك على الفضائل فان الرذائل أنت مطبوع عليها[1]، يعني أولا ثبات الرذيلة في داخل الإنسان وبإمكانه ان يحجبها من خلال فكرة ثبات الفضيلة أيضا والتي يكون العمل بها هداما للرذائل وهذا يرجع بالتالي الى ثنائية العقل والشهوة والتي قلنا انها اصل من أصول محركات الأخلاق في الإنسان فالغضب مثلا عند الإمام يثير الحقد وكوامنه أما الفوز بالفضيلة هنا فهو لمن ملك غضبه و ملك نوازع نفسه[2] و من ذلك الشر كما يقول (ع) بأنه مركب الحرص وهو كامن في طبيعة كل أحد يظهر عندما يغلب صاحبه ويبطل بعكس ذلك[3] والرابط لهذه المفاهيم سواء أكانت حسنة أم سيئة انها في اصل الخلقة وقد تبين في مبحث النفس في شرح تقسيم الأنفس ان النفس الشهوية والغضبية هي محطة انطلاق كثير من المسائل النفسية سواء الغرائز الحسنة أم القبيحة وكلها في مركز القلب [4].

ان ثبات الأخلاق يرتبط بشكل او بآخر بمفهوم الحسن والقبح العقلي الذي تناولناه في مبحث العدل في الإلهيات ، فإذا أردنا معرفة دلالة كلمة الإمام التي تقول كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك من رشدك[5]. فإنها تدل بلا أدنى شك على مفهوم ثبات الأشياء القبيحة أو السيئة ، فإذا أضفنا الكلمة الأخرى التي تقول (لم يأمرك إلا بحسن ولم ينهك إلا عن قبيح)[6]. تتضح رؤية ان هذا الأمر يتحدث عن أشياء ثابتة الصحة او الخطا.

ويمكن تفسير ثبات الفضائل الأخلاقية أيضا من خلال كلمات الإطلاق التي تروى عن الإمام فعندما يقول عليكم بالصبر فهذا يعني توجيه لفضيلة غير متغيرة وان كانت عملية الصبر تتفاوت من شخص لاخر بناء على

---

[1] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/٣١٠.
[2] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/٢٩٣-٢٩٤.
[3] -الخوانساري،غرر الحكم،٧/١٧٣-١٧٤.
[4] -راجع مبحث النفس.
[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٩٩.
[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٤٤.

طاقته ثم يشبه الإمام الصبر بأحد أجزاء الإنسان واصفا إياه كالرأس من الجسد واعتبره جزءا من الإيمان[1].

وما تبقى هو السؤال عما إذا كان هذا الثبات حقيقة منطقية في القيم الأخلاقية فلماذا نقرا في بعض كلمات الامام ما يوحي بالنسبية ؟ مثال ذلك قوله -ع- خيار خصال الرجال شرار خصال النساء ، وهي صفات الزهو والجبن والبخل[2] او قوله كما ينسب إليه الوفاء لاهل الغدر غدرا عند الله والغدر بأهل الغدر وفاءا عند الله[3] وأمثلة أخرى من قبيل قبول بعض الغضب او رفض الغضب بالجملة والجواب انه لا نسبية بهذه الكلمات بقدر ما هو متعلق بوضع الشيء في موضعه الصحيح فالجبن والحرص والبخل عند النساء تستخدم لنيل فضيلة اكبر وهي حماية نفسها وعفتها ثم المحافظة على أموال زوجها وهي في هذه الحالة تصبح فضائلا مقارنة بكون المرأة تتمتع بالشهوة ولا تحافظ على نفسها او انها مسرفة فتضيع أموال زوجها وبالتالي تصبح خائنة للأمانة وغير عفيفة وهذا ما لا يطبق على الرجل فالبخل مرفوض للرجل وأيضا الجبن والحرص فهي رذائل ويبقى ان الوفاء لاهل الغدر فذلك يعني مساعدتهم في غدرهم وتحقيق رذيلة الغدر دون فضيلة الوفاء وهذا التعامل كما افهم من قول الإمام هو إجراء احترازي من عملية يراد بها خداع الفضائل ووضع القيمة الخلقية في موضع غير صحيح لذا فالإمام يرفض هذا الإجراء فعنده ان الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل إثمان ،إثم العمل به وإثم الرضا به [4].

ومن كل هذا يصبح واضحا لدينا ثبات الأخلاق فهي لا تتلون وقد قال الإمام إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها ، وهي على هذا النحو ترفض نفعية الأخلاق عند بنثام وترفض مفهوم التطورية للأخلاق عند نتشة الذي أنكر

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/١٨.
[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٥٢.
[3] --محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٥٧.
[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤٠.

وجود خير او حق في ذاته ورأى ان ذلك يتغير بتغير الظـروف والأحـوال وقد صنف الأخلاق الى أخلاق سادة وعبيد[1].

وحقيقة الأمر ان هذا المفهوم لا يعدوا كون الأخلاق (بناء على ثباتها) مفهوما عاليا وهي الفضيلة واخر سالب وهو الرذيلـة وهـذا هـو ثبـات المفهوم الأخلاقي اما مفهوم السادة والعبيد فالإنسان متغير تبعـا لظـروف معينة وبيئة معينة وهو من يقلل من قيمة المفهوم الثابت وإلا فان الله خلق الناس أحرارا وقـد قال الامام علي -ع- لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا[2].

وهذه الجملة الذهبية هي ذاتها التي افتتحت بها الوثيقة العالمية لحقوق الإنسان التي أعلنت عقيب الثورة الفرنسية فقد جـاء فيهـا (ان الله خلـق الناس أحرارا)[3].

---

[1] -انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ترجمة فؤاد كامل واخرون،مكتبـة النهضة ،بغداد ، ص٤٨٧.

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٥١/٣.

[3] -مطهري،فلسفة الأخلاق،ص١٢٣.

المبحث الثاني
بعض المفاهيم الاخلاقية

اللذة والسعادة –الخير- الفضيلة

اللذة والسعادة

يقع الإنسان بين أمرين هما الشهوة والعقل فبالشهوة والغضب يحرص على تناول اللذات البدنية البهيمية كالغذاء والنكاح والتغالب وسائر اللذات العاجلة وبقوة العقل يحرص على اكتساب العلوم والأفعال الجميلة والى هذين الأمرين أشار القران (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا/الإنسان-٧٦/٣) ومن حيلة الإنسان التحري عن اللذة [١].

واللذة استطابه الحواس لما تستحسنه من مدركاتها والاشتهاء من خصائص النفس واللذة من خصائص الحواس لقوله تعالى (فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين/الزخرف-٤٣/٧١) وهذه هي اللذة الدنيوي[٢] ويلاحظ ان الإمام علي في معرض شرحه عن خلق الإنسان أوضح انه مركب من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور[٣].

وهذا معناه ان الجسد ركب بشكل يصلح للمساءة والسرور وخلق فيه القدرة والعقل والشهوة والنفار وبالشهوة والنفار يبادر الى اللذة وينفر من الألم وهو قريب من قوله تعالى(وانه هو اضحك وأبكى/النجم-٥٣/٤٣)[٤].

والسعادة عند الإمام علي لا تتحقق باللذة لانه يعطي للذة مفهوم انها تلهي[٥] بل انه يقول بقدر اللذة يكون التنغيص [٦] ونقل ابن أبى الحديد عن

---

١ -البيهقي الكيذري،حدائق الحقائق،٢/٨١.
٢ -محمد باقر الصوفي التبريزي،منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة،١/٤٣٤.
٣ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٢١.
٤ -علي بن زيد البيهقي ،معارج نهج البلاغة ،ص٦٢.
٥ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٦.
٦ -الواسطي ،عيون الحكم،١٨٧.

الإمام علي ما مفاده انه يرتبط مفهوم اللذة بالشهوات التي هي ملهية للعقل أيضا . فالشهوات عند الإمام لعب يلغي الجد ، ويكمل ابن أبي الحديد قوله-ع- فان كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء ودرس كتبهم فانه ليس سرورك بالشهوات ،ثم يضيف الإمام ، انه قديما قيل اسعد الناس ادركهم لهواه إذا كان هواه في رشده فإذا كان هواه في غير رشده فقد شقي بما أدرك منه ، وقديما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لذيذا [1] فمفهوم السعادة والشقاء هنا يتحدد بكون الإنسان في رشده او في غير رشده ، ومن ذلك كون اللذة في موضعها الصحيح كلذة العلم او حلاوة (لذة) معرفة الله التي يتذوقها العارفون ، وهي كناية عن كمال ما يجدونه من اللذة بمعرفة الله كما يلتذ ذايق الحلاوة [2] وهذا يشمل لذة العلم فعند الإمام ان من تفكه بالعلم لم يعدم اللذة[3] وليست السعادة بالشهوات او اللذة لان في ذلك تنغيص، فحقيقة السعادة عند الإمام ان يختم الرجل عمله بالسعادة وحقيقة الشقاوة ان يختم الرجل عمله بالشقاوة[4] والسعيد عند الإمام من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره [5] ولهذا قال -ع- تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا[6] وهي إشارة إلى علاقة قوية ووثيقة ومترابطة بين السعادة في الآخرة والإصلاح في الدنيا[7].

يرد عن الإمام علي ان الذي يستحق اسم السعادة على الحقيقة هو في سعادة الآخرة وهي على أربعة صفات بقاء بلا فناء وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنى بلا فقر[8] وهذا هو العنوان الأخروي للسعادة في العالم الثاني ومن هنا وبناء على ما سبق ، فقد قسم الإمام علي معاني السعادة إلى ضربين : الأول ضرب دائم لا يبيد ولا يحول وهو النعم الأخروية ،

---

1 -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٢٦٧.
2 -الخوئي ،منهاج البراعة،٣٨٩/٦.
3 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٤٢.
4 -جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني،ص٢٧١.
5 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٥٠.
6 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٧٢.
7 -مغنية ،في ظلال نهج البلاغة،١/١٩٨.
8 -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٣٠٦.

وضرب يبيد ويحول وهو النعم الدنيوية وإذا كانت النعم الدنيوية لا تستطيع إيصالنا الى تلك السعادة الأخروية فهي كسراب يحسبه الضمان ماء[1].

ولهذا نجد الإمام يربط بين سعادة المرء وبين سعادة المحيطين به من عائلته وجيرانه وأقربائه معتبرا ان من سعادة المرء ان تكون له زوجة صالحة وأولادا أبرارا واخوة شرفاء وجيران صالحين وان يكون رزقه في بلده[2] وقد تعني تلك المفاهيم الفردية من السعادة عند الإمام ، الإخلاص في العمل[3] او لزوم الحق[4].

اما تصنيف السعادة الدنيوية فقد طرحها الإمام بنحوين، الأول هو مفهوم السعادة التامة والتي تكون بالعلم اما الثاني فهو السعادة الناقصة والتي تكون او تستحصل بالزهد ، أما العبادة من غير علم ولا زهادة فما هي الا تعب للجسد[5].

ومن كل ما تناولناه يتضح ان السعادة دنيوية وأخروية والدنيوية تنقسم الى تامة وناقصة ، ومع ذلك فان الدنيا أيضا طريق لسعادة الآخرة النهائية ، سواء من خلال الإيمان الذي يقول الإمام انه به يرتقى الى ذروة السعادة[6] او من خلال الخوف من عقاب الله ، فالسعيد عنده من خاف العقاب ورجا الثواب واحسن[7] والسعداء بالدنيا غدا هم الهاربون منها اليوم[8] وهذه اللحظة من السعادة المتصلة بالعالم الآخر، ومن خلال الدنيا يصفها الإمام وهي ممزوجة باللذة ،حينما يصف هؤلاء السعداء قائلا ، فبينما هم كذلك ينظرون الى نور الله-جل جلاله وينظر الله في وجوههم ،

---

[1] - البيهقي الكيذري،حدائق الحقائق،٢/٢٣٣.

[2] -جورج جرداق،روائع نهج البلاغة،ص٧٠-٧١.

[3] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٧/٩١.

[4] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٧/٧٤.

[5] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٣٠٦.

[6] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٧/٢٣.

[7] -الخوانساري ،غرر الحكم ،٧/١٦٠.

[8] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٢١٥.

اذ اقبلت سحابة تغشاهم فتمطر عليهم من النعمة واللذة والسرور والبهجة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه [1] وهذا النوع من السعادة خاص بالعارفين .

الخير

يمكن القول ان مفهوم الخير اكبر من معنى السعادة وذلك يؤخذ من زاوية ان الخير مفهوم عام يتعامل به الجميع ، اما السعادة فغالبا ما تكون مسالة خاصة وذاتية ، ونجد عند الإمام فيما يتعلق بالخير ان ينبوعه العقل [2] وهو هنا يفهم على اساس ربط الخير بالتعقل ، وقد يؤول على ان المجنون لا يعرف معنى الخير الأمر الذي تؤكده كلمة الإمام ، من ان ثلاثة هن جماع الخير ، إسداء النعم ورعاية الذمم وصلة الرحم[3].
وبلا شك ان هذه المفاهيم تحتاج الى تعقل ، بل أيضا إلى عناية شديدة من العقلاء، ومن الطبيعي القول ان غير العاقل لا يتمتع بهذه الصفات ، بل ان مقياسا أخر طرحه الإمام وهو انه ليس العاقل من يعرف الخير من الشر بل العاقل من يعرف خير الشرين[4] مما قد يعني صعوبة فهم الخير حتى على العاقل ، لانه فضيلة واسعة الجوانب ، او قل ان ذلك يدل على تنوع الخير في مراتب عديدة ومهمة .

ان الخير يرتبط بالقلب (النية) فقد سئل الإمام علي عن كلمة ميت الأحياء ، فاجاب بان المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويديه فانه يحصل على خلال الخير كلها والمنكر بقلبه ولسانه والتارك له بيده فحصل على خصلتين من خصال الخير واما المنكر بقلبه وتارك المنكر بلسانه ويده فخلة ممن خلال الخير حاز ، اما تارك المنكر بقلبه ويده ولسانه فذلك ميت الأحياء[5].

---

1 - محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة،٤٨٨/١٢ .
2 - الواسطي ،عيون الحكم،ص١٩ .
3 - الواسطي ،عيون الحكم،ص٢١٤ .
4 - المجلسي ،بحار الانوار،٩/٧٥ .
5 - محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٨٩/٤ .

ويدل الخير هنا على أهمية تعميمه على المجتمع فهو نوع من الإلـــزام بإصلاح المجتمع ومعاداة الرذائل بواسطة الفضيلة ويبدو من خلال التقسيم انه على درجات ، ومن صفات الخير الأساسية عند الإمام علي :

١-انه عادة (طبيعة في الإنسان)[١] .
٢-انه لا يفنى وهو اسهل من فعل الشر[٢].
٣-يمكن للخير أن يتأثر بالبيئة لقوله-ع- قارن أهل الخيـر تكـن مـنهم وباين أهل الشر تبن عنهم[٣] .
٤-لا يعد خيرا ما يدرك به الشر[٤] .
٥- يمكن التدرب على فعل الخير ،لهذا قال -ع- قولوا الخير تعرفـوا بـه وعملوا به تكونوا من أهله[٥].

وقد يفسر قول الإمام بان خير من الخير من يفعله وشر من الشر من يأتيه ويفعله[٦] بأنها تدل علة استقلالية مفهوم الخير والشر بدلالة قولـه -ع- خير من الخير وشر من الشر فالمفهومان ثابتان والعمل الإنساني هـو من يضفي زيادة الخير او الشر ، والمقصود ان الإثابة سوف تكون اكبر في تطبيق الخير ، والعقاب اشد في استعمال الشر ، وما فائدة القوانين الفاضلة إذا لم يستخدمها البشر.

ومفهومي الخير والشر بهذه الثنائية لا يصطدمان بكون الإنسان مجبورا على الخير أو الشر لكون هذه الثنائية تتماشى مع اختيار الإنسان والإمـام يقول ان الله سبحانه انزل كتابه هاديا بين فيه الخير والشر فخـذوا نهـج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا[٧].

---

[١] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢٠٢.
[٢] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣١.ايضا الخوانساري ،غرر الحكم ،١٠٢/٧.
[٣] - الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٦٩.وانظر محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٥٢/٣.
[٤] -الخوانساري ،غرر الحكم ،١٠٢/٧.
[٥] -الحراني ،تحف العقول،ص٢١٦.
[٦] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٨٥.
[٧] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٧٩/٢.

واخيرا فان الإمام يعطي مفهوما جامعا للخير بأنه المـــوالاة فـــي الله والمعاداة في الله والمحبة في الله والبغض في الله[1] وهذه إحالة للخير إلى أعلى المراتب من خلال ربطه بالعنوان الإلهي الديني .

---

[1] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢٢٣.

الفضيلة

صنف الإمام علي الفضائل على أربعة أجناس منها الحكمة وقوامها في الفكرة والثانية العفة وقوامها في الشهوة والثالثة القوة وقوامها في الغضب ورابعا العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس[1].

ويأتي هذا التصنيف على أساس قوى النفس فيصبح لدينا أربعة أصول هي الحكمة والعفة والقوة والعدل ، وتحت هذه الأجناس يندرج عدد من الفضائل ، لان صريح قول الإمام علي يؤكد انها أجناس فهي دعائم رئيسية يتبعها بالتأكيد شعب كثيرة تندرج تحت المفاهيم الأربعة السابقة . فالحكمة وهي ما يخص القوة العاقلة كلما قويت ضعفت الشهوة [2] ونحن هنا أمام تضاد في هذين المفهومين ، وقد عرفنا ان الشهوة والعقل ضدان ، إذن ففضيلة العفة مثلا ولكونها اصل عام من أصول الفضائل تضاد بالشهوة ، وعندما يمكن التغلب على الشهوة تقام فضيلة العفة ، ومن التصنيف السابق للفضائل نفهم ان قيامها يعتمد على غرائز في النفس ثابتة وأيضا على الفعل الإنساني لتحويل السئ من هذه الغرائز إلى فضائل وذلك يكون بالقول والعمل عند الإمام وفي هذا الصدد يقول -ع- ان زيادة الفعل على القول هو احسن فضيلة ونقص الفعل على القول اقبح رذيلة [3]. فالفضيلة تظهر بظهور محفزها او المؤثر فيها ، لهذا يشير الإمام الى انه عند نزول المصائب وحلول النوائب تظهر فضيلة الصبر [4]، وذلك يعني الثبات للمفهوم الأخلاقي وأيضا التغير في نيل الفضيلة بالنسبة للجهد الإنساني . ونلمس ذلك بقول الإمام ، الفضيلة غلبة العادة [5] وهو ما يعني ان الفضيلة هي الجهد الذي يبذله الإنسان للتغلب على ما اعتاده او ما يطرا عليه من أحداث ومواقف او معوقات ، ونجد مثاله عند الإمام مثلا ، في فهم تأكيده بأنه عندما يؤثر الإنسان على نفسه يكون قد استحق اسم

---

1 -أبو الفتح الكراجكي،معدن الجواهر،ص٤٠.وانظر المجلسي ،بحار الأنوار ،٨١/٧٥.

2 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٩٥.

3 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢٧٦.

4 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٣٧.

5 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٨.

الفضيلة[١] او عندما يملك غضبه او يميت شهوته ، يكون قد نال اسمى الفضائل[٢]. وفي كل ذلك نرى ما يشبه التضحية او الالزام او تقييد النفس او بذل الجهد لدفع السئ من الرذائل ، لتحقيق الفضيلة . اما عدم بذل ذلك الجهد وعدم إحكام وضبط النفس وتفعيل تضحيتها وقمع نوازعها فهو ما لا يؤدي لمفهوم الفضيلة ، وبتعبير الإمام ما اصعب على من استعبدته الشهوات ان يكون فاضلا[٣]. ومن الفضائل الأخرى عند الإمام والتي تندرج ضمن أجناس الفضائل الرئيسية أيضا فضيلة الصدق والعفو والإيثار[٤].

مفهوم الوسطية في الأخلاق

عند البحث عن الأخلاق الحسنة والسيئة يواجهنا مفهوم الوسطية او الوسط الذهبي ، والذي يشير الى ان المقياس الخلقي في تقييم الفضائل وتحديد واقعها هو التوسط والاعتدال المبرأ من الإفراط والتفريط فالخلق الرضي هو ما كان وسطا بين المغالاة والإهمال كنقطة الدائرة من محيطها فإذا انحرف عن الوسط الى طرف من الأطراف غدى خلقا ذميما[٥].

وقد وجه نقد الى نظرية الأوساط هذه فالقائلين بها فسروا التهور مثلا والذي هو طرف من الأطراف للشجاعة بالإقدام على ما ينبغي الحذر منه والجبن الذي هو طرف التفريط للشجاعة بالحذر مما ينبغي الإقدام عليه ،فأخذوا في موضوع التهور والجبن عنوان ما ينبغي وهذا معناه ثبوت (انبغاء وعدم انبغاء)وهو حقيقة الأخلاق قبل التهور والجبن ، يضاف لذلك ان كثير من الفضائل لا تظهر فيها أوساطا بين رذائل كالصدق والعدل[٦].

مع هذا فقد نجد الدعوة للوسطية في كلام الإمام علي بقوله (لا ترى الجاهل (لا مفرطا أو مفرطا)[٧] والتي يفسرها شارحوا النهج إلى انها

---

١ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٣٥.
٢ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢٦٣.
٣ -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٠/٢٥٨.
٤ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٤ -٣٦-٣٧
٥ -مهدي الصدر ،أخلاق أهل البيت ،ص٨.
٦ -الحائري ،تزكية النفس ،ص٤٠-٤١.
٧ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/١٥.

إشارة إلى ان العدالة هي الخلق المتوسط وهي محمود بين مذمومين ، فالشجاعة محفوفة بالتهور والجبن والجود بالشح والتبذير وعلى هذا فكل ضدين من الأخلاق بينهما خلقا متوسطا هو المسمى بالعدالة لذلك لا يرى الجاهل إلا مفرطا او مفرطا[١].

يساند هذا الرأي الكلمات الكثيرة للإمام والتي منها قوله ،ألا أن خير شيعتي النمط الأوسط إليهم يرجع الغالي وبهم يلحق التالي [٢] وهو ما يعني الوسطية في كل شي ومنها الأخلاق ، وقوله-ع- اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة[٣] وقوله شيعتنا الذين إذا غضبوا لم يظلموا وان رضوا لم يسرفوا[٤] وقد فسر ميثم البحراني قول الإمام باليمين والشمال ، انها إشارة الى طرفي الإفراط والتفريط من الفضائل النفسانية والجادة هي العدل دون الانحراف[٥].

ان كل هذه الآراء تلتقي بالمجمل مع قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا / البقرة-٢/٣/١٤٣) ولكن يجب مناقشة هذه الوسطية المبتكرة والتي تختلف عن مفهوم الوسط الذهبي للفيلسوف اليوناني أرسطو[٦] ففي قوله-ع- الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير من الاستحقاق عي وحسد [٧] ويمكن فهم ان الوسطية هنا تعتمد على الإفراط والتفريط في نفس الفعل المعاش سواء أكان فاضلا أم سيئا أي ان هناك نوع جديد من الوسطية يطبق على الحسن والقبيح وكلاهما شكلا مستقلا ، وبشكل أوضح نرى ان وسطية العزة بين الذلة والتكبر التي يعتمد عليها ارسطو قد لا تكون مقررة في مفهوم الإمام علي، فقد ذكرنا انه-ع- استحسن تكبر او زهو النساء

---

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/١٥. وانظر عباس القمي، شرح حكم نهج البلاغة،،ص١٨.

٢ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٨.

٣ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٥٠.

٤ -الكليني،الكافي،٢/٢٣٧.

٥ -البحراني ،اختيار مصباح السالكين،ص١١١.

٦ -راجع عبد الرحمن بدوي ، ارسطو، ط٢،عالم المطبوعات،الكويت-دار التعليم بيروت ،١٩٨٠م ، ص٢٥٧.

٧ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٨١.

لانه كان أمرا عقلانيا منطقيا ، وقد نرى الإمام يمدح الحرص بقوله(وليس رجلا – اعلم –احرص على جماعة أمة محمد(ص) والفتها مني[1] فالحرص هنا لا يعني التفريط بل يعني الفضيلة .
ومن خلال تحليل قول الإمام (زهدك في راغب فيك نقصان حض ورغبتك في زاهد فيك ذلة نفس[2]).

نلاحظ اختلاط مفهوم الوسطية فالزهد هنا لا يمثل عملا صالحا او أمرا وسطا حسنا بل ان الحسن هنا هو ما اعتمد فيه العقل في اختيار الأمر الأصح ، فالفضيلة هنا التعقل في اختيار السلوك الصحيح والأطراف الأخرى تعتبر أمرا قبيحا . فإذا من كل منا جاء ، يتبين ان هناك وسطية حتى داخل الفضيلة نفسها والرذيلة أيضا فان استخدامها يتغاير تبعا للموقف والسلوك الإنساني ووضعها فيه يكون معتمدا على العقل ،فالوفاء عند الإمام ليس فضيلة والغدر مع اعتباره رذيلة سيكون فعلا حسنا إذ ما وجه لاهل الغدر[3].

---

[1] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣/١٣٧.
[2] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/١٠٤.
[3] –محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٥٧.

الفصل الثاني

العلم و الحكمة

المبحث الاول :
العلم وتصنيف العلوم

المبحث الثاني:
الحكمة والمعرفة عند الامام علي (ع)

المبحث الاول
العلم وتصنيف العلوم

العلم

- تعريفه -

يحتل العلم مركزا مرموقا في أبجدية الإمام علي المعرفية ، فبالإضافة الى معالجته لعلوم الإلهيات والنحو والبلاغة وعلوم الفلك ،واشارات مهمة في الطب والرياضيات وغيرها فإننا إزاء تراث طرح مفاهيما في تصنيف العلوم وفوائدها وشروطها ، والإمام أعطى أهمية كبيرة للعلم بقوله اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به[1]. رابطا العلم(عندما يكون معمولا به) بالكمال الديني والأخلاقي .

ويصف الإمام علي العلم بأنه ضد ومميت للجهل ، مشيرا الى وجوب مضادة الجهل بالعلم كما وصف العلم بداعي الفهم وانه ينجي من الحيرة او هو عنوان العقل ولقاح المعرفة ، بل انه يدل على العقل فمن علم عقل[2].

ويفهم من هذه الكلمات ان العلم عامل مساعد للمعرفة يمتنع وجوده مع وجود نقيضه كالجهل والظلال .

وهناك معادلة عند الإمام تبنى على الاعتبار ثم الإبصار ثم الفهم ومنه الى العلم[3].

فإذا بدأنا من العلم سيتضح انه نتيجة الإبصار (التعقل) وهو ما يأتي من الاتعاظ والتفكر والاعتبار، والسلسلة هذه بمجملها تشير الى تسلسل المعرفة.

ولا جدال ان العقل كمفهوم اشمل من العلم ، فالعقل عند الإمام اصل العلم ومركب الحلم[4] لهذا جعله الإمام (العلم) من دعائم النفس التي منها

---

1 -الكليني،الكافي ،١٠/٣٠.
2 -الخوانساري،شرح غرر الحكم ،٧/٢٦٤-٢٦٥ .
3 -محمد عبده ،شح النهج ،٤/٤٧.
4 -الخوانساري،شرح غرر الحكم ،٧/٢٥٧ .

الفطنة والفهم والحفظ والعلم[1] فجعل العلم أحد أجزاء العقل او جعل العقل أعلى مرتبة منه .

وسيأتي ان العلم ينتمي الى الواقع كما هو حال المعرفة ، من خلال تعريف الإمام للأساطير بأنها لا تنتمي إلى مفهوم العلم.

أقسام العلم

ذكر هنري كوربان ان علوم الشيءعة تقسم إلى عقلية وشرعية الأولى تقسم إلى ضرورية (أولية) فطر عليها الإنسان والثانية مستفادة بالتعلم والاكتساب ، وكلاهما يسمى بالعقل كما في قول علي: رأيت العلم علمين فمطبوع ومسموع ....الخ[2].

والواقع ان الإمام علي قسم العلم بشكل عام إلى قسمين، ففي قوله (فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الأرض) إشارة إلى علوم السماء وعلوم الأرض.

ان الإمام قصد انه في العلوم الملكوتية والمعارف الإلهية أوسع إحاطة منه بالعلوم الصناعية (الأرضية)[3] وهي عبارة تظهر القدرة والتمكن وإلا فان علوم السماء اكثر صعوبة من علوم الأرض ، أما الشكل الخاص فهو تقسيمه للعلم إلى مطبوع ومسموع وقد حدد -ع- بأنه لا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع[4].

والمراد من المطبوع هو العقل بالملكة وهو استعداد بالعلوم الضرورية للانتقال منها إلى العلوم المكتسبة والمسموعة من العلماء فإذا لم يكن هناك

---

1 -الصدوق،علل الشرائع ،١/١٠٣.
2 -هنري كوربان ،تاريخ الفلسفة الإسلامية،ص ١٠٦.
3 -محمد عبده ،شرح النهج ،٢/١٣٠ (كلام الشارح).
4 -الواسطي،عيون الحكم،ص٦٤.وانظر محمد عبده،شرح النهج ،٤/٧٩.

لم ينفع الدرس والتكرار[1]. ومن التصنيفات الأخرى مفهوم العلم الوضيع ، وهو العلم الذي يقف على اللسان ، ويقابله الرفيع الذي يظهر على الجوارح والأركان[2] وكأن الإمام عنى بالوضيع هو القليل الشان او النظري او السطحي بينما الرفيع أو العالي هو العلم العملي الذي تظهر آثاره على الإنسان.

وهناك أيضا قسم آخر من العلم وهو ما يمكن تسميته بالسالب ، وصاحبة يتسم بأخذ الجهالة والظلالة من الجهال ويتسم بالغرور وقول الزور واتباع الهوى[3].

ومن التسميات الأخرى التي يطلقها الإمام على العلم هو مفهوم العلم المكتسب والعلم المستفاد عندما وصف الله سبحانه بأنه عالم بلا اكتساب ، ولا علم مستفاد[4].

---

1 -الشيخ عباس القمي ،شرح حكم نهج البلاغة،طهران ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م،ص١٤٣.
2 -محمد عبده،شرح النهج،٤/٢٠.
3 -محمد عبده،شرح النهج،١/١٥٣.
4 -محمد عبده،شرح النهج،٢/١٩٤.

الخصائص العامة للعلم

طرح الإمام وبشكل متناثر جملة من الصفات العامة للعلم وهي كالتالي:

١. الثبات: وذلك عندما يقارن بغيره من متغيرات الحياة الزائلة كالمال فان صنيع المال يزول[١] وبالتالي فان صنيع العلم ثابت.

٢. الاستمرارية: فبحسب تعبير الإمام العلم لا ينتهي[٢] وهو اكثر من ان يحاط به لذا يوصي الإمام بان يؤخذ من كل شي أحسنه[٣] كما انه اعتبر ان العلم أحد اثنين لا يبلغ غايتهما والثاني هو العقل[٤]. وهذه اللامحدودية للعلم قد تكون لان علم الله لاينتهي، أما العقل فلارتباطه بالنفس وهي خالدة أيضا.

٣. عدم الإشباع: وسبب ذلك ان كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع[٥] والإمام يقرر حقيقة ان العالم لا يشبع من العلم[٦].

٤. الملازمة بين العلم والعقل: بتأكيده -ع- ان ذروة العلوم تنال بالعقول ، كما انه اعتبر ان كل علم لا يؤيده عقل يكون مضلة والعلم يدل على العقل فمن علم عقل[٧].

٥. ان يكون العلم نافعا: فالإمام يقول (واعلم انه لا خير في علم لا ينفع ثم يضيف انه لا يمكن الانتفاع بعلم لا يحق تعلمه) [٨].

وقد تفهم هذه المسالة على نحو من البركماتية ولكن أقوال الإمام والتي منها خير العلم ما نفع او خير العلوم ما اصلحك [٩] يدل على مبدا النفع العام في العلم زائدا المعنى الأخلاقي الإسلامي.

---

١ -محمد عبده،شرح النهج،٣٦/٤.
٢ -الواسطي،عيون الحكم ،ص٤٣.
٣ -الواسطي،عيون الحكم ،ص٥٤.
٤ -الواسطي،عيون الحكم ،٢٩٧.
٥ -محمد عبده،شرح النهج،٤٧/٤.
٦ -الخوانساري،غرر الحكم ،٢٦٦/٧.
٧ -الخوانساري،غرر الحكم ،٢٦٤/٧-٢٦٥.
٨ -محمد عبده،شرح النهج،٤٠/٣.
٩ -الخوانساري،غرر الحكم ،٢٦٩/٧.

الخصائص الخاصة

١. الواقعية : وذلك يكون من خلال ربط العلم بالعمل ،فـالأول مقـرون بالثاني وبحسب قول الإمام من علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل عنه[1] ، والعلم بلا عمل خيال زائف عند الإمام علي وقوله على هذا النحو يلتقي (من وجه) مع الفلسفة البركماتية التي تقـول ان الفكرة أيا كان نوعها إنما تقاس بنفعها فالفكرة حق وصواب إذا نفعـت وهي باطلة وخطا إذا لم تنفع، فالدين والعلم والتربيـة والأدب والفـن والفلسفة لا فائدة لها إذا لم تسعد الفرد ولو على حـساب الملايـين ، وهنا تفترق البركماتية عن فكر الإمام ، فالمراد من العلم العمـل عنـد الإمام علي هو النافع بلا ضرر ولا ضرار[2] .

٢. القيمة الأخلاقية: ان الإمام ربط العلم بالأخلاق ،فالعلم عنـده مركـب الحلم وهو اصل كل خير لذا قال بان العلم يهدي ويرشد وقد اعتبر ان راس الفضائل العلم[3].

٣. القيمة الاجتماعية: فاكتساب العلـم يكـسب الجـاه[4] وهـو وراثـة كريمة[5].

٤. أعطى الإمام للعلم فضائلا ، جاعلا إياه كالجسم ،فراس العلم التواضع وعينه البراءة من الحسد وأذنـه الفهـم ولـسانه الـصدق وحفظـه الفحص(التجربة) وقلبه حسن النية وعقله معرفة الأشياء والأمور ويده الرحمة ورجله زيارة العلماء وحكمته الورع[6]. ويلاحـظ ان مفهـوم الفحص والذي يعني التجربة تطور فيما بعد عند الإسـلاميين وخاصـة جابر ابن حيان.

---

١ -محمد عبده،شرح النهج ،٨٥/٤.

٢ -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة،٢/ ١٢.

٣ -الخوانساري شرح غرر الحكم ،٢٦٥/٧-٢٦٩.

٤ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٩٢.

٥ -محمد عبده،شرح النهج،٣/٤.

٦ -الكليني ،اصول الكافي،٤٨/١.

صفات العالم

وضع الإمام علي عدة صفات للعالم منها :

١-ان يكون العالم بشكل عام متواضعا، صادقا، فاهما، عاقلا، ذو نية حسنة، ورعا، رحيما، زائرا للعلماء[١].

٢-أن يتمتع بعدة مواصفات خاصة منها ا-البصيرة: إذ لا يجب أن ينقدح الشك في قلبه لاول شبهة ب-الحياد: فلا يكون منهوما باللذة تقوده شهواته ج-النزاهة: فلا يكون مغرما بالأموال وادخارها أو يكون بعيدا عن الدين لان هذا يعني موت العلم بموت حامليه[٢].

٣-نشر العلم: ان العالم يجب ان لا يكتم علمه ، فالله سبحانه ما اخذ على أهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم ان يعلموا[٣].

٤-ان لا يعجب العالم برأيه لانه ما اعجب برأيه إلا جاهل [٤] وهذا نقيض مفهوم العلم ، لان هذه الخصلة بنظر الإمام تمنع الاستزادة من العلم ، لقوله-ع- الإعجاب يمنع الازدياد[٥].

٥-ان يوفق العالم بين مقدرته العقلية وبين علمه فمن زاد علمه على عقله كان وبالا عليه !! [٦].

٦-الثقافة العلمية: فان اعلم الناس من زاد علما الى علمه[٧].

٧-عدم التسرع بطرح النظريات : ومن ذلك قول الإمام-ع- (لا خير في الصمت عن الحكم (وهذا يعني وجوب النقد) كما انه لا خير في القول بالجهل)[٨]، والتحذير من طرح الآراء بغير معرفة يرفضه الإمام علي بقوله (لا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم[٩].

---

١ -كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة،١٨٣.

٢ -محمد عبده،شرح النهج ،٣٧/٤.وقارن مع د.فؤاد زكريا،التفكير العلمي ،ط،سلسلة عالم المعرفة،الكويت ،١٩٨٨م،ص٨٢ وهو ما تنبه إليه الدكتور زكريا.

٣ -محمد عبده،شرح النهج،١١٠/٤.

٤ -الخوانساري ،شرح غرر الحكم ،١٣٢/٧.

٥ -محمد عبده،شرح النهج،٤١/٤.ايضا٤٦/٣،

٦ -الخوانساري ،شرح غرر الحكم،١٣٢/٧.

٧ -الصدوق ،الخصال ،قم ،بلا تاريخ،ص٥.وانظر كاشف الغطاء ،مستدرك،ص١٦٢.

٨ -محمد عبده،شرح النهج،٤٣/٤.

٩ -محمد عبده،شرح النهج،٩٢/٤.

٨-ان ينتفع بالعقل والتجربة، فالشقي من حرم نفع ما أوتى من العقل والتجربة[١].
٩-تبادل المعرفة العلمية: وقد أشار الإمام بأنه على العالم ان يتعلم ما لم يعلم ويعلم الناس ما قد علم[٢].
١٠-تقبل النقد: وهو يتضح بقول الإمام من حذرك كمن بشرك[٣] أي ان التحذير والنقد لا يمثلان إنقاصا بل هما مسالة تنموية نافعة.

أهم خصائص التفكير العلمي:

خلافا لكثير من الذين نظروا في البحث العلمي او المنهج،فان الإمام علي لايبدا بالشك ، فالشك عنده ارتياب وثمرته الجهل والحيرة وهو يفسد اليقين[٤]، فالإمام يبدا بالمعرفة وينتهي بها بشكل وثوقي لا ينتمي للشك ، وبالاستناد الى التقسيم السابق لمستوى تدرج الإنسان في المعرفة من العالم الرباني والمتعلم والجاهل ، يمكن ان نفهم ان الخطاب العلمي من حيث التفكير والمنهج والذي يوجهه الإمام سيكون الى الطائفة الثانية وهي المتعلم على سبيل نجاة ومن تلك الخصائص:

أ-يمكن أن تكون بداية البحث العلمي بالظن ، فان ظن الرجل عند الإمام يكون على قدر عقله، والظن الصواب أحد الرأيين ، ويقول أيضا ربما أدرك الظن بالصواب[٥] وكأننا أمام حالة استقراء متمثلة بمفهوم الظن، وظن العاقل عند الأمام اصح من يقين الجاهل[٦] والإمام هنا يستعيض بالظن بدل الشك لانه اكثر طمأنينة من الشك .

ب-استقاء الحقائق من العقل والتجربة ، لا التجربة فقط ، وعنده -ع- ان العقل حفظ التجارب[٧] وبالمقابل فان الشقي من حرم نفع ما أوتي من العقل

---

١ -محمد عبده،شرح النهج،١٣٧/٣.
٢ -الخوانساري ،شرح غرر الحكم٢٧٠/٧.
٣ -محمد عبده،شرح النهج،١٤/٤.
٤ -الخوانساي،غرر الحكم،١٨٢/٧ (باب الشك).
٥ -الخوانساي،غرر الحكم،٢٢٩/٧.
٦ -الواسطي،عيون الحكم،ص٣٢٢.
٧ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٥٢/٣.

والتجربة [1] والتجربة من جانب آخر هي العمل والعلم الذي يكون مقرونا بالعمل فمن علم عمل[2] بل إننا بالرجوع الى النص السابق الذي يقول فيه عن العلم بان أذنه الفهم ولسانه الصدق وحفظه الفحص(التجربة) وعقله معرفة الأشياء والأمور[3] نجد ان مفهوم العلم متكامل من خلال ثنائية (الفحص) التي هي التجربة والعقل الذي هو معرفة الأشياء مع ما هو موجود من صفات أخرى في النص .

ج- ان من خصائص التجربة ما يلي[4].

١. ان في التجربة علما مستفادا (أي ان التجربة مكملة للعلم النظري).
٢. يكون الرأي على قدر التجربة .
٣. ان إحكام التجربة يسلم من الأخطاء.
٤. ان في كل تجربة موعظة.
٥. حفظ التجارب سيجعل الأفعال صائبة.
٦. ان ثمرة التجربة سيكون الاختيار الأحسن .

د- استخدام خيال العالم: عندما يقول الإمام ان لقاح العلم التصور والفهم[5] فان ذلك ما يمكن اعتباره استخدام الخيال كلقاح للعلم او استخدام التصور والفهم ليتولد جانبا علميا آخر من ذلك اللقاح .

هـ-الثقافة الواسعة وعدم التسرع في إبداء النظريات، وقد طرحنا ذلك في صفات العالم.

و - رفض الإمام علي للأوهام التي لا تستند الى علم فهو-ع-يقول رافضا(وأساطير لم يحكها منك علم ولا حلم)[1].

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٣٧/٣.
[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٨٥/٤.
[3] - الكليني،الكافي، ٤٨/١ ،وانظر هادي كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة،ص١٨٣.
[4] -الخوانساري،غرر الحكم،٤٠٢/٧. أيضا صادق الموسوي ،تمام نهج البلاغة،ص١٦٠.
[5] -الواسطي،عيون الحكم،ص٤١٩.

ز- التأكد من صحة العلم بتطبيقه ،واختيار المنهج الأفضل ليكون التطبيق صحيحا ، ومن هذا المنطلق يرد في النهج (فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدءا علمه ان يعلم اعمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه ، فان العامل بغير علم كالسائر على غير طريق فلا يزيده بعده عن الطريق إلا بعدا عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناضر اسائر هو أم راجع)[٢].

ح- استخدم الإمام لمنهج أشبه بالاستقراء يبدا :
أولا : باستقبال كل وجوه الآراء لمعرفة مواقع الخطا[٣].
ثانيا : ضرب الآراء ببعضها ليتولد الصواب[٤].
ثالثا : الاستدلال على ما لم يكن بما قد كان لان الأمور متشابهة [٥]. ويمكن تسمية المرحلة الأولى بجمع المعلومات والثانية مقارنتها وتحليلها اما الثالثة فهي الاستنتاج او البرهان . ومثال ذلك الاستقراء طرحه الإمام في موضوع قبض الروح بالنسبة للجنين في بطن أمه ، فكان يتساءل منبها ،أيلج عليها في أحشائها ؟ أم الروح إجابته بإذن ربها؟ أم هو ساكن معه(الموت) !!؟؟[٦].

خطوات المنهج العلمي

يمكن ملاحظة النقاط التالية بخصوص المنهج العلمي عند الإمام علي وقد كان الاعتماد في ذلك على ملاحظاته العلمية القيمة فيما يخص الحيوان:

---

[١] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣/١٢٥،وقارن مع د.فؤاد زكريا،التفكير العلمي،ص٥٧،وعنده ان الأسطورة من عقبات التفكير العلمي.
[٢] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٤٤.
[٣] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤٢.
[٤] -الواسطي،عيون الحكم،ص٩١.
[٥] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣/٥٥.
[٦] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٢٢١.

١-الملاحظة:

في معرض وصفه للطاووس يقول الإمام في النهج(احيلك من ذلك علي معاينة لا كمن يحيل على ضعيف إسناده)[١] والملاحظ في خطب النهج وخاصة فيما يتعلق بالحيوانات انه يمعن في التأكيد على الملاحظة فكان يشير غالبا بكلمة انظر منبها على أدق التفاصيل وحتى مسالة اختياره للحيوانات في النهج مثل الطاووس والجرادة والخفاش والنملة فان كل ذلك يأتي من خلال استثمار نماذج من الحيوانات للتنبيه على ما تحمل من أسرار وشد الأذهان للاهتمام بالملاحظة واستثمارها بأفضل وجه .

وبالمجمل فان عملية اختيار موضوع ما للتحدث عنه إنما يمثل بحد ذاته ملاحظة بل وتطبيق للقدرات الفكرية من خلال الملاحظة ، فالإمام يلاحظ مشي الطاووس وطبيعته المزهوة وضحكه (الصياح) معتزا بجماله وعويله المتوجع لسوء منظر قدميه[٢] ومعرفة كل هذه المسائل تنم عن ملاحظة بل ودعوة تعليمية للإنسان ليطبق ذلك.

٢-الوصف :

يشبع الإمام علي الموضوع الذي يتحدث عنه بالوصف معتمدا على جانب بلاغي وعلمي في نفس الوقت ، فنراه يصف قصب ريش ذنب الطاووس وجناحيه وعنى بذلك ضبط أصول الريش بالأعصاب والعظام والتحامه ببعضه البعض ، كما يصف النهج رفع الطاووس لذيله دلالة على التزاوج [٣].

ان في النهج وصف للنملة بسعيها للرزق وخزن الحبوب في الصيف والشتاء ويصف هيئتها وينوه إلى التشريح فيها بقوله لو نظرت إلى شراسيف بطنها ثم يبين ان للنملة آذانا وعيونا وشما قويا[٤]، ويقول أحد

---

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٧٢.

٢ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٧٣.

٣ -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،٣/٣٠٩.

٤ -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،٤/١٣٥.أيضا عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١١٦-١١٧.

شراح النهج انه على هذا الأساس يمكن الاستنتاج ان للنملة مع صغر جثتها هذه الحواس ولها الخيال والوهم والمتخيلة والحافظة ولها القوة النامية والمولدة والغاذية والهاضمة والدافعة[1].

ومن الملاحظات في النهج ان الخفاش لا يؤدي وظيفته إلا عند غياب الشمس وان أجنحته من لحم (لا الريش)والخفافيش تطير وولدها الى صدرها[2] وان للجرادة السمع الخفي والحس القوي والفم الواسع[3].

٣-التصنيف:

سبق ذكر تصنيف الإمام للكائنات في مبحث السماء والعالم ، وقد كان على أساس:

أ- الحي: من الملائكة والحيوان والجن والإنس.

ب-ذي الممات : كالشجر والجماد والنبات ج-الساكن: مثل الجبال وغيرها

د- ذي الحركات: كالإنسان والحيوان والماء والكواكب ... الخ.

وفي ذلك صنف الإمام الأشياء على أساس النوع ثم الجنس الذي يقاس على مفهوم الحدود والأحجام والطبيعة والهيئة من اللون والشكل العام [4].

٤-إلغاء الفرضيات الخاطئة:

لقد رفض الإمام الآراء الشائعة الخاطئة فيما يخص الكائنات ومنها نفيه ان الطاووس يتزاوج بالدمع الذي تشربه الأنثى من الذكر فيحدث التلقيح ، وقد وصف الإمام ذلك بأنه اغرب من مسافدة الغراب الشائعة وهي شائعة تقول ان تلقيح الغراب يكون عن طريق إيصال الماء من فمه الى القانصة فيحدث تلقيح البيضة للأنثى وكل ذلك غير صحيح فالتزاوج لدى الطيور طبيعي كما تفعل الديكة[5].

---

[1] -الخوئي،بهج الصباغة،٢/٢٧٣-٢٧٤.

[2] -مغنية ،في ظلال نهج البلاغة،٢/٣٩٧.

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/١١،وقارن مع ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة،٤/١٤١.

[4] -راجع مبحث السماء والعالم.

[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٧٢.

ومن الغريب ان شبيها بهذه الأقوال التي رفضها الإمام نقلت عمن جاء بعده كابن سينا الذي يقول ان القبجة تحبلها ريح تهب من ناحية الحجل او من سماع صوت الذكر، ونقلت عن الجاحظ ان الطاووسة قد تبيض من الريح[١]. وكأن ابن سينا او الجاحظ لم يطلعا على هذه الخطبة.

---

[١] -ميثم البحراني،شرح نهج البلاغة،٣/٣١١.أيضا انظر محمد عبده ،شرح النهج،٢/٧١.

التاريخ ومصادره والتي تروى بإسناد من قبل الأئمة الاثنا عشر-ع- او غيرهم من الاتباع[1].

٣. علم الظاهر والباطن،كما في قوله(ع) أنا عندي علم الظاهر والباطن[2].

٤. علوم الأنبياء، فالإمام يصف نفسه بأنه وارث علوم الأنبياء والأولياء[3].

٥. علوم المنايا والبلايا والقضايا : فقد ورد عنه-ع- قوله أنا علمت علم المنايا والبلايا والقضايا[4].

٦. علم الكتاب: ففي تفسيره لقوله تعالى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (الرعد-١٣/٤٣) قال الإمام علي أنا هو الذي عنده علم الكتاب)[5].

٧. علم فصل الخطاب والأنساب، كما أورد-ع- عن نفسه[6].

٨. علم ما كان وما يكون وما هو كائن[7].

٩. علوم القران:

أورد الاصبغ ابن نباته عن الإمام علي -ع- قوله ان القران انزل أثلاثا ،ثلثا في أهل البيت وعدوهم وثلثا سننا وأمثالا وثلثا فرائضا وأحكاما[8]، ومن أحاديث الإمام ان الله سبحانه قسم كلامه ثلاثة أقسام فجعل قسما منه

---

[1] -انظر حسن القبنجي، مسند الامام علي(ع)،الجزء الثالث باكمله.

[2] -الشيخ المفيد،الاختصاص،ص ١٦٣ . وانظر المجلسي ،بحار الأنوار،٤٢/١٨٩ .أيضا القبنجي،مسند الامام علي(ع)،١/٩٣.

[3] -القندوزي الحنفي،ينابيع المودة،١/٢١٣وايضا٣/٢١١.

[4] -كتب سليم بن قيس،ص٢٥٦ .وانظر محمد بن سليم الكوفي(ت بعد ٣٠٠هـ)مناقب أمير المؤمنين(ع) تحقيق محمد باقر المحمودي،٢مجلد،ط١ ،قم،١٤١٢هـ،١/٤١٤.

[5] -ابن شهر اشوب،المناقب،١/١٠٩ .وانظر النعمان بن محمد التميمي المغربي،شرح الأخبار ،تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي،٣مجلدات ،جماعة المدرسين،قم ،٢/٣١٣.

[6] -الطوسي،الامالي،ط١، ص٢٠٥ .أيضا ابن حمزة الطوسي(ت ٥٦٠هـ) الثاقب في المناقب،تحقيق نبيل رضا علوان ،ط٢،قم،١٤١٢هـ،ص١٢١.

[7] -الطوسي،الامالي،ص٢٢١ .ابن شهر اشوب،المناقب،٢/١٣٥ .وانظر ابن حمزة الطوسي،الثاقب في المناقب ،ص٤٨٧.

[8] -الكليني ،الكافي ،٢/٦٢٧.

تصنيف العلوم

يجب الإشارة قبل التطرق لتصنيف العلوم عند الإمام علي الى انه يصنف الناس الى ثلاثة مستويات من العلم والمعرفة بشكلها العام ، الأول علم رباني ، والثاني متعلم على سبيل نجاة والثالث طبقة الهمج الرعاع وهولاء لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق [1].

ونجد فيما يتعلق بأقسام العلوم عند الإمام نصا يحصر العلم في أربعة وهو الفقه للأديان والطب للأبدان والنحو للسان والنجوم لمعرفة الأزمان [2] وقد يفسر هذا الحصر على أساس العلوم المهمة جدا بالنسبة الى تلك المرحلة ، التي لم يكن الإنسان يعرف فيها العلوم التجريبية ولا الكهرباء او العلوم الصناعية[3].

وبتحليل النص السابق نجد ان مفردة الفقه للأديان تشكل مفهوما واسعا ولا تعني الفقه فقط بل منظومة من مناهج الدين وهي كآلاتي :

١. العدل والتوحيد : وسبق الحديث عن هذا الجانب في مبحث الإلهيات .

٢. علم شرائع الإسلام ،واحكامه وحلاله وحرامه ،كما جاء في رسالة إلى ابنه الحسن-ع-[4] وفي مسند الإمام علي المبوب على أساس الموضوعات الأساسية التي تحدث عنها الإمام بشكل متناثر هنا وهناك في الكتب الإسلامية وجمعت في هذا المسند ، فان هذه الأحاديث بلغت فيما يخص الفقه الألف وخمسمائة حديث ، تناولت الطهارة والوضوء والصلاة واحكامها واحكام المساجد والصوم والحج وكلها شكلت جزءا مهما من الآراء الفقهية الكثيرة ومصدرا لها ، وكل هذا جمع من كتب

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٣٥.

٢ -الكراجكي،كنز الفوائد،ص٢٢٠،أيضا الكراجكي ،معدن الجواهر ورياض الخواطر،تحقيق السيد احمد الحسيني،ط٢،قم ،١٣٩٤هـ،ص٤٠.وانظر لبيب بيضون ،تصنيف نهج البلاغة،ص٢٥٩.

٣ -حول التنبوءات العلمية عند الامام علي انظر ،محمد جواد مغنية،فضائل الامام علي ،مكتبة الحياة، بيروت،١٣٨١هـ-١٩٦٢م،ص٥٠.

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٤١.

يعرفه العالم والجاهل وقسما لا يعرفه إلا من صفا ذهنه ولطف حسه وصح تمييزه ممن شرح الله قلبه للإسلام وقسما لا يعلمه إلا الله وملائكته والراسخون في العلم[1].

ان الإمام يحدد علوم القران بأنها :علم التأويل ، علم أسباب النزول ، علم وقت النزول، علوم الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمحكم والمتشابه والمكي والمدني[2].

وتفسر هذه الأقوال، ان في القران أيضا مادة تاريخية بنصوصه التي تتناول القرون الغابرة وأيضا مادة طبيعية أو كما يصفه -ع- (ان فيه دواء دائكم سواء أكان النفسي ام البدني وفيه أيضا الإصلاح الإداري والذي يصفه الإمام بنظم أمركم)[3].

---

[1] -الطبرسي،الاحتجاج ،٣٧٦/١.

[2] -الكليني ،الكافي ،٦٤/١،وانظر محمد بن إبراهيم النعمان(ت ٣٨٠هـ)،الغيبة،تحقيق علي اكبر غفاري ،طهران بلا تاريخ،ص٨٧.

[3] -المحمودي ،نهج السعادة ،١٠١/٣ .

الطب للأبدان

في هذا العلم عند الإمام نحن أمام قواعد رئيسية في الطب منها نصحه بان لا يتداوى المسلم حتى يغلب مرضه صحته[1] وان لا يضطجع المريض ما دام يستطيع القيام من العلة[2] ويشترط الإمام على الأطباء بان من تطبب عليه ان يتقي الله ولينصح وليجتهد[3].

ويعطي الإمام وقاية من خلال الاعتدال في الأكل ، فمن أراد الاستغناء عن الطب فلا يجلس على الطعام إلا وهو جائع ولا يقوم إلا وهو يشتهيه وان يحسن المضغ ويقضي الحاجة قبل النوم[4] والقاعدة العامة التي طرحها الإمام تكمن في انه لا صحة مع النهم (الشره في الأكل) والتي فسرها ميثم البحراني ، بأنها قد تعني بأثر الصحة النفسية أيضا مضافا للصحة الجسدية ، ثم يقول البحراني ، وإذا تأملت هذه الكلمة مع سائر كلامه في هذا المعنى يتحقق انه(ع) قد اطلع من علم الطب على ما لم يطلع عليه غيره من حذاق الأطباء[5].

ويؤكد الطبرسي هذه المعرفة الطبية عندما يروي حديث الإمام علي مع طبيب يوناني وقد بين الطبرسي اقتدار الإمام على ذلك الطبيب [6].
يمكن من العلاجات التي استخدمها الإمام علي استنتاج انها :

١-العلاج بالأغذية: ومن ذلك مثلا انه اعتبر ان ألبان البقر دواء[7] او إشارته الى ان أكل الكمثري يجلو القلب واكل السفرجل يزيد في قوة الرجل

---

١ -المجلسي،بحار الأنوار،١٠/٩٨. أيضا لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة،٧٩٢.
٢ -النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ)،مستدرك الوسائل،ط١٨،١،مجلد،مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت ،١٤٠٨هـ-١٩٨٧م،٢/٧٢.
٣ -نعمان بن محمد التميمي المغربي،دعائم الإسلام،٢/٤٤.
٤ -هادي كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة،١٦٢.
٥ -ميثم البحراني،شرح مائة كلمة، جماعةالمدرسين ،قم،١٣٧-١٣٩.
٦ -الطبرسي ،الاحتجاج ،١/٣٥١فما بعدها.
٧ -الكليني ،الكافي،٦/٣٣٧.

ويذهب بضعفه واكل التين يكون نافعا للقولنج[١]. ويعطي العلاج بالأغذية فائدة تتحقق قتل الداء وليس فقط زيادة الصحة فمثلا ان الإمام يشير الى ان أكل ثمان تمرات عجوة (نوع من التمر) عند النوم فإنها ستقتل الدود في البطن او سيحقق ذلك من خلال شرب الخل[٢]. ومن طرف طبي آخر هناك نواحي وتحذيرات طبية منها النهي عن أكل الغدد لأنها تحرك عرق الجذام [٣] وأيضا عدم أكل الطحال لانه ينبت من الدم الفاسد[٤].

٢- العلاج بالقران: وهي تعويذات بالآيات القرآنية سواء أكان مرضا نفسيا ام جسديا ، وقد اعتمد الإمام علي في ذلك على النص القرآني القائل (وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين/الإسراء-١٧/٨٢) ومن خلال مراجعة طب الأئمة للزيات نجد ان اغلب كلمات الإمام فيه تتحدث عن العلاج والاستشفاء بالقران وآياته، ولعل السبب في ذلك يرجع الى معرفة الامام بمسالة تزايد الأمراض النفسية مضافا الى المرض الطبي .

٣-إرشادات دوائية: ومن ذلك فائدة طب الرمان مثلا لدباغة المعدة او كسر الحمى بالبنفسج وكون الزيت يكشف المرة ويذهب بالبلغم ويشد الأعصاب ويذهب الإعياء ويطيب النفس[٥].

٤-إشارات لعلم وظائف الأعضاء (الفلسجة) وذلك من خلال قوله اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم ويسمع بعظم ويتكلم بلحم ويتنفس من خرم [٦]او من خلال تصنيفه لادوار نمو الإنسان من النطفة الى ان يصبح جنينا في بطن أمه ، مبتدءا من وصفه لظلمات الأرحام وشغف الأستار[٧]. ويضاف الى كل ذلك معالجة من خلال الفقه لحالة شذوذ ولادي ، جاءت من كلب

---

١ -الزيات(عبد الله بن سابور /ت٢٦٦٢هـ) ،طب الأئمة،ط٢،المطبعة الحيدرية،النجف،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م،١٣٥-١٣٧.

٢ -الزيات ،طب الأئمة،ص٦٥.

٣ -الواسطي،عيون الحكم،٩٣.

٤ - صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة،ص٦٩٥.

٥ -لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة،٧٩٣.

٦ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/٤.

٧ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٤٣.

وطأ شاة فاولدها، وقد سئل الامام عن حكم كونها نعجة ام كلبا لتأثير ذلك في أحكام الدين، وعالج الإمام هذه المسألة بعدة احتمالات والتي منها ان يعتبر بالأكل فيما اذا كان لحما ام علفا، او باعتبار الشرب كرعا أم ولغا، أو طريقة الجلوس او فحص أمعائه[1] وتبدو القضية أشبه بمعالجة فقهية لحالة استنساخ في العصر الحديث.
٥-علم الوراثة وعلم النفس: وقد تحدثنا عن ذلك في مبحث علم النفس .

علوم الألسن :

١-النحو للسان :
فالإمام مصنف ومؤسس علم النحو فقد قال لأبى الأسود الدؤلي ، الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبا عن المسمى والفعل ما أنبا عن حركة المسمى والحرف ما أنبا عن معنى ليس باسم ولا فعل ، ثم قال له زده وتتبعه [2] وقال له ما احسن هذا النحو، احش له بالمسائل فسمي نحوا[3].

٢-البلاغة:
وهو-ع- مؤسس هذا العلم أيضا ، وفي نهج البلاغة الكثير من الأساليب البلاغة وقد تحدثنا عن ذلك في مبحث إثبات نهج البلاغة[4] .

٣-الشعر :
ومن ذلك عندما سئل الإمام عن افضل الشعراء فأجاب بان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها فان كان ولابد فالملك الضليل (امرء القيس)[5]. وهذا يدل على الدراية التامة والناقدة لمفهوم الشعر والتي تبنى على عدم التقييم النهائي للشعراء لان القضية تعلق بتطور القدرة الشعرية الذاتية للفرد.

---

[1] -حسن القبنجي،مسند الامام علي(ع)،٥/٣٣٦،نقلا عن كشكول البهائي.
[2] -راجع الفصل الأول .
[3] -ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب ،١/٣٢٥.
[4] -حول هذا الموضوع راجع،علي احمد المحنه،مدرسة الامام علي-ع-البلاغية واثرها في البيان العربي،مجلة رسالة الإسلام،س٦،ع١-٢،ص١٧٥.
[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤/١٠٤.

٤-اللغات :

ان إشارات تؤكد ان الإمام كان يعرف اللغات ، ففي أصول الكافي يرد انه يعرف لغة الزط (جنس من السودان والهنود)[1] وعندما وصل النهروان اجتمع له ناس من أهل (بادوريا) وهي قرية بالقرب من واسط فأجابهم بالنبطية [2] وكان-ع- يعرف الفارسية ، وذلك عندما أجاب بنت الملك يزدجرد فقد سألها عن اسمها بالفارسية، فقالت جهانويه (سيدة العالم) فقال بل شهر بانويه(سيدة المدينة)[3].

٥-علم اللغة:

يمكن التطرق إلى أبحاث مهمة في اللغة كما في الإشارات إلى القابلية الفطرية للغة فعندما يصف الإمام علي خلق الإنسان بعد نفخ الروح يقول (ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا)[4] وهي تدل على مسالة فطرية أصلية ، وقد تعني ملكة النطق الواحدة هذه تمتع الإنسان بلغة واحدة ثم تشعبت كما في افتراض العالم (جومسكي) لاختلاف اللغات العالمية اختلافا سطحيا وهذا ناتج من انشقاقات وانعكاسات لعلم قواعد عام وعالمي[5]. ويمكن ان يكون الاختلاف بسبب التأثير البيني طالما اننا عرفنا سابقا ان الإمام علي يقول بتأثير الصفات الجسمية على النفسية عند الإنسان ، فيمكن لهذا ان تتأثر لغة الإنسان باختلاف البيئة الاجتماعية كما نرى اليوم في اللهجات.

ان إشارة الإمام السابقة المتعلقة بمنح الإنسان قابلية فطرية تعني تفنيدا لأراء داروين التطورية فإذا كان الإنسان قد تطور عن الحيوان فإننا نشاهد اليوم ان اللغة لم تتطور في تخاطب الحيوان من بدايتها وحتى اليوم.

---

[1] -الكليني ،الكافي،٢٥٩/٧ .وانظر الصدوق ،من لا يحضره الفقيه،تحقيق علي اكبر غفاري، ط٤، ٢مجلدات،قم، ١٤٠٤ هـ.ق،١٥٠/٣.

[2] -ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب ،٣٣٢/١ .وانظر المجلسي،بحار الأنوار،١٧١/٤ .

[3] -إبراهيم بن محمد الثقفي،الغارات،٨٢٦/٢ .أيضا ابن شهراشوب ،المصدر السابق،٢٠٨/٣ .

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٤٣/١ .

[5] -وليم بارنيز ،علم النفس التجريبي ،ص١٢٦ .

مما تقدم نفهم ان الإمام علي فصل اللغة بشكلها العام والتي يسميها (الكلام) بان مغرسه القلب ومستودعه الفكر ومقومه العقل ومبديه اللسان وجسمه الحروف وروحه المعنى وحليته الإعراب ونظامه الصواب [1] والنص يؤكد ان غريزة الكلام مغروسة في القلب (مركز النفس الإنسانية) وهو لا يعني ذلك العضو الإنساني ، ويبدو ان القلب مركزا لعدد من الغرائز منها اللغة. وقول الإمام بان مستودع الكلام الفكر هو ما يعطي صفة الملاصقة للغة والفكر وهي النظرية التي عرفها العالم اليوم ،فالنظرية الحديثة تقول ان اللغة ليست مجرد التعبير عن أفكار ، بل هي جزء لا يتجزأ من عملية التفكير وتكوينه ، وان عملية الفكر مستحيلة بغير اللغة[2].

ولعل ذلك هو ما يجعلنا نرى ان الطفل والحيوان لا يقدران على النطق والتفكير، وعندما يقول الإمام ان مقوم الكلام العقل فهذا مصداق علاقة العقل باللغة والفكر أيضا ولذا يعطي الإمام صفة لعقل الطفل بقوله(حلوم الأطفال)[3] مما يعني قدرة قليلة او غير متكاملة على التعقل او الفهم ، فإذا لم تكن هذه المراحل موجودة فان اللسان لا يقدر على إخراج اللغة، ولذا قال -ع- ومبديه اللسان ، ونلحظ في كل هذه العملية التسلسل المنطقي لنظرية اللغة التي طرحها الإمام وهي ليست خاتمة المراحل بل ينتقل الإمام الى مرحلة ثانية وهي رمزية اللغة الخارجة من اللسان ويعطي نتائج مهمة بواقعية وجسمية الكلام خاصة وان لهذه المادية روحا وهو المعنى .

وقد يدعم تلك الجسمية قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه/فاطر-٣٥/١٠)، كما ان هناك إشارة إلى تلاصق المعنى وهو ما صاغه الفكر بالتأكيد مع جسمية الحروف وهذا يدل مرة ثانية على صحة نظرية ارتباط الفكر مع اللغة ، ثم في النهاية يعطي الإمام صفة تجميلية بقوله وحليته الإعراب وصفة تنظيمية أيضا وهي المحصلة النهائية من ان نظام الكلام الصواب ، وكل هذه العمليات عديدة لا نشعر بها لأنها تمر بسرعة ولعل أهم نقطة فيه هو التعقل لانه مقوم الكلام ومقوم الشخصية

---

[1] -جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني،ص٣٤١.
[2] -مغنية،في ظلال نهج البلاغة ،٤٠٨/١.
[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٧٠/١.

ومنه قول الإمام تكلموا تعرفوا ، و المرء مخبوء تحت لسانه[1] وقوله لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه[2]. ويشمل ذلك العلاقة الجدلية التي قررها -ع- بقوله ،إذا تم العقل نقص الكلام[3].

أخيرا يمكن القول بان ادخال الشعر والبلاغة وغير ذلك في بـــاب العلــم جاء بحسب كلام الامام السابق من ان العلم علمان ،فربما يمكننا تسمية هذه العلوم بالسمعية او السماعية.

النجوم للازمان :

اقر الإمام علي بعلم النجوم للاهتداء به في البر او البحر ناهيـــا عـــن تعلمه لأجل الكهانة[4]، وعلم النجوم جزء من علم الفلك كمـــا انــــه يـــرتبط بالجغرافية على اعتباره طريق للاهتداء في البر والبحر وقد تناولنـــا علـــم الفلك من خلال الحديث عن خلق السماء والعالم[5].

علوم الطبيعة:

وقد سبق الحديث عن الأرض وخلقها وحركتها وخلق الجبال وفائـــدتها والينابيع واشارات للمعادن والفلزات ، والحديث عن خلق الكائنات وخلـــق الحيوانات وتصنيفها وطبيعتها في مبحث السماء والعالم [6].

علم الفلك:

وقد تحدثنا عن خلق السماء والفلك والكواكب والشمس والقمـــر عنـــد الإمام وأيضا الظواهر العديدة ودوران الشمس والقمـــر وعمليـــة اختفـــاء الضوء والامتصاص الضوني.......الخ[1].

---

[1] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٣٨/٤.

[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١١/٤.

[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٥/٤.

[4] -انظر فصل السماء والعالم ،أيضا عن علم التنجيم عند الامام علي راجع الطبرســـي ،الاحتجاج ،٣٥٧/١.

[5] -انظر فصل السماء والعالم.

[6] -انظر فصل السماء والعالم.

الفيزياء:

ومنه على سبيل المثال قوله-ع- (كل سميع غيره(الله)يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها[2] فهناك على هذا النحو أصواتا لا يستطيع الكائن ان يعرفها والتي عبر عنها باللطافة ، وقياس الإمام بقوله يصمه كبيرها تبدو كقاعدة تشير الى ان الكائنات الكبيرة اقل مقدرة في السمع من الصغيرة[3]، ويضاف الى ذلك في نفس الخطبة قوله-ع- (كل بصير غيره(الله) يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام)[4]، وهذه الحقائق كشفها العلم مؤخرا فبعض الحيوانات لاترى اللون ، والإنسان يشاهد من اللون ما ينحصر طول موجه بين (٤٠٠) مكرون (البنفسجي) و (٨٠٠) مكرون وهو الأحمر، وما يخرج عن هذا المجال فلا يراه الإنسان كالأشعة البنفسجية وتحت الحمراء[5].

وقد لا نجد آراءا علمية متخصصة في النهج ، لان الرضي جمعه متأثرا بالبلاغة والأدب ومع ذلك فقد نجد الآراء العلمية في الكتب الأخرى، فقد روى ابن جبر(ق٧) من ان رجلين مر بهم عبد مقيد فقال أحدهم ان لم يكن في قيده كذا فأمرته طالق ، وحلف الآخر بعكس ذلك ، وحل الإمام علي المشكلة بان دعى باجانة وأمر أن يصب فيها الماء والرجل واقف فيها مقيدا، حتى غمر الماء رجله وقيده ثم جعل في الإناء علامة وأنزله وأمره أن يرفع رجله ونزل الماء عن العلامة ثم أمر العبد فادخل رجله في الماء ودعا بحديد فوضعه في الاجانة حتى تراجع الماء الى موضعه ثم أمر بوزن الماء فوزن[6] ومثل هذه الرواية رواها صاحب التهذيب عن الإمام علي

---

1 -انظر فصل السماء والعالم.

2 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١١٢.

3 - لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة ،ص٧٨٣.وحول الصوت والأذن والذبذبات انظر رشدي الحريري،فن الراديو ،بيروت-حلب، ١٩٧٠م،ص١٩٨.

4 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة، ١/١١٢-١١٣.

5 -لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة ،ص٧٨٣.

6 -ابن جبر ،نهج الإيمان ،ص٢٧٩.

وكانت عن رجل اقسم بالله ان يزن الفيل[1] ونحن نجد هذه النظريـة عنـد ارخميدس المبتكر لطريقة قياس الوزن للأجسام الصلبة في الماء[2].

الكيمياء:

في الروايات ،سئل الإمام علي عن الكيمياء فقال الناس يتكلمون فيهـا بالظاهر واني لاعلم ظاهرها وباطنها ،هي والله ما هي إلا ماء جامدا وهواء راكدا ونارا جائلة وارضا سائلة[3].

وتروي اقدم المصادر ان الإمام وصف الكيمياء انها في الزيبق الرجراج والاسرب والزاج والحديد المزعفر وزنجار النحاس الأخضر، فقيـل لـه زد فقال اجعلوا البعض أرضا والبعض الآخر ماء وافلجوا الأرض بالماء تكون أصباغا.... يصلح بعضه ببعض فتفتر عن ذهب كائن وصبغ غير متباين[4]. ولا غرابة في معرفة الإمام بالكيمياء فان افضل كيميائي العالم وهو جـابر ابن حيان اخذ الكيمياء عن الإمـــام جعفر الصادق -ع- وبـلا شـك ان الصادق ورث هذا العلم عن أجداده .

الرياضيات:

برع الإمام علي بإمكانياته الرياضية والتي تمتد الى حسابات فـضائية او دينية و فقهية في الوراثة او القضاء ، وسئل -ع- عن اصـغر عـدد يقسم الأعداد الطبيعية من واحد الى تسعة بدون باق، فقـال علـى الفـور اضرب أيام اسبوعك في أيام سنتك[5]. والمقصود هو السنة القمريـة ٣٦٠ =٣٦٠×٧=٢٥٢٠ وهو العدد الذي يقسم على الأعـداد الطبيعيـة بـدون باق[6].

---

[1] -الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام ،٣١٨/٨.

[2] -حول نظرية ارخميدس انظر د.محمود عبد اللطيف ،تاريخ علوم الطبيعة،ص٦٠.

[3] -علي النمازي،مستدرك سفينة البحار،٢٠٩/٩.

[4] -النباطي العاملي ،السراط المستقيم ،٢٢٣/١.أيضا انظـر ابـن جبـر،نهج الإيمـان ،ص٢٨٢.

[5] -القندوزي ،ينابيع المودة،٢٢٧/١.لبيب بيضون، تصنيف نهج البلاغة،ص٧٨٠.

[6] -محمود الريشهري(بمساعدة محمد كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي) ، موسوعة الامام علي-ع-،ط١،١٢جزء،قم،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ،٢٩٧/١٠.

وكان الإمام علي قد اطلع على الحساب بالنسبة للقرون الماضية وبدقة متناهية، من ذلك ان يهودي سأله عن مدة لبث أهل الكهف فاجابه-ع- بما في القران وهو قوله تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا /الكهف-١٨/٢٥) فقال اليهودي انا نجده في كتابنا ٣٠٠ فقال -ع- ذلك بسني الشمس لابسني القمر[1] ، أما بقية العلوم فسيتم الحديث عنها لاحقا ، ومنها الأخلاق والعرفان والسياسة بأنواعها الإدارية والاجتماعية والاقتصادية ،والحربي

[1] -المجلسي بحار الأنوار ،٥٥/٣٥٢.

المبحث الثاني
الحكمة والمعرفة عند الامام علي (ع)

ينبغي القول ان أئمة الشيعة هم السبب في الحركة الفلسفية الشيعية ،فانهم كانوا يضمنون أحاديثهم وأخبارهم وأدعيتهم واحتجاجاتهم وخطاباتهم مسائل الحكمة الإلهية ونهج البلاغة أحد نماذج ما نقول [١]وقد استندت معارف نهج البلاغة على القران الكريم أحد اكبر مصادر الحكمة عند المسلمين وأهميته المعرفية ترجع لاشتماله على أنواع كثيرة من مصطلحات العلم والمعرفة منها الظن ،الحسبان ،الشعور ،العرفان ،الفهم ،الرأي ،اليقين ،الحفظ ،الحكمة، والعقل ....الخ[٢] وكل هذا ترك في فكر الإمام علي تأثيرا في تنظيره للعقل والحكمة والمعرفة والفكر والشك ،وسوف لا يكون غريبا القول بان هناك أفكار مهمة حول المنطق في خطب الإمام الذي يفرق بين منطق وجودين الأول هو وجود الله والثاني منطق وجود البشر ،فمن المؤكد وجود أفكار عن الموجودات في راس الإنسان لا يمكن تطبيقها على الذات الالهية ،فاختلف هنا منطق وجود الإنسان المحدود عن وجود الله اللامتناهي ،ويشير الإمام علي ان القول الذي يطلق على الله إذا كان أين فهو يعني المكان ،وفيم تعني الإحاطة ،والى وتعني الحد ،ولم وتعني العلة ،اما كيف فهي تعني التشبيه ويتبقى اذ وتفيد الزمان ومفردة حتى التي تعني الغاية[٣]و قد بين ان هذا منطق حدود البشر لا الله ،واعترف بان الأمر بحاجة الى وقت أطول وجهد مضاعف لانه يمثل جانب مهم من منطق الامام علي العام .

ان الإمام علي أول من برهن واستدل في الفلسفة الإلهية فله الفضل على كل من سواه من الباحثين في هذا العلم ،فهو الذي فتح باب الاستدلال في المعارف الإلهية[٤] ،وإننا نجد كلمة الاستدلال تتكرر عند الإمام كما في

---

[١] -مرتضى مطهري، في رحاب نهج البلاغة،ص٣٩.
[٢] -الطباطبائي،تفسير الميزان،٢٤٨/٢ .أيضا محمود الريشهري،ميزان الحكمة،٢٠٣٩/٣ .
[٣] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٥-١٦.
[٤] -محمد حسين الطباطبائي،علي والفلسفة الإلهية،ص٧٨.

قوله (بصنع الله يستدل عليه)[1] وهذا يوازي قوله-ع- (استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الأمور أشباه)[2] ويقول أيضا بالإيمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الإيمان)[3].

ونجد في خطبه وكلماته او في المسائل القضائية المهمة كثير من الاستدلالات والبراهين التي تؤكد اهتمامه بالحكمة ،ومنها قضية الشامي الذي سئل عن القضاء والقدر ،ويمكننا ان نوظف إجابة الإمام للرجل كالاتي:

١-إذا كان مسيرنا بقضاء وقدر ٢-وإذا كان القضاء لازما والقدر حتما ٣-اذن لبطل الثواب والعقاب[4] والرائع في هذه المسائلة ان الرجل الشامي فهم المسالة والاستدلال بشكل تام .والمقدمتان مبرهنتان ليستا جدليتين او سوفسطائيتين ولذا فالنتيجة واضحة.

ان هذه بعض الأمثلة التي توضح اهتمام الإمام بالحكمة ،ولهذا السبب يصفها بأنها ضالة المؤمن ويأمر بأخذها ولو من أهل النفاق [5] فالحكمة عنده شجرة تنبت في القلب وتثمر على اللسان[6]،والملاحظ ان الإمام علي لم يضع الحكمة كقطب نهائي او غاية نهائية،فقد جعلها أحد أجزاء اليقين الذي هو على أربع شعب ،على تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة(الاستدلال بالبراهين)وموعظة العبرة وسنة الأولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة[7].وعندما يقول الامام ان الحكمة ضالة المؤمن،فهذا دستور علمي صحيح للامام سار عليه العرب

---

[1] -الشيخ المفيد،الامالي ، ص ٢٥٤.
[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٥٥/٣.
[3] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٤٨/٢.
[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٧/٤.
[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٨/٤.
[6] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢١.
[7] -الخوانساري،غرر الحكم،٣١٠/٧.أيضا المجلسي،شرح نهج البلاغة،٣٣٦/٣.

واهتدوا للبحث عن الحكمة في كل مكان من دون الاعتماد على مصدر واحد فقط ،وهذا بخلاف ما يفعله الغرب[1].

ان الإمام بين ان هناك علاقة جدلية بين العقل والحكمة فهو يشيد بالعقل لاستخراج غور الحكمة (عمقها)كما انه يقرر ان بالحكمة يستطيع الإنسان استخراج غور العقل[2].

وبالإضافة الى دعوة الإمام لتعلم الحكمة والمعرفة إلا انه يرفض الجانب السوفسطائي في الحياة سواء أكان الاجتماعي أم المعرفي ،فهولاء الذين يسفسطون من الناحية الاجتماعية هم الذين يقولون كلمة الحق ليراد بها باطل [3]ويصفهم -ع- في الجانب المعرفي بوصفه لبعض طلبة العلم بأنهم امتهنوا العلم للمراء والجدل او للاستطالة والحيل[4].

ويمكن القول ان الإمام علي أول من استخدم الألفاظ العربية لبيان مقاصد الحكمة التي لا تفي بها الألفاظ في اللغة العربية باستعمالاتها المعرفية ،ومن ذلك قوله-ع- منعتها(منذ)القدمة وحمتها (قد)الأزلية ،وجنبتها (لولا) التكملة[5].

وهناك تعريفات عديدة لمصطلحات الفكر والحكمة عند الإمام علي منها ما يخص النفس[6] ،العارف[7]،الروح[8]،الموجود الأعلى [9]،

---

1 -عمر فروخ،عبقرية العرب في العلم والفلسفة،ص٥٦.
2 -الكليني،الكافي،١/٢٨.
3 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/٨٥.
4 -هادي كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة،ص١٧٧.
5 -محمد حسين الطباطبائي ،علي والفلسفة الإلهية،ص٧٩.
6 -راجع مبحث النفس.
7 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٢/٢٠٤،وقد عرفه الامام بانه الذي أحيا عقله وأمات نفسه،حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق،فأبان له الطريق وسلك به السبيل .
8 -ابن أبي الحديد،شرح نهج البلاغة،٢٠/٢٨٧،وعرفها بأنها حياة البدن.
9 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١/١٦،وعرفه بأنه غير المسبوق بالعدم.

الأساطير[1]، الأزلي[2] ، الظن[3]،العدل[4]،الفكر[5]،الجمال[6]،إلا انه يمكن الاكتفاء بالتعريفات التالية والتي اقتضى الحال التصرف بتوضيح العبارات للسهولة مع عدم المساس بالمعنى ومن هذه المفردات:

١-المعلول:وهو المصنوع لانه معروف بنفسه ولانه قائم في سواه[7].
٢-العالم العلوي:صور خالية من المواد عارية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها فتلالت والقى في هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله [8].

٣-العقل :غريزة تزيد بالعلم والتجارب[9].
٤-الحد:هو من صفات الممكن او ماله طرف ينتهي إليه أو ما يمكن الإشارة إليه[10].
٥-العرض:هو المتغير[11].
٦-العلم المستفاد:هو علم غير الله سبحانه[12].

---

[1] -وهي القول الذي لا يستند إلى علم أو حلم،راجع محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢٥/٣.

[2] -راجع محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٥/١.

[3] -الخوانساري،غرر الحكم،٢٢٩/٧،وقد بينه الامام بأنه ارتياب ،وهو يخطئ بعكس اليقين .

[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٨/٤.

[5] -الخوانساري،غرر الحكم،٣١٣/٧-٣١٥.

[6] -الخوانساري،غرر الحكم،٤٤/٧.

[7] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١١٩/٢.

[8] -الواسطي،عيون الحكم ،ص٣٠٤،وانظر ابن جبر، نهج الإيمان،ص٢٧٩،وقد عقب على هذا النص آية الله رضا الصدر ،صحائف في الفلسفة(تعليقة على شرح المنظومة)،ط١،قم،١٤٢١ق-١٣٧٩ش، ص٥٧٩،بان الفاظ الصور ،المواد،التجلي وغيرها متأخرة وهي لحكيم ما ثم نسبت إلى الامام علي، والحال ان الفاظ من قبيل الحكمة والتجلي والفهم والشعور والعرفان.....الخ توجد في القران ،ويضاف لذلك الحشد الزاخر من المعاني التي ترد في نهج البلاغة والتي تخص الإلهيات والتي سبق تناولها.

[9] -الواسطي،عيون الحكم ،ص٥٢،أيضا الخوانساري،غرر الحكم،٢٥٧/٧.

[10] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢٠/٢.

[11] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢٢/٢.

[12] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٩٤/٢.

٧- واجب الأولية:هو الله سبحانه[1].
٨- المعرفة:المعرفة دهش(دهشة)والخلو منها غطش(ظلمة)[2].
٩-الأزلي:هو الذي لا يوصف لان من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ،ومن عده فقد ابطل أزله[3].
١٠-الحكمة:هي أحد أجزاء اليقين ،والتي تتبين من التبصر في الفطنة ومنها يحصل الإنسان على العبرة[4].
١١-الحقيقة:نور يشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره[5].

١٢- المحسوس:المدرك من قبل الحواس لقوله-ع-لا تدركه الحواس فتحسه[6].
١٣-اللامتناهي:هو الذي لا يكون في مهب الفكر مكيفا ولا في رويات خواطر العقول محدودا مصرفا[7].
١٤-الشك:وهو ما يبنى على أربع شعب ،على التماري(الجدل للجدل)وعلى الهول(الفزع من المجهول)والتردد والاستسلام[8].
١٥-الظن :وهو ارتياب ،وهو يخطي بعكس اليقين[9].

---

١ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٩٤/١.
٢ -أيضا الخوانساري،غرر الحكم،٢٤٣/٧.
٣ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٥/١.
٤ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٨/٤.
٥ -هادي السبزواري ،شرح الأسماء الحسنى،١٣٣.
٦ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢٢/٢.
٧ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٦٥/١.
٨ -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،٩/٤.ولاحظ توسع الامام في تعريف الشك .
٩ -الخوانساري،غرر الحكم،٢٢٩/٧.

العقل

فسر العقل بعدة تفسيرات منها انه العلوم التي يكتسبها الإنسان او هو قوة في القلب تميز العلوم الضرورية[1] ويهمنا معرفة كيف تناول نهج البلاغة هذا المفهوم،خاصة فيما يتعلق بأنواع العقل وتعريفه وطبيعته وهل هو غريزة أم مكتسب وبطبيعة الحال علاقة العقل بالمعرفة والعلم.

ويبدو من خلال الأحاديث الكثيرة للإمام حول العقل انه يشير الى ان العقل غريزة وهذه الغريزة تزيد بالتجارب [2]،ويرد أيضا ان العقل غريزة تابى ذميم الفعل[3]وهذه القضية (كون العقل غريزة)دعمت بروايات أخرى من مصادر مختلفة وبشكل منوع،فالعقول عند الإمام مواهب والآداب مكاسب[4].وغريزة العقل مركبة في صنفين من المخلوقات(كما ذكر في مبحث علم النفس)هما الملائكة والبشر في حين لا يتمتع بها الحيوان[5]،ودلالة (مركبة) تدل على الغريزة ،ويدعم كل ذلك إشارة النهج في الخطبة الأولى في خلق الإنسان بميزة الأذهان والفكر والمعرفة التي يفرق بها الإنسان بين الحق والباطل[6]وهذه المعرفة هي القوة العاقلة كما يفسرها شراح النهج[7].

وفي حديث نقله الإمام علي عن النبي(ص)شبه فيه العقل قائلا(ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت) [8]وهو تشبيه كاف لمعرفة طبيعته العامة.

---

[1] – البيهقي الكيذري ، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،٢١٨/٢.

[2] –الواسطي ،عيون الحكم،ص٥٢.

[3] –الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٤٩.وانظر ص٣٤٩ لقول الامام غريزة العقل تأمر بالعدل.

[4] –الكراجكي ، كنز الفوائد،ص٨٨.وانظر القبانجي ،مسند الامام علي،٢٤/١.

[5] –الصدوق ،علل الشرائع،٤/١.

[6] –محمد عبده شرح نهج البلاغة،٢١/١.

[7] – البيهقي الكيذري ،حدائق الحقائق،٢١٩/٢.

[8] –ميرزا حسين النوري،مستدرك الوسائل،بيروت،١٤٠٨هـ-١٩٨٧م،٨١/١٠.

ان غريزة العقل يمكن ان ترتفع وتخبو وتزيد وتنقص ،أي إنها متفاوتة بفعل عوامل معينة ،لذا نرى في نصوص الإمام انه يمكن إحياء العقل[1] والعاقل هو من يطلب الكمال[2] .والارتفاع بالعقل قد يكون من خلال تحسين العقل بالأدب أو الاستماع من ذوي العقول،لان ترك يعني كما يعبر الإمام موت التعقل[3].

وبالمقابل فان ما يجعل ملكة العقل خامدة هو إعجاب المرء بنفسه وهو الدليل إلى ضعف العقل[4]أو تكون أسباب خارجية كالفقر الذي يكون مدهشة للعقل[5]او بسبب الخمر الذي أمر الشرع بتركه تحصينا للعقل[6].

ومن خصائص العقل أيضا التدرج بالكمال فهو يبدا ضعيفا عند الأطفال لذا وصف الإمام بعض أصحابه بحلوم الأطفال وعقول ربات الحجال[7]وشمل هذا الضعف أيضا عقل المرأة ،وتفسر هذه المسالة بان العقل والشهوة ضدان ومؤيد العقل العلم ومزين الشهوة الهوى والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت النفس الى جانبه ،ويقول الإمام من غلب شهوته ظهر عقله [8]وعلى هذا فان خصائص الشهوة عند المرأة اكثر من الرجل ،وهذا يشمل أيضا الرجل الذي يغلب عقله هواه ،الا ان هذه الخاصية في المرأة اكثر منها في الرجل .

ان من موارد الصعود بالعقل والذي يكون بشكل عملية صيرورة تفاعلية تعتمد سعي الإنسان في التطوير ،فالإمام يقول لا يزال العقل والحمق يتغالبان الرجل الى ثمان عشرة سنة فإذا بلغهما غلب عليه أكثرهما

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/٢٠٤.
2 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٢.
3 -الكراجكي ، كنز الفوائد،ص٨٨.
4 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٤٩.
5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٧٦.
6 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٥٥.
7 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/٧٠.
8 -ميرزا حسين النوري،مستدرك الوسائل،١١/٢١١.

فيه[1].والعقل اذن غريزة وقسمة عادلة وبإمكان الإنسان تطويرها من خلال التجارب.

وظيفة العقل وموقعه:

إن وظيفة العقل الإدراك،فقد روي عن الإمام علي انه عرف العقل قائلا(انه جوهر دراك محيط بالأشياء من جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه فهو علة للموجودات ونهاية المطالب)[2]والإمام يقول اعقل تدرك[3].

ومن وظائفه الموازنة او التوازن فعند تقسيمه-ع- للنفس الى أربعة أقسام قال والعقل وسط الكل لكيلا يقول أحدكم شيئا من الخير والشر إلا بقياس معقول[4]ومن التوازن معرفة الحسن والقبح ولهذا يقول الإمام (كفاك من عقلك ما أوضح لك سبل غيك من رشدك)[5]كما ان العقل يكبح جماح الشهوة او الهوى [6]ويدبر الأمور الحياتية ،فليس للعاقل كما يقول -ع- ان يكون شاخصا إلا في ثلاث :مرمة لمعاش او خطوة في معاد أو لذة في غير محرم[7].كما ان من وظائف العقل عند الامام علي ان يفقه ويفهم ويحل ويعقد ويريد وهو أمير البدن وإمام الجسد الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن أمره ورأيه ونهيه[8] .

ان موقع العقل عند الإمام هو القلب[9]فالعقول عنده أئمة (تترأس)الأفكار والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس وهذه أئمة الأعضاء[10]ويتبين

---

1 -الكراجكي ، كنز الفوائد،ص٨٨.
2 -القاضي سعيد القمي،الفوائد الرضوية،ص١٦١.
3 -الخوانساري،غرر الحكم،١٧٣/٢.
4 -هادي كاشف الغطاء،مستدرك نهج البلاغة،ص١٦١.
5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٩/٤.
6 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٩/٤.
7 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٣/٤.
8 -ميرزا حسين النوري،مستدرك الوسائل،١٤٤/١١.
9 -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٢٥٦/٢٠.وانظر أيضا ٤/٢٠،حيث يورد عن الرسول(ص) العقل نور في القلب يفرق بين الحق والباطل .
10 -الكراجكي ، كنز الفوائد،ص٨٨.

ان العقول هي المسيطرة على الأفكار وهذه الأخيرة تسيطر على القلب الذي يسيطر على الحواس التي تسيطر على الأعضاء او تترأسها.وقد ذكرنا قبل ذلك قول النبي(ص)ان العقل في القلب ومثله كالسراج وسط البيت.ويذكر المجلسي نصا عن الصادق-ع- يؤكد هذه المسالة ، اذ يقول (نظرت العين إلى الخلق باتصال بعضه ببعض فدلت القلب على ما عاينت وتفكر القلب حين دلته بملكوت السماء والنجوم والبروج والشمس والقمر فعرف القلب بعقله ان ممسك الأرض هو الخالق[1].

أنواع العقل

صنف الإمام علي العقل الى عقلين١-عقل الطبع(الغريزة)٢-عقل التجربة وكلاهما يؤدي إلى المنفعة[2]وهذا التصنيف المشهور ذكره الغزالي في أقسام العلوم ، وقال ان كلا القسمين يسمى عقلا وذكر شعر الإمام القائل :

رأيت العقل عقلين	فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع	إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس	وضوء العين ممنوع

والمراد من المطبوع هو العقل بالملكة المستعد بالعلوم الضرورية للانتقال للمكتسبة[3]. ان العقل عند الإمام فطري وكسبي ،الأول يدرك به الإنسان إدراكا مباشرا وبلا مقدمات مثل إدراك الناس كل الناس وان الواحد لا يكون موجودا ومعدوما في ان واحد ومن جهة واحدة ،اما الكسبي فهو عبارة عن حركة الانتقال من معلوم الى مجهول ومن مشاهد الى محسوس وهو يثبت الحقائق التجريبية لذا قال الإمام ،العقل حفظ التجارب ،وان اعلم الناس من جمع علما الى علمه [4]ولعلنا لا نبتعد كثيرا عن مفهوم العقل بالقوة او بالفعل او العقل المستفاد التي جاءت في الفكر الإسلامي فيما بعد إذا ما قارنا ذلك بكون العقل مطبوع ومسموع عند الإمام او فطري او

[1] -المجلسي ،بحار الأنوار ،١٦١/٣٠.
[2] -محمد تقي التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ،٣٥٥/٧.
[3] -عباس القمي ،شرح حكم نهج البلاغة،ص١٤٣.
[4] -مغنية في ظلال نهج البلاغة،١٢/١.

كسبي او انه المستفيد من التجارب.ويجب التوضيح أخيرا حول علاقة العقل بالفكر والفهم والحكمة ،من ان الفطنة والفهم والحفظ والعلم ما هي إلا دعائم العقل[1]وقد ذكرنا ان الإمام قال بالحكمة استخرج غور العقل وبالعقل استخرج غور الحكمة ،كما ان الإمام أعطى للعقل مرتبة فوق الروح بقوله العقل حياة الروح[2].

المعرفة عند الإمام علي (ع)

ماهيتها ومصادرها:

لابد من القول انه لا وجود لنظرية جاهزة ومبوبة عند الإمام علي فيما يتعلق بالمعرفة البشرية، وهذا لا يعارض المقدرة العلمية العالية للإمام تلك التي جعلت ابن سينا يقول ، ان علي-ع- كان بين أصحاب محمد(ص) كالمعقول من المحسوس [3] وإذا كنا قد تناولنا آراء مهمة في النفس والصفات النفسية أو في المصطلح الفكري الذي يحمل طابع الحكمة او في العقل الذي يعتبر أمرا شديد التعقيد ولان هذه الآراء مثلت الجذور الأولى التي تفتحت في حديقة الإسلام المعرفية فانه يتوجب علينا بحسب قواعد البحث العلمي تناول مفهوم المعرفة باعتماد النصوص الموثقة والبحث الجاد .

وتعرف المعرفة بشكل عام بأنها إدراك الشيء[4] وهي مهمة إلى درجة ان الإمام يخاطب أحد اتباعه بقوله يا كميل ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة[5] وقد يعرف الإمام المعرفة بأنها نور القلب او برهان الفضل إلا إن أهم تلك التعريفات قوله -ع- المعرفة دهش (دهشة) والخلو منها غطش(ظلمة)[6].

---

[1] -الطبرسي،علل الشرائع،١٠٣/١.

[2] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٧٨/٢٠.

[3] -الخولي،منهاج البراعة،١٠٤/٦.

[4] -محمد كاظم القزويني الحائري، شرح نهج البلاغة،٣٣/١.

[5] -صادق الموسوي، تمام نهج البلاغة،ص٥٨٢.

[6] -الخوانساري،غرر الحكم ،٢٤٣/٧ (باب المعرفة).

ان الفرق بين المعرفة والحكمة،ان الأخيرة تبدو في رأي الإمام وكأنها الناتج أو الثمرة للعقل والمعرفة والفكر ، فالعلم عنده ثمرة الحكمة والصواب من فروعها [1]. والمعرفة تعرف بالطريق او المنهج أو الوسيلة للإدراك والتعلم ، وإذا كان الفلاسفة يشيرون إلى عدة مصادر للمعرفة فان القران أشار إلى ثلاثة كما في قوله تعالى (ومن الناس من يجادل الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير/الحج- ٢٢ /٨) والإشارة هنا إلى التجربة والحس والمتمثلة بالعلم وأيضا العقل الذي هو الهدى أما الكتاب المنير فهو الوحي، ولا شك ان العقل أفضلهما لانه بالعقل يدرك الوحي[2].

ان الإمام علي يرى ان المصدر الأول لكل العلوم والمعارف حتى الوحي هو العقل او منضما إلى عنصر آخر كالحواس التي تدرك الأشياء المادية ولكنها تخدع الرائي والقول الفصل في خطا الحواس وصوابها للعقل [3]. وقد وجه الإمام نقدا إلى الحواس بقوله (ليست الروية كالمعاينة معا الأبصار فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من استنصحه)[4].

ويأتي هذا القول لان الحواس قد يعرض لها الخطا [5]. ونقد الحواس في هذا النص قاله الفيلسوف الفرنسي ديكارت فيما بعد[6] وهنا يتبين ان العقل والحواس مصدران مهمان للمعرفة ولكن الأفضلية للعقل لانه المقياس الواضح الذي نميز فيه معرفة الأشياء الصحيحة من الخاطئة.

ونجد أيضا نصا للامام الصادق -ع- يؤكد أفضلية العقل على الحواس فعندما خاطب زنديقا قال له (ذكرت الحواس وهي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح)[7] والدليل هنا هو العقل .

---

[1] -الخوانساري،غرر الحكم ،٧٩/٧(باب الحكمة).
[2] -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة،٣٨٦/٤.
[3] -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة،١١/١.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٦٨/٤.
[5] -المجلسي ،بحار الأنوار ،٩٥/١٠.
[6] -الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة،٣٧١/٢١.
[7] -الديلمي(حسن بن أبي حسن/القرن الثامن)اعلام الدين،مؤسسة آل البيت ،قم ،ص٦٣.

والأصل في أهمية المعرفة الحسية عند الإمام هو قوله-ع- (ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا)[1] فإذا أخذنا اللسان كونه ملكة النطق والبصر مع مفهوم القلب الحافظ الذي هو الذاكرة فان كل ذلك يؤدي إلى الفهم وبالتالي فالحس عامل مساعد للمعرفة ، ومع ذلك وكما قلنا فالحس ليس أقوى مصادر المعرفة لان العقل يفكر ويستنتج[2] ومن مصادر المعرفة الأخرى لدى الإمام علي ما يكون عن طريق القلب (الحدس) والمتمثل بعلم العرفان وسوف يأتي الحديث عن ذلك.

وبشكل عام يرد عن الإمام النص التالي الذي يقول فيه ، ان الله سبحانه قضى لخلقه معرفتان الأولى هي:معرفة استغراق وإحاطة والثانية معرفة هداية ودلالة ، فاما معرفة الاستغراق والإحاطة فلا يمكن تطبيقها على الله سبحانه أما معرفة الدلالة والهداية فغير مدركة إلا عن طريق ما أدركت ضرورات العقول والأوهام من شواهد الصنع واعلام التدبير والآيات الدالة عليه [3].

الإدراك

يمكن استخراج مفهوم الإدراك في فكر الإمام علي من خلال البحث في خطبه التي تنفي إمكانية إدراك الله بالنسبة للنفس الإنسانية وهذا يعني بالتالي أدراك ما سوى الله ، وهنا يمكن التساؤل كيف ندرك الأشياء؟والجواب هو من خلال عكس كلمات الإمام الدالة على عدم إمكانية أدراك الله ،فمثلا لا يدرك بالحواس او لا تدركه الأوهام او لا يناله حدس الفطن....الخ. وبعكس ذلك نجد ان الأشياء (كل ما عدا الله) تدرك بالحواس او بالأوهام او إنها تنال بالفطن او بالعقل .

ونحن هنا أمام منطق خاص بالإنسان يمكن تحليله ومنطق خاص بالله لا يمكن معرفته او إدراكه، وهو ما يتبين بأقوال الإمام التي منها ان الله لا تستلمه المشاعر (أي لا تدركه الحواس) وسميت الحواس مشاعر لأنها

---

[1] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة،١٤٣/١.
[2] -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة،٥١٩/٣.
[3] -صادق الموسوي ،تمام نهج البلاغة،ص١٩٠.

الات للشعور بالأشياء[1] وهذا يعني ان الأشياء تدرك بالحواس وتستلمها المشاعر(سوى الله) الذي تتلقاه الأذهان لا بمشاعره (ليس عن طريق الحواس)[2] وهذا يعني أيضا ان الأذهان يدخل فيها وجود الله تعالى لا بواسطة شعور الحواس[3] ، أما ما عداه فيكون عن طريق الحواس ، ومن المؤكد ان وظيفة الحس هو إدراك المحسوس وبما ان الله ليس محسوسا عند الإمام فقد قال انه سبحانه(لا تدركه الحواس)[4] ولا يشبه صورة ولا يحس بالحواس[5] فإذن كل ماله صورة (كما يمكن ان يستنتج) يحس او يدرك بالحواس.

ان هذه المباحث طرحت في خطب الإمام علي وما علينا إلا انتزاعها معترفين بأنها سبقت التراث اليوناني، فمع السند الموثق لتلك الخطب والأفكار لا يمكن لاحد الشك او القول بأنها منحولة او متأثرة بالفكر اليوناني، بل ان نصا معتد به يشير إلى ان هذه المباحثات كانت مطروحة في زمن الإمام نفسه في محادثاته وتوضيحاته لاستفسارات رجال الدين اليهود والنصارى، فقد روي عن الجاثليق انه سئل الإمام عن الله تعالى ، امدرك بالحواس عندك فيسلك المسترشد في طلبه استعمال الحواس أم كيف طريق المعرفة به ؟ وقد أجاب الإمام بناء على معرفته بمعنى الحواس والإدراك بان الله لا يوصف بمقدار او يدرك بالحواس او يقاس بالناس وان الدليل لمعرفته هي الصنائع[6] فالله هنا ليس حجم أوحد محدود ولا يمكن قياسه على الأشياء والعبارة الأخرى الصريحة ان الله لا يدرك بالحواس بل من خلال الصنائع التي تدل على الله ومعرفتها بالتأكيد تتم بواسطة العقل .وكل هذا يعني ان ملاحظة معرفة الأشياء بناء على نص الامام السابق يبنى على ١-وجود صورة ٢- تدرك بالحواس او تحس٣-يمكن ان تقاس بغيرها.

---

[1] -السرخسي،أعلام نهج البلاغة ،ص١٤٣.
[2] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١١٥/٢.
[3] -السرخسي،أعلام نهج البلاغة،١٩٧.
[4] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٢٢/٢.
[5] -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١٠٦/٢.
[6] -الراوندي(قطب الدين/ت٥٧٣هـ) الخرائج والجرائح ،٣مجلدات،مؤسسة الامام المهدي(ع)، قم ،٢ / ٥٥٥.

ان هذه الأفكار تدل بحقيقة الأمر على شيوع البحث المعرفي سواء في إدراك الأشياء او الله ومعرفته والطرق التي تتم بها تلك المعرفة، ومعرفة الله بالتأكيد اكثر صعوبة من معرفة النفس، ويجب التنبيه الى انه لا توجد استدلالات يونانية حقيقية لمعرفة الله حق المعرفة ، ولا يمكن ان يقارن ذلك بطرق الإمام علي في إثبات أهم الأفكار التجريدية في تاريخ الفكر الإنساني، وبخاصة وان فكرة الله او معرفته تعتبر أهم وأعلى المعارف في نظر الإمام[1].

ونعود الى منهج سلب إدراك الله لنعمها على الأشياء ، فالله لا تدركه الشواهد[2] وكما في الحكمة النهجية فانه سبحانه على هذا النحو لا يشبه المدركات[3] فكيف إذن نستلم المدركات المختلفة وهي التي لا تشبه الله،والإمام يقرر ان ذلك يتم عن طريق الحواس الخمس ، وسبق ذكر قول الإمام أن هذه الحواس قوى تابعة للنفس الحسية الحيوانية وان انبعاثها من القلب[4].

كما سبق القول ان المعرفة معرفتان هما استغراق وإحاطة وهداية ودلالة ،والأولى لا تجوز على الله أما الثانية فلا تكون إلا عن طريق إدراك ضرورات العقل والأوهام لشواهد الصنع والتدبير .

فالشواهد او المدركات يتم استلامها عن طريق الحواس ، وبحسب قول الإمام (اذ لا يتيسر للناظر الإدراك (إلا) من عشرة اوجه من الحواس الخمسة وإدراكها من (سمع ومسموع) و (بصر ومبصر) و (شم ومشموم) و (ذوق ومذوق) و (ولمس وملموس) وكل ذلك مما تدل عليه العقول والأوهام ، أجسام مؤلفة وأعراض عاجزة)[5].

---

1 -الواسطي ،عيون الحكم، ص٤٨٦.
2 -محمد عبده،شرح نهج البلاغة،١١٥/٢.
3 - البيهقي الكيذري، حدائق الحقائق،٢٧١/٢.
4 -هادي كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة،ص١٦٠.
5 - المحمودي ، نهج السعادة،١٨/٣.

وبالتدقيق في النص جيدا فانه يمكن الاستنتاج ان الإدراك يحصل عن طريق الحواس أولا وعن طريق وجود المحسوس ثانيا، بدليل وجود الثنائية في النص أي ان الإدراك يكون حاصلا بشيئين هما (المدرك والمدرك) والمحسوسات كما يشير النص مؤلفة من أجسام وأعراض ،وهذه الآراء تنم عن واقعية مهمة فالإمام هنا يقرر ان للعالم وجودا مستقلا عن الإدراك اذ ان المعرفة ترسم بواسطة آلات من بصر وذوق ولمس ... الخ فتكون صورة الشيء عند العقل كما هي في الواقع وهو ما عبر عنه بالشرط الضروري من ان الإدراك لا يتيسر للناظر إلا من إدراك الحاس بشرط المحسوس من السمع والمسموع واللمس والملموس والذوق والمذوق.... فالسامع واللامس والشام والمبصر والذائق هو المدرك والمسموع والملموس والمشموم والمبصر والمذوق هو المدرك.

الواقعية والمثالية

يفهم مما سبق ان الإمام علي لم يكن ليقول بمثالية عقيمة تقول بان العالم لا وجود له في الخارج وان المعرفة او ان ما موجود هو إدراك الأشياء فقط، لا الاعتقاد بوجودها . و واقعية الإمام هذه تقررها أيضا كلمات الإمام الأخرى فان أهم أساسيات فكر الإمام علي تعتمد على وجود الخالق بل وكل اتجاهاته الفكرية ترتبط بذلك الخالق وهو ذلك الموجود المهم الذي يعتبر الأساس الواقعي الذي يستمد منه فكره وتنظيره واعماله ، فلا يمكن للامام القول ان الله لا وجد له في الخارج وان وجوده في أذهاننا فقط . أما الوجود الثاني الذي يعترف به الإمام فهو وجود الأشياء او وجود الإنسان . وان الأهم بل والأكثر خطورة ان الوجود الواقعي لله لا يدرك حتى بالمثالية العقلية ، وقد تم التطرق الى مفردات عدم استلام المشاعر لله وعدم إدراكه بالحواس وأيضا عدم إدراك غوص الفتن والأوهام لله وان الله ظهر للخلق من خلال ما خلق[1] وطريقة معرفة الله من خلال الخلق هو الأكثر شيوعا بالنسبة الى عامة الناس . اما القول بالفطرة الدالة على معرفة الله فهي أيضا مسالة واقعية لان الوجود الخارجي (وهو الله) هو الذي ركب الفطرة في الإنسان.

---

[1] -راجع مبحث الإلهيات.

فإذن الواقعية تبنى على الوجود الواقعي لله وللأشياء المادية التي خلقها ، ومن أساس قول الإمام علي ان كل ما خلق حجة للخالق ودليل حتى لو كان صامتا[1]، نلاحظ إشارة لواقعية وجود الأشياء ، بل ان قوله-ع- (ان الله لم يحلل في الأشياء ولم ينأ عنها)[2] هو ما يدل على عدم إمكان نفي وجود الأشياء ،لان الله لم ينأ عنها وأيضا لم يحلل فيها ، ونحن هنا أمام وجودين خارجيين مع نسبية العالم المادي مع الله اللامحدود.
ان الوجود الواقعي يكون للموجود الأعلى الذي هو بلا جسم ولا صورة وغير مركب ولا يدرك بالحواس ولا مكان له ولا زمان [3].

وبالعودة الى مفهوم الإدراك وكون الحواس من مصادر المعرفة مع انها ليست الأهم ، فانه يجب مناقشة قول الإمام عند خلق الإنسان بان الله منحه ... ومعرفة بها يفرق بين الحق والباطل(التعقل) والأذواق والمشام والألوان والأجناس ، ويسهب شارح النهج الخوئي في توضيح انه لو قلت ان التفرقة بين الألوان والمشام والأذواق والأجناس إنما هو من فعل الحواس الظاهرة اذ هي المدركة لها والمميزة بينها حسبما ذكرت فما معنى نسبتها الى العقل ، ويجيب الشارح ان إدراك هذا وان كان بالحواس المذكورة إلا أنها قد يقع فيها الشك والمرجح عندها للعقل لانه رافع للشك عنها[4] والإدراك هنا هو امتثال صورة المحسوسات في العقل وقد بني هذا القول على مقولة الإمام السابقة ولا يغش العقل من استنصحه وعلى قوله -ع- في معرفة الله انه سبحانه لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ، وبعكس ذلك فان كل شي (سوى الله) له صورة ويحس بالحواس ، وهنا نجد ان المدركات تصنف عند الإمام على أساس ١-الصورة ٢-ما يدرك بالحواس ، وفي مرحلة أخرى من الإدراك او المعرفة يعتبر الإمام الخيال او الوهم واحدا، ويعطي للوهم مساحة في المعرفة والإدراك فلو أخذنا مفردة (

---

[1] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة،١/١٣.
[2] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة،١/١١٣.
[3] -محمد عبده، شرح نهج البلاغة،٢/١٠٦.
[4] -الخوئي ، منهاج البراعة ،٢/٥١.

التوحيد ان لا تتوهمه)[1] فهي مفردة تنهى عن تطلـع الـنفس الإنـسانية لإدراك مفهوم عال وهو الله ، والذي يكون غير ممكنا .

وبقليل من التحليل نعرف ان الوهم من الحواس الباطنة للإنسان وهـو أوسع من الفضاء وان الأشكال والأعداد اللانهائية يعالجها الوهم (القـوة الوهمية) وان كل مدرك له كم وبعد في باطن الإنسان سواء أكـان صـورة لوجود عيني جاء بواسطة الحواس فهو خيال وحفظ وإلا كان من الواهمة ، وحده ان يكون محدودا بالكم والكيف خطا كـان او سـطحا او جـسما[2] وعلى هذا النحو فالوهم يعتبر عاملا تقديريا ويكمن مصداق ذلك في قـول الإمام (لا تناله الأوهام فتقدره)[3] والوهم يمثل تقديرا للأشـياء المختلفـة باستثناء الله (الذي لا تقع الأوهام له على صفة)[4] فالتقدير يـأتي بـالقوة والوهمية لإدراك الأشياء المختلفة ولكن الله (لا يدرك بوهم فإنمـا يـدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات)[5] والوهم والتقدير يتعلقان بما لـه هيئـة وشكل الهيئة مقصور على الجسم فإذا لم يصح كونه جسما لم يصح عليـه الهيئة ، وقيل ان الوهم قوة جسمانية يدرك مـن المحـسوس مـا لـيس بمحسوس[6].

ومن نصوص الإمام يتبين ان كل ما يتصور فـي الأوهـام فـان الله سبحانه بخلافة. وتتدرج مرحلة الوهم والخيـال ضـمن الـنفس الحـسية الحيوانية التي من قواها عند الإمام الحواس الخمسة ، ومـن خواصـها الشهوة والغضب وانبعاثها من القلب [7] ونحن نفهم ان الحيوان يمتلك قوة الوهم ولذا يستطيع تقدير الأشياء الخطرة والهرب منها ولكن الحيـوان لا يتعدى إلى مرحلة التحليل أو إلى الخطوة التالية من عملية استلام المدركات والوهم والتقدير فيصل إلى مرحلة الاستنتاج وهي خاصة بالعقل.

---

1 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،٤/١٠٨.
2 -الخوئي ، منهاج البراعة،٢١/٥٣٦.
3 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،٢/١٢٢.
4 -محمد عبده ، شرح نهج البلاغة،١/١٤٨.
5 --محمد عبده ، شرح نهج البلاغة٢/١٠٦.
6 -البيهقي الكيذري، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،١/٦٨٢.
7 - هادي كاشف الغطاء، مستدرك نهج البلاغة،ص١٦٠.

ان الشارح الخوئي فصل قول الإمام علي (ذا أذهان يجليها) بأنها إشارة إلى ما للإنسان من القوى الباطنة المدركة والمتعرفة ومعنى اجالتها أي تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية كما للحس المشترك والمعاني الجزئية كما للوهم[1].
واخيرا يمكن الاستناد على أوضح كلمات الإمام في تفسير الإدراك او المعرفة بقوله-ع- (العقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء)[2].

وهذا تفسير وافي لتدرج الإدراك والمعرفة التي تبدا بلا شك من ما يلي:
١-الأعضاء : كونها وسيلة الحواس لمعرفة الأشياء وبالتالي فالحواس أعلى مرتبة من الأعضاء.

٢- الحواس: وقد قمنا بتعدادها وتبيان دورها عند الإمام ومع هذا فهي ليست المصدر الوحيد للمعرفة لوجود العقل.

٣-القلوب: وهي مركز السيطرة على الحواس وكأنها هنا عبارة عن الحس المشترك ونجد في نص آخر ان الإمام يقول وفرض على القلب وهو أمير الجوارح الذي به تعقل وتفهم وتصدر عن أمره ونهيه[3]. وقوله به تعقل إشارة إلى كون القلب مركزا للعقل لقوله السابق ،العقل في القلب[4] فمعرفة الأشياء إذا بالحواس وقوام الحواس بالقلب والمعرفة صيده والحواس شبكته[5].

٤-الأفكار: وهي أعلى مرتبة من القلوب وعبر عنها بأنها أئمة القلوب وتبدو أشبه بالناتج او ثمرة المعرفة والعلم.

---

[1] -الخوئي، منهاج البراعة،٢/٤٩.
[2] -الكراجكي ،كنز الفوائد، ص٨٨.
[3] -صادق الموسوي ، تمام نهج البلاغة،ص٦٩٥.
[4] -راجع مبحث العقل.
[5] -علي بن زيد البيهقي ، معارج نهج البلاغة،ص٤١٦.

٥-العقل: وهو أعلى مرتبة فهو إمام او مركز السيطرة علـــى الأفكـــار او بشكل اكثر وضوحا هو مركز السيطرة على كل ما تحته من أفكار وقلـــوب وحواس وأعضاء ومن العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم [1].

[1] -الصدوق ،علل الشرائع،١/١٠٣.

الفصل الثالث

السياسة

المبحث الاول :

السياسة والحكومة في فكر الامام علي(ع)

المبحث الثاني:

انواع السياسات عند الامام علي (ع)

المبحث الاول

السياسة والحكومة في فكر الامام علي (ع)

مفهوم السياسة

السياسة لغة هي فعل السائس الذي يسوس الدواب سياسة،يقوم عليها ويروضها والسائس يسوس الرعية وامرهم [١] وكل سياسة تدبير وليس كل تدبير سياسة ، والسياسة في التدبير المستمر ولا يقال للتدبير الواحد سياسة [٢].

وقد عرف الفكر العربي الإسلامي ثلاثة أصناف من الفكر السياسي صنف يدور أساسا حول الخلافة ، والإمامة وصنف موضوعه الآداب السلطانية ونصائح الملوك وصنف اقرب للفلسفة منه الى الأخلاق [٣] وما يعنينا بالتأكيد هو التراث الإسلامي وسوف نبحث عن الفكر السياسي فيه وعن ملامح وصفات وأسس هذا الفكر وعن مقدار نجاحه؟ والإجابة على هذه المسألة طويلة وبحجم التاريخ الإسلامي او قل بحجم النجاح السياسي والفكري والعلمي للحضارة الإسلامية ، فقد طرح القران الكريم باعتباره مجموعة دساتير إسلامية أساسا لبناء الدولة ونظامها وحدد العلاقات الإنسانية المتمثلة بالحاكم والمحكوم وما عليها موضحا السياسة الحسنة من السيئة وجهز قواعد للحكم والتدبير وهو الأمر الذي طبق على يد الرسول (ص).

ولسنا في مجال استعراض تلك الحضارة بقدر ما يهمنا بحث الجهد السياسي الفكري للأمام علي مع التأكيد على انه التلميذ الأول في مدرسة الرسول(ص) السياسية ، وسنبتعد عن مشكلة الإمامة لالقاء الضوء على التنظير السياسي الذي لم يعلن قواعده الإمام علي فحسب بل وداب على تطبيقه ومعايشته بالشكل الواقعي ،سواء باستخدامه السيف أم في بناء

---

١ -الخليل بن احمد الفراهيدي،كتاب العين،٧/٣٣٦.

٢ -أبو هلال العسكري،الفروق اللغوية،ص٢٨٨.

٣ -ابن رشد(ابو الوليد محمد بن احمد/ت٥٩٥)الضروري في السياسة،مختصر كتاب السياسة لافلاطون، نقله من العبرية للعربية د.احمد شحلان،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،١٩٨٨،ص١٣،مقدمة د.محمد عابد الجابري.

الدولة أو من خلال نشر العقيدة الإسلامية وتربية الأجيال اجتماعيا وثقافيا وسياسيا .فقد كانت مشاكل السياسة والإدارة والحرب - عندما تسلم الإمامة والخلافة- هي شاغله الأول وهي ميدانه الأصيل كحاكم[١].

ان نهج البلاغة تناول مفهوم السياسة بشكل واضح وفي عدة جوانب اشهرها كتاب مالك الاشتر الشهير، فقد أوصاه الإمام بان يصطفي لولاية أعماله أهل الورع والصدق[٢].

وهذه القواعد الثلاث تمثل الجانب الأساسي في الحكم السياسي ،وقد تقدم الورع كأساس مرتبط بالشريعة ،والمعروف ان الإمام علي ربط السياسات بأنواعها (وكما سيأتي) بالدين فلم يقبل بفصل الدين عن الدولة . وتذكر مصادر التاريخ عن الإمام الكلمات الكثيرة المتعلقة بمفهوم السياسة ، ومثال ذلك قوله الملك سياسة ، حسن السياسة قوام الرعية ،آفة الزعماء ضعف السياسة... ان راس السياسة استعمال الرفق .... الخ[٣].

ولكن التعريف الأبرز للسياسة هو قوله-ع- الاحتمال زين السياسة[٤] والذي قد يفسر على ان السياسة فن الممكن (كما يطلق عليها اليوم) او هي الأمر الذي ينطوي على التوقعات او هي ما يتعلق بالقدرة على التحمل.

و في كلمات الإمام علي السابقة توجيهات مهمة لمن يسوس الرعية بشكل عام ، ونلمس في تلك الكلمات الإطلاق لتلك القوانين التي جاءت على شكل حكم كما يمكن الفهم ان موضوع السياسة هو النظم والقوانين التي تدار بها الأشياء كالرعية او الملك او حتى النفس ،على هذا من الطبيعي ان نقرا للإمام قوله من ساس نفسه أدرك السياسة[٥].

---

١ -محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ط٢،بيروت،١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م،ص١٧.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٨٨.

٣ -الخوانساري،غرر الحكم ،٧/٧٠.

٤ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٤.

٥ -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٣١.

ان الغاية من السياسة عند الإمام بلا شك هو لتكوين دولة الحق واقامة حكم الله في الأرض ونشر العدل والفضيلة ، وحتى العدل السياسي فانه خضع للتنظير ، فقد بناه الإمام على ثلاث محاور هي اللين في حزم والاستقصاء في عدل وافضال في قصد[1]. وافضل نماذج الحكم هو العدل فالإمام يقول ان خير السياسات العدل[2].

ويورد ابن أبي الحديد ملاحظة للإمام تدل على ربط الفكر السياسي بالاجتماعي ، وهي قوله-ع- ان الفقر هو اصل حسن سياسة الناس ، وذلك انه إذا كان من حسن السياسة ان يكون بعض الناس يسوس وبعضهم سائس ، وكان لا يستقيم ان يساس من غير ان يكو ن فقيرا محتاجا فقد تبين ان الفقر هو السبب الذي يقوم به حسن السياسة[3].

منهاج الإمام علي في السياسة:

إن وصفنا للإمام بصفات سياسية يجرنا إلى معاينة السمات التي طبقها وأجازها في الحكم لتكون أسسا ثابتة بشكلها العام وهي تختلف عن صفات الحاكم والتي سوف نتحدث عنها فيما بعد .

وسياسيا يجب معرفة ان قانون السياسة الإسلامية ليس فيه مفهوم الغاية تبرر الوسيلة مطلقا بل فيه قانون هو بالعكس من ذلك ، وهو لا يطاع الله من حيث يعصى[4] وهي القاعدة التي تبناها الإمام علي في الحكم السياسي .

---

1 -الخوانساري،غرر الحكم،١٣/٤.ايضا ٢٣٦/٧.
2 -الخوانساري،غرر الحكم،١٣٨/٧.
3 -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٢٦١/٢٠.
4 - صادق الشيرازي،السياسة من واقع الإسلام،ط٤،بيروت ،٢٠٠٣م،ص٢٣.

ولهذا ومن باب المقارنة بين الحكم النفعي لمعاوية والسياسة الإسلامي الملتزمة، نجد ان الإمام قد ذم النفعية (الأموية) بقوله ما معوية بادهى مني ولكنه يغدر ويفجر[1].

وحول هذا الموضوع أسهب عمرو ابن بحر الجاحظ في مناقشته لهذه المسألة مفيدا ان الإمام علي لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة وان معاوية كان يستعمل خلاف ذلك ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها في حين إن علي -ع- يقول لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ، ويضيف الجاحظ ان عليا -ع- كان ملجما بالورع عن جميع القول ولا يرضى الرضا إلا ما يرضاه الله[2].

وهذا صحيح فالإمام يقول لولا التقى لكنت من أدهى العرب[3] وعندما يقولون ان عليا لا يعرف السياسة فهذا صحيح ، انه لا يعرف سياسة البغي والنفاق ولكنه يعرف سياسة العدل والحق والرحمة[4].

ان مشكلة الإمام علي مع السياسة طرحت في زمنه فقد تلقى نقدا من انه شجاع ولكن لا علم له بالحرب (السياسة الحربية او العسكرية) ورد الإمام هذه التهمة في حينها قائلا بأنه قد مارس الحرب منذ الصغر وهو يمارسها مع بلوغه الستين[5] إذن فتقرير الإمام بأنه أدهى من معاوية المشفوع بتأكيده بالقسم واضح وصريح والفرق بين الإمام ومعاوية ان الأخير يغدر ويفجر ، ومن هنا يقول الإمام لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ، ولكن لكل غدرة فجرة ويضيف ان ذلك يقود الى الكفر[6].

---

1 -السيد محسن الأمين ،المجالس السنية،ط٥،دار التعارف،٥مجلدات ،بيروت،١٣٩٤هـ -١٩٧٤م ،٢٦٦/٥. وانظر أيضا محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/ ١٨٠.

2 -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،١٠/ ٢٢٨-٢٢٩.

3 -محمد جواد مغنية،في ظلال نهج البلاغة،٢٥٢/١.

4 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/ ٧٠.

5 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/ ١٨٠.

6 -الكليني،الكافي، ٨/ ٢٤.وانظر محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/ ١٨٠.

ومن جانب آخر فإننا في الوقت الذي نلمس فيه ان الإمام علي يربط السياسة بالعقل والدين بقوله ان أدل شي على غزارة العقل حسن التدبير [1] نلاحظ ان البعض يطلق على سياسة معاوية معنى استخدام العقل ، وهذا ما رفضه الإمام الصادق -ع- بقوله ان هذه ليست من العقل عند معاوية بل الشيءطنة النكراء[2].

وقد كان معاوية يستميل الناس بالرغبة والرهبة ، ويقول ابن أبي الحديد إذا كان المطعن على سياسة الإمام علي بأنه لو اقر معاوية على الشام لاستقر له الأمر فان الإمام كان يدرك تماما (مع عدم فعل ذلك وعدم مداهنته) انه لو أعطى معاوية الشام لامتنع عن البيعة أيضا[3].

وعلى أي حال فان سياسة الامام علي تمتاز بأنها ثابتة لا تتغير ولا تؤمن بالمكر والمؤاربة او الخداع وقد بنيت على العدل والرحمة والسماحة ونشر الأمن والشدة مع الظالمين ، وهذه هي القواعد العامة للسياسة الإسلامية[4] يضاف لذلك تنوع مواجهة ومعالجة الإمام للعناصر الاجتماعية الفاسدة ، ومن ذلك الأمويين والخوارج واصحاب المنافسة الشخصية واصحاب القطائع والمطامع[5].

ان سياسة الأمويين تحاول تشخيص الهدف بأي وسيلة ممكنة وهي نفعية أنانية تعتمد على حب السلطة، وتمتاز سياسة الإمام علي بأنها متفاعلة مع الجماهير ومصالحها ولا تعتمد الاستبداد وخداع الجماهير وهي لا تزور التاريخ او تمتهن الصراع القبلي او النظرية الملكية في الحكم كما يفعل الأمويين بل تعتمد المساواة والشورى والعدل والحوار [6].

---

[1] -الواسطي ،عيون الحكم،ص١١٧.

[2] -الحر العاملي ،الفصول المهمة،١/١٢٣.

[3] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،١٠/٢٣٢.

[4] -باقر شريف القرشي،النظام السياسي في الإسلام،ط٢ ،دار التعارف،بيروت،١٣٩٨هـ-١٩٧٧م،٦٠-٦١.

[5] -روكس بن زائد العزيزي ،الامام علي أسد الإسلام وقديسه،ص٥٨.

[6] -قارن مع صالح الورداني،السيف والسياسة ،ص١٨٨.

الدولة او الحكومة

نشاتها.ضرورتها.أهدافها.أسسها –طبقاتها –صفات الحاكم

كانت مدة خلافة الإمام أربع سنوات وتسعة اشهر وثلاثة أيام ،وعند توليه الحكومة كانت أول إصلاحاته هي تناوله لثلاثة ميادين في الإدارة والحقوق والمال [1] والحكومة في ثقافة نهج البلاغة تشير إلى عدة مصطلحات فهي تشير إلى الحاكم بعنوان الإمام أو الولي أو أولي الأمر، وتشير الى الشعب بعنوان الرعية[2].

وهي ألفاظ تناولها القران الكريم بإشارة الى ألقاب رئيس الدولة في النظام الإسلامي ، كما في قوله تعالى(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا /المائدة –٥ / ٥٤ –٥٥) أما لفظة الإمام فجاءت في قوله تعالى (انى جاعلك للناس إماما /البقرة–٢/١٢٤) وقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا/الأنبياء–٢١/٧٣).

والسؤال هنا هو كيف تنشا الحكومة، ففي النهج لا يوجد عنوان لكون الحكومة كسروية أو قيصرية وهي ليست نظاما استبداديا لان هذا ما لا يلتقي والنصوص القرآنية القائلة (وامرهم شورى بينهم/الشورى–٤٢/٣٨) [3] فليست هي حكومة مستبدة بل دستورية (لاكما في النظام الحالي البرلماني او المجالس التشريعية) بل دستورية لتقيد القائمين عليها بشروط وقواعد القران والسنة[4] والحكومة في النهج ليس فيها إشارة للسلطة او وجود مبرر من الامتياز فالناس رعية والرعية جماعة تقع مسؤولية رعايتها والسهر عليها على ولي الأمر وهو راس الحكومة ومن يتحمل المسؤولية الكبيرة[5].

---

[1] –محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ص٢٠٩.

[2] –علي الخامنئي،العودة الى نهج البلاغة،ط١،بيروت،٢٠٠٠م،ص١٧.

[3] –احمد يعقوب حسين،النظام السياسي في الإسلام،ط٣،،قم،١٣٨٢–١٤٢٤ق،ص١١–١٨.

[4] –احمد يعقوب حسين،النظام السياسي في الإسلام،ص٢٥٣.

[5] –علي الخامنئي،العودة الى نهج البلاغة،ص٢٢–٢٣.

ولعل الإمام في دستوره لمالك الاشتر بين الخطوط الرئيسة للحكومة باعتبار تولي الاشتر على هذه البلاد وقد أمره بجباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها [1] وفي كتابه للاشتر دراسة واقعية مستفيضة لمفهوم الحكومة سوف يأتي تفصيلها .

أ- نشأة الحكومة

قلنا ان الحكومة سواء في الإسلام أو في النهج ليست ملكية أو مستباحة وهي ليست ديمقراطية بطبيعة الحال إذ ان الإسلام لا يعتمد قوانينا يضعها الشعب بواسطة ممثليه لان إرادة الشعب في الإسلام مقيدة بحكم الله ورسوله فالشريعة هي صاحبة السلطان والفرد لا يمكنه ان يشرع على الأقل في الأصول العامة للحكم .

والحكومة ليست حكما ثيوقراطيا (سلطة الملك مستمدة من الله) فإسلاميا النبي او الولي مرسل من الله ويأتيه الوحي ولديه دليله وهو معصوم من الخطا والإمام مع هذا مقيد بالشريعة ومسؤول عن جنايات الأنفس والأموال[2].

والمنشأ الأساسي للحكومة عند الإمام يكون على أساس مجموعة من القيم المعنوية ، فمن يحكم الناس ينبغي ان يتمتع بخصائص معينه وهو ما تجده في كتب الإمام ورسائله الى عماله والمحذرة لهم ،ولكن هذه القيم لا تكفي لكي يصبح الإنسان في الواقع حاكما ووليا بل ان للناس هنا دور حيث تعتبر (البيعة) مظهرا لها (للحكم)[3] وهو ما أكده الإمام علي بقوله إنما الشورى للمهاجرين والأنصار فإذا اجتمعوا على رجل سموه إماما كان ذلك لله رضى[4].أما اختيار عدة انفار وجعل الشورى بينهم فهذا مما لا يقره مفهوم الشورى لدى الامام.

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٨٣.
[2] -احمد يعقوب حسين،النظام السياسي في الإسلام،ص٢٥٠-٢٥١.
[3] -علي الخامنئي،العودة إلى نهج البلاغة،ص٢٨.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٧.

ب- ضرورة الحكومة

كان رد الإمام علي واضحا على الاضطراب الذي خلفه الخوارج مبينا فيه ضرورة الحكومة بقوله نعم انه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء(الخوارج) يقولون لا إمرة إلا لله ، وانه لابد للناس من أمير براو فاجر يعمل في أمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيه الأجل ويجمع به الفرد ويقاتل بها العدو وتؤمن بها السبل ويؤخذ بها للضعيف من القوي حتى يستريح برا او يستراح من فاجر[1].

ويفهم من قول الخوارج انهم أرادوا ضرب حكومة الإمام علي فصحيح بيان القران انه لا حكم إلا لله ولكن ليس بمعنى ان المجتمع لا يحتاج إلى مدبر وهؤلاء الذي لم يفهموا المعنى قالوا لا إمرة إلا لله ، وهذا يعني ان المجتمع سوف يبقى من دون مدبر (ومن غير المعقول ان يدبر الله المجتمع بشكل ظاهر)، ولابد للناس من أمير بر أو فاجر وهي ضرورة اجتماعية وطبيعية وإنسانية سواء أكان المدبر حسن أم لا .

ولا يعني هنا قبول الإمام بالأمير الفاجر بل إن الإمام أكد على التدبير لا على قبول الحاكم السئ ، وهو الرأي الأفضل بالتأكيد من حال اللانظام بالطريقة الخوارجية ، ويضاف لهم أيضا كونهم فجرة.

ونفهم من حيث نشاة الحكومة السابق وضرورتها ان الحكومة في فكر الإمام حق وتكليف وهي وسيلة لبلوغ هدف وهو إقامة الحق ورفع الباطل ، وقد أعلن الإمام على ذلك قائلا والله لهي احب إلي من أمركم هذا إلا أن أقيم حقا أو ادفع باطلا[2].

إذن فقول الإمام انه لابد للناس من إمام هو تقرير لضرورة يفرضها واقع الاجتماع الإنساني ولا غنى عنه بحال من الأحوال ، ولئن كانت إمرة

---

[1] -علي الخامنئي،العودة إلى نهج البلاغة،ص٢٦.
[2] -محمد عبده شرح نهج البلاغة،١/٨٠.

الإمام الفاجر (حيث لا يوجد العادل) شرا فهي على ما فيه من شر خير من الفوضى التي تمزق أواصر المجتمع[1].

ج ـ أهداف الحكومة

١. ما ذكرنا سابقا من عهد الإمام للاشتر عند توليته مصر ، وكان الهدف الأولى هو جباية الخراج وجهاد العدو واستصلاح أهل البلد ثم عمارة البلاد وهي مفاهيم تخص السياسات المالية والحربية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتي سوف يأتي فيما بعد .
٢. أداء الحقوق فعندما يؤدي الرعية إلى الوالي حقه ويؤدي الوالي إليهم حقهم ، فينتج من ذلك ان يعز الحق بينهم وتقوم مناهج الدين وتعتدل معالم العدل فتجري السنن ويصلح الزمان وتبقى الدولة وتياس مطامع الأعداء[2] .
٣. إقامة العدل: فثبات الدولة بإقامة العدل[3].
٤. نشر الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة بإقامة الحدود على مستحقيها[4].

د ـ أسس الدولة العقائدية

ان البشر كلهم على اختلافهم واختلاف شعوبهم أحرارا ، فآدم -ع- لم يلد عبدا ولا أمة وان الناس كلهم أحرار[5].

١- التساوي في الحقوق: وقد تمثل ذلك في خطاب الإمام لعماله كعمار بن ياسر وابن التيهان، من ان العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من كان في الإسلام من قبائل العرب واجناس العجم سواء[6].

---

[1] -محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ص١٢٥.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٩٩/٢.
[3] -الواسطي،عيون الحكم،ص٢١٧.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٠٢/١.
[5] -الكليني،الكافي،٦٩/٨.
[6] -الشيخ المفيد ،الاختصاص،ص١٥٢.

٢- ان الحاكم ليس مشرعا وانما هو منفذ لشريعة إلهية تجسدت بكتاب ثابت النص وهو القران والأحاديث النبوية المعروفة بالسنة[1] واشارة الإمام لهذه المسالة واضحة حينما بويع بالخلافة بقوله -ع- علي عهد الله وميثاقه اشد ما اخذ على النبيين من عهد وعقد لأعملن فيكم بكتاب الله وسنة نبيه(ص) ومبلغ طاقتي وجهد رأيي [2] فالسلطة التنفيذية هنا هي الحاكم اما التشريعية فهي موجودة ، واشارة الإمام (بجهد رأيي) تنوه إلى المستجد من الحكم وهو ما يتعلق بالفروع من المسائل المستحدثة.

٣- بنى الإمام صلة البشر على أساسين ، من حيث كونهم محكومين الأولى هي صلة الاخوة في الدين والثانية الاخوة في الإنسانية [3].

هـ- طبقات الحكومة او الدولة :

قبل الحديث عن صفات الحاكم توجب مناقشة طبقات الرعية في الدولة ، واهمية ذلك تكمن في توضيح الخطوط العامة لبناء الاجتماع البشري للدولة ، ويأتي في النهج عهد الاشتر كونه افضل دستور لشرح طبقات المجتمع ، فالإمام يقول اعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها:
١-جنود الله ٢- كتاب العامة والخاصة ٣- قضاة العدل ٤- عمال الإنصاف والرفق ٥-أهل الجزية والخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس ٦- التجار ٧- أهل الصناعات ٨- الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة ، ثم يقول الإمام وكل أولئك قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضة في كتاب او سنة نبيه (ص) عهدا عندنا محفوظا[4].

ويجب توضيح ان لفظة الكاتب الذي أشار لها الإمام هو الذي يسمى الآن في الاصطلاح العرفي وزيرا كما يقول ابن أبي الحديد ، لانه صاحب

---

[1] -محمد المبارك ،نظام الإسلام(الحكم والدولة)،طهران،١٤١٧هـ -١٩٩٧م،ص٣٧.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣٤/١.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٤/٣.وهي اشارة الى قول الامام علي-ع- الناس صنفان اما أخ لك في الدين او نضير لك في الخلق .
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٩/٣-٩٠.

تدبير حضرة الأمير والنائب عنه في أموره [١] . وقد اخذ الماوردي كلام الإمام في كتابته عن الوزراء وشرحه من خلال آرائه في الحكم [٢]. ومما يمكن توضيحه أيضا ان الإمام قصد بعمال الإنصاف انهم الولاة اما أهل الجزية فهم(الزراع) وفي الحقيقة ان الإسلام اعترف كما اعترف الإمام بالطبقات الاجتماعية(الفئات) القائمة على أساس اقتصادي او مهني او عليهما معا ،وذلك لان وجود الطبقات ضرورة لا غنى عنها [٣] ويختلف مفهوم الطبقية في الإسلام عن طبقات العالم الأخرى لان الإسلام غير متقوم بالثروة او الانتماء الحزبي بل بالوظيفة الاجتماعية او الاقتصادية فهي عند الإمام ليست شريحة تضم أفرادا لهم عادات او أساليب خاصة في الحياة بل هي هنا فئة اجتماعية تمارس سلوكا خدميا محدودا كتوفير الإنتاج او حفظ الأمن ونقل البضائع وكما تفرضه حاجة المجتمع[٤] وفي نص الإمام نوع من التساوي الثابت والعادل وهو ما أكدته فقرة الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، فالعملية هنا متفاعلة بنائية وليست متصارعة والترتيب الطبقي في التقسيم لا يعني ترتيب القيمة فيكون الجنود هم الطبقة العليا والمعدمون هم الطبقة السفلى وتكون قيمة ما بينهما على هذا الترتيب قربا من الجنود او بعدا عنهما ، لا فالإمام راعى الخدمات الاجتماعية التي يقام بها أما القيمة فلا تقاس إلا بالتقوى[٥].

ويجب ملاحظة اننا هنا أمام تأسيس مهم ليس لدولة فقط بل للنظام الاجتماعي ، ولكن هل يمكن القول ان هذا التقسيم خاص بأهل مصر ، الجواب سيكون بالنفي ، لأننا أمام قواعد كلية لنظام الدولة بني على أساس طبيعة الإنسان ونظام الأشياء وعلى الحقوق والواجبات وقد اعتمدت على فهم طبيعة كل فئة بحسب نظام تدرجها في المعرفة ، وإلا فان الجندي لم

---

[١] -ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،٧٩/١٧.
[٢] -توفيق الفكيكي ،الراعي والرعية،ط١،شركة المعرفة،بغداد،ص١١٩-١٢١.
[٣] -محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،٢٩.
[٤] -نوري حاتم الساعدي،دراسات في عهد الإمام علي-ع- لمالك الاشتر، ط٢،نشر جامعة الإمام الباقر للعلوم الإسلامية،١٤٢٥هـ،ص٥٦.
[٥] -محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ص٤٦.

يصبح قاضيا أو كاتبا وبشكل عام فان قدرة الإنسان وعلمه يجعله في قالب معين وطبقة أو فئة معينة وكل ذلك يدل على ان الإنسان مدني بالطبع[1].

ان الإمام علي يؤكد على الترابط الوثيق بين الطبقات فكل طبقة (عدا التي لا تعمل) ضرورية للمجتمع مع انها تعتمد في وجودها على جهد الآخرين وجهود الآخرين لا تنفع لولا هذه الطبقة ،فلولا الجنود لانعدام الأمن وعندها تعدم التجارة ويختل نظام الزراعة وباختلال هذه العناصر ينهار النظام الاجتماعي ولولا التجارة والزراعة لما وجدت الضرائب التي تمد الجنود بالمال والسلاح ولولا التجارة لتكدس الإنتاج بلا حاجة إليه ولولا القضاة لعمد الناس لتسوية مشاكلهم بالعنف ، إذن فالنشاط الاجتماعي متشابك ومتداخل وليس لأحد على أحد فضل[2].

وبتعبير الإمام انه لا قوام لهذين الصنفين (الجنود وما يخرج لهم من الخراج) إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، كما انه لا قوام لهؤلاء جميعا إلا بالتجارة وذوي الصناعات فيما يجتمعون عيه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم[3].

ويمكن الفهم هنا وبسهولة ان نظام الطبقات يدلل على ان الدولة تنمو كالأشخاص لانها تعتمد على هذه الطبقات بل إنها الأشخاص أنفسهم وهو الأمر الذي قاله ابن خلدون فيما بعد[4].

هذا هو ما يتعلق بالطبقات في المجتمع اما طبقات النظام الإداري فتمثل في عهده للاشتر بجباية الخراج وجهاد العدو واستصلاح أهلها وعمارة البلاد في هذه المرتكزات وهي تشكل أساسا عاما للحكومات قديما وحديثا،وهي في إطار الحكومات المعاصرة تمثل أربع وزارات أساسية هي:

---

[1] -انظر ابن رشد ،تلخيص كتاب السياسة لأفلاطون،المصدر السابق،ص٧٤.وقارن مع رأي أفلاطون في هذه المسألة.

[2] -محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ص٤٦.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٠.

[4] -ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون،ط٤،بيروت،١/١٧٠.

١- المالية وما يرتبط بها من مديريات تحصيل الأموال والضرائب والرسوم.
٢- وزارة الدفاع والداخلية وأجهزة الشرطة والأمن .
٣- وزارة الشؤون الاجتماعية ومعها و: ارة الصناعة والتجارة والزراعة والري، يضاف لها ما يصلح المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا(وهو ما عبر عنه الإمام إصلاح أهلها).
٤- وزارة الإسكان والتعمير وما يرتبط بها من البنية التحتية والاقتصاد القومي والمواصلات والطرق والخدمات العامة[1] ومن جهة أخرى فانه يمكن تصنيف الوزارات على أساس التقسيم الطبقي الذي نحى نحوه الإمام علي من وزارة العدل والتجارة والصناعة والحربية .....الخ.

---

[1] -د.خضير كاظم حمود،السياسة الادارية في فكر الامام علي بن أبي طالب-ع-بين الأصالة والمعاصرة، مؤسسة الباقر ،بيروت،ص١٠.

و ـ صفات الحاكم

إن للحاكم حقوقا وعليه واجبات فمن حقوق الرعية على الحاكم هو ما أوصى به الإمام لمحمد بن أبي بكر بقوله احفظ لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك واس (من التسوية) بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا يياس الضعفاء من عدلك عليهم [1] وهو نص يشير الى تحكيم روابط المودة والاخوة وليطمئن الناس برحمة حكومتهم ويخلصوا لها أيمانه بها ويقيموا العدل[2] ولنا ان نختصر صفات الحاكم في النهج على النحو الآتي .

١- الأمانة : ان يشعر الحاكم بان الحكم أمانة لديه وتكليف الهي له ، وليس منحة او ملكا شخصيا له [3] وقد بين ذلك -ع- في رسائله الكثير ومنها لعامله الأشعث بن قيس على أذربيجان موضحا له ان عملك ليس له بطعمة ولكنه أمانة في عنقه وانه مسترع لمن فوقه[4].

وقد طبق الإمام ذلك على نفسه ،فهو لم يكن لينافس على سلطان ،بل ليرد معالم دين الله ويظهر الإصلاح في البلاد فيأمن المظلوم وتقام حدود الله المعطلة[5].

٢- المشاورة والتعاون: فالحاكم لا يستغني عن نصح ومشاورة الرعية ، ويشترط الإمام كما في عهده للاشتر بان لا يدخل في مشورته البخيل الذي يعدل به عن الفضل ، ويعده الفقر ، ولا الجبان الذي يضعفه من الأمور ولا الحريص الذي يزين له الشره بالجور[6] فهولاء من عوائق نمو الدولة وسبب في تحطيمها، وعلى الحاكم أيضا ان يتعاون مع

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٢٧،وقارن مع ابن رشد ،المصدر السابق،ص١٣٧ ،عن خصال الحاكم الفاضل .

٢ -انظر ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة،٥/١١٩. الخوئي ،منهاج البراعة،٢٠/١٢٨.

٣ -اويس كريم محمد ،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة،ص٢٤٤.

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٦.

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/١٣.

٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٨٧.

رعيته، ويمثل الإمام ذلك بقوله (من واجب حقوق الله علـى العبـاد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على إقامة الحق بينهم)[1] ويقابل ذلك ان من حق الحاكم على الرعية الوفاء بالبيعة والنصيحة في المـشهد والمغيب[2].

٣- المحبة والتسامح : ويكون ذلك من جهتين أ-أن لا يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامـة المـسلمين البخيـل... أو الجاهل او الجافي فيقطعهم بجفائه[3] ب- ان يستشعر الوالي الرحمـة والمحبة واللطف للرعية، لانهم صنفان أما أخ له في الدين او نـضير له في الخلق ، وهؤلاء كما ينبه الإمام يفرط منهم الزلل وتعرض لهـم العلة وقد يصيبوا ويخطئوا فيجب ان يعطى لهم العفو والصفح مثلمـا يرجو الوالي من صفح الله وعفوه [4].

٤- عدم الاحتجاب عن الرعية، فان ذلك شعبة من الـضيق وقلـة علـم بالأمور ، وذلك الاحتجاب سوف يعظم الصغير ويـصغر الكبيـر مـن الأمور عند الرعية[5] وهذه الملاحظة تنم عن معرفة دقيقة بالـسياسة والحالة الاجتماعية والنفسية للمجتمع والناس .

٥- المباشرة في التعامل مع الرعية ، فإذا ضنت الرعية بـالوالي حيفـا فيجب ان يبادر بعذر ليروض نفسه أولا على هذا العمل وثانيا ليرفـق برعيته[6] كما أوصى الإمام ان لا يكون سفيره إلى الناس إلا لسانه ولا حاجب إلا وجهه وان لا يحجب ذا حاجة عن لقائه به [7].

٦- أن يواسي بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية [8].

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢،١٩٩.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١/٨٤.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/١٤.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٨٤.
[5] --محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٠٣.
[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٠٥.
[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٢٧.
[8] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٢٧.

٧- أن يستر عيوب الرعية وليبعد عنه الطالب لمعايب الناس وان لا يعجل إلي تصديق الساعي فانه غاش وان تشبه بالناصحين[١].

٨- أن يفرغ قسما من وقته لذوي الحاجات وبمجلس عام يكلمونـــه دون خوف ويورد الإمام علي عن الرسول(ص) قوله لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي ، ويضيف الإمام ان على الوالي احتمال الخرق من الرعية والوعي وان لا يـسلط علـيهم الـضيق والأنـف (المتكبر) من الرجال[٢] وعلى الحاكم ان يكون واسع الصدر لان هـذه هي آلة الرياسة[٣] ومن عوامل المحبة التي يجب ان يتمتع بها الحاكم هي استقامة العدل في البلاد وبذلك تظهر مودة الرعية والتي لا تظهر إلا بسلامة صدورهم ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الأمور وقلة استثقال دولتهم[٤].

٩- التواضع : على الحاكم أن لا يكون متكبـرا معجبـا بنفـسه ، يحـب الإطراء واستماع الثناء من رعيته ، ففي النهج ان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع أمرهم علـى الكبر[٥] ويقدم الإمام علي نصيحة الى الولاة بالابتعاد عن الفخر والتكبر لان ذلك أسلوب الشيءطان ليمحي إحسان المحسنين [٦].

١٠- النزاهة: وذلك بان لا يستأثر بشي من أموال المسلمين لنفـسه وان يساوي الناس بعيشه وان لا يسخط العامة برضى الخاصـة [٧] وقـد ذكرنا شدة الإمام مع الولاة الذين لا يتمتعون بالنزاهة .

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٧/٣.
٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٢/٣.
٣ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤٢/٤.
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٣/٣.
٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٠٠/٢.
٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٨/٣.
٧ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٦/٣.وانظر كريم اويس،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ص٢٤٨.

١١- العلم : وهو ما يأتي من الطاعة لله ورسوله (ص) والعلم بالقران والسنة والعمل بها وان يكون الحاكم ذا تجربة في الحكم ، وبتعبير الإمام ان أحق الناس بأمر الحكم أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه[١]. وفي خطابه إلى أحد عماله أشار إليه بان يرد إلى الله ورسوله والي الأمر ما يشتبه عليه من الأمور ، والرد الى الله هو الأخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول (ص) الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة [٢].

١٢- العدل: وذلك بان يكون عادلا ولا يحيد عن الحق ولا تأخذه بالله لومة لائم، وفي النهج وصايا للحاكم بان يلزم الحق من لزمه من القريب والبعيد من القرابة او الخاصة [٣] ويوضح الإمام دائما من ان قاعدة العدل يطبقها على نفسه وعلى أولاده[٤] مشيرا الى ان عدم عدل الوالي يأتي من اختلاف هواه فيمنعه ذلك كثير العدل ،في حين يجب ان يكون أمر الناس في الحق سواء لانه ليس في الجور عوض عن العدل [٥] ومن ضاق عليه الجور فالعدل عليه أضيق[٦].

١٣- الحلم:ومن ذلك التروي في إصدار الأحكام فالنهج يحذر من العجلة بالأمور قبل أوانها وعلى الوالي ان يتمتع بالحلم فيملك حمية انفه ويملك سورة الغضب وسطوة اليد والسان ، وعلاج غضب الوالي يكمن عند الإمام في كف البادرة وتأخير سطوة اليد حتى يسكن الغضب وعند ذلك يملك الاختيار، وهذا لا يكون حتى يذكر الوالي او الحاكم نفسه بذكر المعاد الى ربه[٧]. ومن الحلم ان يلبس الوالي للرعية

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٦/٢.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٤/٣.

٣ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٥/٣.

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٦٧/٣.بقوله-ع- لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة.

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١١٦/٣.

٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤٦/١.

٧ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١١٠/٣.

جلبابا من اللين مشوبا بطرف من الشدة وان يداول لهم بين الرافة و يمزج لهم بين التقريب و الإدناء و الإبعاد والإقصاء[1].

١٤-المسؤولية: ان من صفات الحاكم الإحساس بالمسؤلية فالإمام يقول اتقوا الله في عباده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم[2].

أما الصفات السيئة للحاكم بحسب النهج فهي ضيق الصدر ، الغضب، الرضا عن النفس ، الاستخفاف بالناس ، الطمع، حب السلطة ، الاستبداد بالرأي، الشعور بالضعف وعدم الثقة بالنفس والشعور بالاستغناء[3].

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٩.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/٨٠.

٣ -مهدي منتظر قائم،الحرية السياسية في الإسلام،ضمن كتاب مدخل الى الفكر السياسي في الإسلام ،(مجموعة مقالات)إعداد الدكتور صادق حقيقت،ترجمة خليل العصامي،ط١ ،مكتبة الدراسات الإسلامية ، طهران ،١٤٢١هـ -٢٠٠٠م،ص٢٧٩.

المبحث الثاني
انواع السياسات عند الامام علي (ع)

أ- الادارية

ب-الثقافية

ج -الاجتماعية

د-الاقتصادية

هـ -القضائية

و-الحربية

السياسة الإدارية

إن الادارة في معناها العام هي الجهاز الذي يسير شؤون الدولة والمجتمع وهي غير السلطة السياسية وتقع تحت إمرتها ، وهي سلطة ضرورية لا يقوم بدونها مجتمع او دولة وبخاصة المتطورة، من حيث الخدمات والالتزامات، ولعل أول تنظيم له صفة شمولية قام به النبي (ص) في المدينة ، هو وضع الصحيفة التي عبرت عن نشوء المجتمع السياسي الإسلامي في المدينة بقيادة النبي (ص)[1].

وقد جسد الإمام علي في كتابه لمالك الاشتر الهيكل التنظيمي للمنظمات الإسلامية كبيرة أم صغيرة وعامة أم خاصة ومحلية أم دولية، بان الله سبحانه يحتل الصدارة في الهيكل التنظيمي الإسلامي ثم ولي أمر المسلمين وبعده أصحاب المسؤوليات الدنيا، فللمسؤول إذن علاقة دنيوية تستمد

---

[1] -محمد مهدي شمس الدين ،النظام الإداري في الحكومة الإسلامية،ضمن كتاب مدخل الى الفكر السياسي الإسلامي،ص٣٥١ .وانظر إبراهيم محمد الفحام ،لمحات من الفكر الإداري في الإسلام،مجلة منارة الاسلام ،س٧،ع٢، ١١،١٤٠٢هـ،ص٩٨.

صلاحياتها من البناء التنظيمي تارة وعلاقة أخروية تقترن بخشية الله وتقواه وهذه العلاقة تعد ذات بعد اكثر تأثيرا في إعطاء الفرد أو الجماعة والمجتمع دوره الرصين في علاقاته مع الآخرين[1] وتبدو إشارات النهج مباشرة لما يتعلق بالإدارة التي يسميها الإمام(نظم الأمر) وكما في حديثه لمالك الاشتر بقوله-ع- وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه .... فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه[2] وهذا ما يخص الدولة اما المفهوم العام بالنسبة لتنظيم الأمور فهو وصيته لولديه الحسنين -ع- قبل استشهاده -ع- في تنظيم لاهل بيته خاصة وللمسلمين عامة فهو يقول (أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم)[3] على ان الإمام علي يجعل من القران دستورا لتنظيم أمور المسلمين ففيه كما يقول دواء دائهم ونظم ما بينهم[4].

أسس الإدارة العامة

ان الإدارة كأي سلطة أخرى تتوسع وتتمركز إذا بقيت دون ضوابط وتمركزها في القيادات هو ما يسمى ببيرقراطية[5] لذا وضع الإمام الضوابط الخاصة بعمل الحكومة او إدارة الدولة .

فقد أوصى عامله الاشتر ببث روح الإدارة الكاملة في الناس والقائمة على فضيلة العدل والمساواة وتوحيد القانون ، أي إخضاع الجميع الى اتباع الشريعة المحمدية ومبادئها[6].

والمعروف انه جاءت بعد كتابات الإمام علي ما كتبه بعض الفقهاء والكتاب في العهد العباسي وهو ما اصطلح عليه تسمية الأحكام السلطانية، ولم توضع مع الأسف دراسات فقهية على أقوال أهل البيت من قبل فقهاء

---

[1] -د.خضير كاظم حمود،المصدر السابق،ص١٨.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٩/٣.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٧٦/٣.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٥٤/٢.
[5] -مهدي شمس الدين ،النظام الإداري في الحكومة الإسلامية،ص٣٥٤.
[6] -توفيق الفكيكي ،الراعي والرعية،ص٣٩.

الشيءعة (إداريا) ولعل ذلك يرجع إلى العزلة التي فرضتها السياسات[1] ولعلنا من خلال البحث في فكر الإمام الإداري نعرف الأثر الذي تركه في كتابات من جاء بعده ، أما أهم الأسس الإدارية العامة عند الإمام فهي كالتالي :

١-الصدق في السياسة، وقد تم التطرق لأسلوب الإمام ومنهجه في السياسة من عدم المداهنة والغدر والخيانة .

٢- الالتزام بالحق : ففي النهج ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب إليه وان نقص كرثه (مشقته) من الباطل وان جر إليه فائدة [2]. ولهذا يفرض الإمام على الاشتر الالتزام بهذه القضية وتعميمها بقوله الزم الحق من لزمه من القريب والبعيد[3].

٣-الالتزام بالقانون : فالقانون السماوي عنده يجب ان ينفذ ، فعندما أراد الإمام معاقبة رجل من بني أسد فتوسط قوم الرجل لإلغاء الحكم ، فقال لهم الإمام لاتسالوني شيئا املكه إلا أعطيتكم ... ثم عاقبه وقال هذا والله لست املكه [4].

٤-عدم المداهنة: فمن تأكيداته-ع- السابقة قوله لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية من امري، وفي معركة صفين ناداه رجل من معسكر معاوية ان ينصرف للعراق ويترك لهم شامهم ، فرفض الإمام قائلا والله لو علمت ان المداهنة تسعني في دين الله لفعلت ولكان أهون علي في المؤونة ولكن الله لم يرض من أهل القران بالادهان والسكوت والله يعصى[5] ومن هنا يتبين في عمل الإمام بشكله العام انه إقامة أمر الله ،بالطريق الصحيح فهو كما يقول لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع [6].

---

[1] -مهدي شمس الدين ،النظام الإداري في الحكومة الإسلامية،ص٣٥٥.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٦/٢.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٥/٣.

[4] -ابن شهر اشوب ،مناقب آل أبي طالب ،٤٠٨/١.

[5] - ابن الأثير(عز الدين علي بن محمد الشيءباني/ت٦٣٠هـ)أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٥مجلدات، طهران ،٦٣/٢.

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٦/٤.

السياسة الإدارية الخاصة بالعمال

في نص مطول نسبيا فصل الإمام جزءا من فلسفته الإدارية في عهده للاشتر بقوله -ع- ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختيارا ولا تـولهم محاباة الثرة .... وتوخ منهم أهل التجربة والحياء ... ثـم اسـبغ علـيهم الأرزاق فان في ذلك قوة لهم في استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم... ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من الصدق والوفاء عليهم[1].

ويتضح هنا تركيز الإمام في تثبيت حقائق الاتجاهات الإدارية الحديثـة ومرتكزاتها الفكرية المعاصرة ، والتي تتـضمن احـدث مـا وصـل اليـه المفكرون المختصون ، في خمس وظائف إدارية أساسية هي ، التخطـيط ، المراقبة، التنظيم، التحفيز وتنمية الإداريين . فالتخطيط يمثل لديه وظيفـة أساسية تعتمد التنبؤ بما يتضمنه المستقبل المبهم مـن متغيـرات متباينـة تدعو متخذي القرار الى تحري وتقليص دائرة المجهول باعتماد الاختيـار الصحيح[2] ومن ذلك ما تم ذكره من اختيار القادة الاداريين بالاعتماد علـى الكفاءة لا الوساطة ، وكونهم من أهل التجربة والخبرة المتراكمة ، ويرافق ذلك العامل الأخلاقي كونهم من أهل الحياء .

أما التنظيم فان مجمل عهده للاشتر هو عملية تنظيم إداري وسياسـي للدولة ومن ذلك قوله -ع- واجعل لراس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها [3] وهو إقرار مبدأ فصل الـسلطات، وهي قاعدة دستورية أخذت بها دساتير الدول كافة في العـصر الحـديث، وانفصال السلطات في عرف مونتيسكو هو آمن وسيلة للحيلولـة دون ان يؤول شكل الحكومة الى حكم الفرد[4] كما انه يـدل مفهـوم بنـاء الهيكـل

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٥.
[2] -خضر كاظم جواد ،السياسة الإدارية عند الامام علي ،ص٥٨.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٩.
[4] -الفكيكي ،الراعي والرعية،ص١٢٩.

التركيبي للنظام الإداري (الهرمي) بان يجعل لراس الأمر في كل مسالة رأسا[1].

وتبرز مراقبة العمال كواحدة من أهم النقاط الإدارية ، فالإمام يوصي الاشتر ببث العيون من أهل الصدق والوفاء وفائدة ذلك تكمن في انهم :
١-حدوة (محرض) على استعمال الأمانة ٢- تحث على الرفق بباقي الرعية ٣-التحفظ من الأعوان فان أحدا بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه أخبار العيون عند الوالي فيكتفي بذلك الشاهد فيعاقبه في بدنه او ينصبه في مقام الذلة فيوسمه بالخيانة[2].

وفائدة الرقابة الإدارية أيضا كما يقول الإمام بأنهم يثبتون بلاء كل بلاء منهم(العمال)ليثق أولئك بعلمك ببلائهم[3].

ومن أساسيات الإدارة في النهج هو التحفيز والذي بشكل ظاهرة حدية تطورت كوظيفة إدارية طبقت في أمريكا وأوربا واليابان وحققت نجاحات إيجابية في تعميق الأداء الإداري السليم وتجاوز حالات الفساد والإفساد [4].

ومن المفردات الإدارية الأخرى الخاصة بالعمال الآتي :
١-انتخاب العمال الصالحين ومثال ذلك ان تعيين الجنود يكون على أساس نصحهم لله ولرسوله ولإمامه كما يراه الوالي ، ويجب كونه نقي الجيب فلا يكون سارقا وحليما يبطئ عند الغضب ، يراف بالضعفاء ويغلظ على الأقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف[5].
٢- عدم الإجبار على العمل او بتعبير الإمام ، لست أرى أن اجبر أحدا على عمل يكرهه[6].
٣- عدم استعمال الخائن او العاجز ، فعنده -ع- انه من استعمل خائن فان محمد (ص) بريئ منه في الدنيا والآخرة وهو ما جاء في كتابه إلى قاضيه

---

[1] -خضر كاظم جواد ،السياسة الإدارية عند الامام علي ،ص٧٠.
[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٦.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٣.
[4] -خضر كاظم جواد ،السياسة الإدارية عند الامام علي ،ص١٤٩ فما بعدها.
[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩١.
[6] -البلاذري ،انساب الأشراف،ص١٦٢.

على الاحواز[١] كما يرفض الإمام استعمال البخيل او الجاهل الذي يضل المسلمين بجهله ولا الجافي او المرتشي في الحكم لانه سيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة[٢] ويضاف الى كل ذلك عدم استعمال العاجز لان آفة الأعمال عجز العمال[٣].

٤-زيادة رواتب العمال ،فالتوجيه في عهده للاشتر جاء باعتماد إسباغ الأرزاق على العمال لانه قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمر الوالي او تلموا أمانته[٤].

٥-الإفساح لهم في آمالهم والثناء عليهم[٥] وهي من الحوافز المادية والمعنوية ومن الأسس الهادفة في تحقيق النجاح وهي إحدى الوظائف الإدارية الرائدة في ميدان النجاح [٦].

٦-التنبيه ولفت النظر ، وذلك من خلال إفهام الاشتر بان لا يكون المحسن والمسي عنده بمنزلة سواء لان هذا فيه مضرتان الأولى هي تزهيد أهل الإحسان بالإحسان والثانية تدريب وتعويد أهل الإساءة على الإساءة [٧].

٧-الحزم مع العمال ، وسبق الحديث عن حزمه -ع- وحسابه للأشعث بن قيس وزياد بن أبيه وشريح القاضي وعبد الله بن عباس .

٨-عزل من تثبت خيانته من العمال ، فقد روى صاحب الاستيعاب ان علي كان لا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه قد جاءتكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشيائهم[٨] إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتى ابعث إليك من يتسلمه منك[٩] .

---

١ - النعمان المغربي،دعائم الإسلام ،١،٢٢٧.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة٢/١٤.

٣ -الواسطي ،عيون الحكم،ص١٨١.

٤ --محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٥.

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٣.

٦ -خضر كاظم جواد ،السياسة الإدارية عند الإمام علي ،ص٤٨.

٧ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٨٨.أيضا الشيرازي،السياسة من واقع الإسلام،ص١٤٦.

٨ -لقوله تعالى (فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشيائهم/الأعراف-٧/٨٥).

٩ -المحمودي ،نهج السعادة،ط٨،١ أجزاء،النعمان،النجف،١٩٦٨م، ٤/١٤٤.

٩-عقوبة العمال : استخدم الإمام علي ثلاثة أنواع لعقوبة العمال ، وهي البدنية، ومصادرة الأموال المختلسة والعقوبة المعنوية[١] فقد عاقب على خيانة علي بن هرمة عامله على الاحواز ، بان أمر واليه هناك بتنحية بن هرمة عن السوق وان يوقفه للناس ثم يسجنه ويضربه خمسا وثلاثين جلدة ويطاف به في الأسواق....[٢] وهكذا يستخدم الإمام العقوبة كنوع من الردع ، وهي أيضا نوع من التكريم للأمانة .

١٠-النهي عن اخذ الهدية ، فقد اعتبرها بالنسبة للعمال غلولا[٣].

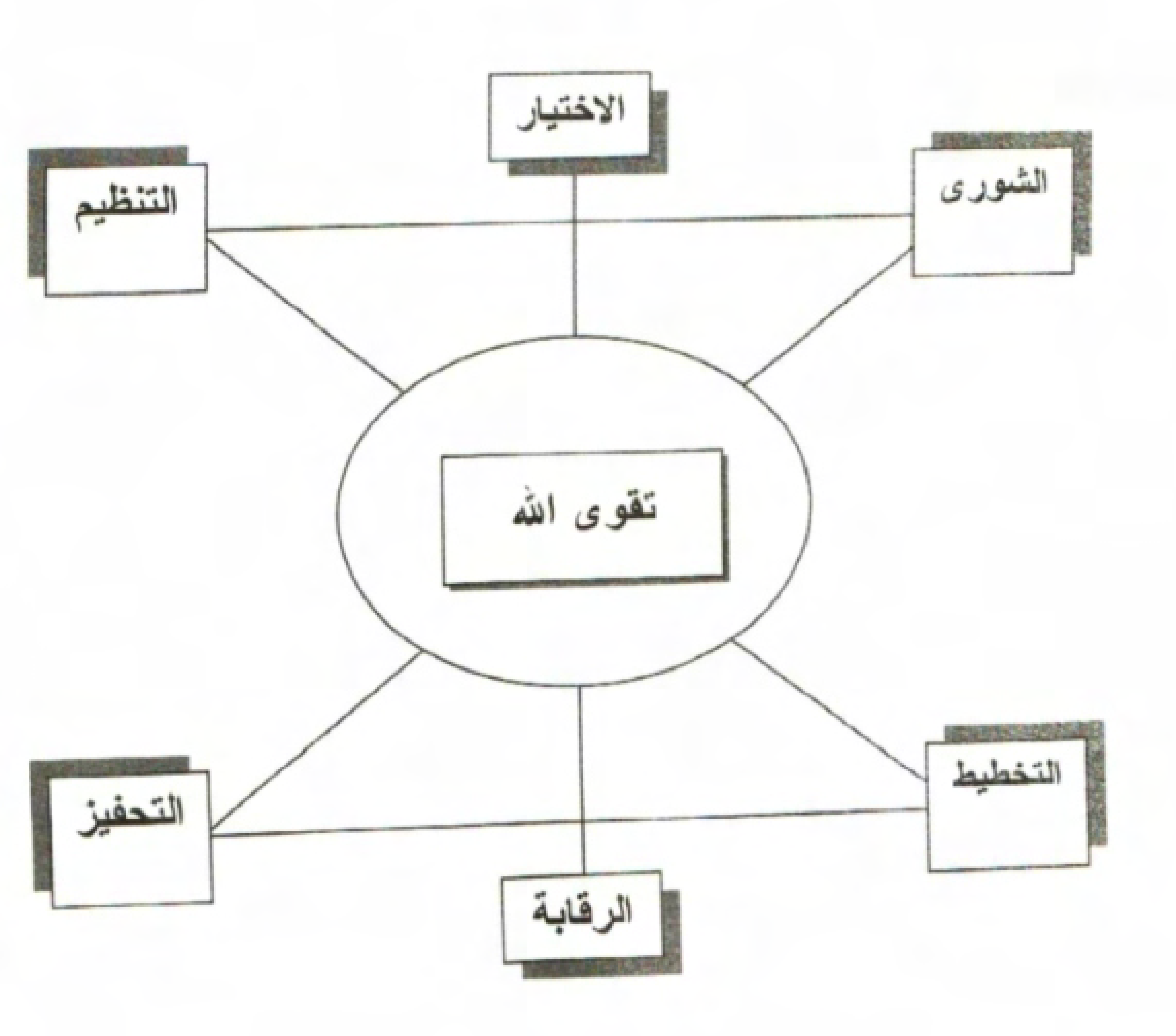
١١-مزج اللين بالشدة: ففي كتابه إلى أحد عماله قال -ع- ان دهاقين (رؤساء القرية) أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارا وجفوة... فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرافة وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء[٤].

ان هذه هي أهم جوانب نظام الإدارة عند الإمام علي ويجب ملاحظة الفرق بين قول الإمام بالنسبة للعمال (الموظفين) فاستعملهم اختبارا وبين كلامه للاشتر فيما يتعلق بالكتاب (الوزراء) فول على أمورك خيرهم ، فلم يشترط -ع- الامتحان عند انتخاب الوزراء كما اشترطه في انتخاب الموظفين (ويمكن ان يكون هذا على أساس ان الوزراء حالة معروفة بالتجربة من دون الاختبار وإلا كيف اصبح في مرتبة الوزراء)، وهو المتبع اليوم لدى حكومات الشرق والغرب وهو أيضا ما اعتمده النظام الإنكليزي في سنة ١٨٥٣م[٥].

أخيرا لقد أكدت وصية الإمام علي للاشتر على نموذج الفكر الإداري الإسلامي وقد تمثل بالشكل التالي[٦] :

---

١ -مهدي شمس الدين ،النظام الإداري في الحكومة الإسلامية،ص٣٦٠.
٢ -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٥٣٢.
٣ - النعمان المغربي،دعائم الاسلام،٢/٥٣٤.وانظر ريشهري ،موسوعة الامام علي، ٤/٢٥.
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٩.
٥ -توفيق الفكيكي ،الراعي والرعية ،ص١٢٣.
٦ -خضر كاظم جواد ،السياسة الإدارية عند الإمام علي ،ص١٠٠.


الاختيار
التنظيم
الشورى
تقوى الله
التحفيز
التخطيط
الرقابة

السياسة الثقافية

ان مفهوم الثقافة الإسلامية يعني تطبيع العادات والفكر الإسلامي على الإنسان المسلم أولا وبالتالي على الأمة الإسلامية بأجمعها ، الأمر الذي يجعلها تختلف عن الثقافات المحيطة بها[1] كالفارسية والرومانية وثقافة الملاحدة والكافرين .

ولا داعي إلى التفصيل في جهود الإمام الفكرية الثقافية ومنها سن قواعد اللغة العربية وأسس البلاغة .

على ان أهم البرامج السياسية في حكومة الإمام علي هو نشر التعليم ومحو الأمية وإشاعة العلم واتخاذ جامع الكوفة مدرسة ومعهدا لالقاء المحاضرات العلمية والفكرية والدينية[1] وساهم الإمام بارساء ثقافة القران والمعرفة والعلم .

ويمكن تصنيف المراحل الثقافية التي اعتمدها الإمام على الأسس التالية:

١- مرحلة التوجيه والإرشاد ٢-التأهيل ٣-التنمية.

والمقصود من التوجيه هو تسيير الناس على الجادة الصحيحة وبشكل دائمي في الليل والنهار والسر والعلانية [2]. وهذا الأساس يفرضه الإمام بقوله ، على الإمام ان يعلم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان [3] وقد جعل تثقيف الناس وتعليمهم حقا من حقوقهم والتي منها النصيحة لهم وتوفير أرزاقهم وتعليمهم لئلا يجهلوا وتأديبهم كيما يتعلموا [4].

ان هذا التوجيه هو جزء من وظيفة ومسؤولية الإمام كمرشد للامة فقد روي الإمام الباقر -ع- ان الإمام علي -ع- إذا صلى الفجر لم يزل معقبا

---

[1] -باقر شريف القرشي ،موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب -ع- ،مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية،١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م،٩/١.

[2] -محمد العبادي ، الإمام علي وتنمية ثقافة أهل الكوفة ،٣٠-٣١.

[3] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٢٨.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٤/١.

إلى ان تطلع الشمس فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقران[1].

أما التأهيل فهي مرحلة تثقيفية أخرى تتجاوز النصح والإرشاد والتوجيه لتتعامل مع اختبار القابلية او قياس المقدرة الشخصية عندما تتأهل لمرحلة أعلى من خلال التفاعل مع نوع الأسئلة المطروحة والمتنوعة بتنوع إفهامهم ودرجاتهم [2].

وهو ما يلمس جليا في أسئلة المسلمين المتنوعة او غيرهم ، فعندما يسال الإمام هل رأيت ربك او ما هو الإيمان او السؤال عن كيفية خلق السماوات والأرض ، فان جواب ذلك يدل على مرحلة التأهيل .

اما المرحلة الثالثة وهي التنمية والتربية والتعليم ، فان التنمية عند الإمام تأتى بمستويين :

الأول هو الحافز للتعليم الثقافي وهو في هذا الصدد يفرض لمن قرا القران ألفين ألفين[3].وهذا لا يذكرنا بالتعليم المجاني فحسب بل بالتعليم المدعوم من قبل الحاكم .

والمستوى الآخر يكمن بالتعلم المباشر والتأثير العلمي الفعال والذي انتج جيلا واعيا من المقربين للإمام ويضاف لذلك أهمية الكلمات التي يقولها في المحافل العامة ثم تدون او تحفظ وقد انتشرت هذه الثقافة في المسجد وساحة الحرب وفي الكتب والوصايا والسياسة ....الخ.

والإمام يواجه السلبيات الثقافية في المجتمع الإسلامي والتي منها التمزق والانطواء والتملق وحب الدنيا[4] بمعالجة تلك الانحرافات بأساليب

---

[1] -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة،١٠٩/٤.
[2] -محمد العبادي ، الإمام علي وتنمية ثقافة أهل الكوفة،ص٣٣.
[3] -المتقي الهندي،كنز العمال،٣٣٩/٢.
[4] -محمد العبادي ، الامام علي وتنمية ثقافة أهل الكوفة،٦٥.

ثقافية عديدة منها الأسلوب الوعظي، التحاوري، الاستدلالي، النفسي، التربوي، التوبيخي، الترهيبي ، التذكيري...الخ[1].

السياسة الاجتماعية

ان الإمام علي كان على علم بخصائص المجتمع الجاهلي وتشخيص سلبياته من الكفر والظلال والانحراف عن عقيدة التوحيد والاحتطاب والدخول في الفتن ثم الانحراف النفسي الذي يصفه بتعبير، استهوتهم الأهواء واستزلهم الكبرياء وقد جر ذلك إلى حيرى وقلق وجهل وانعدام الحكمة والموعظة الحسنة وقد وصف أهل تلك المرحلة بأنهم ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرق مشتتة[2] وثانيا أشار الإمام الى خاصية فطرة الإنسان على الاجتماع مع الغير كما هو مفطور على معرفة الله ففي وصفه للمجتمعات في أدبياته -ع- حث كثيرا على اجتناب الفرقة ولزوم الألفة والتحاض عليها والتواصي بها[3] وعنده ان يد الله مع الجماعة ناهيا عن الفرقة[4] ويمكن فهم مقولة الإمام (أيها الناس لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم والسنتهم ، على ان الإنسان مدني بالطبع لذا دعى الإمام هذه الدعوة)[5].

وقد رسم الإمام منهاج العدل الاجتماعي بقوله للحسن-ع- يابني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها[6].

---

[1] -محمد العبادي ، الامام علي وتنمية ثقافة أهل الكوفة،٩٤-١٣٨.راجع تفاصيل الأساليب.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٥/١.وانظر هاشم الموسوي ،النظام الاجتماعي في الإسلام ،ط٢ ،طهران،١٤١٤هـ -١٩٩٣م،ص٦.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٥١/٢.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨/٢.

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٦٢/١.وانظر حامد حفني، نهج الحياة ،ص٧٠.

[6] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤٥/٣.وحول الأغراض الاجتماعية في النهج انظر،حسن الأمين ،دائرة المعارف الإسلامية الشيعية،ط٢،دار التعارف ،بيروت،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م،١١٣/١.

وبشكل عام نجد في النهج تقسيما للعلاقات الإنسانية هي أولا علاقة الإنسان بر به، بنفسه وبغيره ثم العلاقة بسياسة الدولة[1] على ان محور الاجتماع البشري يكون بحسب فكر الإمام علي على أساس الرضا والسخط لقوله (ع) إنما يجمع الناس الرضا والسخط[2] وهو ما يعتمد على ثنائية التقارب والتباعد وبالشكل التفاعلي لا على نحو الصراع وذلك ما لمسناه في وصف الإمام للطبقات في الرعية فهي لا تقوم على أساس الصراع بل على أساس التفاعل فلا غنى لطبقة عن الأخرى وليس هناك طبقية او تمايز حتى على مستوى القوميات الأخرى ففي رسالته لعمار بن ياسر وابن التيهان أشار الإمام على بان العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من كان في الإسلام من قبائل العرب واجناس العجم سواء [3].

واخيرا المح الإمام الى نوع من التكيف في المجتمع فقد حدد نمط العلاقة التي ينبغي ان تتبع حيث صنف جماعة الأصدقاء الى جماعة الثقة والمكاشرة فطلب التعاون بشدة مع جماعة الثقة اما أصحاب المكاشرة فقد طلب ان تمارس حيالهم عملية (تكييف) على أساس فهمهم (مستوى إدراكهم)[4] وكل ذلك يدل على قدرة واقعية للإمام في فهم خصائص المجتمع وتحليلها والتغيير من خلال الكلمات والنصائح .

---

[1] -محسن الأمين،المجالس السنية،ط٥،بيروت،١٣٩٤هـ-١٩٧٤م،٢٤٤/٥.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٨١/٢.

[3] -الشيوخ المفيد ،الاختصاص ،١٥٢.

[4] -محمود البستاني،علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي،ط١،قم،١٣٣٥هـ-ش، ص١٢٧.

الأسس العامة للسياسة الاجتماعية

وتتمثل هذه الأسس بالعناصر التالية

أ- إقامة العدل
ب-الالتزام بالحقوق
ج- الحرية.

أ. إقامة العدل:

شدد الإمام علي على ان المفردة الأولى في السياسة الاجتماعية هي إقامة العدل وفي عهده للاشتر أوصاه بان يجعل احب الأمور إليه أوسطها في الحق واعمها في العدل ثم يقول الإمام وان افضل قرة عين الولاة في استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية[1]. ويلاحظ هنا وسطية في الفعل السياسي لا الأخلاقي فحسب .

وفي الوقت الذي يوصي فيه الإمام بالعدل حتى على أهل الذمة وإنصاف المظلوم نجد انه في عهده لمحمد بن أبي بكر يوصي بالغلظة على الفاجر والشدة على الظالم[2] وتصنف مقومات العدالة في النهج على أساس ان يخفض الوالي للرعية جناحه ويلين جانبه ويبسط لهم وجهه ويواسي بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيف الوالي لهم ولا ييأس الضعفاء من عدله عليهم، ثم يضيف الإمام رقابة على الحاكم لكي يطبق العدل بقوله فان الله تعالى سيسألكم معشر عباده عن الصغير من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستو[3].

ويمكن سوق السؤال التالي ما لذي يمنع الحاكم من إقامة العدل ؟ والجواب يرد في النهج في كتاب الى الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان ، وفيه ان الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن أمر الناس

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة ،٩٢/٣.
2 -الحراني،تحف العقول ،ص١٧٦.
3 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٧/٣.

عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور عوض عن العدل[1] فاختلاف الهوى والأمزجة إذن سبب في عدم إقامة العدل .

ب- الالتزام بالحقوق :

يقوم التصور الإسلامي للحكم على فرض الحقوق والواجبات وهي أيضا جزء من مفهوم العدالة الاجتماعية وفي النهج تنظير واضح لهذه المسالة ففي خطبة في معركة صفين قال الإمام ، قد جعل الله سبحانه لي عليكم حقا بولاية أمركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم فالحق أوسع الأشياء بالتواصف واضيقها في التناصف ، ويضيف الإمام بان الحق يجري لكل فرد ويجرى عليه ولم يستثن في هذه الحالة إلا الله سبحانه ، ثم يقول -ع- واعظم تلك الحقوق هو حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي وهي (فريضة الكل على الكل) كما يصفها وفائدة هذه الحقوق المتبادلة انها تكون نظاما لالفتهم وعز لدينهم ، فالرعية لا تصلح إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية[2] وينظر الى هذا الترابط المتبادل في الحقوق والواجبات على أنها دستور الثابت لمفهوم الحقوق بين الحاكم والرعية.

والنتائج التي تحصل من عملية تبادل الحقوق هذه في فكر الإمام هي : ١-ان الحق يعز بين الراعي والرعية، ٢ - من خلال ذلك تقوم مناهج الدين، ٣- تعتدل معالم العدل لان العمل بالسنن هو من يساعد على ذلك، ٤- يصلح زمان الدولة لتصمد و يطمح في بقائها ما دامت على هذا النحو من العمل ، ٥- يياس الأعداء ومطامعهم من إسقاط هكذا دولة[3].

وعلينا التساؤل هنا عن الفرق بين هذا الطرح المنطقي المدروس وبين ابن خلدون (الذي جاء فيما بعد) في تكوين الدولة واستمرارها ، فمن العجيب ان ابن خلدون يصف الملك والدولة بشكل عام إنما يحصلان بالقبلية والعصبية بسبب الممانعة والمغالبة وما فيها من النعرة والتذامر والاستماتة

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٦/٣.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٩٨/٢.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٩٩/٢.

[1] وكأننا أمام صراع مميت او شرح لنظام المملكة لا النظرية السياسية الإسلامية في الحكم وبالتأكيد ان ابن خلدون قد اطلع على خطب الإمام علي وآرائه فقد أشاد ببعض أعمال الإمام علي في كتابه العبر[2] كما انه تأثر بأفكار أستاذه الاربلي الشيءعي[3]. ولنعد إلى الجانب الثاني من الحقوق والواجبات فعند الإمام انه إذا غلبت الرعية واليها او أجحف الوالي بحق رعيته فستكون النتائج عكسية وهي:

١- اختلاف الكلمة، ٢- الادغال في الدين، ٣- ترك السنن الواضحة، ٤- العمل بالهوى، ٥- تعطيل الأحكام، ٦- كثرة علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ، ولا لعظيم باطل فعل ، ٧- تذل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله سبحانه على العباد[4].

ويلاحظ ان الإمام جعل حقوق العباد مقدمة لحقوق الله سبحانه فمن قام بحقوق عباد الله كان ذلك مؤديا الى القيام بحقوق الله .

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة أفكار خاطئة مضلة فاعتبروا الحاكم كالراعي وما الرعية إلا كالأغنام او ان الحاكم كالسيد والرعية كالعبيد ، وهي سياسة الحق للقوة ، ولكن الإمام في النهج يبين ان الحاكم ما هو في الواقع إلا حارس مؤتمن على حقوق الناس ومسؤول أمامهم[5] كما أوردنا في مقولات ان الحكام خزائن الرعية ووكلاء الأمة... الخ، ومن تلك الآراء ما قاله ابن خلدون ان الساسة يجب ان يستخدموا القهر وإلا لن تستقم سياستهم[6] وهو يخالف ما سوف نتطرق إليه من مفهوم الرحمة بالرعية عند الإمام علي .

---

١ -ابن خلدون ،العبر في ديوان المبتدا والخبر، ١٥٤/١.

٢ - لكل ذلك انظر ابن خلدون ،العبر في ديوان المبتدا والخبر،١/ ١٩٦و١/٢٧٥عن علم الحرب عند الامام علي و راجع ٤٠٣/١ حول الصناعة عند الامام .

٣ -د.علي الوردي،منطق بن خلدون،ط٢،دار كوفان،لندن،١٩٩٤م،١٢١.

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٩٩/٢.

٥ -لبيب بيضون،تصنيف نهج البلاغة،ص٥٩٠.

٦ -ابن خلدون ،العبر في ديوان المبتدا والخبر،١٥١/١.

ج-الحرية:

ومثالها قول الإمام في ندائه(أيها الناس ان آدم لم يكن عبدا ولا أمة وان الناس كلهم أحرارا)[1].

ولا تزال كلمة الحرية التي أوصى بها الإمام تمثل أحد أصول السياسة الاجتماعية العامة، وهي ان لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا[2].

---

[1] -الكليني ،الكافي،٦٩/٨.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٥١/٣.

الأسس الخاصة في السياسة الاجتماعية

وهي تتضمن النقاط التالية:

١- الرحمة للرعية بان يشعر الحاكم قلبه للرعية والمحبة لهم واللطف بهم وان لا يكون عليهم سبعا ضاريا[1]. فان رضا الشعب بهذا الصدد هو في نظر علي المقياس الوحيد صلاح النظام وصلاح الحاكم أما الضغط والقسر فهما من سقط التدبير[2].

وهذا يؤكد أهمية شعور الوالي أو المسؤول بالمحبة للرعية وهي أبعاد إنسانية ظهرت في نظرية (z) اليابانية المعتمدة على ثلاثة أبعاد هي المودة والثقة والمهارة كأساس للعمل[3] .

٢- مراعاة العامة ،فقد أوصى الإمام الاشتر بان يكون صغوه لهم وميله معهم وان يعدل معهم ، فسخط العامة يجحف برضا الخاصة ولكن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة[4].

٣- الاتصال المباشر مع الناس ،من دون احتجاب وان يفرغ جزءا من وقته للناس ويجلس لهم في مجلس ليستمع إليهم، وقد تحدثنا عن ذلك في مبحث الإدارة، وهذه الحالة أحد المبادئ الإدارية الحديثة التي ظهرت في اليابان وأطلق عليها الإدارة بالتجوال او الميدانية ، وتعد هذه النظرية من اكثر أنواع الفكر الإداري المعاصر استجابة لتطلعات العاملين[5] .

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٤/٣.

[2] -جورج جرداق،الامام علي صوت العدالة الإنسانية،اختصره وحققه حسن حميد السنيد،ط١،المجمع العالمي لاهل البيت ،قم،١٤٢٤هـ،ص١٨٢.

[3] -خضر كاظم جواد،السياسة الإدارية،ص١٦.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٦/٣.

[5] -خضر كاظم جواد،السياسة الإدارية،ص٨٧.

ما ينهى الإمام عنه في السياسة الاجتماعية

وتعرض هذه السياسة التقويمية إلى المبادئ التالية :

١- النهي عن التعصب القبلي والذي مرجعه عند الإمام الى اصلين الأول الجهل والثاني السفه[١].

٢- رفضه -ع- للقومية والعنصرية والطبقية .فقد أورد ابن أبى الحديد ان امرأتين إحداهما عربية والأخرى من الموالي سألتاه (الإمام) فدفع لهن طعاما ودراهم بالسواء ، فقالت إحداهما إني امرأة من العرب وهذه من العجم فقال -ع- إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفئ فضلا على بني إسحاق[٢] ويذكر الشيخ المفيد في الاختصاص ان الإمام ساوى بين أخته أم هاني ومولاتها العجمية في العطاء[٣].

٣- النهي عن الظلم ، لان إنصاف المظلوم من الظالم والأخذ للضعيف من القوي واقامة حدود الله هو مما يصلح عباد الله وبلاده[٤].

٤- رفض الإمام الفقر والطبقية.فقد صور هذه المشكلة بقوله ما جاع فقير ألا بما متع به غني[٥] . وعالج الإمام هذه المشكلة من خلال العدل الاجتماعي والسياسة المالية المنهجية والتوزيع السوي في العطاء وعدم تأخير توزيع الأموال ومحاسبة السارقين ، وأيضا بالتكافل الاجتماعي كما سوف يأتي في السياسة المالية. أما قول الامام ما رأيت نعمة موفورة ألا والى جانبها حق مضيع.فهو تأكيد من الامام علي على رفض مفهوم الطبقية في المجتمع[٦].

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٤٩/٢.

٢ -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،٢٠١/٢.وانظر صادق الشيرازي،السياسة من واقع الإسلام، ص٢١٨.

٣ -الشيخ المفيد ،الاختصاص ،١٥١.

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٢/٣.

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٨٧/٤.

٦ -جورج جرداق ،المصدر السابق،ص١٨٩.

أما عوامل التنمية للسياسة الاجتماعية فهي تكمن في تأسيس بيت القصص الذي ترمى فيه الظلامات حتى كتبوا شتم الإمام والقوه في البيت [1] أيضا دعوة الإمام الى الوحدة وعدم التفرقة لان يد الله مع الجماعة، وحث الامام على لزوم السواد الأعظم[2] ويضاف لذلك تأكيد الإمام على قيمة العمل ، فقيمة كل امرئ ما يحسنه[3].

---

1 -ابن أبى الحديد ،شرح نهج البلاغة،١٧/٨٧.
2 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/٨.
3 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/١٨.

السياسة الاقتصادية

ان الصلة بين السياسة الاجتماعية والاقتصادي تتبين من خلال تأكيد الإمام على مفهومين الأول هو الحث على العمل او بتعبيره-ع- ما غدوة أحدكم في سبيل الله بأعظم من غدوته يطلب لولده وعياله ما يصلحهم [1].فالكسل عنده يؤدي الى الفقر لهذا يقول (ع) ان الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتج بينهما الفقر [2]والتأكيد على العمل هنا جاء لانه بالفقر لايمكن بناء دولة او اقتصاد ،اما المحور الآخر عند الإمام فهو عمارة البلاد وهي أحد الأسس الأربعة التي كتبها للاشتر لاقامة الدولة.

ان في النهج حقيقة اقتصادية مهمة ،فبعدما أمر الإمام الاشتر بتفقد الخراج ، لان الناس كلهم عيال عليه ،وجهه بعد ذلك بقوله وليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج ،لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد ولم يستقم أمره إلا قليلا[3]وعرفت هذه القاعدة(عمارة الأرض)عند أصول علم المال في عصرنا بقاعدة ليس للخراج ان يعرقل الإنتاج او بقاعدة الأنفاق منوط بالمصلحة العامة ،ومفهوم طلب الخراج بغير عمارة متعلق بقاعدة مالية واقتصادية وادارية مهمة تنطبق عليها القاعدة المالية الحديثة القائلة ،بان الحكومة ليست تاجرا أي انها لا تشتغل بالمشروعات بقصد الكسب والربح بل لكي توطد المنفعة العامة[4].

ومن كل هذا فالإمام يدعو الى بناء البنى التحتية واستصلاح الأرض وعمارتها وهذا ما يحقق موارد الدولة ،وقد تنبه ابن خلدون لهذا فيما بعد فقال بان الرعايا إذا قعدوا عن تثمير أموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت [5] .

---

[1] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/١٥.
[2] -الكليني ،الكافي،٥/٨٦.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٦.
[4] -الفكيكي ،الراعي والرعية،ص١٨٠-١٨٢.
[5] -ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون ،١/١٨٢.

أهمية الزراعة والصناعة والتجارة

وصف الإمام أهمية الأرض ودورها في الغنى الاقتصادي بقولـــه ،مــن وجد ماء وترابا ثم افتقر فابعده الله[1].

وكان الإمام يكتب لامراء الأجناد مدافعا عــن حقــوق الفلاحــين قــائلا أنشدكم الله في فلاحي الأرض ان يظلموا قبلكم[2]وبالعودة الى ما تقدم فانــه تبرز أهمية الأرض كونها مصدرا للخراج ولهذا تكــون الزراعــة مهمــة ،واستجلاب الخراج لا يدرك إلا بالعمارة وغير ذلك يعنــي خــراب الــبلاد واهلاك العباد .

اما ما يتعلق بالتجارة والصناعة فالإمام يوصي بان لا يطلــب ســرعة العمل بل تجويده ،فان الناس لا يسألون في كم فرغ من العمل وانما يسألون عن جودة صنعه [3]وكان -ع- يرحب بالتنمية الصناعية فقد شاهد امــرأة تغزل فقال لها أما ان الله يحب الكسب [4].

وفي خطابه إلى الاشتر أوصاه بالتجار وذوي الصناعات خيرا ،المقــيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فهولاء مــواد المنــافع واســباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح(المكان البعيد)فــي بــرك وبحــرك وسهلك وجبلك[5].

وكان يحث على التجارة ويقول اتجروا بــارك الله لكــم ، وأورد عــن الرسول (ص)قوله الرزق عشرة أجزاء تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها [6]وقوله بان التجار سلم لا تخاف بائقته....الخ [7]فان هذه الكلمــة هي حكمة طبيعية تعني ان التجار الذين لا يطمعون الى السلطة ولا يريدون ان يتعكر الأمن هم عون للسلطة ما دامــت الــسلطة لا تمــد يــدها الــى

---

[1] -الحميري،قرب الإسناد،ص١١٥.

[2] -المجلسي ،بحار الأنوار ،٣٣/٩٧.

[3] -ابن أبي الحديد،شرح النهج،٢٠/٢٦٧.

[4] -الكليني ،الكافي،٥/٣١١.

[5] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣،٩٩.

[6] -الكليني ،الكافي،٥/٣١٩.

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٠٠.

أموالهم[1].وفي الوقت الذي اخذ الإمام بحماية التجار وذوي الصناعات فانه أمر الاشتر ان يضرب على يدي المستأثرين المحتكرين رحمة للفقراء [2].

ويمكن تدوين النقاط التالية المتعلقة بالسياسة التجارية للإمام علي :

١-ربط القانون الديني بالتجارة ،فمن اتجر بغير فقه ارتطم بالربا[3] وهـذا نجد في منهج لتطبيق الجانب الفقهي في الاقتصاد الإسلامي كتب الى عامله رفاعة بطرد أهل الذمة من الصرف[4].

٢-الربط الأخلاقي المتعلق بإلغاء النفعية ،فكل قرض جر منفعة فهو ربا[5].

٤- نهى الإمام عن الضريبة (الجمارك)لانه مخالف للاقتصاد الإسلامي المبني على الحرية[6].وتمثل ذلك في حديثه لأحد تلاميذه قائلا يا نوف إياك أن تكون عشارا[7].

٥- أشار إلى المشارطة في التجارة إلا شرطا في معصية[8].

٦- اقر وعمل بالقاعدة التي رواها عن الرسول (ص)بأنــه لا ضـرر ولا ضرار (في البيع)[9].

٧-جعل عملية التجارة شعبة من شعب الإنتاج بقوله للاشتر ثم استوص بالتجار.....فانهم مواد المنافع واسباب المرافق[10].

---

[1] -روكس بن زائد العزيزي ،أسد الإسلام وقديسه،ص١٧٩.

[2] -الفكيكي ،الراعي والرعية،ص٢٠٩.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٣/٤.

[4] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٣٨/٢.

[5] -المتقي الهندي ،كنز العمال ،٢٣٨/٣.

[6] -الشيرازي ،السياسة من واقع الإسلام،ص٣٤٦.

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢٤/٤.ويقول الشارح ان العشار هو من يتولى اخذ أعشار الأموال وهو المكاس.

[8] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٥٤/٢.

[9] -القبنجي ،مسند الإمام علي-ع-،٧/٦٠.

[10] - الشيخ محمد علي التسخيري،الدولة الإسلامية دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية ،سلسلة كتب التوحيد،ط١،منظمة الإعلام الإسلامي،١٤١٤هـ-١٩٩٤م،١٨٩.

٨- رفض ومنع الاحتكار ،وحد الاحتكار في أيام الخصب عنده أربعين يوما وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام ويقول -ع- ان من زاد على ذلك فصاحبه ملعون [1] وقد أمر بمعاقبة المحتكر [2] كما ان الإمام وضح ان الاحتكار الأساسي يكمن في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن [3] وهي المواد الضرورية للإنسان.

٩- حق الملكية ،فقد أشار -ع- لجباة الصدقات بان لا يأخذوا اكثر من حق الله في ماله [4]. وأيضا نبه عمال الخراج قائلا(ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد(من غير المسلمين) [5].وهذه الحقائق تدل على حق الملكية والرقابة على حق الملكية تأتي من اخذ الزكاة والخمس وضرائب الخراج وغيرها.

١٠-شن الإمام حملة على الفساد المالي فهو يقول ولكنني آس(من الأسي) أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا [6].

الجانب الرقابي في التنمية الاقتصادية

وتمثلت هذه الرقابة بمحورين الأول هي الرقابة الدينية الأخلاقي والثاني الرقابة العملية المباشرة ،والرقابة الأولى تكمن في ما رواه الإمام الباقر -ع- من ان الإمام علي كان يطوف في أسواق الكوفة فيقول قدموا الاستخارة وتبركوا بالسهولة واقتربوا من المبتاعين وتزينوا بالحلم وتناهوا عن اليمين وجانبوا الكذب وتجافوا عن الظلم وانصفوا المظلومين ولا تقربوا الربا وأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين [7] وهو منهج كاف بالنسبة الى المتعاملين بالتجارة .

---

١ - النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٣٦.
٢ - النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٣٦.
٣ -الكليني ،الكافي،٣/٥١٤.
٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٢٣.
٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٨١.
٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٢٠.
٧ -الكليني ،الكافي،٥/١٥١.

أما الرقابة العملية فهي رقابة أصحاب الغش بشكل مباشر فقد روى الإمام الحسين-ع- بان الإمام علي كان يركب بغلة الرسول(ص)الشهباء بالكوفة فيأتي سوقا سوقا فإذا وصل سوق القصابين أوصاهم بان لا يعجلوا الأنفس كي تزهق وان لا ينفخ في اللحم للبيع وإذا أتى سوق التمارين أمرهم ان يظهروا من ردئ بيعهم ما يظهرون من جيده ويأمر السماكين أن لا يبيعوا إلا طيبا وان لا يبيعوا ما طفا (الميتة)وهكذا بالنسبة للنحاسين والخبازين.....الخ[1].

ان رقابة الإمام المباشرة للسوق عرفت في مشيه بالأسواق وبيده الدرة يضرب فيها من وجد من المطففين او الغاش في تجارة المسلمين ،وعندما سأله الاصبغ بن نباته ان يكفيه هذه المهمة وان يجلس الإمام في البيت قال للاصبغ ما نصحتني يا اصبغ [2].

وهذا يدل على أهمية الرقابة المباشرة أما الأماكن البعيدة في الأقطار فقد كان-ع- يرسل إليها العيون .

---

[1] -النعمان المغربي ،دعائم الإسلام،٢/٥٣٨.
[2] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٥٣٨.

السياسة المالية

تقسم الأموال في نهج البلاغة كما في القران الكريم الى أربعة أقسام ، أولا أموال المسلمين والتي تقسم بين الورثة في الفرائض وثانيا الفيء ويقسم على مستحقيها ،ثالثا الخمس وقد وضعه الله حيث وضعه ،والصدقات وجعلها الله حيث جعلها[1]ويتبين أن الحاكم أو الإمام إنما هو سلطة تنفيذية لان اصل التشريع منزل من السماء .أما منابع بيت المال فهي:

أ- الخراج ،وهو أول الأسس التي كلف بها الإمام واليه الاشتر بتنفيذها في الدولة والزمه كما ورد بتفقد أمر الخراج لانه بصلاحه يكون صلاح الناس وصلاحا لغيرهم والناس عيال على الخراج واهله.

ويسمى الخراج بلغة العصر الحديث أملاك الدولة العامة وهي في الشرع الإسلامي الأراضي الخراجية والأنفال[2]وهي الضريبة التي يفرضها الإسلام على الفلاح في زراعة الأرض ،ولعل ابرز طرق إصلاح الخراج عند الإمام هي الاهتمام بعمارة الأرض قبل استجلاب الخراج ،لان الأخير بمنظور الإمام علي لا يدرك إلا بالعمارة وطلب الخراج بغير عمارة الأرض خراب للبلاد وهلاك للعباد ونهاية للحكم السياسي[3]،ويوصي الإمام أيضا بعدم أثقال الدولة من وطأة الخراج على أصحاب الأرض وتخفيف ذلك عند الطوارئ ،وبتعبير الإمام بعهده للاشتر ،فان شكوا (أصحاب الأرض)ثقلا ،علة،انقطاع الماء ،غرق وجفاف الأرض ،خففت عنهم بما ترجو ان يصلح أمرهم ،أي ان الإمام اعتمد إسقاط ضريبة الأرض عند الجدب والغرق وغيره ،ثم يضيف –ع- بان تخفيف المؤونة عنهم ذخر يعود عليك في عمارة بلدك وتزيين ولايتك مع اخذ الوالي حسن ثنائهم وفخر الوالي هنا بأنه حقق العدل لهم[4]وينظر الإمام الى مسالة ضعف الخراج بان مرده الى خراب الأرض والذي يأتي من اعوزاز أهلها وسبب ذلك جشع الولاة في

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/٥.
[2] -محمد مهدي شمس الدين،النظام الإداري في الحكومة الإسلامية ،ص٣٦٢.
[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٦.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٧.

الجمع والنهب وكل ذلك يرجع الى سوء ظن الولاة بالبقاء في مناصبهم وقلة انتفاعهم بالعبر في التاريخ كما يعبر الامام[1].
إن الإمام بحث أيضا على اتباع القواعد الإسلامية في استجلاب الخراج ،فقد نهى عن ضرب المسلم أو اليهودي او النصراني في درهم خراج[2].

ب- الزكاةوهي فريضة واجبة وعامل مهم للأموال ،ويقول الإمام الباقر -ع-وجدنا في كتب علي انه (إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها)[3]بل ان الإمام علي يقول (انه ما هلك مال في بر او بحر إلا بمنع الزكاة ،ثم يضيف فحصنوا أموالكم بالزكاة)[4]ومن آداب اخذ الزكاة أوصى الإمام بان لا يروع المسلم ولا يقدم إلى الزكاة كارها ،وان لا يؤخذ منه اكثر من حق الله في ماله ،وان يقوم عمال الزكاة الى الناس بالسكينة والوقار ويسلموا عليهم ثم يطالبهم بحق الله في أموالهم فان قالوا لا فلا يراجعون ،فإذا وافق يذهب معه جامع الزكاة من دون ان يخيفه أو يوعده او يعسفه او يرهقه ،ويأخذ ما يعطيه من ذهب او فضة ...الخ[5].

مصروفات بيت المال

تصرف الأموال المستحصلة من الخراج في المجالات التالية:
١-الولاة،بإسباغ الأرزاق عليهم لان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمر الحاكم الأعلى او ثلموا أمانته[6].
٢- القضاة،ان الإمام يوصي ان يفسح لهم في البذل(المال)ما يزيل علتهم ،وتقل معه الحاجة الى الناس[7]وهذه القاعدة التي وضعها الإمام قبل

---

١ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة٣/٩٧.
٢ -الكليني ،الكافي،٣/٥٣٠.
٣ -الكليني ،الكافي،٢/٣٧٤.وقد اورد الامام الحديث عن الرسول(ص).
٤ -النوري الطبرسي،مستدرك الوسائل،٧/٢٢.
٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٢٣.وفي الخطبة شرح واف لهذه الآداب.
٦ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٥.
٧ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٥.

أربعة عشرة قرنا بشان لزوم حاجة الحاكم وتحسين وضعه المالي فقد أيدتها القواعد والنظريات الحديثة في أرقى أمم الأرض[1].

٣- الجنود.فلا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد العدو[2]وقد بين الإمام ان الإنفاق على الجنود يأتي للاطمئنان من ناحية المعيشة واطمئنان أهليهم والنتيجة الحاصلة ان همهم سيكون واحدا في جهاد العدو[3].

٤- الإنفاق على الطبقة السفلى ،وهم المساكين والمحتاجين ،اليتامى،المرضى من أهل البؤس ،أصحاب الأمراض المزمنة والمصابون بعاهات دائمية،المتعففين من القانع والمعتر،كبار السن،وقد أوصى الإمام الاشتر ان يجعل للطبقة السفلى قسما من بيت المال وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد ...فهؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم[4].

ويمكن فهم لفظة اليتامى على انها اليوم دور الأيتام وهذا بالنسبة الى كبار السن المتمثلين اليوم بدور العجزة وكل المؤسسات في العصر الحديث ،فان هؤلاء طبقة من المجتمع وحرمان طائفة منهم من العناية سوف يهز استقرار المجتمع ويؤثر في العلاقات الاجتماعية بشكل عام ،والتخفيف عنهم أمر يتحمله المجتمع والحاكم[5].

أما الأسس التي يقوم عليها الصرف من بيت المال فهي تشمل :

١-اعتماد مبدا التسوية في العطاء وتوزيع أموال العامة من دون تمييز بين العرب وغيرهم[6]والإمام يتبع التسوية في العطاء حتى مع قطع يد السارق وجلد الزاني غير المحصن فهولاء لهم عطائهم[7].

---

[1] -الفكيكي ،الراعي والرعية،ص٢٠.

[2] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٠/٣.

[3] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٠/٣.

[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠١،٣.

[5] -نوري الساعدي،دراسات في نهج البلاغة،ص٩٤.

[6] -الشيءخ المفيد ،الاختصاص ،ص١٥٢ .

[7] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٧/٢.

٢- عدم التأخير في توزيع الأموال ،فيروى ان الإمام أوتى بمال فقيل لـه أخره ، فقال أتقبلون أن أعيش إلى غد قالوا ماذا نفعل قال-ع- لا تؤخروه حتى تقسموه[١].

٣-عدم الجودة بأموال العامة،فقد قال لاحدهم هذا المال ليس لـي ولا لـك وانما هو فئ المسلمين وجلب اسيافهم[٢].

٤-الحاكم وصي على بيت المال وليس مالكا فلا يتصرف إلا وفق الأسس الشرعية[٣].

٥- الضمان الاجتماعي ،ويرتكز على مبدأين أولهما التكافل الاجتماعي والثاني حق الجماعة في موارد الدولة ،والكفالة هي كفالة الأغنياء للفقراء في حدود إمكانياتهم وهو فرض إسلامي ومنه كفالة العاجز[٤].

٦- ويرسم الإمام علي الضمان الاجتماعي بشكل واضح كما ورد في معاملته للطبقة السفلى وهو تعهد ليس فقط شرعي بل وانساني ويدخل في باب الرحمة التي يوصي بها الولاة والحكام منبها الى ان الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع غني إلا بما متع به غني والله سائلهم عن ذلك[٥].

إن هذه المساحة من التناقض الاجتماعي حاربها الإمام علي بشكل مباشر وانساني ،فقد مر -ع- على نصراني مكفوف فقال ،استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه ،أنفقوا عليه من بيت المال [٦]واستخدم الإمام صيغة أخرى من التكافل الاجتماعي عن طريق التنبيه بأقواله والتي منها اختبروا

---

١ -ابن شهر اشوب ،مناقب آل ابي طالب ،١٠/ ٣٤.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/ ٢٢.

٣ -لبيب بيضون،المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ،ص٢٧٧.وفيه حديث مطول عن توبيخ العمال .

٤ -نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية ،مجموعة مؤلفين،ص٣٥٩.

٥ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤/ ٧٨.

٦ -الطوسي ،تهذيب الأحكام ،٦/ ٢٩٣.

شيعتي بخصلتين المحافظة على أوقــات الــصلاة والمواســاة لإخــوانهم بالمال[1].

[1] -كاشف الغطاء ،مستدرك نهج البلاغة،ص١٦٣.

السياسة القضائية

كان الرسول (ص)هو رئيس ما يمكن ان نسميه بالسلطة القضائية فهو المرجع الرسمي لكل الخلافات بين المسلمين وكان (ص)إما أن يحكم بالقضايا المعروضة بنفسه او يعين قاضيا للحكم فيها[1].

وقد فصل الإسلام السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية من حيث التدخل في سير القضاء المعتمد بشكل أساسي على القواعد الإسلامية المتمثلة بالقران والسنة ،والسلطة التنفيذية لا تستطيع إجبار القاضي على حكم معين مما يوفر للقاضي حق النظر في القضايا المطروحة بحرية [2]وقد اتبع الإمام علي سياسة قضائية أهلته ليكون اقضى الأمة كما ورد عن النبي (ص)،وكان الإمام علي أول من سجل شهادات الشهود و أول من فرق بين الشهود[3].

شروط اختيار القضاة

اشترط الإمام علي الفقه كأساس لمنصب القضاء وهذا لا يشمل القاضي فقط بل وأعوانه أيضا من أهل الورع والنصيحة، ولا يخفى ما لجعل المساعدين للقاضي من نظرائه من فائدة من خلال مناظرتهم فيما اشتبه عليه او ان يلطف عليهم لعلم ما غاب عنه ،ويكونوا شهداء على قضائه بين الناس[4].

والشرط الآخر للقاضي هو العدالة ،التي فصلها الإمام علي في عهده للاشتر ، فيجب ان يختار الحاكم للحكم من بين افضل رعيته في نفسه ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الحق إذا عرفه ،ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم

---

1 -احمد يعقوب حسين ،النظام السياسي في الإسلام ،ص٩١.
2 -نوري الساعدي ،دراسات،ص٧٣.
3 -راجع المبحث الأول عن حياة الامام علي .
4 -الحراني ،تحف العقول ،ص١٣٦.

دون أقصاه ،واوقفهم بالشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرمـا بمراجعـة الخصم واصبرهم على تكشف الأمور واصرفهم عند اتضاح الحكم[١].

والنص يشترط على القاضي التشخيص للحـق وعـدم الغـضب عنـد المجادلة وبالتالي رفع الصوت ،وان يتراجع عند الإحساس بالخطـا وان لا يندفع بالباطل ،كما يشترط عدم الطمع بالمال فيؤثر ذلك علـى الحكـم وان يدرس القضية بتمعن وان يأخذ بالحجج والـشهود والقـسم واليمـين وان يصبر حتى يتمكن من الحكم الحسن ثم أخيرا ينفذ حكم الله ولا يؤخره .

آداب القضاء

كان من آداب القضاء عند الإمام علي ان يواسـي القاضـي بوجهـه ومنطقه ومجلسه المسلمين حتى لا يطمع قريبه في حيفه ولا ييأس عـدوه من عدله [٢]كما نهى الإمام عن التضجر في مجلس القضاء ،وعدم جلـوس القاضي وهو جائع[٣]ونهى الإمام شريح القاضي من القضاء في بيته وقـال له اجلس في المسجد فانه اعدل بين الناس[٤].

وعلى القاضي ان يخالف الهوى ويذر المطامع وإيـاه والملالـة[٥]وان يترك قول أظن واحسب وارى فانه ليس في الدين إشـكال[٦]،ان لا يتعـود القاضي الضحك في دار القضاء كما بين الإمام يـذهب بالبهـاء ويجـري الخصم على الاعتداء ويضاف لذلك ان الإمام نهى القضاة عن اخذ الهديـة من الخصوم[٧].

وهناك ملاحظة أخيرة في هـذا المجـال تتعلـق بالتـامين الـوظيفي والمعاشي للقضاة حتى لا يمد يده للرشوة وبالتالي خراب النظام القـضائي

---

[١] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩٤.
[٢] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٢٧.
[٣] -الكليني ،الكافي،٧/٤١٣.
[٤] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام ،٢/٥٣٤.
[٥] - النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٥٣٤.
[٦] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٥٣٤.
[٧] - النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٢/٥٣٤.

وفساده ،ويوصي الإمام مالك الاشتر على هذا النحو قائلا اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك ثم اكثر تعاهد قضائه ،وافسح له في البذل (المال)مما يزيل علته وتقل معه الحاجة الى الناس[1].

فالقاضي مهما كان من سمو الخلق وعلو النفس وطهارة الضمير فهو إنسان يجوز عليه الطمع في المال والرفاهية ولذا قد ينحرف في ساعة ضعف ، فيقبل بالرشوة وهذا تصرف خاطئ ،لذا فالإمام علي يضع ضمانات رقابية بان يحاكمه الحاكم إذا اخطا وهو ما قصد بقوله واكثر تعاهد قضائه وثانيا إعطائه المزيد من المال لينقطع الطمع عنده او الحاجة فيجلس للقضاء وليس في ذهنه شي من أحلام الثروة[2]والضمان الآخر يكمن في تقريب القاضي والحفاظ على ماله وكرامته ،وان لا يعتدي عليه أحد نفذ فيه الحكم او من خلال قوة من الأغنياء ،وكذلك يجب ان يأمن القاضي دس الرجال عند الحاكم ،ويجب ان يكتسب منزلة جليلة ورهبة في قلوب الأشرار،وهذا يدل على استقلال القضاء وتامين اقتصاده ونظام التفتيش القضائي فيه ،وكل ذلك يمكن تسميته التامين الوظيفي للقضاة ،وهو ما ذكره الإمام في عهده للاشتر ،فالإمام هنا يعتبر أول من اخترع نظام التفتيش هذا والذي يعمل به اليوم في الدول المعاصرة [3].

السياسة الحربية

ان أهمية الجيش وفق منظار الإمام علي يكمن في تصنيفه لهذه الطبقة كأول طبقة من طبقات المجتمع فالجنود هم حصون الرعية و زين للولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية إلا بهم[4].

ويدل هذا الكلام ان الرعية لا تقوم إلا بوجود منفذ القانون وحامي الدولة وهو الجيش ، ولا ادري ما هو اختلاف هذا القول عن فكرة أفلاطون التي تؤكد على دور الجندي في الدول.

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٥/٣.
[2] -شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ص٩٥.
[3] -شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ص٧١.
[4] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٩٠/٣.

أما مواصفات الجندي فهي تمثل ١- الإيمان بما يقاتل من اجله وبحسب تعبير الإمام ،لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة مستبصر في دين او غيران على حرمة او ممتعض من ذل [١].

والصفة الأخرى هي ٢- الشجاعة فقد أعطى الإمام الراية لابنه محمد ابن الحنفية يوم الجمل وأوصاه قائلا ،تزول الجبال ولا تزل ،عض على ناجذك ،اعر جمجمتك، تد في الأرض قدمك ،ارم ببصرك أقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله [٢].

وهذه الكلمات لا تحمل مقاييس للشجاعة فحسب بل تعتبر نداءا تحريضيا ونوع من التعبئة للجندي وأيضا قراءة في علم نفس الحرب فالعض على النواجذ يشد أعصاب الدماغ ويحرك الدم الغاضب وغرز القدم بالأرض هو نوع من الثبات والنظر لاقصى القوم يسهل على النفس احتواء الجموع وتهوينهم كما يحمل النص مفهوم اليقين ان النصر من عند الله وهذا ما يجب ان يتمتع به الجندي .

٣- الاستعداد وبحسب إشارة الإمام فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها [٣].

٤- الطاعة ،فلا يمكن انتصار الجيش من دون طاعة الأوامر ،فعندما أمر الإمام الاشتر في أحد الحروب بعث الى القادة والجنود فقال (وقد أمرت عليكم أيها القادة وعلى من في حيزكم (من الجنود)مالك بن الحارث فاسمعوا له وأطيعوا واجعلوه درعا) [٤].

---

١ -ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٢٨٨.

٢ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٣.

٣ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ١/ ٦٧.

٤ -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٤.

أما مواصفات القائد فهي الحزم[1] ثم النصح لله وللرسول(ص)وللإمام ، ويجب ان يكون نقي الجيب والأفضل في الحلم ،ومن يبطئ عند الغضب ،ويراف بالضعفاء ، ويشد على الأقوياء ،وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف[2] وكل هذا يصنع الهيبة للقائد وبالتالي فان أوامره سوف تكون بفعل هذه الهيبة مطاعة ،ولهذا فان إطاعة الأوامر العليا للقيادة أحد خصائص القادة وعدم ذلك يعني حدوث خللا .

الجيش

قسم الإمام علي الجيش عند الزحف للقتال الى ميمنة وميسرة وقلبا يكون هو فيه ،ثم يجعل لها روابط ويقدم عليها مقدمين ويبدا بعد ذلك بالتعبئة ، عندها يأمر جيشه بخفض الأصوات والدعاء واجتماع القلوب وشهر السيوف وإظهار العدة ولزوم كل قوم مكانهم ثم رجوع كل من هاجم الى صفه بعد الهجوم[3] ومن أسس التنظيم أيضا عند الزحف للعدو هو تعبئة الكتائب وتفرقة القبائل(بناء على قوة القبيلة او ضعفها) ثم يقدم الإمام على كل قوم رجلا (قائد) و يصف الصفوف ويكردس الكراديس ثم يزحف للقتال [4] و كما يرد عنه -ع- قائلا (قدموا الرجالة والرماة فليرشقوا بالنبل وليتناوش الجنبان ،واجعلوا الخيل الروابط والمنتجبة(المختارة)رداء للواء والمقدمة ولا تنشزوا (تتخلوا)عن مراكزكم لفارس شذ من العدو[5].ومن النقاط المهمة التي أشار إليها الإمام علي في السياسة الحربية هي ما يلي:

تنظيم الجيش:

يوصي الإمام الجيش في معسكره من انه إذا نزل بعدو او نزل العدو فيه فيجب ان يكون معسكره من قبل الإشراف أي انه يملك زمام المبادرة ،او في سفوح الجبال او الأنهار كي يكون درعا او حجابا ،ثم يوصي أن تكون المقاتلة من وجه واحد أو اثنين ،كما ان الإمام لا يغفل عن دور

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/١٤.
2 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٩١.
3 -النعمان المغربي، دعائم الإسلام،١/٣٧٢.
4 - النعمان المغربي،دعائم الإسلام،١/٣٧٢.
5 -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،١/٣٧٢.

الاستطلاع او الاستخبار بقوله واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب الى ان يقول واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم ،ويوصي بعدم التفرق وان ينزل الجيش بأجمعه او إذا ارتحل فسيرتحل بأجمعه ،ويؤكد الإمام على عدم الاستسلام للنوم فلا يذوق الجيش النوم إلا قليلا [1].

الدفاع والهجوم

ويوضح الإمام ذلك من انه إذا زحف العدو إليكم فصفوا على أبواب الخنادق فليس هناك إلا السيوف ولزوم الأرض بعد التحام الصفوف ولا تنظروا في وجوههم (الأعداء)ولا يهولنكم عددهم وانظروا الى أوطانكم من الأرض فان حملوا عليكم فاجثوا على الركب واستتروا بالاترسة صفا محكما لاخلل فيه وان أدبروا فاحملوا عليهم بالسيوف وان ثبتوا فاثبتوا على التعابي (التعبئة)وان انهزموا فاركبوا الخيل واطلبوا القوم[2].

ويصف الإمام الجيش في حال التراجع قائلا ،واجمعوا الألوية واعتقدوا(تماسكوا)وليسرع المخفون في رد من انهزم من الجماعة الى المعسكر ولينفر من فيها إليكم فإذا اجتمعت أطرافكم واتت إمدادكم وانصرف فلكم فالحقوا الناس بقوادهم ، واحكموا تعابيهم(التعبئة) ،وقاتلوا واستعينوا بالله واصبروا [3] و كان يوصي بان لا يميلوا براياتهم و لا يزيلوها و لا يجعلوها إلا مع شجعانهم[4].وهذه من أهم الستراتيجيات الحربية .

---

[1] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٣/٣.

[2] -النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٣٧٣/١.

[3] - النعمان المغربي،دعائم الإسلام،٣٧٤/١.

[4] -الكليني الكافي ،٣٩/٥.

خاتمة السياسة عند الإمام

عوامل زوال الدول وبقائها(فلسفة التاريخ)

يرتبط مفهوم زوال الدول وبقائها بنظرة واقعية متعلقة عند الإمام علي بحكمة التاريخ وكل هذا يرتبط بسياسات الدول ولذا يمكن التطرق قبل كل شي الى مفهوم التاريخ في فكر الإمام والذي يشير عنده إلى ان التاريخ يعيد نفسه كما يمكن ان يلاحظ في قول الإمام مخاطبا المسلمين في مشاكل ما بعد وفاة النبي(ص)(ألا إن بليتكم عادت كهيئتها)[١].

وهو ما يعني وحدة الفعل الإنساني السئ وبالتالي فان هذا ما يترجم في كل العصور يساعد هذا القول تحذير الامام بالاعتبار بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل ثم يضيف -ع- فما اشد اعتدال الأحوال وقرب اشتباه الأمثال [٢]ويحذر مما نزل بالأمم الماضية من المثلات بسوء الأفعال وذميم الأعمال [٣]فكل هذا يشير الى دور السلوك السئ ويأتي اهتمام الإمام علي بالتاريخ من خلال الكلمات الواضحة التي تشير الى العبر والاعتبار بما أصاب الأمم المتكبرة السابقة ذات البأس والصولات [٤]ولكننا لا نجد اليوم لهذه الأمم وجودا .

وهذه المعرفة بالتاريخ يلخصها-ع- بقوله لابنه الحسن-ع- يابني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمارهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأولهم بل كأني بما انتهى الي أمر من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى اخرهم[٥].

---

[١] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤٧/١ .
[٢] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٥٣/٢ .
[٣] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٥٠/٢ .
[٤] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٤٢/٢ .
[٥] -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٤١/٣ .

والسبب الذي يؤدي الى كسر فقرة الإمام هو تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس وتخاذل الأيدي[1].فالله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين أيديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2].

ومن أهم استدلالات الإمام بزوال الدول بالإضافة الى اصطناع السفل[3]انه يستدل على ادبار الدول بأربع أمور الأول هو تضييع الأصول والثاني هو التمسك بالفروع وتقديم الأراذل وتأخير الأفضل[4].وان تولي الأراذل والأحداث الدول دليل على انحلالها وادبارها[5].

وكل هذه التحليلات تشير إلى قلب في المفاهيم ففي عامل سقوط الدولة الأول نجد تضييعا وقلبا للأصول أيا كانت الدينية او الفكرية او العقائدية وهذا ما يقودنا الى التمسك بالفروع الجزئية لذلك التأسيس وهاتان الثنائيتان ليستا متضادتين ولكن يجب ان يتم اختيار التمسك بالأصول مع المحافظة على الفروع اما الثنائية الثانية وهي تقديم الأراذل وتأخير الأفاضل فتعني انقلابا أخلاقيا وعدم وضع الأشياء في مواضعها مما يولد سقوط الدول بل والحضارات وهذه الكلمة تختصر حقا قضية سقوط الدول والحضارات .كما هو معروف في التاريخ والتي تزول بسبب ضعف العامل الأخلاقي عدم تمسك الدول بالأصول التي نشاة عليها ومنها الدين والأخلاق.

والظلم أيضا هو أحد مظاهر هدم الدول ففي رسالة لواليه على فارس،نبه الإمام علي الى استخدام العدل والحذر من العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/١٥١.
2 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،٢/١٥٦.
3 -واسطي،عيون الحكم،ص٢٧٥.
4 -الخوانساري ، شرح غرر الحكم،٧/١١٨.
5 - الخوانساري ، شرح غرر الحكم،٧/٤٢٠.

السيف [1] والمقصود هنا الثورة ،ويصرح الإمام بشكل واقعي ان ثبات الدول يكون بإقامة سنن العدل[2].

ولعل العدل هو أهم ما يوجب بقاء الدول فالدول لن تحصن بمثل استعمال العدل فيها[3]وفي العدل طاعة الله وثبات الدول[4].

ان أهم كلمة شاملة لهذا المفهوم هو قول الإمام (العالم حديقة سياجها الشريعة والشريعة سلطان يوجب الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق يجمعه الرعية والرعية سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس به قوام العالم)[5]وقد جعل الإمام العدل مفصلا يحرك الأشياء ،ومن الأمور التي توجب بقاء الدول هو حسن التدبير فعلى حد تعبير الإمام انه بحسن السياسة تكون إدامة الرئاسة .

وهذا ما يخص بقاء الدولة اما زوالها فهو على الضد من المعالجة الأولى ومن ذلك الظلم ،والإمام يوضح ان شر الأمراء من ظلم رعيته [6]كما ان الظلم مصدرا لتدمير الديار[7]ومن يعامل رعيته بالظلم يزيل الله ملكه ويعجل بواره وهلكه[8]ومما يوجب زوال الدول هو سفك الدماء بغير حق ففي خطابه لاحد ولاته أوصاه بالقول إياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس أدنى لنقمة ... ولا أحرى بزوال نقمة من سفك الدماء بغير حله فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله [9]وسوء التدبير من عوامل إزالة الدول أيضا وهو يتمثل بقول الإمام -ع-

---

1 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٩/٤.
2 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٢١٧ ،وانظر ص٥٨وص٥وص ٢٢٣.
3 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٤٠٨ وص٤٧٦.
4 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٥٥.
5 -المجلسي،بحار الأنوار ٨٣/٧٥.
6 -الخوانساري ، شرح غرر الحكم،٤٢٠/٧.
7 -الواسطي ،عيون الحكم،ص٣٠ وص٤٣.
8 -الخوانساري ، شرح غرر الحكم،٣٥٨/٥.
9 -محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،١٠٧/٣.

يستدل على زوال الدول بأربع هي سوء التدبير وقبح التدبير وقلة الاعتبار وكثرة الاغترار[1] معتبرا ان سوء التدبير سبب التدمير .

[1] -الواسطي ،عيون الحكم،ص٥٥٠-٥٥٢.

المصادر:

العصفري(خليفة بن خياط/ت ٢٤٠ هـ) تاريخ خليفة، تحقيق سهيل زكار،ط١،دار الفكر ، بيروت، ١٤١٤هـ.
١. الشيخ الكليني(محمد بن يعقوب/ت٣٢٩هـ)أصول الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري،ط٣،٨ مجلدات،طهران،١٣٨٨هـ .
٢. البلاذري(احمد بن يحيى/ت٢٧٩هـ) ،انساب الأشراف ،تحقيق محمد باقر المحمودي،ط١،الأعلمي،بيروت، ١٣٩٤ هـ .
٣. د.علي إبراهيم حسن ،التاريخ الإسلامي العام،ط٣،القاهرة،١٩٦٣
٤. الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين/ت ٣٥٦هـ)مقاتل الطالبين،تحقيق كاظم المظفر،ط٢،المكتبة الحيدرية ،النجف.
٥. الطوسي(محمد بن الحسن/ت ٤٦٠هـ)امالي الطوسي،ط١،دار الثقافة،قم،١٤١٤هـ.
٦. الخصيبي(الحسين بن حمدان/ت٣٣٤هـ)الهداية الكبرى،ط٤،مؤسسة البلاغ،لبنان،١٤١١هـ-١٩٩١م .
٧. ابن هشام المطلبي(محمد بن إسحاق/ت١٥١ هـ)السيرة النبوية(سيرة ابن هشام)تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،٤ مجلدات،القاهرة،١٣٨٣هـ .
٨. الشيخ جعفر الحائري،نهج البلاغة الثاني،ط١،مؤسسة دار الهجرة،مجهول الطبع،١٤١٠هـ.
٩. تاريخ أهل البيت،تأليف كبار المحدثين والمورخين،تحقيق محمد رضا الحسيني، ط١،قم ،١٤١٠هـ.
١٠. صبحي الصالح ،شرح نهج البلاغة، مؤسسة دار الهجرة،قم ، بلا تاريخ.
١١. النسائي(احمد بن شعيب/ ت٣٠٣ هـ)خصائص أمير المؤمنين،تحقيق محمد هادي الأميني، طهران .
١٢. النسائي،فضائل الصحابة،دار الكتب العلمية،بيروت.
١٣. الذهبي (شمس الدين محمد بن احمد/ت٧٤٨هـ)ميزان الاعتدال، ٤ مجلدات،تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت،١٣٨٢هـ
١٤. العسقلاني(احمد بن حجر/ت٨٥٢ هـ)لسان الميزان،ط٢، ٧مجلدات ،مؤسسة الاعلمي ،بيروت، ١٣٩٠هـ-١٩٧١ م .

١٥. الحاكم الحسكاني(عبد الله بن احمد/القرن الخامس)شواهد التنزيل،تحقيق محمد باقر المحمودي،ط١ ،٢ مجلد ،طهران ،١٤١٨هـ.
١٦. البستي(محمد بن حبان/ت ٣٥٤هـ)مشاهير علماء الأمصار،ط١،دار الوفاء،مصر،١٤١١هـ.
١٧. محب الدين الخطيب(احمد بن عبد الله/ت٦٩٤ هـ)ذخائر العقبى،القاهرة،١٣٥٦هـ-١٩٣٧م هـ.
١٨. ابن شهر آشوب(محمد بن علي /ت٥٨٨ هـ)مناقب آل أبي طالب،٣مجلدات،المطبعة الحيدرية،النجف ،١٣٧٦هـ-١٩٥٦م،
١٩. ابن سعد(محمد بن سعد/ت٢٣٠هـ)الطبقات الكبرى،٨ مجلدات،دار صادر ،بيروت.
٢٠. القندوزي الحنفي(سليمان ابن إبراهيم/ت١٢٩٤هـ)ينابيع المودة،٣اجزاء،دار الأسوة،قم،١٤١٦هـ.
٢١. الكنجي الشافعي(محمد بن يوسف/ت٦٥٨هـ)كفاية الطالب،إحياء تراث أهل البيت،طهران ،١٤٠٤هـ.
٢٢. صالح الورداني ،السيف والسياسة في الإسلام،ط١ ،القاهرة،١٤١٥هـ.
٢٣. السيد الصدر(محمد باقر)بحث حول الولاية،ط١،دار التعريف،بيروت،١٣٩٢هـ.
٢٤. الطبري (محمد ابن جرير/ت٣١٠ هـ)تاريخ الأمم والملوك،٨ مجلدات،الاعلمي ،بيروت.
٢٥. ابن عساكر(علي بن الحسن/ ت٥٧١ هـ) ،تاريخ مدينة دمشق،تحقيق علي شيري،٧٠ جزء،دار الفكر، بيروت ،١٤١٥ هـ.
٢٦. الطبرسي(الفضل بن الحسن/ت٥٤٨هـ) تاج المواليد في مواليد الأئمة ووفياتهم ،مكتبة المرعشي النجفي، قم،١٤٠٦.
٢٧. أعلام الورى بأعلام الهدى،٢ مجلد،ط١ ،مؤسسة آل البيت،قم ،١٤١٧هـ.
٢٨. الطبري(محمد بن جرير بن رستم/ ق٣هـ)،نوادر المعجزات، ط١ ،مؤسسة الإمام المهدي ،قم،١٤١٠هـ.
٢٩. النيسابوري(مسلم بن الحجاج/ت٢٦١هـ)،صحيح مسلم، ٨ مجلدات،دار الفكر ،بيروت،

٣٠. البغدادي(احمد بن علي الخطيب/ت٤٦٣ هـ)تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط١٤،١ مجلد،دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ .
٣١. الطبراني (سليمان بن احمد/ت٣٠٦هـ)المعجم الكبير،تحقيق حمدي عبد المجيد،٢٥ مجلد، ط٢ ،دار إحياء التراث العربي،القاهرة .
٣٢. محمد عبده ،شرح نهج البلاغة،دار المعرفة،٤ أجزاء،بيروت .
٣٣. المفيد(محمد بن النعمان/ت٤١٣ هـ)الإرشاد، ٢مجلد، تحقيق مؤسسة آل البيت،دار المفيد، بيروت .
٣٤. 38-العلامة الحلي(الحسن بن يوسف بن المطهر/ت ٧٢٦هـ)،كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين،تحقيق حسن الدركاني، طهران،١٤١١هـ١٩٩١م.
٣٥. ابن أبي الحديد(عز الدين ابو حامد/ ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة،٢٠ مجلد،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،مصر،١٩٥٩هـ
٣٦. الثقفي(إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي/ت٢٨٣هـ)،الغارات،تحقيق جلال الدين المحدث،ط٢، مجلدان، قم .
٣٧. الدكتور كامل مصطفى الشيءبي،الصلة بين التصوف والتشيع،جزءان،ط٣ ،دار الأندلس،بيروت،١٩٨٢م،
٣٨. الواحدي النيسابوري(علي بن احمد/ت٤٦٨هـ)أسباب نزول الأيات،مؤسسة الحلبي،القاهرة،١٣٨٨هـ١٩٦٨م .
٣٩. ابن قتيبة(عبد الله بن مسلم النيسابوري/ت٢٢٦هـ)،الإمامة والسياسة،٤ مجلدات، تحقيق علي شيري،ط١ ،قم،١٤١٣-١٩٩٣م هـ.
٤٠. ا المتقي الهندي (علي بن حسام/ت٩٧٥هـ)،كنز العمال،تحقيق بكر حياني وصفوة السقا،١٦مجلد،بيروت،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م،
٤١. -القزويني(محمد بن يزيد/ت٢٧٥هـ)سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،٢ مجلد،دار الفكر، بيروت.
٤٢. الغزالي(أبي حامد محمد بن محمد/ت٥٠٥ هـ)،المستصفى في علم الأصول،دار الكتب العلمية،بيروت،١٤١٧هـ١٩٩٧م.
٤٣. الشيءخ الصدوق(محمد بن علي/ت٣٨١هـ)،التوحيد،تحقيق هاشم الحسيني، نشر جماعة المدرسين،قم ،١٣٨٧هـ١٩٦٧م .

٤٤. جعفر نقدي،الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية، ط٢،المطبعة الحيدرية،النجف،١٣٨١هـ-١٩٦١م .
٤٥. السيد محسن الأمين العاملي،عجائب أحكام أمير المؤمنين ،تحقيق فارس حسون كريم،قم،١٤١٩هـ ،١٩٩٨ م.
٤٦. احمد الرحماني الهمداني ،الإمام علي-ع-،ط١،طهران ،١٤١٧ هـ .
٤٧. الإسكافي(محمد بن عبد الله/ت٢٢٠هـ)،المعيار والموازنة،تحقيق محمد باقر المحمودي،قم ،بلا تاريخ.
٤٨. صادق الموسوي،تمام نهج البلاغة ،ط١،١مجلد،مؤسسة الإمام صاحب الزمان(عج)،طهران،١٤١٨هـ .
٤٩. المنقري(نصر بن مزاحم /ت٢١٢ هـ)،وقعة صفين،تحقيق عبد السلام هارون،ط٢ ،مصر ،١٣٨٢-١٩٦٢م.
٥٠. العلامة الحلي(الحسن بن يوسف بن المطهر/٧٢٦هـ)،نهج الحق وكشف الصدق،مؤسسة دار الهجرة، قم.
٥١. السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر/ت٩١١هـ)،الجامع الصغير، دار الكتب العلمية،بيروت،١٤٠١هـ-١٩٨١م،
٥٢. الهيثمي(علي بن أبي بكر/ ت٨٠٧ هـ)،مجمع الزوائد،دار الكتاب العربي ،بيروت،١٤٠٢هـ .
٥٣. الترمذي(محمد بن عيسى/ت٢٧٩هـ)،سنن الترمذي،٥مجلدات،دار الفكر بيروت،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٥٤. سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص،مؤسسة أهل البيت،بيروت،١٤٠١هـ .
٥٥. مسلم ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم.
٥٦. مسند زيد بن علي(ت/١٢٢هـ)،تحقيق أحد علماء الزيدية ،دار الحياة ،بيروت.
٥٧. القمي(محمد ابن شاذان/ت٤١٢هـ)مائة منقبة، نشر مدرسة الإمام المهدي(عج)،قم،١٤٠٧ هـ.ق .
٥٨. الطبري الامامي(محمد ابن جرير /القرن الرابع)،المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق احمد المحمودي،ط١،قم .
٥٩. الطبرسي(احمد ابن علي/ت٥٦٠هـ)،الاحتجاج،تحقيق السيد محمد باقر الخرسان،دار النعمان،النجف ،١٣٨٦ هـ-١٩٦٦م

٦٠. المظفر(محمد حسين/ت١٣٨١هـ)علم الإمام ،ط٢ ،دار الزهراء، بيروت،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .
٦١. مغنية(محمد جواد)،الشيعة في الميزان ،دار الشروق ،بيروت،١٣٩٩هـ
٦٢. احمد يعقوب حسين ،الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية،ط٢،دار الفجر، لندن ١٤١٥هـ
٦٣. البحراني(ميثم ابن ميثم /قرن ٧)،شرح نهج البلاغة،٥مجلدات،ط٢ ،مجهول الطبع،١٤٠٤هـ .
٦٤. خليل عبد الكريم،مجتمع يثرب،ط٢ ،مجهول الطبع، ١٩٩٧ م .
٦٥. الخوارزمي(الموفق بن احمد/ت٥٦٨هـ)،المناقب،ط٢ ،مجلد واحد،تحقيق مالك المحمودي،مؤسسة النشر الإسلامي ،قم،١٤١١هـ
٦٦. الثعالبي(عبد الرحمن المالكي/ت٨٧٥)، تفسير الثعالبي، تحقيق د.عبد الفتاح مقصود وآخرون ،ط١،٥ مجلدات،القاهرة ،١٤١٨هـ .
٦٧. الطباطبائي(محمد حسين) ،علي والفلسفة الإلهية ،منشورات الاكرمين ،النجف
٦٨. عبد الحسين الاميني، الغدير ،١١مجلد ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٣٧٩ هـ-١٩٥٩م.
٦٩. الانتصار(أهم مناظرات الشيعة في شبكات الانترنيت)،للعاملي،ط١،٩ مجلدات ،دار السيرة ،بيروت ،١٤٢١هـ .
٧٠. ابن طاووس(علي بن موسى/ت٦٦٤ هـ)سعد السعود ،ط١ ،المطبعة الحيدرية،النجف ،١٣٦٩.
٧١. ابن طاووس(احمد ابن موسى/ت٦٧٢هـ)، بناء المقالة الفاطمية ،تحقيق السيد عدنان الغريفي ،ط١، مؤسسة آل البيت .
٧٢. عمر فروخ، عبقرية العرب في العلم والفلسفة،ط٣،بيروت ،١٣٨٩هـ-١٩٦٩ م -الفيروزآبادي (مرتضى الحسيني)،فضائل الخمسة من الصحاح الستة ،بيروت ،١٣٩٣ هـ-١٩٧٣ م.
٧٣. لبيب بيضون ،تصنيف نهج البلاغة ،ط٣، قم ،١٤١٧هـ .
٧٤. اليعقوبي(احمد ابن يعقوب/ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، ٢مجلد ،دار صادر ،بيروت .

٧٥. ابن النديم (محمد بن إسحاق/ت٤٣٨ هـ)الفهرست ،تحقيق رضا تجدد ،قم .
٧٦. الطريحي(فخر الدين/ت١٠٨٥ هـ)مجمع البحرين،ط٤،٢مجلدات ، تحقيق احمد الحسيني،ط٤،٢ مجلدات،قم،١٤٠٨ هـ .
٧٧. مع محمد الحسين عبد العزيز،تاريخ الشرطة في الإسلام،مجلة الفيصل،س٤،ع٤٢،١٩٨٠م .
٧٨. روكس ابن زايد العزيزي ،الإمام علي أسد الإسلام وقديسه،ط٢ ،بيروت،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م،
٧٩. د. مهدي محبوبة،ملامح من عبقرية الإمام علي ،ط١ ،بيروت ،بلا تاريخ.
٨٠. السرخسي(علي ابن ناصر/ ق٦)أعلام نهج البلاغة ،ط١ ،طهران،١٤١٥ هـ .
٨١. الشيخ الطوسي ، تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الخرسان،محمد الاخوندي ،١٠أجزاء ،ط٤،طهران ،١٣٦٥ ش .
٨٢. الشيخ آقا بزرك الطهراني ،الذريعة الى تصانيف الشيعة ،ط٣،٢٦ مجلد،دار الأضواء ،بيروت،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٨٣. حسين جمعة العاملي ،شرح نهج البلاغة،ط١، مطبعة الفكر ،بيروت ،١٤٠٣هـ١٩٨٣م .
٨٤. بحر العلوم(السيد محمد مهدي/١٢١٢هـ)،الفوائد الرجالية ،تحقيق محمد صادق بحر العلوم ،٤ مجلدات ،طهران ،١٣٦٣هـ ١٩٤٣م .
٨٥. (ابن أبي شيبة /ت٢٣٥هـ)،تاريخ المدينة المنورة ،تحقيق سعيد اللحام ،ط١،٨ مجلدات ،دار الفكر، بيروت،١٤٠٩هـ .
٨٦. خير الدين الزركلي،الأعلام ،ط٥،٨ مجلدات ،بيروت .
٨٧. ايضا حاجي خليفة(مصطفى عبد الله/ت ١٠٥٨ هـ)، كشف الظنون ،٢مجلد،دار إحياء التراث العربي،بيروت .
٨٨. النجاشي(احمد ابن علي /ت٤٥٠هـ)،رجال النجاشي ،تحقيق السيد موسى الزنجاني ،ط٥ ، جماعة المدرسين ،قم ،١٤١٦ هـق .
٨٩. ابن عنبه(ت٨٢٨ هـ)عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ،تحقيق محمد الطالقاني ،ط٣ ،الحيدرية ،النجف ،١٣٨٠هـ١٩٦١ م .

٩٠. ابن شهر اشوب(محمد بن علي)معالم العلماء ،ط٢ ،الحيدرية،النجف، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م،
٩١. محمد رضا آل كاشف الغطاء،الشريف الرضي ،مجهول الطبع،١٤٢٠هـ
٩٢. ابن خلكان(احمد ابن محمد/ت٦٠٨)،وفيات الأعيان ،حققه د.إحسان عباس ،٨ مجلدات ،بيروت، ١٩٧٠م.
٩٣. الحسيني الخطيب(السيد عبد الزهرة)مصادر نهج البلاغة وأسانيده ،٤ مجلدات ،ط٤ ،دار الزهراء،بيروت ،١٤٠٩هـ .
٩٤. ٩٨ -الذهبي (الحافظ شمس الدين محمد بن احمد/ت٧٤٨ هـ)سيرة أعلام النبلاء ،تحقيق شعيب الارناؤط ، ،ط ٩،٢٣ مجلد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٩٥. ابن كثير(اسماعيل بن كثير/ت٧٧٤هـ)،البداية والنهاية،١٤مجلد،تحقيق علي شيري،بيروت ،١٤٠٨هـ .
٩٦. زكي مبارك ،عبقرية الشريف الرضي ،٢ مجلد، دار الجيل ،بيروت ،١٤٠٨ هـ -حامد حفني داوود وآخرون ،نهج الحياة ،نشر مؤسسة نهج البلاغة ،طهران
٩٧. امتياز علي خان العرشي،ترجمة استناد نهج البلاغة،ط٢ ،طهران،١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
٩٨. محمد هادي الأميني، الشريف الرضي ،ط١، مؤسسة نهج البلاغة ،طهران ،١٤٠٨هـ .
٩٩. دروس من نهج البلاغة،لجنة التأليف في مؤسسة نهج البلاغة،ط١ ،ترجمة عبد الكريم محمود،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٠٠. الشريف الرضي(محمد ابن الحسين/٤٠٦هـ) خصائص الأئمة ، تحقيق د.محمد هادي الأميني ،مشهد ،١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م،
١٠١. الشريف الرضي ،المجازاة النبوية، تحقيق طه محمد الزيني ،قم ، بلا تاريخ ،
١٠٢. الشريف الرضي(محمد ابن الحسين/٤٠٦هـ)،حقائق التأويل في متشابه التنزيل ،شرحه محمد رضا آل كاشف الغطاء ،دار المهاجر ،بيروت.
١٠٣. محمد حسين الجلالي ،دراسة حول نهج البلاغة ،ط١ ،مؤسسة الاعلمي،بيروت ،١٤٢١هـ .

١٠٤. العاملي (جعفر مرتضى)اكذوبتان حول الشريف الرضي ،قم ،١٤٠٦ هـ-١٩٨٦م.
١٠٥. قطب الدين البيهقي الكيذري(ق٦)،حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ،ط٢،٢مجلد،قم،١٤١٦ .
١٠٦. ابن بابويه(منتجب الدين علي/ت٥٨٥ هـ)الفهرست ،تحقيق د. جلال الدين المحدث، نشر مكتبة المرعشي ،قم،١٣٦٦هـ.ش .
١٠٧. الأنصاري (محمد علي)شرح نهج البلاغة منظوما،ط١،١٠ مجلدات،(فارس+عربي) طهران بلا تاريخ .
١٠٨. محمد حسين السلطاني ،نهج البلاغة منظوما ،ط١ ،بالفارسية،،طهران،١٤٢١ هـ
١٠٩. المجددي(عطاء الله)هزار كوهر،(فارسي+عربي)،طهران ،١٤١٧ هـ .
١١٠. محمد الغروي،الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة،موسسة النشر الإسلامي،قم،١٤٠٧هـ .
١١١. الأميني(محمد هادي) أعلام نهج البلاغة ،ط١ ،طهران ،١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م .
١١٢. ١١٣ -علي اكبر القرشي البناني،مفردات نهج البلاغة،٢مجلد،عربي فارسي،ط١،طهران،١٤١٩هـ
١١٣. ١١٥ -(ميثم البحراني،اختيار مصباح السالكين ،ط١ ،مشهد ،١٤٠٨هـ .
١١٤. الطبري الإمامي (محمد بن جرير بن رستم/ق٣) نوادر المعجزات ،ط١، مؤسسة الامام الحجة (عج)، قم ،١٤١٠هـ.
١١٥. الصدوق(محمد بن علي/ت٣٨١هـ)،علل الشرائع،٢مجلد،المطبعة الحيدرية،النجف،١٩٦٦م .
١١٦. الشيخ المفيد(محمد بن النعمان/ت ٤١٣هـ)الجمل،مطبعة الداوري، قم ،بلا تاريخ الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،بيروت .
١١٧. الشريف المرتضى(علي بن الحسين بن موسى/ت٤٣٦هـ)،الرسائل ،٤مجلدات، تحقيق مهدي رجائي ،قم ،١٤٠٥ هـ .
١١٨. الطبري(محمد ابن جرير/القرن الثالث)دلائل الإمامة ،قم.

١١٩. كتاب سليم ابن قيس ، تحقيق محمد باقر الأنصاري، قم ، بلا تاريخ .
١٢٠. المنقري (نصر ابن مزاحم/ت٢١٢هـ)وقعة صفين،تحقيق عبد السلام هارون ،ط٢ ،مصر،١٣٨٢-١٩٦٢م .
١٢١. الكوفي(محمد ابن ،سليمان/ق٣) مناقب أمير المؤمنين ،تحقيق الشيخ،محمد باقر المحمودي ،ط١، مجلدان ، قم،١٤١٢هـ.
١٢٢. اليعقوبي ،تاريخ اليعقوبي ،صادر ،بيروت.
١٢٣. الشيخ المفيد ،الامالي ،تحقيق ،علي اكبر غفاري ،جماعة المدرسين ،قم.
١٢٤. محمد جواد البلاغي، الهدى الى دين المصطفى،مجلدان ، الاعلمي ، بيروت ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥.
١٢٥. جورج جرداق ،روائع نهج البلاغة ،ط٢، قم ، ١٤١٧هـ .
١٢٦. مرتضى المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ،ط١ ،بيروت،١٤١٣ هـ .
١٢٧. الشيخ الصدوق(محمد بن علي/ ت٣٨١هـ)،إكمال الدين وتمام النعمة ،صححه علي اكبر غفاري،جماعة الدرسين ،قم،١٤٠٥ هـ ١٩٨٠م.
١٢٨. ابن حنبل(احمد بن حنبل /ت٢٤١هـ)، مسند احمد،٦ مجلدات،دار صادر ، بيروت.
١٢٩. طبارة(عفيف عبد الفتاح)روح الدين الإسلامي ،ط٨ ،دار العلم للملايين ،بيروت، ١٩٦٩م .
١٣٠. الجوهري (إسماعيل ابن حماد /ت٣٩٣هـ)الصحاح،تحقيق احمد العطار ،ط٤،٦ مجلدات ،بيروت ، ١٤٠٧ هـ/١٩٧٤م .
١٣١. ابن منظور، لسان العرب ،ط١،١٥ مجلد ،قم،١٤٠٥هـ .
١٣٢. البخاري ، صحيح البخاري ،١٨ جزء ، الفكر بيروت .
١٣٣. محمد الغروي ، الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ،مؤسسة النشر الإسلامي ،قم ،١٤٠٧هـ .
١٣٤. د. تهامي الراجحي الهاشمي ،الدرس اللساني المستنبط من الرسالة الإلهية ،ضمن نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية ، نشر مؤسسة نهج البلاغة ،قم ،١٤٠٤هـ .

١٣٥. علي أنصاريان ،الدليل لموضوعات نهج البلاغة ، طهران ،١٣٩٨هـ.
١٣٦. هنري كوربان،تاريخ الفلسفة الإسلامية،ترجمة نصير مروة ،دار عويدات ،بيروت ،١٩٦٦م، ص١٨
١٣٧. ميثم البحراني ،شرح نهج البلاغة ،٥ مجلدات ،مجهول الطبع،١٤٠٤ هـ،
١٣٨. نعمة الله الجزائري،نور البراهين،ط١، ٢مجلد،جماعة المدرسين،قم،١٤١٧هـ .
١٣٩. محمد رضا المظفر،الفلسفة الإسلامية،محاضرات أعدها محمد تقي الطباطبائي ،ط١،قم ،١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
١٤٠. الشيخ المفيد ،اعتقادات الإمامية ،تحقيق حسن الدركاني،ط٢ ،دار المفيد ،بيروت ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٤١. المظفر ،(محمد رضا /ت١٣٣٧هـ) ،عقائد الامامية ، قم .
١٤٢. الشيخ المفيد ، أوائل المقالات ، تحقيق ابراهيم الأنصاري ،ط٢،دار المفيد ،بيروت،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٤٣. ابن رشد(محمد بن احمد/ت٥٩٥هـ) ، تهافت التهافت ،مصر ،١٩٠٣م ،
١٤٤. المسعودي ،مروج الذهب ،مجلدان ،دار الأندلس ،بيروت ،١٩٨٧م، ٤١٩/٢.
١٤٥. علي رباني الكلبايكاني،الإلهيات في مدرسة آل البيت(ع)،ط١،طهران،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
١٤٦. الشيخ حسن العايش ،صفات الله عند المسلمين ،مؤسسة أم القرى ،بيروت، .
١٤٧. (العلامة الحلي /ت ٧٢٦هـ)،الرسالة السعدية ، تحقيق عبد الحسين محمد علي بقال ،ط١،قم،١٤١٠هـق .
١٤٨. حامد حفني داود نظرات في الكتب الخالدة،ط١،تحقيق مرتضى الرضوي، القاهرة،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
١٤٩. الطباطبائي(محمد حسين)،تفسير الميزان ،٢٠ مجلد ،جماعة المدرسين ،قم،
١٥٠. ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،مصر ،١٩٦٠ .

١٥١. العلامة الحلي،كشف المراد في تجريد الاعتقاد ،تحقيق حسين زادة الاملي ،ط٧،قم ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
١٥٢. الشيخ محمد بن النعمان المفيد،الحكايات ،تحقيق محمد رضا الحسيني الجلالي ،ط٢،دار المفيد ، بيروت ،١٤١٤هـ.ق-١٩٩٣م .
١٥٣. عبد الحسين مهدي النجم، الجذور التاريخية للوفاق الفكري بين الشيعة والمعتزلة، مجلة زانكو، مج٣،ع٤ ، ١٩٧٧م
١٥٤. جعفر سبحاني،رسائل ومقالات ،مؤسسة الامام الصادق، قم .
١٥٥. يحيى هويدي ،دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية،دار لنهضة،القاهرة،١٩٧٢م .
١٥٦. د.ياسين عريبي ،الدليل الوجودي عند الفارابي ،ضمن كتاب الفارابي والحضارة الإنسانية(مهرجان الفارابي)،بغداد ،١٩٧٥م-١٩٧٦م .
١٥٧. الفارابي(أبو نصر محمد بن طرخان/ ت٣٣٩هـ)،آراء أهل المدينة الفاضلة ،تحقيق البير نصري نادر،ط١ ،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٥٩م.
١٥٨. الفارابي ،التعليقات (ضمن رسائل الفارابي)،حيدر اباد ،الدكن-الهند ،ط١ ،١٣٤٥هـ-١٩٢٦ م .
١٥٩. عبد الكريم المراق ،الإلهيات عند الفارابي ،ضمن مهرجان الفارابي .
١٦٠. عبد الله جواد املي ،علي والفلسفة الإلهية،مقالات ضمن نهج البلاغة نبراس السياسة ومنهل التربية،ط١ ،مجهول الطبع،١٤٠٦ .
١٦١. الفارابي ،السياسة المدنية (مبادئ الموجودات) ،تحقيق د.فوزي متري النجار ،ط١،المطبعة الكاثوليكية ،بيروت ،١٩٦٤م ،
١٦٢. الكندي (يعقوب بن إسحاق/ت٢٥٢هـ)،رسائل الكندي الفلسفية ،تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ،دار الفكر العربي ،مصر،١٣٦٩هـ،١٩٥٠م ،
١٦٣. ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله/٤٢٨هـ)الرسالة العرشية (ضمن ٧ رسائل)،حيدر آباد ،الدكن-الهند- ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م .
١٦٤. ابن سينا،النجاة ،نقحه وقدم له ماجد فخري ،ط١،دار الآفاق الجديدة ،بيروت،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م

١٦٥. ابن سينا ، الاشارت والتنبيهات، القسم الطبيعي والإلهي،تحقيق د.سليمان دنيا ،ط٣،دار المعارف ،مصر،١٩٧٣م .
١٦٦. الغزالي ،تهافت الفلاسفة ،طبعة بويج .
١٦٧. الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد ،تقديم عادل العوا ،ط١ ،بيروت ،١٣٨٨هـ-١٩٦٩م
١٦٨. الغزالي،قواعد العقائد ،تحقيق سعيد زايد ،القاهرة ، ١٩٦٠م ،
١٦٩. الغزالي ، معارج القدس،ط١ ،نشر محي الدين الكردي ،السعادة،مصر ،بلا تاريخ
١٧٠. الشريف المرتضى ،الامالي ، ٤مجلدات،تحقيق محمد بدر الدين النعساني،ط١ ،قم،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م،
١٧١. الشيءخ عبد الله نعمة ،فلاسفة الشيءعة ،تقديم محمد جواد مغنية ،مكتبة الحياة ،بيروت.
١٧٢. آل كاشف الغطاء،هادي،مستدرك نهج البلاغة ،دار الأندلس، بيروت .
١٧٣. الطبرسي(الحسن بن الفضل /ت٥٤٨هـ)،مكارم الأخلاق،ط١ ،٦مجلد،منشورات الشريف الرضي ،١٣٩٢-١٩٧٢ .
١٧٤. الفارابي ،فصوص الحكم ،ط١ ،مطبعة السعادة ، مصر،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م .
١٧٥. الحلي(علي بن يوسف/ ت٧٢٦هـ)،العدد القوية ،تحقيق مهدي رجائي ،ط١ ،قم ،١٤٠٨ هـ.ق.
١٧٦. التستري(محمد تقي) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة الطبعة الاولى ،١٤ مجلد ،طهران ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م، .
١٧٧. أرسطو،الطبيعة،ترجمة حنين بن اسحق،جزان،حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي،القاهرة،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
١٧٨. الالوسي(حسام الدين)،دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي،ط١ ،بيروت،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م،
١٧٩. السبزواري(محمد ابن محمد /ق٧)جامع الأخبار ،تحقيق علاء الدين آل جعفر،ط١ ،قم،١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
١٨٠. المتقي الهندي ،كنز العمال ،الرسالة ،بيروت .
١٨١. الطبرسي(الفضل ابن الحسن/ت٥٦٠هـ)،مجمع البيان في تفسير القران ،ط 1 ، ١٠مجلدات ،الاعلمي ،بيروت.

١٨٢. والد الصدوق ،علي بن الحسين بن بابويه القمي /ت٣٢٩هـ ، الامامة والتبصرة ، قم ، ١٤٠٤هـق-١٣٦٣ هـش .
١٨٣. الصدوق ، الهداية ،ط١،قم ،١٤١٨ هـ .
١٨٤. الشيخ عباس القمي ،مفاتيح الجنان ،قم ،١٣٨٢هـ.
١٨٥. د. أبو العلا عفيفي ،التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب ،بيروت.
١٨٦. البحراني (ميثم بن ميثم /ق٦)شرح مائة كلمة ،تحقيق جلال الدين الحسيني ،جماعة المدرسين ،قم .
١٨٧. الليثي الواسطي (علي بن محمد /ت ق ٦هـ)،عيون الحكم ،ط١، دار الحديث ،قم ،١٣٧٦ش.
١٨٨. الثعالبي المالكي (عبد الرحمن بن محمد /ت ٨٧٥ هـ)الجواهر الحسان ، تحقيق د.عبد الفتاح ابو سنة واخرون ،٥ مجلدات ، بيروت ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م ،
١٨٩. رشيد الدين وطواط /ت ٥٧٣هـ،مطلوب كل طالب ،تحقيق جلال الدين الحسيني ، طهران ،١٣٨٢هـ ،
١٩٠. ميثم البحراني ، شرح كلمات أمير المؤمنين ، تحقيق جلال الدين الحسيني ،قم ،١٣٩٠ هـ.
١٩١. الاحسائي (ابن ابي جمهور/ت٨٨٠هـ)عوائد اللآلئ ،تحقيق السيد المرعشي والشيخ مجتبى العراقي ،ط١،٤مجلدات ،قم ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م،
١٩٢. الشهيد الثاني(محمد بن جمال الدين العاملي ت/٩٦٦هـ)،الاقتصاد والعدالة ،تحقيق مهدي رجائي ،ط١، قم،١٤٠٩.
١٩٣. الخوانساري (جمال الدين محمد/ت : ق١٢هـ)غرر الحكم ودرر الكلم ،(فارسي ،عربي) ط٧،٤ مجلدات، طهران.
١٩٤. الفارابي ،رسالة زينون الكلبي(ضمن الرسائل)حيدر اباد/الدكن ،الهند .
١٩٥. الصدوق ،عيون أخبار الرضا ،تحقيق حسين الاعلمي ،ط١،٢مجلد،بيروت ،١٤٠٤هـ.
١٩٦. الفتال النيسابوري/ت٥٠٨هـ،روضة الواعظين ،تحقيق السيد مهدي الخرسان ،قم.

١٩٧. القاضي عبد الجبار ،المغني ، دار الكتب المصرية ،ط مصر الأولى،
١٩٨. أبو بكر الباقلاني ، التمهيد ،تعليق محمود الخضيري ،دار الفكر ،مصر ،١٩٤٧م.
١٩٩. د. يحيى هويدي ، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية ،دار النهضة ، القاهرة ،١٩٧٢م ،
٢٠٠. المجلسي(محمد باقر/ت١١١١هـ)،بحار الأنوار ،مؤسسة الوفاء،١١٠ جزء ،بيروت ،١٩٨٣م .
٢٠١. أبو بحر الجاحظ،الحيوان،تحقيق عبد السلام هارون،٥اجزاء، القاهرة،١٩٤٠م.
٢٠٢. احمد محمود صبحي ،دراسات في علم الكلام، دار الكتب الجامعية، مصر، ١٩٦٩م.
٢٠٣. رحيم محمد سالم، حضور هرقليطس وانكساغوراس وانبادوقليس في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ مدني صالح ،جامعة بغداد ،٢٠٠٠.
٢٠٤. الامدي(علي بن محمد /ت٦٣١هـ)الإحكام في أصول الأحكام .
٢٠٥. العلامة الحلي ،كشف المراد في تجريد الاعتقاد ،تحقيق حسين زاده املي،جماعة المدرسين ،قم ،١٤١٧هـ.ق .
٢٠٦. الذهبي (شمس الدين/ت٧٤٨هـ) تذكرة الحفاظ،٤ مجلدات،مكتبة الحرم المكي،مكة ،١٣٧٤هـ .
٢٠٧. السيد ابن طاووس الحسني /ت٦٦٤هـ)،الطرائف،ط١ ،دار الخيام ،قم ،١٣٧١هـ-١٩٥١م.
٢٠٨. الشيرازي(صدر الدين محمد بن ابراهيم /ت١٠٥٩هـ)خلق الأعمال (القضاء والقدر)تحقيق ياسين السيد محسن،الحوادث،بغداد،١٩٧٨م .
٢٠٩. مركز الرسالة ،الأمر بين الأمرين ،ط١ ،قم،١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
٢١٠. الحراني (الحسن بن علي ابن شعبة/ق ٤)،تحف العقول،تحقيق علي اكبر غفاري،ط٢ ،جماعة المدرسين ،قم ،١٤٠٤هـ.ق .
٢١١. المغربي(نعمان بن محمد/ت٣٦٣هـ)،دعائم الإسلام، تحقيق اصف بن علي ،٢مجلد،مصر،١٩٦٣م.

٢١٢. الحسن ابن سليمان الحلي(القرن التاسع)، مختصر بصائر الدرجات ،ط١ ،الحيدرية،النجف ،.١٣٧٠ هـ ١٩٥٠م .
٢١٣. محمود الريشهري ،ميزان الحكمة،ط١، ٤مجلدات ،قم .
٢١٤. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري/ت بعد ٣٩٥هـ)،الفروق اللغوية،
٢١٥. أبو الحسن الاشعري ،مقالات الإسلاميين ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،ط١ ،مصر،١٣٦٩هـ ١٩٥٠م .
٢١٦. الصدوق،إكمال الدين ،تحقيق علي اكبر غفاري،جماعة المدرسين ،قم ،١٤٠٥هـ ١٩٨٤م .
٢١٧. احمد بن حنبل ،العلل ،تحقيق د. وحي الله بن محمود ،٣مجلدات،بيروت ،١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٢١٨. -جلال الدين السيوطي ،الدر المنثور،ط٦، ١مجلدات،دار المعرفة،بيروت ،١٣٦٩هـ ١٩٤٥م .
٢١٩. السيد محمد الكثيري ،السلفية بين أهل السنة والامامية ،ط١ ،الغدير ،بيروت ،١٤١٨هـ ١٩٩٧م ،
٢٢٠. العاملي،الانتصار ،٩ مجلدات ،ط١ ،دار السيرة ،بيروت ،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م
٢٢١. الطوسي ،الاقتصاد ،تحقيق حسن سعيد ،قم،١٤٠٠ هـ ١٩٧٩م .
٢٢٢. الصدوق ،الامالي،مؤسسة البعثة ،ط١ ،قم،١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
٢٢٣. الشريف المرتضى (علي بن الحسين/ت٤٣٦ هـ)رسائل المرتضى،تحقيق السيد مهدي رجائي ، ٤مجلدات ،دار القران ،قم ،١٤٠٥ هـ .
٢٢٤. أبو هلال العسكري،الفروق اللغوية ،ط١ ،جماعة المدرسين ،قم، .
٢٢٥. الاشعري، الإبانة ،مصر.
٢٢٦. ابن خلدون،كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ، الاعلمي ،بيروت ،١٩٧١م.
٢٢٧. النووي(ابو زكريا يحيى بن اشرف/ ت٦٧٦هـ) ،صحيح مسلم بشرح النووي ،ط١٨، ٢مجلد،دار الكتاب العربي.
٢٢٨. الطبري (محمد بن جرير/ ت٣١٠هـ)،جامع البيان (تفسير الطبري) تحقيق جميل العطار ،٣٠ جزء ،دار الفكر ،بيروت ،١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

٢٢٩. القزويني ،سنن ابن ماجه ،تحقيق فؤاد عبد الباقي،٢مجلد ،الفكر ،بيروت.
٢٣٠. البخاري ،صحيح البخاري ،٨مجلدات ،دار الفكر ،بيروت.
٢٣١. محسن الفيض الكاشاني /ت١٠٩١هـ) تفسير الصافي ،تحقيق حسين الاعلمي ،ط٥،٢مجلدات ،مكتبة الصدر،طهران ،١٤١٦هـ-١٩٩٥م .
٢٣٢. الطوسي (محمد بن الحسن/ت٤٦٠هـ)التبيان في تفسير القران،تحقيق احمد حبيب العاملي، ط١،١٠ مجلدات،طهران ١٤٠٩ .
٢٣٣. البيهقي(علي ابن زيد / ق٦هـ) معارج نهج البلاغة ،ط١ ،قم،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .
٢٣٤. ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ،(عربي،فارسي) ،٢١ مجلد،ط٤،طهران ،١٤٠٠هـ-١٩٧٩م .
٢٣٥. الحلي (الحسن بن سليمان ،مختصر بصائر الدرجات ، ،النجف،١٩٥٠م .
٢٣٦. الطبرسي(حسين النوري/ت١٣٢٠ هـ)،مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ،ط٢، ١٨ مجلد ،مؤسسة آل البيت لاحياء التراث،١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .
٢٣٧. محمد بن الحسين البيهقي الكيذري، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،ط٢،١مجلد،قم ،١٤١٦هـ .
٢٣٨. د.حسام محي الدين الالوسي،حوار بين الفلاسفة والمتكلمين،ط٢،بيروت،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .
٢٣٩. محمد جواد البلاغي ،الرحلة المدرسية،ط٣،٢ أجزاء، دار الزهراء،بيروت ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٢٤٠. القمي(علي ابن إبراهيم ت٣٢٩هـ)تفسير القمي،تحقيق الطيب الجزائري ،ط٣،قم،١٤٠٤هـ .
٢٤١. قاسم علي احمدي،وجود العالم بعد العدم عند الامامية،ط١، قم،١٤٢٢هـ.
٢٤٢. الخياط ،الانتصار ،نشرة ليبزج،القاهرة،١٩٢٥م .
٢٤٣. ابن حزم ،الملل والنحل ،القاهرة،١٩٥٩م .

٢٤٤. محمد الحسيني الشيءرازي،توضيح نهج البلاغة ، ٤مجلدات،طهران،بلا تاريخ.
٢٤٥. الكتاب المقدس ،العهد القديم والجديد ،مجمع الكنائس الشرقية،٢مجلد،ط٢ ،بيروت.
٢٤٦. العياشي(محمد بن مسعودالسمرقندي/ت٣٢٠هـ) ،تفسير العياشي،٢مجلد،تحقيق هاشم المحلاتي ،طهران.
٢٤٧. هبة الدين الشهرستاني،الهيئة والإسلام ،مؤسسة أهل البيت،بيروت،١٣٩٨هـ١٩٧٨م .
٢٤٨. محمد كاظم القزويني الحائري،شرح نهج البلاغة ،٢مجلد ، مطبعة النعمان ،النجف،١٣٧٨هـ-١٩٥٩م .
٢٤٩. المسعودي(علي ابن الحسين/ت٣٤٦هـ)أخبار الزمان ،تحقيق لجنة من أساتذة النجف،ط٢ ،دار الأندلس ،بيروت،١٣٨٦هـ .
٢٥٠. د.س. بينس،مذهب الذرة عند المسلمين،ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة،القاهرة،١٣٦٥هـ١٩٤٦م .
٢٥١. الحر العاملي ،الفصول المهمة في أصول الأئمة،٣مجلدات، تحقيق محمد حسين القائيني ،ط١،طهران ، ١٤١٨ هـ١٩٩٧م .
٢٥٢. الفراهيدي(الخليل ابن احمد/ت١٧٥هـ)العين،تحقيق محمد المخزمي وإبراهيم السامرائي،ط٢، ٨مجدات ، دار الهجرة،قم،١٤٠٩هـ .
٢٥٣. الطريحي(فخر الدين/ت١٠٨٥هـ،مجمع البحرين،تحقيق السيد احمد الحسيني،ط٤،٢مجلدات،طهران، ١٤٠٨ هـ .
٢٥٤. محمد باقر المجلسي،شرح نهج البلاغة(المقتطف من بحار الأنوار قدمه علي أنصاريان)ط١ ،٣مجلدات، طهران،١٤٠٨هـ .
٢٥٥. ميرزا حسن جهاني الطباطبائي، مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، ٤مجلدات،مجهول الطبعة،١٣٨٨هـ .
٢٥٦. د.حسام الالوسي،عالم يتغير (دراسة في فكر النهضة الاوربية،وابعاده الفلسفية والعلمية)مجلة الأديب المعاصر،بغداد،١٩٨٦م .
٢٥٧. فريد خراسان ،علي بن زيد البيهقي،معارج نهج البلاغة،ط١،قم ،١٤٠٩ .

٢٥٨. نعمة الله الجزائري(ت١١١٢هـ)،نور البراهين،تحقيق سيد رجائي،ط١، ٢مجلد،قم،١٤١٧هـ .
٢٥٩. د.احمد زكي،في سبيل موسوعة علمية،ط٢ ،بيروت،١٩٧٧ .
٢٦٠. الإشارات والتنبيهات،القسم :الطبيعي الإلهي، تحقيق سليمان دنيا،مصر،١٩٧٣م
٢٦١. ارسطو طاليس،في السماء والآثار العلوية،حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي،ط١ ،القاهرة ،١٩٦١م.
٢٦٢. محمد ابن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ) الامالي ، ط١، قم ،١٤١٤هـ.
٢٦٣. ابن طاووس الحسني(علي ابن موسى/ت٦٦٤هـ)فرج الهموم في تاريخ علماء النجوم،دار الذخائر، قم .
٢٦٤. محمد تقي النقوي الخراساني، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة،٧مجلدات، طهران ، بلا تاريخ .
٢٦٥. البحراني(ميثم ابن ميثم) قواعد المرام في علم الكلام ،تحقيق السيد احمد الحسيني، ط٢، مكتبة المرعشي، قم ،١٤٠٦هـ .
٢٦٦. الصفار(محمد ابن الحسن/ت٢٩٠هـ) ، بصائر الدرجات،تحقيق محمد كوچه باغي ،طهران،١٣٦٢ش -١٤٠٤ق .
٢٦٧. عبد الباقي الصوفي التبريزي ، منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة . ط١ ،مجلدان، (فارسي،عربي) ،١٤٢٠هـ، طهران .
٢٦٨. السيوطي،الدر المنثور، ط١ ،٦مجلدات،بيروت،١٣٦٥ هـ .
٢٦٩. البير نصري نادر ،ابن سينا والنفس البشرية(نصوص لابن سينا)،بيروت، حيث أشار في الهامش الى ذكر ابن سينا للإمام علي في كتاب المباحثات مخطوطة رقم ،دار الكتب المصرية .
٢٧٠. النباطي العاملي(علي ابن يوسف/ت٨٧٨هـ)السراط المستقيم،تحقيق محمد باقر المحمودي ،٣مجلدات،المكتبة المرتضوية لاحياء الآثار الجعفرية.
٢٧١. القمي(القاضي سعيد/ولد١٠٤٩هـ) التعليقة على الفوائد الرضوية،قم،١٤١٥ق-١٣٧٤هـ.ش .
٢٧٢. د.محمود قاسم ،النفس والعقل عند فلاسفة الاغريق والاسلام ،القاهرة ،١٩٤٩ م.

٢٧٣. حبيب الله الهاشمي الخوئي ،منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ٢٩٦/١٩ .
٢٧٤. الشيخ احمد الحائري ،تهذيب النفس ،ط١ ،دار الحجة ،قم، ١٤٢١ هـ.ق. افلاطون،الجمهورية،ترجمة حنا خباز،ط٣، مصر، المطبعة العصرية،بلا تاريخ
٢٧٥. د.محمود البستاني،علم النفس في ضوء المنهج الإسلامي،ط١ ،قم، ١٣٨٢هـ.
٢٧٦. د.قاسم صالح حسين ،علم نفس الشواذ والاضطرابات النفسية،ط١ ،اربيل، ٢٠٠٥م.
٢٧٧. احمد عزت راجح ،أصول علم النفس ،،مصر ،١٩٧٢م.
٢٧٨. د. محمود البستاني،دراسات في علم النفس الإسلامي ،٢مجلد، ط١، دار البلاغ،بيروت،١٤٠٨هـ١٩٨٨م .
٢٧٩. سيجموند فرويد،الأنا والهو ،ترجمة د.محمد عثمان نجاتي ،ط٤ ،بيروت ،١٤٠٢هـ١٩٨٢م.
٢٨٠. الشريف الرضي ،المجازات النبوية ،تحقيق طه محمد زويني ،قم.
٢٨١. محمد تقي فلسفي ،الطفل بين الوراثة والتربية ،ط١ ،جزآن،النجف،١٣٨٨هـ١٩٦٨م.
٢٨٢. الصدوق(محمد بن علي /ت٣٨١هـ)من لا يحضره الفقيه،تحقيق علي اكبر غفاري، ٤مجلدات ،ط٢ ،جماعة المدرسين ، قم، ١٤٠٤هـ ق .
٢٨٣. فرات الكوفي(فرات بن ابراهيم /ت٣٥٢هـ)،تفسير فرات الكوفي ،تحقيق محمد الكاظم، ط١،وزارة الثقافة والإرشاد،طهران، ١٤١٠هـ١٩٨٩م،
٢٨٤. وليم بارنيز،علم النفس التجريبي ،ترجمة د.حلمي نجم عبد الله،بغداد،١٩٨١م.
٢٨٥. الحر العاملي(محمد بن الحسن/ت١١٠٤هـ)،وسائل الشيعة، ٣٠مجلد،ط٢ ،قم، ١٤١٤هـ.ق.
٢٨٦. الشيخ الطوسي،تهذيب الأحكام،ط١٠، ٤مجلدات،تحقيق حسن الخرسان،طهران،١٣٦٥هـ .
٢٨٧. د.حامد عبد السلام زهران،الصحة النفسية والعلاج النفسي،ط٢ ،عالم الكتب ،القاهرة.

٢٨٨. الحميري البغدادي(عبد الله/ت ٣٠٠هـ)،قرب الإسناد،ط١،مؤسسة آل البيت،قم،١٤١٣هـ .
٢٨٩. محمد السبزواري(ق٧)،معارج اليقين في أصول الدين ،تحقيق علاء آل جعفر،ط١،قم ،١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.
٢٩٠. مرتضى المطهري ،فلسفة الأخلاق، ترجمة وجيه المسيح،ط، بيروت،١٣٢٤هـ .
٢٩١. محمد مهدي الصدر، ،أخلاق أهل البيت(ع)،ط٢ ،قم،١٤٢٣هـق-٢٠٠٢م .
٢٩٢. كمال الحيدري ،التربية الروحية(بحث في جهاد النفس)ط٦ ،دار فراقد ،إيران،١٤٢٤هـ .
٢٩٣. د.توفيق الطويل،فلسفة الأخلاق ،نشأتها وتطورها ،ط٣،دار النهضة،مصر ،١٩٧٦م.
٢٩٤. السيد كاظم الحائري ،تزكية النفس،ط١ ،قم،١٤٢١هـ.ق،
٢٩٥. محمد جواد مغنية ،في ظلال نهج البلاغة ،بيروت .
٢٩٦. عباس علي الموسوي،شرح نهج البلاغة، ط٥،١مجلدات ،بيروت ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م .
٢٩٧. محمد العبادي ،الامام علي-ع-وتنمية ثقافة أهل الكوفة ،ط١ ،قم،١٣٨١هـ
٢٩٨. د.جعفر آل ياسين ،فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ،ط٣ ،بغداد،١٩٨٥م .
٢٩٩. الموسوعة الفلسفية المختصرة ،ترجمة فؤاد كامل واخرون،مكتبة النهضة ،بغداد محمد باقر الصوفي التبريزي ،منهاج الولاية في شرح نهج البلاغة ، طهران .
٣٠٠. عبد الرحمن بدوي ، ارسطو، ط٢ ،عالم المطبوعات،الكويت-دار التعليم بيروت ، ١٩٨٠م.
٣٠١. الشيخ عباس القمي ،شرح حكم نهج البلاغة،طهران ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣٠٢. د.فؤاد زكريا،التفكير العلمي ،ط،سلسلة عالم المعرفة،الكويت ،١٩٨٨م،-.
٣٠٣. الصدوق ،الخصال ،قم ،بلا تاريخ.

٣٠٤. الكراجكي ،معدن الجواهر ورياض الخواطر،تحقيق السيد احمد الحسيني،ط٢ ،قم ،١٣٩٤هـ.

٣٠٥. ال كراجكي ،كنز الفوائد ،١ مجلد،طهران .

٣٠٦. محمد جواد مغنية، فضائل الامام علي ،مكتبة الحياة، بيروت،١٣٨١هـ-١٩٦٢م.

٣٠٧. حسن القبنجي، مسند الامام علي(ع) ، ٩ مجلدات ،طهران .

٣٠٨. محمد بن سليم الكوفي(ت بعد ٣٠٠هـ)مناقب أمير المؤمنين(ع) تحقيق محمد باقر المحمودي،٢مجلد،ط١ ،قم،١٤١٢هـ .

٣٠٩. النعمان بن محمد التميمي المغربي،شرح الأخبار ،تحقيق السيد محمد الحسيني الجلالي،٣مجلدات ،جماعة المدرسين،قم .

٣١٠. ابن حمزة الطوسي(ت ٥٦٠هـ) الثاقب في المناقب،تحقيق نبيل رضا علوان ،ط٢،قم،١٤١٢هـ .

٣١١. محمد بن إبراهيم النعمان(ت ٣٨٠هـ،الغيبة،تحقيق علي اكبر غفاري ،طهران بلا تاريخ.

٣١٢. النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ)،مستدرك الوسائل،ط١٨، ١مجلد،مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، بيروت ،١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

٣١٣. ميثم البحراني،شرح مائة كلمة، جماعةالمدرسين ،قم.

٣١٤. الزيات(عبد الله بن سابور /ت٢٦٦٢هـ) ،طب الأئمة،ط٢ ،المطبعة الحيدرية،النجف،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م،

٣١٥. علي احمد المحنه،مدرسة الامام علي-ع-البلاغية واثرها في البيان العربي،مجلة رسالة الإسلام،س٦،ع١-٢.

٣١٦. الصدوق ،من لا يحضره الفقيه،تحقيق علي اكبر غفاري، ط٤،٢مجلدات،قم،١٤٠٤هـ.ق.

٣١٧. رشدي الحريري ،فن الراديو ،بيروت-حلب، ١٩٧٠م.

٣١٨. انظر،د.محمود عبد اللطيف ،تاريخ علوم الطبيعة،ط بغداد

٣١٩. علي النمازي،مستدرك سفينة البحار،طهران.

٣٢٠. محمود الريشهري(بمساعدة محمد كاظم الطباطبائي ومحمود الطباطبائي) ، موسوعة الامام علي-ع-،ط١/١٢جزء،قم،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .

٣٢١. آية الله رضا الصدر ،صحائف في الفلسفة(تعليقة على شرح المنظومة)،ط١ ،قم، ١٤٢١ق-١٣٧٩ش،
٣٢٢. ميرزا حسين النوري،مستدرك الوسائل،بيروت،١٤٠٨هـ-١٩٨٧م،٨١/١.
٣٢٣. الديلمي(حسن بن أبي حسن/القرن الثامن)أعلام الدين،مؤسسة آل البيت ،قم
٣٢٤. الراوندي(قطب الدين/ت٥٧٣هـ) الخرائج والجرائح ،٣مجلدات،مؤسسة الامام المهدي(ع)، قم.
٣٢٥. البيهقي الكيذري، حدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة،طهران .
٣٢٦. ابن رشد(ابو الوليد محمد بن احمد/ت٥٩٥)الضروري في السياسة،مختصر كتاب السياسة لافلاطون، نقله من العبرية للعربية د.احمد شعلان،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،١٩٨٨.
٣٢٧. محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة،ط٢ ،بيروت،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
٣٢٨. صادق الشيرازي،السياسة من واقع الإسلام،ط٤ ،بيروت ،٢٠٠٣م.
٣٢٩. السيد محسن الأمين ،المجالس السنية،ط٥ ،دار التعارف،٥مجلدات ،بيروت،١٣٩٤هـ-١٩٧٤م .
٣٣٠. باقر شريف القرشي،النظام السياسي في الإسلام، ط٢، دارالتعارف،بيروت، ١٣٩٨هـ١٩٧٧م.
٣٣١. علي الخامنئي،العودة الى نهج البلاغة،ط١ ،بيروت،٢٠٠٠م.
٣٣٢. احمد يعقوب حسين،النظام السياسي في الإسلام،ط٣،،قم،١٣٨٢-١٤٢٤ق.
٣٣٣. محمد المبارك ،نظام الإسلام(الحكم والدولة)،طهران،١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣٣٤. توفيق الفكيكي ،الراعي والرعية،ط١ ،شركة المعرفة،بغداد.
٣٣٥. نوري حاتم الساعدي،دراسات في عهد الإمام علي-ع- لمالك الاشتر، ط٢ ،نشر جامعة الإمام الباقر للعلوم الإسلامية،١٤٢٥هـ.
٣٣٦. د.خضير كاظم حمود،السياسة الإدارية في فكر الإمام علي بن أبي طالب-ع-بين الأصالة والمعاصرة، مؤسسة الباقر ،بيروت.

٣٣٧. مهدي منتظر قائم،الحرية السياسية في الإسلام،ضمن كتاب مدخل الى الفكر السياسي في الإسلام ،(مجموعة مقالات)إعداد الدكتور صادق حقيقت،ترجمة خليل العصامي،ط١ ،مكتبة الدراسات الإسلامية ، طهران ،١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م،

٣٣٨. محمد مهدي شمس الدين ،النظام الإداري في الحكومة الإسلامية،ضمن كتاب مدخل الى الفكر السياسي الإسلامي.

٣٣٩. إبراهيم محمد الفحام ،لمحات من الفكر الإداري في الإسلام،مجلة منارة الإسلام ،س٧،ع٢،١٤٠٢،١١هـ.

٣٤٠. ابن الأثير(عز الدين علي بن محمد الشيءباني/ت٦٣٠هـ)أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٥ مجلدات، طهران.

٣٤١. المحمودي ،نهج السعادة،ط٨،١ أجزاء،النعمان،النجف،١٩٦٨م.

٣٤٢. باقر شريف القرشي ،موسوعة الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب -ع- ،مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية،١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٣٤٣. هاشم الموسوي ،النظام الاجتماعي في الإسلام ،ط٢ ،طهران،١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م،

٣٤٤. حسن الأمين ،دائرة المعارف الإسلامية الشيءعية،ط٢ ،دار التعارف ،بيروت،١٣٩٣هـ١٩٧٣م.

٣٤٥. محسن الأمين،المجالس السنية،ط٥ ،بيروت،١٣٩٤هـ١٩٧٤م،

٣٤٦. محمود البستاني،علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي،ط١ ،قم،١٣٣٥هـش

٣٤٧. د.علي الوردي،منطق بن خلدون،ط٢ ،دار كوفان،لندن،١٩٩٤م.

٣٤٨. جورج جرداق،الامام علي صوت العدالة الإنسانية،اختصره وحققه حسن حميد السنيد،ط١ ،المجمع العالمي لاهل البيت ،قم،١٤٢٤هـ.

٣٤٩. الشيءخ محمد علي التسخيري،الدولة الإسلامية دراسات في وظائفها السياسية والاقتصادية ،سلسلة كتب التوحيد،ط١ ،منظمة الإعلام الإسلامي،١٤١٤هـ١٩٩٤م.

الفهرست

تقديم المركز	٣
الاهداء	٤
المقدمة	٥
الباب الاول	٧
الفصل الاول	٩
المبحث الاول: سيرته وعلمه (ع)	١١
صفة الإمام علي (ع)	١٦
ألقابه (ع)	١٦
جهاده (ع)	١٦
زهده (ع)	١٨
عدله وقضاؤه (ع)	٢٠
حلمه وتواضعه (ع)	٢٢
فضائله (ع)	٢٣
التنبؤ عند الامام (ع)	٢٤
علمه (ع)	٢٦
المبحث الثاني: التحقيق في نهج البلاغة	٣٢
نهج البلاغة والشكوك التي أثيرت حوله	٣٤
من هو مؤلف نهج البلاغة	٣٦
الشبهات المثارة حول نهج البلاغة	٤٢
الشبهات العقائدية	٤٢
الاشكالات الطبيعية والإنسانية	٤٦
الشبهات الأدبية	٤٧
مصادر نهج البلاغة وأسانيده	٥٠
المصادر التي الفت قبل نهج البلاغة	٥١
مصادر نهج البلاغة بعد الشريف الرضي	٥٤
مميزات نهج البلاغة	٥٥
الفصل الثاني	٥٩
المبحث الاول: الله سبحانه	٦١
عدم إدراك كنه الله سبحانه	٦١
مراتب التوحيد	٦٥
اولا: التوحيد في الذات	٦٥
صفات الأفعال	٦٧
ثانيا:توحيد الصفات(عينية الذات والصفات)	٦٨

تعقيب حول اثر الإمام في مفهوم واجب الوجود	٧٢
الوحدة العددية	٧٧
الصفات السلبية (تنزيه الله)	٧٩
علم الله بالجزئيات	٨٣
ثالثا:التوحيد في الخالقية	٨٥
رابعا :التوحيد في الربوبية والملك	٨٦
خامسا:التوحيد في الألوهية	٨٧
دلائل التوحيد	٨٧
أ- دليل الفطرة	٨٧
ب- دليل التمانع (الوحدانية)	٨٨
مناهج معرفة الله	٩٠
أدلة إثبات الصانع	٩٠
أولا: معرفة الله بالله	٩١
ثانيا : المعرفة القلبية	٩٣
ثالثا :المعرفة على ضوء النفس	٩٤
المنهج الفكري النظري	٩٨
١-دليل الحدوث	٩٨
٢-منهج الفقر والحاجة	١٠٣
٣-دليل النظام والهادفية	١٠٤
٤-دليل الفسخ والنقض	١٠٩
دليل القسر	١١٠
المبحث الثاني: العدل الإلهي	١١٢
العدل الإلهي	١١٢
نفي صدور القبح والعبث عن الله	١١٢
اللطف الإلهي	١١٣
عدم التكليف بما لا يطاق	١١٦
الحسن والقبح العقليان	١١٧
الجبر والاختيار	١١٩
البداء (نموذجا للقضاء والقدر)	١٢٣
كلام الله	١٢٧
رؤية الله ومكافحة التجسيم	١٣٠
ردود الامام علي على الملل والنحل	١٣٤
الفصل الثالث	١٣٩
المبحث الاول	١٤١
العالم عند الإمام علي (ع)	١٤١
فناء الأشياء	١٤٦

نشأة الكون ١٤٧
خلق الأرض ١٥٠
الجبال وحركة الأرض ١٥٣
خلق الإنسان(المادة والصورة) ١٥٦
١- المرحلة الأولى: الجسم ١٥٨
٢- المرحلة الثانية:الروح ١٥٩
٣- المرحلة الثالثة: الإنسان ١٦٠
الكائنات ١٦١
التغير ١٦٣
المبحث الثاني ١٦٦
السماء ١٦٦
الكواكب ١٧٢
الجو المكفوف ١٧٥
الشمس والقمر ١٧٦
العمد (الجاذبية) ١٧٨
ملاحظات واستنتاجات ١٧٩
الفصل الرابع ١٨٣
المبحث الاول: النفس في فكر الإمام علي (ع) ١٨٥
مفهوم الروح ١٨٦
النفس وخصائصها عند الإمام علي (ع) ١٨٩
أقسام النفس ١٩٢
أولا:النفس النامية النباتية ١٩٣
ثانيا:النفس الحسية الحيوانية ١٩٣
ثالثا:النفس الناطقة القدسية ١٩٤
رابعا:النفس الكلية الإلهية ١٩٤
المبحث الثاني: علم النفس عند الإمام علي (ع) ١٩٦
أصول علم النفس ١٩٦
أنواع الفعل ورد الفعل(المثير والاستجابة) ١٩٦
محركات السلوك الإنساني ٢٠٠
البيئة والوراثة ٢٠٣
الشخصية: نموها-أمراضها-علاجها ٢١٠
أ- ما قبل الولادة ٢١٠
ب-ما بعد الولادة ٢١٢
الطفولة المبكرة ٢١٢
الطفولة المتأخرة ٢١٤
الشخصية والأمراض النفسية ٢١٨

المرض العقلي ٢١٩

الأمراض النفسية (العصاب) ٢٢٠

ملاحظات في تحليل الظاهرة المرضية النفسية في فكر الإمام ٢٢٣

تصنيف المرض النفسي ٢٢٥

الدعامة الأولى – الكفر- ٢٢٦

الدعامة الثانية – النفاق – ٢٢٩

علاج الأمراض النفسية ٢٣٢

الباب الثاني ٢٣٧

الفصل الاول: الأخلاق ٢٣٩

المبحث الاول: النظريات الاخلاقية ٢٤١

الأخلاق في فكر الإمام علي(ع) ٢٤١

النظريات الأخلاقية ٢٤٤

أ- نظرية العاطفة (الغريزة) ٢٤٥

ب-العرف والعقلاء ٢٤٧

ج-القانون ٢٥٠

د-الوجدان او الضمير ٢٥١

هـ . العقل ٢٥٤

ركائز الأخلاق ٢٥٧

المحفزات الأخلاقية ٢٥٩

١.المثل الأعلى او الأسوة الحسنة ٢٥٩

٢.إلزام الضمير ٢٦٠

٣.التربية والتدريب ٢٦٠

٤.تهيئة الجو الصالح ٢٦١

مفهوم الثبات والنسبية في الأخلاق ٢٦١

المبحث الثاني : بعض المفاهيم الاخلاقية ٢٦٥

اللذة والسعادة ٢٦٥

الخير ٢٦٨

الفضيلة ٢٧١

مفهوم الوسطية في الأخلاق ٢٧٢

الفصل الثاني: العلم و الحكمة ٢٧٥

المبحث الاول: العلم وتصنيف العلوم ٢٧٧

العلم – تعريفه - ٢٧٧

أقسام العلم ٢٧٨

الخصائص العامة للعلم ٢٨٠

الخصائص الخاصة ٢٨١

صفات العالم ٢٨٢

أهم خصائص التفكير العلمي	٢٨٣
خطوات المنهج العلمي	٢٨٥
١-الملاحظة	٢٨٦
٢-الوصف	٢٨٦
٣-التصنيف	٢٨٧
٤-إلغاء الفرضيات الخاطئة	٢٨٧
تصنيف العلوم	٢٨٩
الطب للأبدان	٢٩٢
علوم الألسن	٢٩٤
١-النحو للسان	٢٩٤
٢-البلاغة	٢٩٤
٣-الشعر	٢٩٤
٤-اللغات	٢٩٥
٥-علم اللغة	٢٩٥
النجوم للأزمان	٢٩٧
علوم الطبيعة	٢٩٧
الفلك	٢٩٨
الفيزياء	٢٩٨
الكيمياء	٢٩٩
الرياضيات	٢٩٩
المبحث الثاني: الحكمة والمعرفة عند الامام علي(ع)	٣٠١
العقل	٣٠٦
وظيفة العقل وموقعه	٣٠٨
انواع العقل	٣٠٩
المعرفة عند الإمام علي (ع) ماهيتها ومصادرها	٣١٠
الإدراك	٣١٢
الواقعية والمثالية	٣١٥
الفصل الثالث : السياسة	٣٢١
المبحث الاول : السياسة والحكومة في فكر الامام علي (ع)	٣٢٣
السياسة في فكر الإمام علي (ع)- مفهوم السياسة	٣٢٣
منهاج الإمام علي في السياسة:	٣٢٥
الدولة او الحكومة	٣٢٨
أ- نشاة الحكومة	٣٢٩
ب- ضرورة الحكومة	٣٣٠
ج - أهداف الحكومة	٣٣١
د- أسس الدولة العقائدية	٣٣١

هـ - طبقات الحكومة او الدولة ٣٣٢
و - صفات الحاكم ٣٣٦
المبحث الثاني: انواع السياسات عند الامام علي (ع) ٣٤١
السياسة الإدارية ٣٤١
أسس الإدارة العامة ٣٤٢
السياسة الإدارية الخاصة بالعمال ٣٤٤
السياسة الثقافية ٣٤٩
السياسة الاجتماعية ٣٥١
الأسس العامة للسياسة الاجتماعية ٣٥٣
الأسس الخاصة في السياسة الاجتماعية ٣٥٧
ما ينهى الإمام عنه في السياسة الاجتماعية ٣٥٨
السياسة الاقتصادية ٣٦٠
أهمية الزراعة والصناعة والتجارة ٣٦١
الجانب الرقابي في التنمية الاقتصادية ٣٦٣
السياسة المالية ٣٦٥
مصروفات بيت المال ٣٦٦
السياسة القضائية ٣٧٠
شروط اختيار القضاة ٣٧٠
آداب القضاء
السياسة الحربية ٣٧١
الجيش ٣٧٢
تنظيم الجيش ٣٧٤
الدفاع والهجوم ٣٧٤
خاتمة السياسة عند الإمام عوامل زوال الدول وبقائها(فلسفة التاريخ) ٣٧٥
المصادر: ٣٧٦
٣٨٠



قد يسلم طالب العلم من التقصير في موارد عديدة ، أما إذا تعلق الأمر بفكر الإمام علي -ع- فانه بلا شك سينتمي إلى عالم التقصير ، فالكتابة عن الجانب الفكري هنا أمر محرج للغاية ، وسوف لا ادعي وأنا في خضم هذه الرحلة الطويلة أنني أنجزت مهمتي على اكمل وجه ، ومع هذا فان جانبا آخر لتلك المهمة(و هو ما يثير في داخلي السرور) أني أردت تحريك الكتابة عن الإمام علي و فكره بأي أسلوب كان، حتى وان كانت ردة الفعل المقابلة هي النقد الشديد.

واعترف بان الكتابة عن الامام علي (ع) كانت تمثل احدى امنياتي التي شغلتني في بداية حياتي، اليوم افهم انني حققت بعضا من هذه الامنية فمازال الطريق طويلا

المؤلف